ص: ٩

[الجزء الثانى]

شكر على تقدير

كان فى هواجس ضميرى:

أنَّ كتابى هذا سيقدِّره كلُّ رجلٍ دينىٍّ، و مَن يحمل ولاء العترة الطاهرة، فصدَّق الخُبر

الخَبر، و أتتنا رسائل كريمة، و كتابات أنيقة من أرجاء العراق و خارجها من شتّى

الأقطار، من الجمعيّات و الشخصيّات البارزة فى تقريض الكتاب و الإعجاب

به نظماً و نثراً، كلّ ذلک ينِمُّ عن روحيَّةٍ حاسَّةٍ قويَّةٍ فى الملأ الإسلامىٍّ،

و فكرةٍ صالحةٍ فى المجتمع الدينىٍّ، و شعورٍ حىٍّ فى رجالات الأُمَّة،

فحيّا اللَّه العرب و دينه الحقَّ، و مرحباً بالتابعين لهم بإحسان

من الأُمم الإسلاميّة، فنحن نقدِّم إلى الجميع شكرنا

المتواصل، و نسأل لهم التوفيق، و نأمل الرقىَ

و التقدّم لحملة القرآن الأقدس.

المؤلف الأمينى

ص: ١١

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد للَّه و سلام على عباده الذين اصطفى

نجز الجزء الأوَّل- و للَّه الحمد- من هذا الكتاب، بعد أن أَلْمَسَکَ باليد حقيقة ناصعة هى من أجلى الحقائق الدينيّة، ألا و هى: مغزى نصِّ الغدير و مفاده، ذلک النصُّ الجلىُّ على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، بحيث لم يدع لقائل كلمةً، و لا

لمجادل شبهة فی تلک الدلالة، و قد أوعزنا فی تضاعیف ذلک البحث الضافی إلی أنَّ هذا المعنی من الحدیث هو الذی عرفته منه العرب منذ عهد الصحابة الوعاة له و فی الأجیال من بعدهم إلی عصرنا الحاضر.

فهو معنی اللفظ اللغویّ المراد لا محالة قبل القرائن المؤکِّدة له و بعدها، و قد أسلفنا نزراً من شواهد هذا المدّعی، غیر أنَّه یروقنا هاهنا التبسّط فی ذلک، بإیراد الشعر المقول فیه، مع یسیرٍ من مکانة الشاعر و توغّله فی العربیّة، لیزداد القارئ بصیرةً علی بصیرته.

إلّا أنَّ کلّا من أولئک الشعراء الفطاحل- و قل فی أکثرهم العلماء- معدود من رواة هذا الحدیث، فإنَّ نظمهم إیّاه فی شعرهم القصصی لیس من الصور الخیالیّة الفارغة، کما هو المطّرد فی کثیر من المعانی الشعریّة، و لدی سواد عظیم من الشعراء، أ لم ترهم فی کلِّ وادٍ یهیمون؟ لکنّ هؤلاء نظموا قصّةً لها خارجٌ، و أفرغوا ما فیها من کَلِمٍ منثورة أو معانٍ مقصودة، من غیر أیِّ تدخّل للخیال فیه، فجاء قولهم کأحد الأحادیث المأثورة، فتکون تلکم القوافی المنضّدة فی عقودها الذهبیّة من جملة المؤکِّدات لتواتر الحدیث.

و من هنا لم نعتبر فی بعض ما أوردناه أن یکون من علّیّة الشعر، و لا لاحظنا تناسبه لأوقات نبوغ الشاعر فی القوّة، لما ذکرناه من أنَّ الغایة هی روایته للحدیث و فهمه المعنی المقصود منه، و لن تجد أیَّ فصیح من الشعراء و الکتّاب تشابهت ولائد فکرته فی القوّة و الضعف فی جمیع أدواره و حالاته.

ص: ۱۳

الشعر و الشعراء

و نحن لا نری شعر السلف الصالح مجرّد ألفاظ مسبوکة فی بوتقة النظم، أو کلمات منضّدة علی أسلاک القریض فحسب، بل نحن نتلقّاه بما هناک من الأبحاث الراقیة فی المعارف من علمی الکتاب و السنّة، إلی دروس عالیة من الفلسفة و العِبر و الموعظة الحسنة و الأخلاق، أضف إلیها ما فیه من فنون الأدب و موادِّ اللغة و مبانی التاریخ، فالشعر الحافل بهذه النواحی بغیة العالم، و مقصد الحکیم، و مأرب الأخلاقیِّ، و طلبة الأدیب، و أُمنیّة المؤرِّخ، و قل: مرمی المجتمع البشریِّ أجمع.

و هناک للشعر المذهبیِّ مآرب أخری هی من أهمِّ ما نجده فی شعر السلف، ألا و هی الحِجاج فی المذهب و الدعوة إلی الحقِّ، و بثِّ فضائل آل اللَّه، و نشر روحیّات العترة الطاهرة فی المجتمع، بصورة خلّابة، و أسلوب بدیع یُمازج الأرواح، و یخالط الأدمغة، فیبلغ هتافه القاصی و الدانی، و تلوکه أشداق الموالی و المناوئ مهماً علت فی الکون عقیرته، و دوّخت الأرجاء شهرته، و شاع و ذاع و طار صیته فی الأقطار، و قُرِّطت به الآذان.

مهما صار أُحدوّة تحدو بها الحُداة، و أغانی تغنّی به الجواری فی أندیة الملوک و الخلفاء و الأمراء، و تناغی بها الأمّهات الرضّع فی المهود، و یرقّصْنَهم بها بعد الفطام فی الحجور، و یُلقِّنها الآباء أولادهم علی حین نعومة الأظفار، فینمو و یشبُّ و فی

ص: ۱۴

صفحة قلبه أسطرٌ نوريّة من الولاء المحض بسبب تلک الأهازيج، و هذه الناحية- الفارغة اليوم- لا تسدّها خطابة أيِّ مفوّهٍ لَسِن، و لا تلحقه دعاية أيِّ متكلّم، كما يقصر دون إدراكها السيف و القلم.

و أنت تجد تأثير الشعر الرائق فى نفسيّتک فوق أيِّ دعاية و تبليغ، فأيُّ أحد يتلو ميميّة الفرزدق فلا يكاد أن يطير شوقاً إلى الممدوح و حبّا له؟ أو ينشد هاشميّات الكميت فلا يمتلئ حجاجاً لِلحقّ؟ أو يترنّم بعينيّة الحميرى فلا يعلم أنَّ الحقَّ يدور على الممدوح بها؟ أو تلقى عليه تائيّة دعبل فلا يستاء لاضطهاد أهل الحقِّ؟ أو تصكُّ سمعه ميميّة الأمير أبى فراس فلا تقف شعرات جِلدته؟ ثمَّ لا يجد كلَّ عضو منه يخاطب القوم بقوله:

ياباعةَ الخمرِ كُفّوا عن مفاخرِكمْ لِعُصْبةٍ بيعُهم يوم الهياج دمُ

و كم و كم لهذه من أشباه و نظائر فى شعراء أكابر الشيعة، و سوف تقف عليها فى طيّات أجزاء كتابنا هذا إن شاء اللَّه تعالى.

و بهذه الغاية المهمّة كان الشعر فى القرون الأولى مدحاً و هجاءً و رثاءً كالصارم المسلول بيد موالى أئمّة الدين، و سهماً مغرَقاً فى أكباد أعداء اللَّه، و مجلّة دعاية إلى ولاء آل اللَّه فى كلِّ صقع و ناحية، و كانوا- صلوات اللَّه عليهم- يضحّون دونه بثروة طائلة، و يبذلون من مال اللَّه للشعراء ما يغنيهم عن التكسّب و الاشتغال بغير هذه المهمَّة، و كانوا يوجّهون الشعراء إلى هذه الناحية، و يحتفظون بها بكلِّ حول و طول، و يحرِّضون الناس عليها، و يُبشِّرونهم عن اللَّه- و هم أمناء وحيه- بمثل قولهم:

«من قال فينا بيت شعر بنى اللَّه له بيتاً فى الجنّة».

و يحثّونهم على تعلّم ما قيل فيهم و حفظه، بمثل

قول الصادق الأمين عليه السلام: «علّموا أولادكم شعر العبدى».

و قوله: «ما قال فينا قائلٌ بيت شعر حتى يؤيَّد بروح القُدس» «١».

---

(١). عيون أخبار الرضا [١/ ١٥]، رجال الكشّى: ص ٢٥۴ [٢/ ٧٠۴ رقم ٧۴٨]. (المؤلف)

و روى الكشّى فى رجاله «١» (ص ١۶٠) عن أبى طالب القمّى، قال: كتبت إلى أبى جعفر بأبيات شعر و ذكرت فيها أباه، و سألته أن يأذن لى فى أن أقول فيه، فقطع الشعر و حبسه، و كتب فى صدر ما بقى من القرطاس:

«قد أحسنت، فجزاک اللّه خیراً».

و عنه فی لفظ آخر: فأذِنَ لی أن أرثی أبا الحسن- أعنی أباه- و کتب إلیَّ: «أن اندبه و اندب لی».

---

(۱). رجال الکشّی: ۲/ ۸۳۸ رقم ۱۰۷۴ و ۱۰۷۵.

الشعر و الشعراء فی السنّة و الکتاب

کلّ ما ذکرنا عنهم- صلوات اللّه علیهم- کان تأسِّیاً بقدوتهم النبیِّ الطاهر صلی الله علیه و آله و سلم، فإنَّه أوّل فاتح لهذا الباب بمصراعیه مدحاً و هجاءً، بإصاخته للشعراء المادحین له و لأسرته الکریمة، و کان ینشد الشعر و یستنشده، و یجیز علیه و یرتاح له، و یکرم الشاعر مهما وجد فی شعره هذه الغایة الوحیدة، کارتیاحه لشعر عمّه شیخ الأباطح أبی طالب- سلام اللّه علیه- لمّا استسقی فسُقی،

قال: «للّه درُّ أبی طالب لو کان حیّا لقرّت عیناه، من ینشدنا قوله؟».

فقام عمر بن الخطاب فقال: عسی أردت یا رسول اللّه:

و ما حَمَلَتْ من ناقةٍ فوقَ ظهرِها أبرَّ و أوفی ذمّةً من محمد

فقال رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم: «لیس هذا من قول أبی طالب، هذا من قول حسّان ابن ثابت!».

فقام علیّ بن أبی طالب علیه السلام

و قال: «کأنَّک أردتَ یا رسول اللّه:

و أبیضُ یُستَسقی الغَمامُ بوجهِهِ ربیعُ الیتامی عِصمةٌ للأرامِلِ

تلوذُ به الهلّاکُ من آلِ هاشمٍ فهم عنده فی نعمةٍ و فواضلِ

فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم: أجل».

ص: ۱۸

فقام رجل من بنى كنانة، فقال:

لک الحمدُ و الحمدُ ممّن شكر سُقينا بوجه النبىِّ المطرْ

دعا اللَّهَ خالقَهُ دعوةً و أشخصَ منهُ إليهِ البصرْ

فلم يكُ إلّا كإلقا الرِّدا و أسرعَ حتى أتانا الدَّرَرْ

دِفاقُ العَزالِىَ جمّ البُعاق«۱» أغاثَ به اللَّهُ عليا مضرْ

فكان كما قالَهُ عمّهُ أبو طالب ذا رواءٍ غَزرْ

به اللَّهُ يسقى صُيوبَ الغَمامِ فهذا العيانُ و ذاک الخبرْ

فقال رسول اللَّه: «ياكنانى بوّأک اللَّه بكلِّ بيت قلته بيتاً فى الجنّة» «۲».

و لمّا نظر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم يوم بدر إلى القتلى مصرّعين، قال لأبى بكر:

«لو أنَّ أبا طالب حىٌّ لعلم أنَّ أسيافنا أخذت بالأماثل»

، و ذلک لقول أبى طالب:

و إنّا لعمر اللَّه إن جدَّ ما أرى لَتَلْتَبِسَنْ أسيافُنا بالأماثل«۳»

و كارتياحه صلى الله عليه و آله و سلم لشعر عمِّه العبّاس بن عبد المطّلب لمّا قال: يا رسول اللَّه أريد أن أمتدحک.

فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم: «قل لا يفضضِ اللَّه فاک»

فأنشأ يقول:

من قبلِها طِبتَ فی الظلالِ و فی مستودَعٍ حیث یُخصَفُ الورقُ

ثمَّ هبطتَ البلادَ لا بشرٌ أنت و لا مُضغةٌ و لا عَلَقُ

بل نطفةٌ ترکبُ السفینَ و قدْ ألجمَ نسراً و أهلَه الغرقُ

---

(۱). العزالی جمع العزلاء: مصبّ الماء. و البُعاق- بالضم: السحاب الممطر بشدّة. (المؤلف)

(۲). أمالی شیخ الطائفة: ص ۴۶ [ص ۷۵ ح ۱۱۰]. (المؤلف)

(۳). المعجم الکبیر: ۱۰/ ۱۵۸ ح ۱۰۳۱۲.

تُنقلُ من صالب إلی رَحمٍ إذا مضی عالمٌ بدا طبقُ

حتی احتوی بیتُک المهیمنُ من خِندف علیاءَ تحتها النطقُ

و أنت لمّا وُلِدتَ أشرقتِ الأ رضُ و ضاءتْ بنورکَ الأُفقُ

فنحن فی ذلک الضیاء و فی النور و سبل الرشاد نخترقُ«۱»

و کارتیاحه صلی الله علیه و آله و سلم لشعر عمرو بن سالم

و قوله له: «نُصِرتَ یا عمرو بن سالم»

لمّا قدم علیه و أنشده أبیاتاً، أوّلها «۲»:

لاهُمَّ إنّی ناشدٌ محمدا حِلْفَ أبینا و أبیه الأَتْلَدا

كنتَ لنا أباً و كنّا وَلَدا ثَمَّتَ أسلَمنا فلم ننزعْ يدا

فانصرْ رسول اللَّه نصراً عَتَدا و ادعُ عبادَ اللَّه يأتوا مَدَدا

الى آخر الأبيات.

و كارتياحه صلى الله عليه و آله و سلم لِشعر النابغة الجعدى و دعائه له

بقوله: «لا يفضضِ اللَّه فاک»

لمّا أنشده أبياتاً من قصيدته مائتى بيت، أوّلها:

خليليَّ غُضّا ساعةً و تهجّرا و لوما على ما أحدثَ الدهرُ أو ذَرا

و ممّا أنشده رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم:

أتيتُ رسول اللَّه إذ جاءَ بالهدى و يتلو كتاباً كالمجرّة نَيِّرا

و جاهدتُ حتى ما أحسُّ و من معى سهيلًا إذا ما لاحَ ثمّ تحوّرا

أقيمُ على التقوى و أرضى بفعلِها و كنت من النار المخُوفةِ أحذرا

---

(١). مستدرک الحاكم: ٣/ ٣٢٧ [٣/ ٣٦٩ ح ٥۴١٧]، أُسد الغابة: ١/ ١١٩ [٢/ ١٢٩ رقم ١۴٣٨]. (المؤلف)

(٢). تاريخ الطبرى: ٣/ ١١١ [٣/ ۴٥ حوادث سنة ٨ ه]، أُسد الغابة: ۴/ ١٠۴ [۴/ ٢٢۴ رقم ٣٩٢٣]. (المؤلف)

و لمّا بلغ إلى قوله:

بلغنا السماءَ مجدُنا و جدودُنا و إنّا لنرجو فوق ذلک مظهرا

قال النبیُّ صلی الله علیه و آله و سلم: «أین المظهر یا أبا لیلی؟». قال: الجنَّة. قال: «أجل إن شاء اللَّه تعالی».

ثمَّ قال:

و لا خیرَ فی حِلمٍ إذا لم یکنْ لهُ بوادرُ تَحمی صَفْوَهُ أن یُکدَّرا

و لا خَیر فی جَهلٍ إذا لم یکنْ لهُ حلیمٌ إذا ما أورد الأمرَ أصدرا

فقال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم: «أجدتَ لا یفضضِ اللَّه فاک». مرّتین.

فکانت أسنانه کالبَرَد المنهلّ، ما انفصمت له سنٌّ و لا انفلتت، و کان معمَّراً «۱».

و کارتیاحه صلی الله علیه و آله و سلم لشعر کعب بن زهیر لمّا أنشده فی مسجده الشریف لامیّته التی أوّلها:

بانت سعاد فقلبی الیومَ متبولُ مُتیَّمٌ إثرها لم یُفْدَ مکبولُ

فکساه النبیُّ صلی الله علیه و آله و سلم بردة، اشتراها معاویة بعد ذلک بعشرین ألف درهم، و هی التی یلبسها الخلفاء فی العیدین «۲».

و فی مستدرک الحاکم «۳» (۳/ ۵۸۲): لمّا أنشد کعب قصیدته هذه رسول اللَّه و بلغ قوله:

---

(۱). الشعر و الشعراء لابن قتیبة: ص ۹۶ [ص ۱۷۷]، الاستیعاب: ۱/ ۳۱۱ [القسم الرابع/ ۱۵۱۶ رقم ۲۶۴۷]، الإصابة: ۳/ ۵۳۹ [رقم ۸۶۳۹]. (المؤلف)

(۲). الشعر و الشعراء لابن قتیبة: ص ۶۲ [ص ۸۰]، الإمتاع للمقریزی: ص ۴۹۴، الإصابة: ۳/ ۲۹۶ [رقم ۷۴۱۱]. (المؤلف)

(۳). المستدرک علی الصحیحین: ۳/ ۶۷۳ ح ۶۴۷۹.

ص: ۲۱

إنَّ الرسول لسیفٌ یُستضاء به و صارمٌ من سیوف اللَّه مسلولُ

أشار صلی الله علیه و آله و سلم بکمّه إلی الخلق لیسمعوا منه.

و یُروی أنَّ کعباً أنشد: من سیوف الهند. فقال النبیُّ صلی الله علیه و آله و سلم: «من سیوف اللَّه» «۱».

و کارتیاحه صلی الله علیه و آله و سلم لشعر عبد اللَّه بن رواحة،

قال البراء بن عازب: رأیت النبیَّ صلی الله علیه و آله و سلم ینقل من تراب الخندق حتی واری التراب جلد بطنه، و هو یرتجز بکلمة عبد اللَّه بن رواحة:

لاهُمَّ لو لا أنت ما اهتدَیْنا و لا تصدّقنا و لا صَلّینا

فأنزِلَنْ سکینةً علینا و ثبِّتِ الأقدامَ إن لاقینا

إنَّ أُولاءِ قد بَغَوا علینا و إنْ أرادوا فتنةً أبَیْنا«۲»

و یظهر من روایة ابن سعد فی طبقاته «۳» و ابن الأثیر «۴» أنَّ الأبیات لعامر بن الأکوع.

روی الثانی فی أُسد الغابة «۵» (۳/ ۸۲): أنَّ النبیَّ صلی الله علیه و سلم قال لعامر فی مسیره إلی خیبر: «انزل یا ابن الأکوع واحدِ لنا من هناتک» «۶».

قال: نزل یرتجز برسول اللَّه صلی الله علیه و سلم:

لاهُمَّ لو لا أنت ما اهتدینا و لا تصدّقنا و لا صلّینا

إلى آخر الأبيات.

---

(۱). شرح قصيدة: بانت سعاد، لجمال الدين الأنصارى: ص ۹۸ [ص ۸۷]. (المؤلف)

(۲). مسند أحمد: ۴/ ۳۰۲ [۵/ ۳۸۸ ح ۱۸۲۰۹]. (المؤلف)

(۳). الطبقات الكبرى: ۲/ ۱۱۱.

(۴). الكامل فى التاريخ: ۱/ ۵۹۵ حوادث سنة ۷ ه.

(۵). أُسد الغابة: ۳/ ۱۲۴ رقم ۲۶۹۹.

(۶). أى كلماتک و أراجيزک. و فى رواية: هنيأتک، على التصغير. و فى أخرى: هنيهاتک. (المؤلف)

ص: ۲۲

فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم: «يرحمک ربّک- و فى لفظ- رحمک اللَّه».

و فى الطبقات لابن سعد «۱» (۳/ ۶۱۹): «غفر لک ربّک».

و كارتياحه صلى الله عليه و سلم لشعر حسّان بن ثابت يوم غدير خُمّ و دعائه له

بقوله: «لا تزالُ يا حسّان مؤيَّداً بروح القُدس ما نصرتَنا بلسانک».

و كان صلى الله عليه و آله و سلم يضع لحسّان منبراً فى مسجده الشريف، يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول اللَّه، و يقول رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم: «إنَّ اللَّه يؤيِّد حسّان بروح القُدس ما نافحَ أو فاخر عن رسول اللَّه» «۲».

و كارتياحه لشعر أبى كبير الهذلى.

قالت عائشة: كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم يخصف نعله، و كنت جالسةً أغزل، فنظرت إليه، فجعل جبينه يعرق، و عرقه يتولّد نوراً، قالت: فبُهِتُّ، فنظر إلىّ فقال: «ما لکِ بهتِّ».

فقلت: يا رسول اللَّه، نظرت إليک فجعل جبينک يعرق، و عرقک يتولّد نوراً، و لو رآک أبو كبير الهُذَلى لعلم أنّک أحقُّ بشعره.

قال: «و ما يقول أبو كبير؟». قلت: يقول:

و مبرَّأٌ من كلِّ غُبَّرِ حَيضةٍ و فسادِ مُرضعةٍ و داءٍ مُعْضِلِ

و إذا نظرت إلى أسرّةِ وجههِ بَرِقَتْ كبرقِ العارض المتهلّلِ

قالت: فوضع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم ما كان بيده، و قام و قبّل ما بين عينىَّ، و قال:

«جزاكِ اللَّه خيراً يا عائشة. ما سُرِرْتِ منّى كسرورى منک» «۳».

---

(۱). الطبقات الكبرى: ۲/ ۱۱۱.

(۲). مستدرک الحاكم: ۳/ ۴۷۷ [۳/ ۵۵۴ ح ۶۰۵۸]. و صحّحه هو و الذهبى فى تلخيصه. (المؤلف)

(۳). حلية الأولياء لأبى نعيم: ۲/ ۴۵ [رقم ۱۳۴]، تاريخ الخطيب البغدادى: ۱۳/ ۲۵۳ [رقم ۷۲۱۰]. (المؤلف)

و كان صلى الله عليه و آله و سلم يحثُّ الشعراء إلى هذه الناحية، و يأمرهم بالاحتفاظ بها، و يرشدهم إلى أخذ حديث المخالفين له و أحسابهم، و تأريخ نشآتهم ممّن يعرفها، و هجائهم، كما كان يأمرهم بتعلّم القرآن العزيز، و كان يراه نصرةً للإسلام و جهاداً دون الدين الحنيف، و كان يصوِّر للشاعر جهاده و ينصّ به،

و يقول:

«اهجوا بالشعر؛ إنَّ المؤمن يجاهد بنفسه و ماله، و الذى نفس محمد بيده كأنّما تتضحونهم بالنبل». و فى لفظ آخر: «فكأنّ ما ترمونهم به نضح النبل». و فى ثالث: «و الذى نفس محمد بيده فكأنّما تنضحونهم بالنبل فيما تقولون لهم من الشعر» «۱».

و كان صلى الله عليه و آله و سلم يثوِّر شعراءه إلى الجدال بنبال النظم و حسام القريض، و يحرِّضهم ۲/ ۸ إلى الحماسة فى مجابهة الكفّار فى قولهم المضادِّ لمبدئه القدسىِّ، و يبثُّ فيهم روحاً دينيّا قويّا، و يؤكِّد فيهم حميّةً تجاه الحميّة الجاهليّة، و كان يوجِد فيهم هياجاً و نشاطاً فى النشر و الدعاية، و شوقاً مؤكّداً إلى الدفاع عن حامية الإسلام المقدّس، و رغبةً فى المجاهدة بالنظم بمثل

قوله صلى الله عليه و آله و سلم للشاعر: «اهج المشركين؛ فإنَّ روح القدُس معک ما هاجيتهم» «۲»،

و قوله: «اهجُهم؛ فإنَّ جبريل معک» «۳».

قال البراء بن عازب: إنَّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم قيل له: إنَّ أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب يهجوک، فقال عبد اللَّه بن رواحة: يا رسول اللَّه ائذن لى فيه.

فقال: «أنت الذى تقول: ثبّت اللَّه؟». قال: نعم.

قلت يا رسول اللَّه:

---

(۱). مسند أحمد: ۳/ ۴۶۰، ۴۵۶، ۶/ ۳۸۷ [۴/ ۴۹۸ ح ۱۵۳۶۹، ص ۴۹۲ ح ۱۵۳۵۹، ۷/ ۵۳۳ ح ۲۶۶۳۳]. (المؤلف)

(۲). مسند أحمد: ۴/ ۲۹۸ [۵/ ۳۸۳ ح ۱۸۱۶۸]، مستدرک الحاکم: ۳/ ۴۸۷ [۳/ ۵۵۵ ح ۶۰۶۲]. (المؤلف)

(۳). مسند أحمد: ۴/ ۲۹۹، ۳۰۲، ۳۰۳ [۵/ ۳۸۴ ح ۱۸۱۷، ص ۳۸۹ ح ۱۸۲۱۴، ص ۳۹۱ ح ۱۸۲۲۲]. (المؤلف)

فثبّت اللَّه ما أعطاک من حسنٍ تثبيتَ موسى و نصراً مثل ما نُصروا

قال صلى الله عليه و آله و سلم: «و أنت يفعل اللَّه بک خيراً مثل ذلک».

قال: ثمّ وثب کعب، فقال: يا رسول اللَّه ائذن لى فيه. قال: «أنت الذى تقول: هَمّت؟». قال: نعم.

قلت يا رسول اللَّه:

همّتْ سَخينةُ أن تغالبَ ربَّها فَلَيُغْلَبَنَّ مُغالبُ الغلّابِ

قال صلى الله عليه و آله و سلم: «إنَّ اللَّه لم ينسَ ذلک لک».

قال: ثمَّ قام حسّان فقال: يا رسول اللَّه ائذن لى فيه، و أخرج لساناً له أسود. فقال: يا رسول اللَّه ائذن لى إن شئتَ أفريتُ به المزاد «۱».

فقال: «اذهب إلى أبى بكر ليحدِّثک حديث القوم و أيّامهم و أحسابهم، ثمَّ اهجهم و جبريل معک» «۲».

و هذه الطائفة من الشعراء هم المعنيّون بقوله تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ ذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) «۳».

و هم المستثنون فى صريح القرآن من قوله تعالى: (وَ الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ) «۴».

و لمّا نزلت هذه الآية جاءت عدّة من الشعراء إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم و هم يبكون قائلين: إنّا شعراء، و اللَّه أنزل هذه الآية. فتلا النبىُّ صلى الله عليه و سلم: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا

---

(۱). أى شققته. كناية عن إسقاطه بالفضيحة. (المؤلف)

(۲). مستدرک الحاكم: ۳/ ۴۸۸ [۳/ ۵۵۶ ح ۶۰۶۵]. (المؤلف)

(۳). الشعراء: ۲۲۷.

(۴). الشعراء: ۲۲۴.

الصالِحاتِ) قال: أنتم (وَ ذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً) قال: أنتم (وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) قال: أنتم «۱».

و إنَّ كعب بن مالک، أحد شعراء النبى الأعظم، حين أنزل اللَّه تبارک و تعالى فى الشعر ما أنزل، أتى النبىّ صلى الله عليه و سلم فقال: إنَّ اللَّه تبارک و تعالى قد أنزل فى الشعر ما قد علمت، و كيف ترى فيه؟ فقال النبىُّ صلى الله عليه و سلم: «إنَّ المؤمن يجاهد بسيفه و لسانه» «۲».

على أنَّ فى وسع الباحث أن يقول: إنَّ المراد بالشعراء فى الآية الكريمة كلُّ من يأتى بكلامٍ شعرىّ منظوماً [كان] أو منثوراً، فتكون مصاديقها أحزاب الباطل و قوّالة الزور،

فعن مولانا الصادق عليه السلام: «إنَّهم القصّاصون».

رواه شيخنا الصدوق فى عقائده «۳».

و فی تفسیر علیّ بن إبراهیم «۴» (ص ۴۷۴) أنّه قال: نزلت فی الذین غیّروا دین اللّه [بآرائهم] «۵» و خالفوا أمر اللّه، هل رأیتم شاعراً قطّ تبعه أحد؟ إنّما عنی بذلک الذین وضعوا دیناً بآرائهم فتبعهم علی ذلک الناس، و یؤکّد ذلک قوله [تعالی]: (أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِی کُلِّ وادٍ یَهِیمُونَ) «۶» یعنی یناظرون بالأباطیل، و یجادلون بالحجج، و فی کلّ مذهب یذهبون.

و فی تفسیر العیّاشی «۷»: عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال: «هم قومٌ تعلّموا و تفقّهوا بغیر علم، فضلّوا و أضلّوا».

---

(۱). تفسیر ابن کثیر: ۳/ ۳۵۴. (المؤلف)

(۲). مسند أحمد: ۳/ ۴۵۶ [۴/ ۴۹۲ ح ۱۵۳۵۸]. (المؤلف)

(۳). الاعتقادات فی دین الإمامیة: ص ۸۴.

(۴). تفسیر القمّی: ۲/ ۱۲۵.

(۵). الزیادة من المصدر.

(۶). الشعراء: ۲۲۵.

(۷). أنظر مجمع البیان للطبرسی: ۷/ ۳۲۵.

فلیس فی الآیة حطٌّ لمقام الشعر بما هو شعر، و إنّما الحطُّ علی الباطل منه و من المنثور، و قد ثبت عنه صلی الله علیه و آله و سلم عند فریقی الإسلام

قوله: «إنَّ من الشعر لَحکمةً و إنَّ من البیان لَسحراً» «۱».

---

(۱). مسند أحمد: ۱/ ۲۶۹، ۲۷۳، ۳۰۳، ۳۳۲ [۱/ ۴۴۴ ح ۲۴۲۰، ص ۴۵۱ ح ۲۴۶۹، ص ۴۹۸ ح ۲۷۵۶، ص ۵۴۶ ح ۳۰۵۹]، سنن الدارمی: ۲/ ۲۹۶، صحیح البخاری [۵/ ۲۱۷۶ ح ۵۴۳۴] کتاب الطب، باب: إنَّ من البیان سحراً، المجتنی لابن درید: ص ۲۲ [ص ۱۱]، تاریخ بغداد للخطیب: ۳/ ۹۸ [رقم ۱۰۹۴]، ص ۲۵۸ [رقم ۱۳۴۹]، و ۴/ ۲۵۴ [رقم ۱۹۸۸]، و ۸/ ۱۸ [رقم ۴۰۶۱]، ۳۱۴ [رقم ۴۴۰۸]، البیان و التبیین للجاحظ: ۱/ ۲۱۲، ۲۷۵ [۱/ ۲۱۳، ۲۸۲]، رسائل الجاحظ: ص ۲۳۵ [ص ۷۳ الرسائل الکلامیة]، مصابیح السنّة للبغوی: ۲/ ۱۴۹ [۳/ ۳۱۱ ح ۳۷۱۹، ۳۷۲۰]، الروض الأُنف: ۲/ ۳۳۷ [۷/ ۴۳۷]، تاریخ ابن کثیر: ۹/ ۴۵ [۹/ ۵۶ حوادث سنة ۸۲ ه]، تاریخ ابن عساکر: ۱/ ۳۴۸، و ۶/ ۴۲۳ [۴/ ۱۵۳، ۸/ ۳۰۵]، الإصابة: ۱/ ۴۵۳ [رقم ۲۲۷۴]، و ۴/ ۱۸۳ [رقم ۱۰۷۲]، تهذیب التهذیب: ۹/ ۴۵۳ [۴/ ۳۶۲ رقم ۷۱۹، ۶/ ۱۲۷ رقم ۲۸۶]. (المؤلف)

الهواتف بالشعر

و هناک هتافات غیبیّة شعریّة فی الدعایة الدینیّة، خوطبَ بها أُناسٌ فی بدء الإسلام فاهتدوا بها، و هی معدودة من معاجز النبیِّ صلی الله علیه و آله و سلم، و تنمُّ عن أهمیّة الشعر فی باب الإلقاء و الحجاج و إفهام المستمع، و إنَّ أخذه بمجامع القلوب و الأفئدة آکد من الکلام المنثور، فَلْیُتَّخذ دستوراً فی إصلاح المجتمع و بثِّ الدعایة الروحیّة. و منها:

۱- سمعت آمنة بنت وهب فی ولادة النبیِّ صلی الله علیه و آله و سلم هاتفاً یقول:

صلّی الإله و کلُّ عبدٍ صالحٍ و الطیّبونَ علی السِراجِ الواضحِ

المصطفی خیرِ الأنامِ محمد الطاهرِ العَلَمِ الضیاءِ اللائحِ

زینِ الأنام المصطفی عَلَمِ الهدی الصادقِ البرِّ التقیِّ الناصحِ

صلّی علیه اللّهُ ما هبّتْ صَبا و تجاوبتْ ورق الحمام النائحِ«۱»

۲- هتف هاتفٌ من صنم بصوت جهیر لیلة مولد النبیِّ صلی الله علیه و سلم، و قد خرّت فیها الأصنام، و هو یقول:

تردّی لمولودٍ أنارتْ بنورهِ جمیعُ فِجاجِ الأرضِ بالشرقِ و الغربِ

و خرّت له الأوثانُ طُرّا و أرعدتْ قلوبُ ملوکِ الأرض طُرّا من الرعبِ

(۱). بحار الأنوار: ۶/ ۷۳ [۱۵/ ۳۲۵]. (المؤلف)

و نارُ جمیعِ الفُرس باخَتْ و أظلمتْ و قد بات شاهُ الفرس فی أعظمِ الکَربِ

و صدّت عن الكُهّانِ بالغيب جِنُّها فلا مخبرٌ منهم بحقٍّ و لا كذبِ

فَيالَ قُصَيٍّ ارجعوا عن ضَلالِكم و هُبّوا إلى الإسلامِ و المنزلِ الرحْبِ«۱»

۳- قال ورقة: بتُّ ليلةَ مولد النبيِّ صلى الله عليه و سلم عند صنم لنا، إذ سمعتُ من جوفه هاتفاً يقول:

وُلِدَ النبيُّ فذلَّتِ الأملاكُ و نأى الضلالُ و أدبرَ الإشراكُ

ثمَّ انتكس الصنم على رأسه «۲».

۴-

قال العوام بن جُهيل- مُصَغّراً- الهمْدانى سادِن يغوث: بتُّ ليلًا فى بيت الصنم، و سمعت هاتفاً من الصنم يقول: يا ابن جُهيل حلَّ بالأصنام الويل، هذا نورٌ سطع من الأرض الحرام، فودِّع يغوث بالسلام. فكلّمت قومى ما سمعت، فإذا هاتفٌ يقول:

هل تسمعنَّ القول يا عوام أم أنتَ ذو وَقْرٍ عن الكلامِ

قد كُشِفَتْ دياجرُ الظلامِ و أصفق الناسُ على الإسلامِ

فقلت:

يا أيّها الهاتفُ بالعوامِ لستُ بذى وَقْرٍ عن الكلامِ

فبيِّنَنْ عن سُنّةِ الإسلامِ

قال: و ما كنت و اللّه عرفت الإسلام قبل ذلک، فأجابنى يقول:

ارحل على اسمِ اللَّهِ و التوفيقِ رحلةَ لا وانٍ و لا مَشيقِ«۳»

---

(۱). تاريخ ابن كثير: ۲/ ۳۴۱ [۲/ ۴۱۵]، الخصائص الكبرى للسيوطى: ۱/ ۵۲ [۱/ ۸۹]. (المؤلف)

(۲). الخصائص الكبرى: ۱/ ۵۲ [۱/ ۸۹]. (المؤلف)

(۳). المشيق: الهزيل الضامر.

إلى فريقٍ خيرِ ما فريقِ إلى النبيِّ الصادقِ المصدوقِ

فرميت الصنم، و خرجت أريد النبيَّ صلى الله عليه و آله و سلم فصادفت وفد هَمْدان يدور بالنبيِّ، فدخلتُ عليه، فأخبرته خبرى فَسُرَّ النبيُّ صلى الله عليه و سلم ثمّ قال: «أخبر المسلمين» و أمرنى بكسر الأصنام، فرجعت إلى اليمن، و قد امتحن اللَّه قلبى بالإسلام، و قلت فى ذلک:

فمن مبلغٌ عنّا شآميَّ قومِنا و من حل بالأجوافِ سرّا و أجهرا

بأنّا هدانا اللَّهُ لِلحقِّ بعدَ ما تهوّدَ منّا حائرٌ و تنصّرا

و إنّا سَرَيْنا من يغوثٍ و قربه يعوقُ و تابعناکَ يا خيِّر الورى«۱»

-۵

أخرج أبو نعيم فى دلائل النبوّة «۲» (۱/ ۳۴) عن العبّاس بن مرداس السلمى قال: دخلت على وثن يقال له الضمار، فكنستُ ما حوله و مسحتُه و قبّلته، فإذا بصائح يصيح: يا عبّاس بن مرداس:

قل للقبائلِ من سُليمٍ كلّها هلکَ الأنيسُ و فاز أهلُ المسجدِ

أودى ضِمارُ و كان يُعبَدُ مرّةً قبلَ الكتابِ إلى النبيِّ محمد

إنَّ الذى ورِثَ النبوّةَ و الهدى بعد ابنِ مريمَ من قريش مهتدى

فخرج العبّاس فى ثلاثمائة راكب من قومه إلى النبيِّ صلى الله عليه و آله و سلم، فلمّا رآه النبيُّ تبسّم ثمّ قال: «يا عبّاس بن مرداس كيف كان إسلامک؟» فقصَّ عليه القصّة.

فقال: «صدقت» و سُرَّ بذلک «۳».

۶- أخرج أبو نعيم فى دلائله) «۴» (۱/ ۳۳ عن رجل خثعمىّ، قال: إنَّ قوماً من خثعم كانوا مجتمعين عند صنم لهم، إذ سمعوا بهاتفٍ يهتف:

---

(۱). أُسد الغابة: ۴/ ۱۵۳ [۴/ ۳۰۷ رقم ۴۱۰۹]، الإصابة: ۳/ ۴۱ [رقم ۶۰۸۴]. (المؤلف)

(۲). دلائل النبوّة: ۱/ ۱۴۷ ح ۶۶.

(۳). ابن شهرآشوب فى المناقب: ۱/ ۶۱ [۱/ ۱۲۳]، تاريخ ابن كثير: ۲/ ۳۴۱ [۲/ ۴۱۷]. (المؤلف)

(۴). دلائل النبوّة: ۱/ ۱۴۵ ح ۶۴.

يا أيّها الناس ذَوو الأجسامِ و مسندو الحكمِ إلى الأصنامِ

ما أنتمُ و طائشُ الأحلامِ هذا نبيٌّ سيِّدُ الأنامِ

أعدلُ ذى حُكمٍ من الحكّامِ يصدعُ بالنورِ و بالإسلامِ

و يردعُ الناسَ عن الآثامِ مستعلنٌ فى البلَدِ الحَرامِ

و أخرج أبو نعيم عن عمر، قال: سمعت هاتفاً يهتف و يقول:

يا أيّها الناس ذَوو الأجسامِ و مسندو الحكم إلى الأصنامِ

ما أنتمُ و طائش الأحلامِ فكلّكم أوْرَهُ كالنّعامِ«١»

أما ترون ما أرى أمامى؟ قد لاح للناظر من تِهامِ

أكرِمْ به للَّهِ من إمامِ قد جاء بعد الكفر بالإسلامِ

و البرّ و الصلات للأرحام «٢»

و رواه الخرائطى كما فى تاريخ ابن كثير «٣» (٢/ ٣۴٣) بإسناده، و اللفظ فيه:

يا أيّها الناس ذوو الأجسامِ من بين أشياخٍ إلى غلامِ

ما أنتمُ و طائشُ الأحلامِ و مسندُ الحُكم إلى الأصنامِ

أكلّكم فى حيرةِ النِيامِ أم لا ترون ما الذى أمامى؟

من ساطع يجلو دجى الظلام قد لاح للناظر من تِهامِ

ذاک نبىٌّ سيِّدُ الأنامِ قد جاء بعد الكفر بالإسلامِ

أكرمهُ الرحمنُ من إمامِ و من رسولٍ صادقِ الكلامِ

أعدلُ ذى حُكمٍ من الحكّامِ يأمرُ بالصلاةِ و الصيامِ

---

(١). فى البحار: ۶/ ٣١٩ [١٨/ ١٠١]: أكلّكم أوره كالكهام. وره فهو أوره: أى حمق. الكهام: الكليل، البطىء، المسن. (المؤلف)

(۲). الخصائص الكبرى: ۱/ ۱۳۳ [۱/ ۱۷۸]. (المؤلف)

(۳). البداية و النهاية: ۲/ ۴۱۹.

و البرِّ و الصلاتِ للأرحامِ و يزجرُ الناسَ عن الآثامِ

و الرجسِ و الأوثانِ و الحرامِ من هاشمٍ فی ذُروةِ السنامِ

مُسْتعلناً فی البلَدِ الحرامِ

۷- أخرج أبو نعيم عن يعقوب بن يزيد بن طلحة التيمىّ عن رجل، قال:

كنّا بقفرة من الأرض، إذا هاتف من خلفنا يقول:

قد لاحَ نجمٌ فأضاءَ مشرقَه يخرجُ من ظَلْما عسوفٍ موبقه

ذاک رسولٌ مفلحٌ مَن صدّقه اللّه أعلى أمرَهُ و حقّقه«۱»

-۸

أخرج البيهقى «۲» و ابن عساكر «۳»، عن ابن عبّاس أنَّ رجلًا قال: يا رسول اللّه خرجت فى الجاهليّة أطلب بعيراً شرد، فهتف بى هاتفٌ فى الصبح يقول:

يا أيّها الراقدُ فى الليل الأجَمْ قد بعث اللّهُ نبيّا فى الحَرَمْ

من هاشمٍ أهلِ الوفاءِ و الكرمْ يجلو دُجُنّاتِ الدياجى و الظُّلَمْ

فأدرت طرفی فما رأیت له شخصاً، فقلت:

یا أیّها الهاتفُ فی داجی الظُلمْ أهلًا و سهلًا بک من طَیْفٍ أ لَمْ

بَیِّنْ هَداکَ اللّه فی لَحن الکَلِمْ ما ذا الذی یدعو إلیه یغتنمْ

فإذا أنا بنحنحة و قائل یقول:

ظهر النور، و بطل الزور، و بعث اللّه محمداً بالخیور. ثمّ أنشأ یقول:

الحمد للّه الذی لم یَخْلُقِ الخَلْقَ عَبَثْ

---

(۱). الخصائص الکبری: ۱/ ۱۰۴ [۱/ ۱۷۵]. (المؤلف)

(۲). دلائل النبوّة: ۲/ ۱۱۰.

(۳). تاریخ مدینة دمشق: ۱/ ۵۴۷، و فی مختصر تاریخ دمشق: ۲/ ۵۵.

أرسلَ فینا أحمداً خیر نبیٍّ قد بعثْ

صلّی علیه اللّهُ ما حجَّ لهُ رکبٌ و حث«۱»

۹- أخرج أبو سعد فی شرف المصطفی عن الجَعْد بن قیس المرادی، قال: خرجنا أربعة أنفس نرید الحجّ فی الجاهلیّة، فمررنا بوادٍ من أودیة الیمن، إذا بهاتف یقول:

ألا أيّها الركب المعرِّس بلّغوا إذا ما وقفتم بالحطيمِ و زمزما

محمداً المبعوثَ منّا تحيّةً تُشيِّعه من حيث سار و يمّما

و قولوا له إنّا لدينِکَ شيعةٌ بذلک أوصانا المسيح بنُ مريما«۲»

۱۰- أخرج الحاكم فى المستدرک «۳» (۳/ ۲۵۳) عن عيش بن جبر قال: سَمِعَتْ قريش فى ليلة قائلًا يقول على أبى قبيس:

فإن يُسْلَمِ السعدانِ يُصبِحْ محمد بمكّةَ لا يَخشى خلافَ مخالفِ

فظنّت قريش أنّهما سعد تميم و سعد هذيم، فلمّا كانت الليلة الثانية سمعوه يقول:

أيا سعدُ سعدَ الأوسِ كن أنت ناصراً و يا سعدُ سعدَ الخزرجينَ الغطارفِ

أجيبا إلى داعى الهدى و تمنّيا على اللَّهِ فى الفِردوسِ مُنيةَ عارفِ

فإنَّ ثوابَ اللَّه يا طالبَ الهدى جنانٌ من الفردوس ذاتُ رَفارفِ

فلمّا أصبحوا قال أبو سفيان: هو و اللَّه سعد بن معاذ و سعد بن عبادة «۴».

-۱۱

روى ابن سعد فى طبقاته الكبرى «۵» (۱/ ۲۱۵- ۲۱۹) ما ملخّصه:

---

(۱). الخصائص الكبرى: ۱/ ۱۰۹ [۱/ ۱۸۱]. (المؤلف)

(۲). الخصائص الكبرى: ۱/ ۱۰۹ [۱/ ۱۸۲]. (المؤلف)

(۳). المستدرک على الصحيحين: ۳/ ۲۸۳ ح ۵۱۰۱.

(۴). و رواه ابن شهرآشوب فی المناقب: ۱/ ۵۹ [۱/ ۱۲۱]. (المؤلف)

(۵). الطبقات الکبری: ۱/ ۲۳۰.

لمّا هاجر رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم من مکّة إلی المدینة، و مرَّ هو و من معه بخیمَتَی أمّ معبد الخزاعیَّة و هی قاعدة بفناء الخیمة، فسألوها تمراً أو لحماً یشترون، فلم یصیبوا عندها شیئاً من ذلک، و إذا القوم مُرْمِلون «۱» مسنتون «۲»، فقالت: و اللَّه لو کان عندنا شیءٌ ما أعوزکم القِری.

فنظر رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم إلی شاة فی کِسْر الخیمة، فقال: «ما هذه الشاة یا أمَّ معبد؟».

قالت: هذه شاة خلّفها الجهد عن الغنم.

فقال: «هل بها من لبن؟».

قالت: هی أجهد من ذلک.

قال: «أ تأذنین لی أن أحلبها؟».

قالت: نعم بأبی أنت و أمی إن رأیت بها حَلْباً.

فدعا رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم بالشاة فمسح ضرعها، و ذکر اسم اللَّه، و قال: «اللّهمَّ بارک لها فی شاتها».

قال: فتفاجّت «۳» و درّت و اجترّت «۴». فدعا بإناء لها یریض «۵» الرهط، فحلب فیه ثجّا «۶» حتی غلبه الُثمال «۷»؛ فسقاها فشربت حتی رویت، و سقی أصحابه حتی

---

(۱). نفد زادهم و افتقروا. (المؤلف)

(۲). مجدبون. (المؤلف)

(۳). من التفاجّ: هو المبالغة فی تفریج ما بین الرجلین، و هو من الفجّ أی الطریق. (المؤلف)

(۴). من الجرّة، و هی ما یخرجه البعیر من بطنه فیمضغه ثانیاً. (المؤلف)

(۵). أی یرویهم حتی یناموا و یأخذوا راحتهم. (المؤلف)

(۶). ثجَّ الماء ثجوجا: سال. (المؤلف)

(۷). الثمال- بضم الثاء- واحده ثمالة: الرغوة. و ما بقى فى الإناء من ماء و غيره. (المؤلف)

ص: ۳۴

رووا، و شرب صلى الله عليه و سلم آخرهم و قال: «ساقى القوم آخرهم».

فشربوا جميعاً عللًا بعد نهل «۱» حتى أراضوا «۲». ثمّ حلب فيه ثانياً عوداً على بدء، فغادره عندها، ثمَّ ارتحلوا عنها.

و أصبح صوت بمكّة عالياً بين السماء و الأرض يسمعونه و لا يرون من يقول، و هو يقول:

جزى اللَّه ربُ الناسِ خيرَ جزائِهِ رفيقين حَلّا خيمَتَى أمِّ مَعْبَدِ

هما نزلا بالبرِّ و ارتحلا بهِ فأفلحَ مَن أمسى رفيقَ محمد

فيالَ قُصىٍّ ما زوى اللَّه عنكُمُ به مِن فعالٍ لا يُجازى و سؤددِ

سلوا أختَكمْ عن شاتِها و إنائها فإنَّكمُ إنْ تسألوا الشاةَ تَشْهدِ

دعاها بشاةٍ حائلٍ فَتَحَلَّبَتْ له بصريحٍ ضَرّةُ الشاةِ مُزْبدِ«۳»

فغادره رهناً لديها لحالبٍ تدرُّ بها فى مصدرٍ ثمَّ موردِ«۴»

۱۲- أخرج ابن الأثير فى أُسد الغابة «۵» (۵/ ۱۸۸) عن أبى ذؤيب الهذلى الشاعر، أنَّه سمع ليلة وفاة النبىِّ صلى الله عليه و سلم هاتفاً يقول:

خَطْبٌ أجلُّ أناخَ بالإسلامِ بينَ النخيلِ و مَعْقدِ الآطامِ«۶»

قُبض النبىُّ محمد فعيونُنا تذرى الدموعَ عليه بالتسجامِ

و هناک هواتف فى شئون العترة النبويّة، منها:

(۱). عللا- بالتحريک: شُرْباً بعد شرب. نهل- بالتحريک: أوّل الشرب. (المؤلف)

(۲). من أراضَ إراضة: روى. (المؤلف)

(۳). الصريح: الخالص. الضرّةُ: أصلُ الثدى. المُزْبد: القاذف بالزبد. (المؤلف)

(۴). و رواها أبو نعيم فى دلائل النبوّة: ۲/ ۱۱۸ [۲/ ۴۳۸ ح ۲۳۸]. (المؤلف)

(۵). أُسد الغابة: ۶/ ۱۰۲ رقم ۴۸۶۵.

(۶). واحده الأطم بالضم: الأبنية المرتفعة كالحصون. (المؤلف)

ص: ۳۵

۱۳- أخرج الحافظ الكنجى فى كفايته «۱» (ص ۲۶۱): لمّا وُلد فى الكعبة علىٌّ- أمير المؤمنين- دخل أبو طالب الكعبة و هو يقول:

يا ربَّ هذا الغسقِ الدُجىِ و القمرِ المُنبَلِجِ المُضىِ

بَيِّنْ لنا من أمرِکَ الخفىِ ما ذا ترى فى اسم ذا الصبىِ

قال: فسمع صوت هاتفٍ و هو يقول:

يا أهلَ بيتِ المصطفى النبىِ خُصِّصْتُمُ بالولَدِ الزَکىِ

إنَّ اسمَهُ مِن شامخِ العلىِ علىٌّ اشتُقَّ مِن العَلِىِ

ثمّ قال: هذا حديثٌ تفرّد به مسلم بن خالد الزنجى، و هو شيخ الشافعى.

-۱۴

ذكر الشبلنجى فى نور الأبصار «۲» (ص ۴۷): أنَّ عليّا- أمير المؤمنين- كان يزور قبر فاطمة فى كلِّ يوم، فأقبل ذات يوم فانكبَّ على القبر و بكى، و أنشأ يقول:

مالی مررتُ علی القبورِ مُسلّماً قبرَ الحبیبِ فلا یردُّ جوابی

یا قبرُ ما لَکَ لا تجیبُ منادیاً أملَلْتَ بعدی خُلّة الأحبابِ

فأجابه هاتفٌ یسمع صوته و لا یری شخصه، و هو یقول:

قال الحبیبُ و کیفَ لی بجوابِکمْ و أنا رهینُ جنادلٍ و تُرابِ

أکَلَ الترابُ محاسنی فنسیتُکُمْ و حُجِبتُ عن أهلی و عن أترابی

فعلیکمُ منّی السلامُ تقطّعتْ منّی و منکم خُلّةُ الأحبابِ

۱۵- روی ابن عساکر فی تاریخه «۳» (۴/ ۳۴۱)، و الکنجی فی الکفایة «۴» عن

---

(۱). کفایة الطالب: ص ۴۰۶.

(۲). نور الأبصار: ص ۹۸.

(۳). تاریخ مدینة دمشق: ۵/ ۸۲، و فی ترجمة الإمام الحسین علیه السّلام- الطبعة المحققة-: رقم ۳۳۵.

(۴). کفایة الطالب: ص ۴۴۳.

أمّ سلمة قالت: لمّا کانت لیلة قتل الحسین الإمام السبط سمعت قائلًا یقول:

أیّها القاتلون جَهْلًا حُسَیناً أبشِرُوا بالعذابِ و التنکیلِ

کلُّ أهلِ السماء یدعو علیکمْ من نبیٍّ و مرسَلٍ و قَبیلِ

قد لُعِنتم علی لسان ابن داو دَ و موسی و حاملِ الإنجیلِ«۱»

(۱). ذکر ابن حجر منها بیتین [فی الصواعق المحرقة: ص ۱۹۳]، و رواها شیخنا ابن قولویه المتوفّی (۳۶۷، ۳۶۸) فی کامله: ص ۳۰ [ص ۹۷ باب ۲۹]. (المؤلف) أقول: و أوردها ابن العدیم فی بغیة الطلب: ۶/ ۲۶۵۰، و السیّد ابن طاووس فی الملهوف: ص ۲۰۸، و ابن کثیر فی البدایة و النهایة: ۸/ ۲۱۶ حوادث سنة ۶۱ ه. (الطباطبائی)

ص: ۳۷

موکب الشعراء

فمن هنا و هنا جاء بیمن السنّة و الکتاب، من الصحابة الواکبین علی الشعر مواکب بعین سیِّدهم نبیِّ العظمة کالأسود الضاریة تفترس أعراض الشرک و الضلال، و صقور جارحة تصطاد الأفئدة و المسامع، و تلک المواکب کانت ملتفّة حوله فی حَضَرِه، و تسری معه فی سفره، و رجالها فرسان الهیجاء، و معهم حسام الشعر و نَبل القریض، یجادلون دون مبدأ الإسلام المقدّس، و یجاهدون بألسنتهم فی سبیل اللَّه، و فیهم نظراء:

العبّاس عمّ النبیّ، کعب بن مالک، عبد اللَّه بن رواحة، حسّان بن ثابت، النابغة الجعدی، ضرار الأسدی، ضِرار القرشی، کعب بن زهیر، قیس بن صَرمة، أمیّة بن الصلت «۱»، نُعمان بن عَجلان، العبّاس بن مرداس، طُفَیْل الغَنَوی، کعب بن نمط، مالک بن عوف، صَرْمة بن أبی أنس، قیس بن بحر، عبد اللَّه بن حرب، بُجیر «۲» ابن أبی سلمی، سراقةُ بن مالک.

و قد أخذت هذه الروح الدینیّة بمجامع قلوب أفراد المجتمع، و دبّت فی النفوس

(۱). لم نعثر علی شاعر یحمل هذا الاسم فی عصر صدر الإسلام، و أمّا أمیّة بن أبی الصلت فهو شاعر جاهلی متحنّث أدرک الإسلام و لم یسلم، و توفّی فی الطائف سنة (۵ ه).

(۲). بُجیر- بالجیم مصغّراً- بن زهیر بن أبی سلمی، أسلم قبل أخیه کعب بن زهیر. الإکمال لابن ماکولا: ۱/ ۱۹۱. (الطباطبائی)

ص: ۳۸

و دبّجتها، و خالطتِ الأرواح، حتی مازجت نفوس المسلمات، فأصبحت تغار علی الدین و تکلؤه، و هنّ ربّات الحجال تذبُّ عن نبیِّ الأمّة ببدیع النظم و جیِّد الشعر، نظیرات:

۱- أمّ المؤمنین- الملکة- خدیجة بنت خویلد، زوج النبیِّ الطاهر صلی الله علیه و آله و سلم و کانت رقیقة الشعر جدّا، و من شعرها فی تمریغ البعیر وجهه علی قدمی النبیّ، و نطقه بفضله کرامةً له صلی الله علیه و آله و سلم قولها:

نطقَ البعيرُ بفضلِ أحمدَ مُخْبِراً هذا الذى شَرُفَتْ به أمُّ القُرى

هذا محمد خيرُ مبعوثٍ أتى فهو الشفيعُ و خيرُ من وَطِئَ الثّرى

يا حاسديه تمزّقوا من غيظكم فهو الحبيبُ و لا سواهُ فى الوَرى«۱»

۲- سُعدى بنت كُرَيز خالة عثمان بن عفان، و من شعرها فى الدعاية الدينيّة:

عثمانُ يا عثمانُ يا عثمانُ لَكَ الجمالُ و لكَ الشآنُ

هذا نبىٌّ معَهُ البرهانُ أرسلَهُ بحقِّه الديّانُ

و جاءهُ التنزيلُ و البرهانُ فَاتْبَعْهُ لا تغيا بكَ الأوثانُ

فقالت: إنَّ محمد بن عبد اللَّه رسول اللَّه، جاء إليه جبريل يدعوه إلى اللَّه.

مصباحُهُ مصباحُ و قولُهُ صلاحُ

و دينُهُ فلاحُ و أمرُهُ نَجاحُ

لِقرنِهِ نِطاحُ ذلّت له البِطاحُ

ما ينفعُ الصياحُ لو وقع الرماحُ

و سُلّتِ الصفاحُ و مُدّتِ الرماحُ

و تقول فى إسلام عثمان:

---

(۱). بحار الأنوار: ۶/ ۱۰۳ [۱۶/ ۲۸]. (المؤلف)

هدى اللَّهُ عثمانَ الصفىَّ بقولِهِ فأرشَدَهُ و اللَّهُ يهدى إلى الحقِ

فتابعَ بالرأى السديدِ محمداً و كان ابنُ أَرْوى لا يَصُدُّ عن الحقِ

و أنكحَهُ المبعوثُ إحدى بناتِهِ فكان كبدرٍ مازجَ الشمس فى الأُفقِ

فداؤكَ يا ابن الهاشميينَ مهجتى فأنت أمينُ اللَّهِ أُرسِلتَ فى الخلقِ«١»

٣- الشيماء بنت الحارث بن عبد العزّى أُخت النبىِّ الأقدس من الرضاعة، تقول فى النبىِّ صلى الله عليه و آله و سلم:

يا ربّنا أَبْقِ لَنا محمدا حتى أراهُ يافعاً و أمردا

ثمَّ أراهُ سيِّداً مُسَدَّدا و اكْبِتْ أعاديهِ معاً و الحُسّدا

و أعْطِهِ عِزّاً يدومُ أبَدا «٢»

٤- هند بنت أبان «٣» بن عبّاد بن المطّلب، لها عدّة قوافٍ فى النبىِّ الطاهر صلى الله عليه و آله و سلم توجد فى الطبقات الكبرى لابن سعد «٤» (٤/ ١٤٨)، و هى تجابه هند بنت عتبة فى وقعة أُحد فى قولها تفتخر بقتل حمزة و من أُصيب من المسلمين:

نحنُ جزيناكمْ بيوم بدرِ و الحربُ بعد الحربِ ذاتُ سُعْرِ

ما كان عن عُتبةَ لى من صَبرِ أبى و عمّى و شقيقُ بكرى

شَفَيْتَ وحشىُّ غليلَ صدرى شفيتَ نفسى و قضيتَ نَذْرى

فأجابتها هند بنت أبان بقولها:

خَزيتِ فى بدرٍ و غيرِ بدرِ يا بنتَ وقّاعٍ عظيمِ الكُفْرِ

---

(١). الإصابة: ۴/ ٣٢٧ و ٣٢٨ [رقم ٥٣٩]. (المؤلف)

(٢). الإصابة: ۴/ ٣۴۴ [رقم ۶٣٣]. (المؤلف)

(٣). فى الطبقات الكبرى لابن سعد [٢/ ٣٣١] و أُسد الغابة [٧/ ٢٨٨ رقم ٧٣٣٣]: أثاثة بن عبّاد. (المؤلف)

(۴). الطبقات الكبرى: ٢/ ٣٣١.

صبّحَكِ اللَّهُ غداةَ الفجرِ بالهاشميينَ الطوالِ الزُهْرِ

بكلِّ قَطّاع حسامٍ يفرى حمزةُ ليثى و علىٌّ صقرى«١»

۵- خنساء بنت عمرو- حفيدة امرئ القيس- قد أكثرت من الشعر، و أجمع أهل العلم بالشعر أنَّه لم تكن امرأة قبلها و لا بعدها أشعر منها، و كان النبىّ صلى الله عليه و سلم يعجبه شعرها و يستنشده «٢».

۶- رُقَيْقَة- بقافين مصغَّرة- بنت أبى صيفى بن هاشم بن عبد المطّلب بن هاشم، هى التى أخبرت رسول اللَّه بأنَّ قريشاً قد اجتمعت تريد شأنک الليلة، فتحول رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم عن فراشه، و بات فيه علىٌّ أمير المؤمنين «٣»، لها شعر جيِّد، منه قولها فى استسقاء عبد المطّلب لقريش و معه رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم يافعاً، أوّله:

بشيبةِ الحمدِ أسقى اللَّه بلدَتَنا و قد فَقَدْنا الحيا و اجلَوّذ «۴» المطرُ«۵»

۷- أروى بنت عبد المطّلب، عمّة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم و صاحبة الاحتجاج المشهور على معاوية، يأتى فى ترجمة عمرو بن العاص، و لها شعر فى رثاء النبىِّ صلى الله عليه و آله و سلم، منه أبيات أوّلها:

ألا يا عينُ ويحَكِ أسعدينى بدمعِک ما بَقِيتِ و طاوعينى

و منها أبيات مستهلّها:

ألا يا رسولَ اللَّهِ كنتَ رجاءَنا و كنت بنا بَرّا و لم تكُ جافيا

---

(۱). أُسد الغابة: ۵/ ۵۵۹ [۷/ ۲۸۸ رقم ۷۳۳۳]، الإصابة: ۴/ ۴۲۱ [رقم ۱۰۸۶]. (المؤلف)

(۲). الاستيعاب- هامش الإصابة: ۴/ ۲۹۵، ۲۹۶ [الاستيعاب: القسم الرابع/ ۱۸۲۷ رقم ۳۳۱۷]، أُسد الغابة: ۵/ ۴۴۱ [۷/ ۸۸ رقم ۶۸۷۶]. (المؤلف)

(۳). الإصابة: ۴/ ۳۰۳ [رقم ۴۲۵]. (المؤلف)

(۴). اجلوّذ المطر: امتد وقت تأخره و انقطاعه.

(۵). أُسد الغابة: ۵/ ۴۵۵ [۷/ ۱۱۱ رقم ۶۹۱۹]، الخصائص الكبرى: ۱/ ۸۰ [۱/ ۱۳۶]. (المؤلف)

ص: ۴۱

و تقول فيها:

أ فاطمُ صلّى اللَّهُ ربُّ محمد على جَدثٍ أمسى بيثربَ ثاويا

أبا حسنٍ فارقتَهُ و تركْتَهُ فَبَكٍّ بحزنٍ آخرَ الدهرِ شاجيا«۱»

۸- عاتكة بنت عبد المطّلب.

۹- صفيّة بنت عبد المطّلب.

۱۰- هند بنت الحارث.

۱۱- زوج النبيِّ أمّ سلمة.

۱۲- عاتكة بنت زيد بن عمرو.

۱۳- خادمة النبيِّ- أمُّ أيمن «۲».

و كانت عائشة- زوج النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم- تحفظ الشعر الكثير، و كانت تقول: رويت للبيد اثنى عشر ألف بيت «۳»،

و كان صلى الله عليه و آله و سلم يستنشدها الشعر و يقول: «أبياتک».

و ممّا أنشدت:

إذا ما التبرُ حُكَّ على محكِ تبيَّن غشُّه من غير شَكِ

و بان الزَيفُ و الذهبُ المصفّى عليٌّ بيننا شبه المحَكِ«۴»

---

(۱). توجد بقيّة الأبيات فى الطبقات الكبرى لابن سعد: ۴/ ۱۴۲، ۱۴۳ [۲/ ۳۲۵]. (المؤلف)

(۲). تجد شعر هؤلاء فى طبقات ابن سعد: ۴/ ۱۴۴- ۱۴۸ [۲/ ۳۲۶- ۳۳۳]، مناقب ابن شهرآشوب: ۱/ ۱۶۹ [۱/ ۳۰۰، ۳۰۱]، و غيرهما. (المؤلف)

(۳). الاستيعاب- هامش الإصابة-: ۳/ ۳۲۸ [الاستيعاب: القسم الثالث/ ۱۳۳۸ رقم ۲۲۳۳]. (المؤلف)

(۴). الكنز المدفون للسيوطى: ص ۲۳۶ [ص ۸۴]. (المؤلف)

هذه الدعاية الروحيّة و النصرة الدينيّة المرغّب فيها بالكتاب و السنّة، و المجاهدة دون المذهب بالشعر و نظم القريض، كانت قائمة على ساقها فى عهد أئمّة العترة الطاهرة تأسّياً منهم بالنبىّ الأعظم، و كانت قلوب أفراد المجتمع تلين لشعراء أهل البيت، فتتأثّر بأهازيجهم، حتى تعود مزيجة نفسيّاتهم.

و كان الشعراء يقصدون أئمّة العترة من البلاد القاصية بقصائدهم المذهبيّة، و هم- صلوات اللَّه عليهم- يحسِنون نُزُل الشاعر و قِراه، و يرحِّبون به بكلّ حفاوة و تبجيل، و يحتفلون بشعره و يدعون له، و يزوِّدونه بكلّ صِلة و كرامة، و يرشدونه إلى صواب القول إن كان هناك خللٌ فى النظم، و من هنا أخذ الأدب فى تلك القرون فى التطوّر و التوسّع، حتى بلغ إلى حدّ يقصر دونه كثير من العلوم و الفنون الاجتماعيّة.

و قد يكسب الشعر بناحيته هذه أهميّة كبرى عند حماة الدين- أهل بيت الوحى- حتى يُعدّ الاحتفال به، و الإصغاء إليه، و صرف الوقت النفيس دون سماعه و استماعه من أعظم القربات و أولى الطاعات، و قد يُقدَّم على العبادة و الدعاء فى أشرف الأوقات و أعظم المواقف، كما يستفاد من قول الإمام الصادق عليه السلام و فعله بهاشميّات الكميت لمّا دخل عليه فى أيّام التشريق بمنى، فقال له: جعلت فداك ألا أُنشدك؟

قال: «إنّها أيّامٌ عِظام»

قال: إنّها فيكم.

فلمّا سمع الإمام عليه السلام مقاله، بعث إلى ذويه فقرّبهم إليه و قال: «هات». فأنشده

لاميّته من الهاشميّات، فحظى بدعائه عليه السلام له، و ألف دينار و كسوة. و سنوقفك على تفصيل هذا الاجمال فى ترجمة الكميت و الحميرى و دعبل.

و نظراً إلى الغايات الاجتماعيّة، كان أئمّة الدين يغضّون البصر عن شخصيّات «۱» الشاعر المذهبىّ و أفعاله، و يضربون عنها صفحاً إن كان هناك عملٌ غير صالح يسوؤهم، مهما وجدوه وراء صالح الأمّة، و فى الخير له قدم، و صرّح به الحقّ عن محضه، و صرّح المحض عن الزبد، و صار الأمر عليه لزامِ «۲»، و كانوا يستغفرون له ربّه فى سوء صنعه، و يجلبون له عواطف الملأ الدينى، بمثل

قولهم: «لا يكبرُ على اللَّهِ أن يغفر الذنوب لمحبّنا و مادحنا»،

و قولهم: «أ يعزُّ على اللَّه أن يغفر الذنوب لمحبِّ علىّ؟» و «إنَّ محبَّ علىٍّ لا تزلُّ له قدمٌ إلّا تثبت له أخرى» «۳».

و فى تلك القدم الثابتة صلاح المجتمع، و عليها نموت و نحيا.

و هناک لأئمة الدين- صلوات اللّه عليهم- فكرة صالحة صرفت فى هذه الناحية، و هى كدستور فيها تعاليم و إرشادات إلى مناهج الخدمة للمجتمع، و تنوير أفكار المثقّفين و توجيهها إلى طرق النشر و الدعاية، و دروس فى توطيد أُسس المذهب، و كيفيّة احتلال روحيّات البلاد و قلوب العباد، و برنامج فى صرف مال اللّه، و تلويح إلى أهمّ موارده.

تعرب عن هذه الفكرة المشكورة إيصاء

الإمام الباقر ابنه الإمام الصادق عليهما السلام بقوله: «يا جعفر أوقف لى من مالى كذا و كذا لنوادب تندبنى عشر سنين بمنى أيّام منى» «۴».

و فى تعيينه عليه السلام ظرف الندبة من الزمان و المكان؛ لأنّهما المجتمع الوحيد

---

(۱). أى الشؤون الشخصية للشاعر.

(۲). كلّ من هذه الجمل مَثَل يُضرب. لزام- بكسر الميم- مثل حذام، أى: صار هذا الأمر لازماً له. (المؤلف)

(۳). توجد هذه الأحاديث فى ترجمة أبى هريرة الشاعر و السيِّد الحميرى و غيرهما. (المؤلف)

(۴). رواه بطريق صحيح رجاله ثقات شيخنا الكلينى فى الكافى: ۱/ ۳۶۰ [۵/ ۱۱۷ ح ۱]. (المؤلف)

لزرافات المسلمين من أدنى البلاد و أقاصيها من كلِّ فجّ عميق، و ليس لهم مجتمع يضاهيه فى الكثرة، دلالةٌ واضحةٌ على أنَّ الغاية من ذلک إسماع الملأ الدينىِّ مآثر الفقيد- فقيد بيت الوحى- و مزاياه، حتى تنعطف عليه القلوب، و تحنُّ إليه الأفئدة، و يكونوا على أَمَم من أمره، و بمقربة من اعتناق مذهبه، فيحدوهم ذلک، بتكرار الندبة فى كلِّ سنة، إلى الالتحاق به، و البخوع لحقِّه، و القول بإمامته، و التحلّى بمكارم أخلاقه، و الأخذ بتعاليمه المُنجية، و على هذا الأساس الدينىِّ القويم، أُسِّست المآتم و المواكب الحسينيّة، ليس إلّا.

و نظراً إلى المغازى الكريمة المتوخّاة من الشعر، كان شعراء أهل البيت ممقوتين ثقيلين جدّا على مناوئيهم، و كانت العداوة عليهم محتدمة، و الشحناء لهم مُتَشزِّنة «۱»، و كان حامل ألوية هذه الناحية من الشعر لم يزل خائفاً يترقّب، آيساً من حياته، مستميتاً مستقتلًا، لا يقرُّ له قرار، و لا يُؤويه منزل و كان طيلة حياته يكابد المشاقّ، و يقاسى الشدائد: من شنق، و قتل، و حرق، و قطع لسان، و حبس، و عذاب، و تنكيل، و ضرب، و هتک حرمةٍ، و إقصاءٍ من الأهل و الوطن، إلى شدائد أُخرى سجّلها لهم التاريخ فى صحائفه.

(۱). متشزّنة: نشطة.

ص: ۴۷

الشعر و الشعراء عند أعلام الدين

اقتفى أثر الأئمّة الطاهرين فقهاء الأمّة و زعماء المذهب، و قاموا لخدمة الدين الحنيف بحفظ هذه الناحية من الشعر كلاءةً لناموس المذهب، و حرصاً لبقاء مآثر آل اللّه، و تخليداً لذكرهم فى الملأ، و كانوا يتّبعون منهاج أئمّتهم فى الاحتفاء بشاعرهم و تقديره، و الإثابة على عمله، و الشكر له بكلّ قول و كرامة، و كانوا يحتفظون بهذه المغازى بالتآليف فى الشعر و فنونه، و يعدّونه من واجبهم، كما كانوا يؤلّفون فى الفقه و سائر العلوم الدينيّة، مهما كان كلٌّ منهم للغايات حفيّا.

هذا شيخنا الأكبر الكلينى الذى قضى من عمره عشرين سنة فى تأليف الكافى- أحد الكتب الأربعة مراجع الإماميّة- له كتاب ما قيل من الشعر فى أهل البيت. و العيّاشى الذى ألّف كتباً كثيرة فى الفقه الإمامىّ لا يستهان بعدّتها، له كتاب معاريض الشعر. و شيخنا الأعظم الصدوق الذى بذل النفس و النفيس دون التأليف و النشر فى الفقه و الحديث، له كتاب الشعر. و شيخ الشيعة بالبصرة الجلودى ذلک الشخصيّة البارزة فى العلم و فنونه، له كتاب ما قيل فى علىّ عليه السلام من الشعر. و شيخ الإماميّة بالجزيرة أبو الحسن الشمشاطى مؤلّف مختصر فقه أهل البيت، له كتب قيّمة فى فنون الشعر. و معلّم الأمّة شيخنا المفيد الذى لا تخفى على أىّ أحد أشواطه البعيدة فى خدمة الدين، و إحياء الأمّة، و إصلاح الفاسد، له كتاب مسائل النظم. و سيّد الطائفة المرتضى علم الهدى، له ديوان و تآليف فى فنون الشعر. إلى زرافات آخرين من حَمَلَة

ص: ۴۸

الفقه و أعضاد العلم الإلهىّ من الطبقة العليا.

و لم يزالوا يعقدون الحفلات و الأندية فى الأعياد المذهبيّة من مواليد أئمة الدين عليهم السلام و يوم العيد الأكبر- الغدير- و مجالس تعقد فى وفياتهم، فتأتى إليها الشعراءُ شرّعاً، فيلقونَ ولائد أفكارهم من مدائح و تهانٍ و تأبينات و مراثٍ، فيها إحياء أمرهم، فتثبت لها القلوب، و تشتدُّ بها العلائق الودّية بين أفراد المجتمع و مواليهم عليهم السلام، و يتبعها الحفاوة و التكريم، و الإثابة و التعظيم لمنضّدى تلک العقود و جامعى أوابدها، هذا و ما عند اللّه خيرٌ و أبقى.

و كانت الحالة فى بعض تلک القرون الخالية أكيدة، و النشاط الروحىّ بالغاً فى رجالاته فوق ما يتصوّر، و الأمّة بيُمن تلک النفوس الطاهرة سعيدة جدّا، كعصر سيّد الأمّة آية اللّه بحر العلوم و الشيخ الأكبر كاشف الغطاء، و أمّا اليوم فإنَّ تلک المحتشدات الروحيّة:

أمست خلاءً و أمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذى أخنى على لَبَدِ

نعم؛ بالأمس كان بقيّة العترة الطاهرة الإمام المجدّد الشيرازى، نزيل سامراء المشرّفة ذلک العَلَم الخفّاق للأمّة جمعاء، الذى طنّبت زعامته الدينيّة على أطراف العالم كلّه، لا تنقطع حفلاته فى الأيّام المذكورة كلّها، فتقصدها صاغة القريض بأناشيدهم المبهجة من شتّى النواحى، فتجد عنده فناءً رحباً، و انبساطاً شاملًا، و تقديراً معجباً، و نائلًا جزيلًا، و بشاشةً مرغّبة، و لكن:

ذهب الذين يُعاشُ فى أكنافهم

و من نماذج هاتيک الأحوال: أنَّ شاعر أهل البيت المُفْلِق السيِّد حيدر الحلّى، قصده بشعر فى بعض وفداته إليه، فأضمر السيِّد المجدد فى نفسه أن يُثيبه بعشرين ليرة

عثمانيّة، فأفضى بعزمه إلى ابن عمّه- العلم الحجّة- «۱» الحاج ميرزا إسماعيل، فاستقلّ ذلک المبلغ و قال: إنّه شاعر أهل البيت، و إنّه أجلّ و أفضل من أمثال دعبل و الحميرى و نظرائهما، و كان أئمّة الدين يقدّمون إليهم الصُرر و البِدَر. فاستحفاه عن مقتضى الحال فقال له: إنَّ الحرىّ أن تعطيه مائة ليرة بيدک الشريفة.

هناک قصد السيِّد المجدّد زيارة السيِّد حيدر، و ناوله المبلغ المذكور بكلّ حفاوة و تبجيل، و قبّل يد شاعر أهل البيت. حكاه جمعٌ ممّن أدرک ذلک العصر الذهبىّ، و منهم خلفه الصالح: آية اللَّه ميرزا علىّ آغا الذى خلف والده على تلک المجالس و المجتمعات، و استنشاد الشعر و الإصاخة إليه و التقدير له و الترحيب به فى النجف الأشرف.

و لا يسعنا بسط المقال حول هذه كلّها، و ليس هذا المجمل إلّا نفثة مصدور و لهفة متحسّر على فراغ هذه الناحية فى هذا اليوم، و إهمال تلک الغاية المهمّة، و إقلاق تلک الطمأنينة، و ضياع تلک الفوائد الجمّة على الأمّة، فالأيّام عُوج رواجع «۲»، فكأنّ الدنيا رجعت إلى ورائها القهقرى، و اكتسى الشعر كسوة الجاهليّة الأولى، و ذهب أمس بما فيه «۳»، فلا فقيه هناک كأولئک، و لا شاعر كهؤلاء، و لا رأى لمن لا يُطاع.

و مهما نَتلقَّ شعر السلف فى القرون الأولى تلقّى الحديث و السنّة، نذكر فى شعرهم المقول فى فضائل آل اللَّه بعض ما وقفنا عليه من الحديث الوارد هناک من طرق العامّة، و لعلّ الباحث يقف بذلک على سعة باع الشاعر فى عِلْمَى الكتاب و السنّة.

آخر دعوانا أن الحمدُ للَّه ربّ العالمين

---

(۱). تأتى ترجمته فى شعراء القرن الرابع عشر. (المؤلف)

(۲). مَثَل يُضرب يعنى: الدهر تارة يعوج عليک، و تارة يرجع إليک [مجمع الأمثال: ۳/ ۵۴۳ رقم ۴۷۵۸]. (المؤلف)

(۳). مثل سائر يضرب [مجمع الأمثال: ۲/ ۳ رقم ۱۴۵۱]. (المؤلف)

ص: ۵۱

شعراء الغدير فى القرن الأوّل

۱- أمير المؤمنين علىّ «صلوات اللَّه عليه»

۲- حسّان بن ثابت الأنصارى

۳- قيس بن سعد بن عُبادة الأنصارى

۴- عمرو بن العاص بن وائل

۵- محمد بن عبد اللَّه الحميرى

ص: ۵۳

۱- أمير المؤمنين عليه السلام

نتيمّن فى بدء الكتاب بذكر سيّدنا أمير المؤمنين علىّ خليفة النبىّ المصطفى- صلّى اللَّه عليهما و آلهما- فإنّه أفصح عربىّ، و أعرف الناس بمعاريض كلام العرب بعد صنوه النبىّ الأعظم، عرف من لفظ المولى فى

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «من كنت مولاه فعلىّ مولاه».

معنى الإمامة المطلقة، و فرض الطاعة التى كانت لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم

و قال عليه السلام:

محمد النبىّ أخى و صنوى«۱»	و حمزةُ سيّدُ الشهداءِ عمّى
و جعفرٌ الذى يُضحى و يُمسى	يطيرُ مع الملائكة ابنُ أمّى
و بنتُ محمد سَكَنى و عِرْسى	منوطٌ لحمُها بدمى و لحمى

و سبطا أحمدٍ وَلَداى منها فَأيّكمُ له سَهْمٌ كسهمى

سبقتكمُ إلى الإسلام طُرّا على ما كان من فَهْمى و علمى«۲»

---

(۱). فى تاريخ ابن عساكر [۱۲/ ۳۹۷، و فى ترجمة الإمام علىّ بن أبى طالب ۷- الطبعة المحقّقة-: رقم ۱۳۲۸] و غير واحد من المصادر: صهرى. (المؤلف)

(۲). فى رواية ابن أبى الحديد [فى شرح نهج البلاغة: ۴/ ۱۲۲ خطبة ۵۶]، و ابن حجر [فى الصواعق المحرقة: ص ۱۳۳]، و ابن شهرآشوب [فى مناقب آل أبى طالب: ۲/ ۱۹۴]: غلاماً ما بلغت أوَان حلمى. و فى رواية ابن الشيخ [ألف باء: ۱/ ۴۳۹] و بعض آخر: صغيراً ما بلغتُ أوَانَ حلمى. و فى رواية الطبرسى [الاحتجاج: ۱/ ۴۲۹ ح ۹۳] بعد هذا البيت: [] و صلّيتُ الصلاة و كنتُ طفلًا [] مقرّا بالنبىّ فى بطن أمّى [] (المؤلف)

فأوجبَ لى ولايتَهُ عليكمْ رسولُ اللَّه يومَ غديرِ خُمّ«۱»

فويلٌ ثمّ ويلٌ ثمّ ويلٌ لمن يلقى الإله غداً بظلمى

ما يتبع الشعر

هذه الأبيات كتبها الإمام عليه السلام إلى معاوية لمّا كتب معاوية إليه: إنَّ لى فضائل!: كان أبى سيّداً فى الجاهليّة، و صرت ملكاً فى الإسلام، و أنا صهر رسول اللَّه، و خال المؤمنين، و كاتب الوحى؛ فقال أمير المؤمنين صلوات اللَّه عليه: أ بالفضائل يبغى علىّ ابن آكلة الأكباد؟! أكتب يا غلام:

محمد النبىّ أخى و صنوى... إلى آخر الأبيات المذكورة.

فلمّا قرأ معاوية الكتاب قال: اخفوا هذا الكتاب، لا يقرأه أهل الشام، فيميلوا إلى ابن أبى طالب.

و الأمّة قد تلقّتها بالقبول، و تسالمت على روايتها، غير أنَّ كُلّا أخذ منها ما يرجع إلى موضوع بحثه من دون أىّ غمز فيها، بل ستقف على أنّها مشهورة، و رواها النقلة الأثبات، و نقلها الحفظة الثقات، و ذكر جمعٌ من أعلام السنّة و الجماعة عن البيهقى: أنّ هذا الشعر ممّا يجب على كلّ متوالٍ لعلىٍّ حفظه، ليعلم مفاخره فى الإسلام، فرواها من أصحابنا:

١- معلّم الأمّة شيخنا المفيد: المتوفّى (۴١٣)، رواها بأجمعها فى الفصول المختارة «٢» (٢/ ٧٨) و قال: كيف يمكن دفع شعر أمير المؤمنين فى ذلک؟ و قد شاع فى شهرته

---

(١). و ذكر الدكتور أحمد رفاعى فى تعليقه على معجم الأدباء [١۴/ ۴٨]: [] و أوصانى النبىّ على اختيار [] ببيعته غداة غدير خُمٍّ [] و هناک فى هذا البيت تصحيف سنوقفک عليه. (المؤلف)

(٢). الفصول المختارة: ص ٢٢۶.

على حدٍّ يرتفع فيه الخلاف، و انتشر حتى صار مذكوراً مسموعاً من العامّة فضلًا عن الخاصّة، و فى هذا الشعر كفاية فى البيان عن تقدّم إيمانه عليه السلام و أنّه وقع مع المعرفة بالحجّة و البيان، و فيه أيضاً: أنّه كان الإمام بعد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بدليل المقال الظاهر فى يوم الغدير، الموجب له للاستخلاف.

٢- شيخنا الكراجكى: المتوفّى (۴۴٩)، رواها فى كنز الفوائد «١» (ص ١٢٢).

٣- أبو علىّ الفتّال النيسابورىّ: فى روضة الواعظين «٢» (ص ٧۶).

۴- أبو منصور الطبرسىّ، أحد مشايخ ابن شهرآشوب، فى الاحتجاج «٣» (ص ٩٧).

۵- ابن شهرآشوب: المتوفّى (۵٨٨)، فى المناقب «۴» (١/ ٣۵۶).

۶- أبو الحسن الإربلى: المتوفّى (۶٩٢)، فى كشف الغمّة «۵» (ص ٩٢).

٧- ابن سنجر النخجوانى، فى تجارب السلف (ص ۴٢) و قال ما تعريبه: لعلىٍّ ديوان «۶» لا مجال للتردد و الشكّ فيه.

٨- الشيخ علىّ البياضىّ: المتوفّى (٨٧٧)، فى الصراط المستقيم «٧».

٩- المجلسىّ العظيم: المتوفّى (١١١١)، فى بحار الأنوار «٨» (٩/ ٣٧۵).

١٠- السيِّد صدر الدين علىّ خان المدنىّ: المتوفّى (١١٢٠)، فى درجاته الرفيعة «٩».

(١). كنز الفوائد: ١/ ٢٦٦.

(٢). روضة الواعظين: ١/ ٨٧.

(٣). الاحتجاج: ١/ ٤٢٩ ح ٩٣.

(٤). مناقب آل أبى طالب: ٢/ ١٩٤.

(٥). كشف الغمّة: ١/ ٣٢٠.

(٦). لعلّه يريد ما دوّنه الفنجكردى من شعره عليه السّلام مما يبلغ مائتى بيت كما يأتى فى ترجمته، لا هذا الديوان الكبير المطبوع المنتشر فإنَّ فيه كلّ الشک. (المؤلف)

(٧). الصراط المستقيم: ١/ ٢٧٧.

(٨). بحار الأنوار: ٣٨/ ٢٣٨.

(٩). الدرجات الرفيعة: ص ٧٧.

ص: ٥٦

١١- الشيخ أبو الحسن الشريف، فى ضياء العالمين المؤلَّف (١١٣٧).

و رواها من أعلام العامّة:

١- الحافظ البيهقىّ: المتوفّى (٤٥٨) المترجم (١/ ١١٠). رواها برمّتها، و قال:

إنَّ هذا الشعر ممّا يجب على كلّ أحد متوال فى علىّ حفظه، ليعلم مفاخره فى الإسلام.

٢- أبو الحجّاج يوسف بن محمد البلوى المالكىّ، الشهير بابن الشيخ: المتوفّى حدود (٦٠٥). قال فى كتابه ألف باء (١/ ٤٣٩):

و أمّا علىٌّ رضى الله عنه فمكانه علىٌّ، و شرفه سَنىٌّ، أوّل من دخل فى الإسلام، و زوج فاطمة عليها السلام بنت النبىّ، و قد نظم فى أبيات المفاخرة، و ذكر فيها مآثره حين فاخره بعض عِداه، ممّن لم يبلغ مداه، فقال رضى الله عنه يفخر بحمزة عمّه و بجعفر ابن أمّه:

محمد النبیُّ أخی و صنوی و حمزةُ سیّدُ الشهداء عمّی

و ذکر إلی آخر بیت الغدیر.

فقال: یرید بذلک

قوله علیه السلام: «من کنت مولاه فعلیٌّ مولاه، اللّهمَّ وال من والاه، و عاد من عاداه».

۳- أبو الحسین الحافظ زید بن الحسن تاج الدین الکندیّ الحنفیّ: المتوفّی (۶۱۳)، رواه من طریق ابن درید فی کتابه المجتنی «۱» (ص ۳۹) ذکر منها خمسة أبیات.

۴- یاقوت الحمویّ: المتوفّی (۶۲۶) المترجم (۱/ ۱۱۹). ذکر ستّة أبیات منها فی معجم الأدباء «۲» (۵/ ۲۶۶) و زاد الدکتور أحمد رفاعی المصری بیتین فی التعلیق.

---

(۱). المجتنی: ص ۲۶.

(۲). معجم الأدباء: ۱۴/ ۴۸.

۵- أبو سالم محمد بن طلحة الشافعیّ: المتوفّی (۶۵۲)، تأتی ترجمته فی شعراء القرن السابع. رواها برمّتها فی مطالب السؤول (ص ۱۱) طبع ایران، فقال: هذه الأبیات نقلها عنه علیه السلام الثقات، و رواها النقلة الأثبات.

۶- سبط ابن الجوزیّ الحنفیّ: المتوفّی (۶۵۴) المترجم (۱/ ۱۲۰). رواها بجملتها فی تذکرة خواصّ الأمّة «۱» (ص ۶۲) و فی بعض أبیاتها تغییر یسیر.

۷- ابن أبی الحدید: المتوفّی (۶۵۶). ذکر منها فی شرح نهج البلاغة «۲» (۲/ ۳۷۷) بیتین مکتفیاً عن البقیّة بشهرتها.

۸- أبو عبد اللّه محمد بن یوسف الکنجیّ الشافعیّ: المتوفّی (۶۵۸). رواها فی المناقب المطبوع بمصر (ص ۴۱)، و قال فی الاستدلال علی سبق أمیر المؤمنین إلی الإسلام: و قد أشار علیّ بن أبی طالب- کرّم اللّه وجهه- إلی شیء من ذلک فی أبیات قالها، رواها عنه الثقات. ثمّ ذکر البیت الأوّل و الثالث و الخامس و السابع.

۹- سعید الدین الفرغانیّ: المتوفّی (۶۹۹) المترجم (۱/ ۱۲۳). ذکر فی شرح تائیّة ابن الفارض فی قوله:

و أوضَحَ بالتأویلِ ما کان مُشْکلًا علیٌّ بعلمٍ نالَهُ بالوصیّة

بیتین و هما:

و أوصانی النبیُّ علی اختیارٍ لأُمّتِهِ رضیً منه بحُکمی

و أوجبَ لی ولایتَهُ علیکمْ رسول اللّه یومَ غدیرِ خُمِ

۱۰- شیخ الإسلام أبو إسحاق الحمّوئیّ: المتوفّی (۷۲۲) المترجم (۱/ ۱۲۳).

---

(۱). تذکرة الخواص: ص ۱۰۷.

(۲). شرح نهج البلاغة: ۴/ ۱۲۲ خطبة ۵۶.

رواها فی فرائد السمطین «۱»، و ذکر من أوّلها إلی آخر بیت الولایة و زاد قبله:

و أوصانی النبیُّ علی اختیارٍ لأُمّته رضیً منه بحُکمی

۱۱- أبو الفداء: المتوفّی (۷۳۲)، أخذ منها فی تاریخه (۱/ ۱۱۸) ما یرجع إلی إسلامه علیه السلام.

۱۲- جمال الدین محمد بن یوسف الزرندیّ: المتوفّی (بضع و ۷۵۰). ذکرها برمّتها غیر البیت الأخیر: فویلٌ ثمّ ویلٌ ثمّ ویلٌ... فی کتابه نظم درر السمطین «۲».

۱۳- ابن کثیر الشامیّ: المتوفّی (۷۷۴) المترجم (۱/ ۱۲۶). رواها فی البدایة و النهایة «۳» (۸/ ۸) عن أبی بکر بن درید، عن دماد، عن أبی عبیدة: و ذکر منها خمسة أبیات.

۱۴- خواجة پارسا الحنفیّ: المتوفّی (۸۲۲) المترجم (۱/ ۱۲۹). رواها برمّتها فی فصل الخطاب عن الإمام تاج الإسلام الخدابادی البخاری فی أربعینه.

۱۵- ابن الصبّاغ المکیّ المالکیّ: المتوفّی (۸۵۵) المترجم (۱/ ۱۳۱). رواها فی الفصول المهمّة «۴» (ص ۱۶) و ذکر منها أربعة أبیات، و قال: رواها الثقات الأثبات.

۱۶- غیاث الدین خواندمیر «۵»: رواها فی حبیب السِیَر «۶» (۲/ ۵) نقلًا عن فصل الخطاب لخواجه پارسا.

۱۷- ابن حجر: المتوفّی (۹۷۴) المترجم (۱/ ۱۳۴). ذکر خمسة أبیات منها فی

---

(۱). فرائد السمطین: ۱/ ۴۲۷ ح ۳۵۵ باب ۷۰.

(۲). نظم درر السمطین: ص ۹۷.

(۳). البدایة و النهایة: ۸/ ۹ حوادث سنة ۴۰ ه.

(۴). الفصول المهمّة: ص ۳۲.

(۵). مذهبه یحتاج إلی إمعان النظر فیه. (المؤلف)

(۶). تاریخ حبیب السِیَر: مج ۲/ ج ۱/ ۱۱.

الصواعق «۱» (ص ۷۹) و نقل کلام الحافظ البیهقی المذکور.

توجد فی المخطوط من الصواعق سبعة أبیات، و کذلک فی المنقول عنه کینابیع المودّة للقندوزی «۲» (ص ۲۹۱)، و یؤیّد صحّة نقله عن البیهقی، فإنّه ذکرها برمّتها، لکنّ ید الطبع الأمینة حرّفت عنه بیت الولایة و ما بعده.

۱۸- المتّقی الهندیّ: المتوفّی (۹۷۵) المترجم (۱/ ۱۳۵). روی کتاب معاویة فی کنز العمّال «۳» (۶/ ۳۹۲) و ذکر من الأبیات خمسة.

۱۹- الإسحاقیّ: روی کتاب معاویة باللفظ المذکور فی لطائف أخبار الدول «۴» (ص ۳۳) و ذکر الأبیات کلّها، و لفظ بیت الولایة فیه کذا:

و أوجَبَ طاعتی فَرْضاً علیکمْ رسولُ اللّه یومَ غدیرِ خُمِ

فویلٌ ثمّ ویلٌ ثمّ ویلٌ لِمَنْ یَرِدُ القیامةَ و هو خصمی

۲۰- الحلبیّ الشافعیّ: المتوفّی (۱۰۴۴) المترجم (۱/ ۱۳۹). أخذ منها فی السیرة النبویّة «۵» (۱/ ۲۸۶) ما یرجع إلی إسلامه علیه السلام.

۲۱- الشبراویّ الشافعیّ، شیخ جامع الأزهر: المتوفّی (۱۱۷۲). رواها فی الإتحاف بحبّ الأشراف (ص ۱۸۱)، و فی طبع (ص ۶۹) و ذکر منها خمسة أبیات.

۲۲- السیِّد أحمد قادین خانی، رواها فی هدایة المرتاب «۶»، و حکی عن البیهقی قوله المذکور.

---

(۱). الصواعق المحرقة: ص ۱۳۲.

(۲). ینابیع المودّة: ۲/ ۱۱۵ باب ۵۹.

(۳). کنز العمّال: ۱۳/ ۱۱۲ ح ۳۶۳۶۶.

(۴). لطائف أخبار الدول: ص ۴۹.

(۵). السیرة الحلبیّة: ۱/ ۲۶۹.

(۶). هدایة المرتاب: ص ۱۵۳.

۲۳- السیِّد محمود الآلوسیّ البغدادیّ: المتوفّی (۱۲۷۰) المترجم (۱/ ۱۴۷).

رواها غیر البیت الأوّل و الأخیر، فی شرح عینیّة الشاعر المفْلق عبد الباقی العمری (ص ۷۸)، و قال: هی ممّا رواه الثقات عنه علیه السلام.

۲۴- القندوزیّ الحنفیّ: المتوفّی (۱۲۹۳) المترجم (۱/ ۱۴۷). رواها فی ینابیع المودّة «۱» (ص ۲۹۱) نقلًا عن ابن حجر، و (ص ۳۷۱) نقلًا عن أربعین الإمام تاج الإسلام الخدابادی البخاری.

۲۵- السیِّد أحمد زینی دحلان: المتوفّی (۱۳۰۴) المترجم (۱/ ۱۴۷). ذکر منها فی السیرة النبویّة «۲»- هامش السیرة الحلبیّة- (۱/ ۱۹۰) ما یرجع إلی إسلامه و قال: هی ممّا کتبه علیٌّ علیه السلام لمعاویة، ثمَّ ذکر کلام البیهقی المذکور.

۲۶- الشیخ محمد حبیب اللَّه الشنقیطیّ المالکیّ، ذکرها برمّتها فی کفایة الطالب (ص ۶۳) و عدّها ممّا وُثِقَ به أنّه من شعر أمیر المؤمنین.

لفت نظر:

أخذ منها

ابن عساکر فی تاریخه «۳» (۶/ ۳۱۵) بیتاً فی بیان الفرق بین الصِهْر و الخَتَن، و قال: قال أمیر المؤمنین علیُّ بن أبی طالب کرّم اللَّه وجهه:

محمد النبیُّ أخی و صهری أحبُّ الناس کلّهمُ إلیّا«۴»

---

(۱). ینابیع المودّة: ۲/ ۱۱۵ باب ۵۹، ۳/ ۲۰ باب ۶۵.

(۲). السیرة النبویة: ۱/ ۹۱.

(۳). تاریخ مدینة دمشق: ۸/ ۵۹، و فی مختصر تاریخ دمشق: ۱۸/ ۷۷.

(۴). و ممّن روی هذه الأبیات له علیه السّلام: البلاذری فی أنساب الاشراف فی ترجمة معاویة من قسم- بنو عبد شمس- القسم الرابع: الجزء ۱ ص ۱۱۱، و ابن درید فی المجتنی: ص ۴۹- ۵۰ من طبعة حیدرآباد الثانیة سنة ۱۳۳۳، و ابن المغازلی فی کتاب مناقب أمیر المؤمنین علیه السّلام: ص ۴۰۴ رقم ۴۵۸، و ابن عساکر فی ترجمته علیه السّلام من تاریخ مدینة دمشق: رقم ۱۳۲۸ من طبعة الشیخ المحمودی، و السیوطی فی جمع الجوامع: ۲/ ۱۷۵. (الطباطبائی)

ص: ۶۱

و ذُهِل عن أنَّ الشطر الثانی المذکور هو لأبی الأسود الدؤلی من قوله:

بنو عمِّ النبیِّ و أقربوه أحبُّ الناس کلّهم إلیّا

تصحيح غلط

لا أحسب أنَّ أساتذة مصر يخفى عليهم صحيح لفظة- غدير خُمّ- أو لا يوقفهم السير على مسمّاها و قصّتها، و إن قال قائلهم: إنَّها واقعة حرب معروفة، أو يكون لهم معها حساب آخر دون سائر الألفاظ، أو يروقهم أن تكون الأمّة على جهل منها، لكن أسفى على إغضائهم عن تصحيح هذه اللفظة فى غير واحد من التآليف، بل تركوها بصورة يتيه بها القارئ.

هذا الدكتور أحمد رفاعى- ذلک الأستاذ الفذّ- فإنّه يذكر فى تعليقه على معجم الأدباء، طبع مصر (١٣٥٧ ه)، (١٤/ ٤٨) من شعر أمير المؤمنين، بيت الولاية بهذه الصورة:

و أوصانى النبىُّ على اختيارٍ ببيعته غداة غدٍ برحمِ!

و أعجب من ذلک أنَّه جعل للكتاب فهرس البلدان و البقاع و المياه فى (٤٧) صحيفة، و أهمل فيها غدير خُمّ، و قد ذكرت فى عدّة مواضع من المعجم.

و الأستاذ محمد حسين مصحِّح ثمار القلوب، طبع مصر (١٣٢۶ ه)، فإنّه يقف على هذه اللفظة فى صحيفة واحدة (ص ٥١١) و هى مذكورة فيها غير مرّة (س ۶ و ٨ و ١٢) و يدعها- غدير خم- و هذا ثمار القلوب المخطوط بين أيدينا و فيها: غدير خُمّ.

و مصحِّح لطائف أخبار الدول «١» طبع مصر (١٣١٠ ه)، فإنَّه يترک البيت المذكور من شعر أمير المؤمنين فى (ص ٣٣) هكذا:

---

(١). لطائف أخبار الدول: ص ۴٩.

و أوجبَ طاعتى فرضاً عليكم رسولُ اللَّه يومَ غدا برحمى!

و أنت تجد فى مطبوعات غير مصر لِدَةَ هذا التصحيف أيضاً.

شكر و نقد

لا أفتأ معجباً بكتابين فخمين هما من حسنات العصر الحاضر، عُنى بجمعهما بحّاثة كبير حظى به هذا القرن، ألا و هما كتاب جمهرة خطب العرب و جمهرة رسائل العرب للكاتب الشهير أحمد زكى صفوت. فقد أسدى بهما إلى الأمّة يده الواجبة، أعاد ذكريات قديمة للأمّة العربيّة أتى عليها الدثور، و كابد فى ذلک جهوداً جبّارة، فعلى الأمّة جمعاء أن تشكره على تلک المثابرة الناجعة، و تقدّر منه ذلک الجهاد المتواصل، فله العتبى على ما أجاد و أفاد.

غير لأنّا نعاتب الأستاذ على إهماله هذه الرسالة الموجودة فى جملة من مصادر كتابه و غيرها من الكتب القيّمة، و قد ذكر ما هو أخصر منها، و أضعف مدركاً، و أقلّ نفعاً، و ذكر من التافهات ما لم يقلّه مستوى الصدق و الأمانة، كبعض رسائل ابن عبّاس إلى أمير المؤمنين عليه السلام المكذوبة على حَبر الأمّة، خطّتها أقلام مستأجرة من زبائن الأمويّين، هذا ما نعاتبه عليه، و أمّا هو فلما ذا ذكر؟ و لِما ذا أهمل؟ فلنطوِ عنه كشحاً.

و يشبه هذا الإهمال أو يزيد عليه إهماله خطبة الغدير فى جمهرة خطب العرب، و لها و ليومها المشهود أهميّة كبرى فى تاريخ الاسلام، و قد أثبتتها المصادر الوثيقة بأسانيد تربو على حدِّ التواتر، كما وقفت عليها فى الجزء الأوّل من كتابنا. هب أنَّ تمام الخطبة لم يثبت عنده فى كتب يعوِّل عليها، إلّا أنَّ المقدار الذى أصفق عليه الفريقان، و أنهوا إليه أسانيدهم لا مفرّ له عن إثباته، لكنّ الكاتب يعلم أنّه لما ذا ترک، و نحن أيضاً لم يفتنا عرفانه، لكن نضرب عن البيان صفحاً.

ص: ۶۳

و يروى لأمير المؤمنين عليه السلام

ما أخرجه الإمام علىٌّ بن أحمد الواحدى، عن أبى هريرة، قال: اجتمع عدّةٌ من أصحاب‌رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم منهم: أبو بكر، و عمر، و عثمان، و طلحة، و الزبير، و الفضل بن عبّاس، و عمّار، و عبد الرحمن بن عوف، و أبو ذر، و المقداد، و سلمان، و عبد اللَّه بن مسعود فجلسوا و أخذوا فى مناقبهم، فدخل عليهم علىٌّ عليه السلام فسألهم: فيم أنتم؟ قالوا: نتذاكر مناقبنا ممّا سمعنا من رسول اللَّه، فقال علىٌّ: اسمعوا منّى ثمّ أنشأ يقول:

لقدْ عَلِمَ الأُناس بأنَّ سهمى — من الإسلام يَفْضُلُ كلَّ سهمِ

و أحمدٌ النبىُّ أخى و صِهرى — عليهِ اللَّهُ صلّى و ابن عمّى

و إنّى قائدٌ للناسِ طُرّا — إلى الإسلام من عُرْبٍ و عُجْمِ

و قاتلُ كلِّ صنديدٍ رئيسٍ — و جبّارٍ من الكفّار ضَخْمِ

و فى القرآن ألزَمَهمْ ولائى — و أوجب طاعتى فرضاً بعزمِ

كما هارون من موسى أخوهُ — كذاک أنا أخوه و ذاک اسمى

لذاک أقامنی لهمُ إماماً و أخبرهمْ به بغديرِ خُمّ

فمن منكم يعادلنی بسهمی و إسلامی و سابقتی و رحمی

فويلٌ ثمّ ويلٌ ثمّ ويلٌ لمن يلقی الإله غداً بظلمی

و ويلٌ ثمّ ويلٌ ثمّ ويلٌ لجاحدِ طاعتی و مريدِ هضمی

و ويلٌ للذی يشقی سفاهاً يريد عداوتی من غيرِ جرمِ

و ذكره عن الواحدی القاضی الميبذیّ الشافعیّ فی شرح الديوان المنسوب إلی أمير المؤمنين (ص ۴۰۵- ۴۰۷)، و القندوزیّ الحنفیّ فی ينابيع المودّة «۱» (ص ۶۸).

---

(۱). ينابيع المودّة: ۱/ ۶۷ باب ۱۴.

ص: ۶۴

الشاعر

أمير المؤمنين، و سيّد المسلمين، و قائد الغرّ المحجَّلين، و خاتم الوصيّين، و أوّل القوم إيماناً، و أوفاهم بعهد اللَّه، و أعظمهم مزيّة، و أقومهم بأمر اللَّه، و أعلمهم بالقضيّة، و راية الهدی، و منار الإيمان، و باب الحكمة، و الممسوس فی ذات اللَّه، خليفة النبیِّ الأقدس «۱» صلّی اللَّه عليهما و آلهما- علیُّ بن أبی طالب، الهاشميّ الطاهر، وليد الكعبة المشرَّفة، و مطهِّرها من كلِّ صنم و وثن، الشهيد فی البيت الإلهیّ جامع الكوفة- فی محرابه حال صلاته سنة (۴۰)، و قد اتّصل هاهنا المنتهی بالمبدأ، فوليد البيت فاض شهيداً فی بيتٍ هو من أعظم بيوت اللَّه، و بين الحدّين لم تزل عُری حياته متواصلة بالمبدأ الأعلی سبحانه.

---

(۱). كلٌّ من هذه الجمل الخمس عشرة كلمة قدسيّة نبويّة، أخرجها الحفّاظ، راجع مسند أحمد: ۱/ ۳۳۱ و ۵/ ۱۸۲، ۱۸۹ [۱/ ۵۴۴ ح ۳۰۵۲ و ۶/ ۲۳۲ ح ۲۱۰۶۸، ص ۲۴۴ ح ۲۱۱۴۵]، حلية الأولياء: ۱/ ۶۳- ۶۸ [رقم ۴]. (المؤلف)

ص: ۶۵

۲- حسّان بن ثابت

يُناديهمُ يومَ الغديرِ نبيُّهمْ	بخمٍّ و أسْمِعْ بالرسولِ مُناديا
فقال فمن مولاكمُ و نبيُّكمْ	فقالوا و لم يُبدوا هناک التعاميا
إلهُکَ مولانا و أنتَ نبيُّنا	و لم تَلْقَ منّا فی الولايةِ عاصيا
فقال له قم يا علیُّ فإنّنی	رضيتُکَ من بعدی إماماً و هاديا
فمن کنتُ مولاهُ فهذا وليُّهُ	فکونوا له أتباع صدقٍ مواليا
هناک دعا اللّهمَّ والِ وليّهُ	و کن للذی عادی عليّا معاديا

ما يتبع الشعر

هذا أوّل ما عُرف من الشعر القصصیِّ فی رواية هذا النبأ العظيم، و قد ألقاه فی ذاک المحتشد الرهيب الحافل بمائة ألف أو يزيدون، و فيهم البلغاء، و مدارهِ «۱» الخطابة و صاغة القريض، و مشيخة قريش العارفون بلحن القول، و معارض الكلام، بمسمعٍ من أفصح من نطق بالضاد- النبیّ الأعظم- و قد أقرّه النبیُّ صلی الله عليه و آله و سلم علی ما فهمه من مغزی كلامه، و قرّظه

بقوله: «لا تزال يا حسّان مؤيّداً بروح القُدس ما نصرتنا بلسانک» «۲».

---

(۱). مدارِه: جمع مِدْرَه، و هو لسان القوم و خطيبهم.

(۲). هذا من أعلام النبوّة و من مغيّبات رسول اللّه، فقد علم أنّه سوف ينحرف عن إمام الهدی عليه السّلام فی أخريات أيّامه، فعلّق دعاءه علی ظرف استمراره فی نصرتهم. (المؤلف)

ص: ۶۶

و أقدم كتاب سبق إلی رواية هذا الشعر هو كتاب سليم بن قيس الهلالی «۱»، التابعیّ الصدوق الثبت، المعوَّل عليه عند علماء الفريقين كما مرّ فی (۱/ ۱۹۵)، فرواه بلفظ يقرب ممّا يأتی عن كتاب علم اليقين «۲» للمحقِّق الفيض الكاشانی، و تبعه علی روايته لفيف من علماء الإسلام لا يستهان بعدّتهم، فرواه من الحفّاظ:

۱- الحافظ أبو عبيد اللّه المرزبانی محمد بن عمران الخراسانیّ: المتوفّی (۳۷۸) «۳».

أخرج فی مرقاة الشعر عن محمد بن الحسین، عن حفص، عن محمد بن هارون، عن قاسم بن الحسن، عن یحیی بن عبد الحمید، عن قیس بن الربیع، عن أبی هارون العبدی، عن أبی سعید الخدری، قال:

لمّا کان من غدیر خُمّ، أمر رسول اللّه منادیاً فنادی الصلاة جامعة. فأخذ بید علیّ و قال: «من کنت مولاه فعلیٌّ مولاه، اللّهمَّ والِ من والاه، و عاد من عاداه».

فقال حسّان بن ثابت: یا رسول اللّه أقول فی علیّ شعراً؟ فقال رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم: «افعل»، فقال:

ینادیهُم یوم الغدیر نبیّهم... الأبیات.

۲- الحافظ الخرکوشیّ أبو سعد: المتوفّی (۴۰۶) المترجم (۱/ ۱۰۸). أخرجه فی کتابه شرف المصطفی.

۳- الحافظ ابن مردویه الأصبهانیّ: المتوفّی (۴۱۰) المترجم (۱/ ۱۰۸).

أخرج بإسناده عن أبی سعید الخدری حدیث الغدیر کما مرّ (۱/ ۲۳۱) و فیه:

فقال حسّان بن ثابت: یا رسول اللّه أ تأذن لی أن أقول أبیاتاً؟ فقال: «قل علی برکة اللّه». فقال:

---

(۱). کتاب سلیم بن قیس: ۲/ ۸۲۸ ح ۳۹.

(۲). علم الیقین: ۲/ ۶۵۱.

(۳). لنا فی مذهب الرجل نظر. (المؤلف)

ینادیهُم یوم الغدیر نبیّهم... الأبیات.

و رواه عن ابن عبّاس بلفظ مرّ (۱/ ۲۱۷).

۴- الحافظ أبو نعیم الأصبهانیّ: المتوفّی (۴۳۰) المترجم (۱/ ۱۰۹).

أخرجه فی کتابه- ما نزل من القرآن فی علیّ «۱»- بالسند و المتن اللذین أسلفناهما (۱/ ۲۳۲) و فیه:

فقال حسّان: ائذن لی یا رسول اللّه أن أقول فی علیّ أبیاتاً تسمعهنّ.

فقال: «قل على بركة اللّه». فقام حسّان فقال: يا معشر مشيخة قريش أُتبعها قولى بشهادة من رسول اللّه فى الولاية ماضية...

۵- الحافظ أبو سعيد السجستانىّ: المتوفّى (۴۷۷)، المترجم (۱/ ۱۱۲). أخرجه فى كتاب الولاية بسند و لفظ مرّا (۱/ ۲۳۳).

۶- أخطب الخطباء الخوارزمىّ المكىّ: المتوفّى (۵۶۸)، تأتى ترجمته فى شعراء القرن السادس، رواه فى مقتل الإمام السبط الشهيد «۲» و المناقب «۳» (ص ۸۰) بسند و لفظ ذكرا فى (۱/ ۲۳۴).

۷- الحافظ أبو الفتح النطنزىّ: المترجم (۱/ ۱۱۵). رواه فى الخصائص العلويّة على سائر البريّة عن الحسن بن أحمد المهرى، عن أحمد بن عبد اللّه بن أحمد، عن محمد بن أحمد بن علىّ، عن ابن أبى شيبة محمد بن عثمان، عن الحمّانى، عن ابن الربيع، عن أبى هارون العبدى، عن أبى سعيد الخدرى بلفظ أبى نعيم الأصبهانى، و ذكر من الأبيات أربعة من أوّلها.

---

(۱). ما نزل من القرآن فى علىّ: ص ۵۷.

(۲). مقتل الإمام الحسين عليه السّلام: ص ۴۷.

(۳). المناقب: ص ۱۳۵ ح ۱۵۲.

۸- أبو المظفّر سبط الحافظ ابن الجوزى الحنفىّ: المتوفّى (۶۵۴) المترجم (۱/ ۱۲۰). رواه فى تذكرة خواصّ الأمّة «۱» (ص ۲۰).

۹- صدر الحفّاظ الكنجىّ الشافعىّ: المتوفّى (۶۵۸) المذكور (۱/ ۱۲۰). ذكره فى كفاية الطالب «۲» (ص ۱۷) بلفظ أبى نعيم المذكور.

۱۰- شيخ الإسلام صدر الدين الحمّوئى: المتوفّى (۷۲۲) المترجم (۱/ ۱۲۳). رواه فى فرائد السمطين «۳» فى الباب الثانى عشر، عن الشيخ تاج الدين أبى طالب على ابن أنجب بن عثمان الخازن، عن برهان الدين ناصر بن أبى المكارم المُطَرّزى، عن أخطب خوارزم بسنده و لفظه المذكورين.

۱۱- الحافظ جمال الدين محمد بن يوسف الزرندىّ شمس الدين الحنفىّ: المتوفّى (بضع و ۷۵۰) المترجم (۱/ ۱۲۵) أخرجه فى كتابه نظم درر السمطين «۴».

۱۲- الحافظ جلال الدين السيوطىّ: المتوفّى (۹۱۱) المترجم (۱/ ۱۳۳). ذكره فى رسالته الازدهار فيما عقده الشعراء من الأشعار، نقلًا عن تذكرة الشيخ تاج الدين ابن مكتوم الحنفى المتوفّى (۷۴۹).

و رواه من أعلام الإمامية:

١- أبو عبد اللّه محمد بن أحمد المفجّع «٥»: المتوفّى (٣٢٧).

رواه فى شرح قصيدته المعروفة بالأشباه. عن عبد اللّه بن محمد بن عائشة القرشى، عن المبارک، عن عبد اللّه بن أبى سلمان، عن عطا، عن جابر بن عبد اللّه: أنَّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم نزل

---

(١). تذكرة الخواص: ص ٣٣.

(٢). كفاية الطالب: ص ۶۴ باب ١.

(٣). فرائد السمطين: ١/ ٧٣ ح ٣٩.

(۴). نظم درر السمطين: ص ١١٢.

(۵). أحد شعراء الغدير فى القرن الرابع، يأتى هناک [فى الجزء الثالث] شعره و ترجمته. (المؤلف)

ص: ۶۹

بغدير خُمّ، و نصب بدوحات، و كان يومٌ حارٌّ، و إنَّ أحدَنا ليستظلُّ بثوبه، و يبلُّ خرقةً فيضعها على رأسه من شدّة الحرّ، فقام عليه السلام فقال:

«أيّها الناس أ لست أولى بالمؤمنين من أنفسهم، و أزواجى أمّهاتهم؟». قلنا: بلى يا رسول اللّه. فأخذ بيد علىّ فرفعها ثمّ قال:

«اشهدوا، من كنت مولاه فعلىٌّ مولاهُ، اللّهمَّ والِ من والاه، و عادِ من عاداه». يقولها ثلاثاً. فقال عمر: هنيئاً لک يا أبا الحسن، أصبحت مولاى و مولى كلِّ مؤمن و مؤمنة، فقام رجل إلى رسول اللّه، فقال: يا رسول اللّه، أ تأذن لى فى إنشاد أبيات فى علىٍّ؟ فقال عليه السلام: «قل يا حسّان» فقال:

يناديهمُ يوم الغدير نبيّهم... الأبيات إلى آخرها.

٢- أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم بن يزيد الطبرىّ، رواه فى المسترشد «١» بإسناده عن يحيى الحمّانى عن قيس، عن العبدى، عن أبى سعيد بلفظ الحافظ أبى نعيم الأصبهانى المذكور، إلّا أنَّ البيت الثالث فيه:

إلهُکَ مولانا و أنتَ وليُّنا و لا تَجِدَنْ منّا لک اليومَ عاصيا

۳- شیخنا أبو جعفر الصدوق محمد بن بابویه القمّی: المتوفّی (۳۸۱). رواه فی الأمالی «۲» (ص ۳۴۳) بالسند و المتن المذکورین، عن الحافظ المرزبانی.

۴- الشریف الرضیّ «۳»: المتوفّی (۴۰۶) صاحب نهج البلاغة. فی خصائص الأئمّة «۴».

---

(۱). المسترشد فی إمامة علیّ بن أبی طالب علیه السّلام: ص ۱۱۹.

(۲). الأمالی: ص ۴۶۰.

(۳). أحد شعراء الغدیر فی القرن الرابع، یأتی هناک [فی الجزء الرابع] شعره و ترجمته. (المؤلف)

(۴). خصائص الأئمّة: ص ۴۲، خصائص أمیر المؤمنین: ص ۶.

۵- معلّم الأمّة شیخنا المفید: المتوفّی (۴۱۳).

رواه فی الفصول المختارة «۱» (۱/ ۸۷) و قال: و ممّا یشهد بقول الشیعة فی معنی المولی و أنَّ النبیَّ أراد به یوم الغدیر الإمامة، قول حسّان بن ثابت علی ما جاء به الأثر: أنَّ رسول اللَّه لمّا نصب علیّا یوم الغدیر للناس عَلماً و قال فیه ما قال، استأذنه حسّان بن ثابت فی أن یقول شعراً فأنشأ یقول:

یناديهمُ یوم الغدیر نبیّهم... الأبیات.

فلمّا فرغ من هذا القول، قال له النبیُّ صلی الله علیه و آله و سلم: «لا تزال یا حسّان مؤیّداً بروح القدُس ما نصرتَنا بلسانک».

فلو لا أنَّ النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم أراد بالمولی الإمامة لما أثنی علی حسّان بإخباره بذلک، و لأنکره علیه، و ردّه عنه.

و رواه فی رسالته فی معنی المولی «۲»، و قال بعد ذکره: شعر حسّان مشهورٌ فی ذلک، و هو شاعر رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم و قد قال له: «لا تزال مؤیَّداً بروح القدُس ما نصرتنا بلسانک». و هذا صریح فی الإقرار بإمامته من جهة القول الکائن فی یوم الغدیر من رسول اللَّه له، لا یمکن تأویله، و لا یسوغ صرفه إلی غیر حقیقته.

و رواه فی تألیفه النصرة لسیِّد العترة فی حرب البصرة «۳» و فی کتابه الإرشاد «۴» (ص ۳۱، ۶۴) بلفظ یقرب من روایة الحافظ أبی نعیم الأصبهانی المذکور.

۶- الشريف المرتضى علم الهدى: المتوفّى (۴۳۶)، فى شرح بائيّة السيِّد الحميرى «۵».

---

(۱). الفصول المختارة: ص ۲۳۵.

(۲). رسالة فى معنى المولى، المطبوع ضمن مصنّفات الشيخ المفيد: ۸/ ۳۱.

(۳). النصرة لسيِّد العترة فى حرب البصرة (كتاب الجَمل): ص ۱۱۷.

(۴). الإرشاد: ۱/ ۱۷۷.

(۵). رسائل الشريف المرتضى، المجموعة الرابعة: ص ۱۳۱. و بائية الحميرى تسمّى القصيدة المذهّبة، طبعت بهذا الاسم مع شرح الشريف المرتضى عليها فى بيروت سنة (۱۹۷۰ م) من منشورات دار الكتاب الجديد و تحقيق محمد الخطيب، و هذه الأبيات فى هذه الطبعة ص (۱۵۷). (الطباطبائى)

۷- أبو الفتح الكراجكى: المتوفّى (۴۴۹) فى كنز الفوائد «۱» (ص ۱۲۳) و قال ما ملخّصه: إنَّ شعر حسّان هذا قد سارت به الركبان، و قد تضمّن الإقرار لأمير المؤمنين عليه السلام بالإمامة و الرئاسة على الأنام، لمّا مدحه بذلک يوم الغدير بحضرة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم على رءوس الأشهاد، فصوّبه النبىُّ فى مقاله،

و قال له: «لا تزال يا حسّان مؤيّداً ما نصرتنا بلسانک».

۸- الشيخ عبيد اللَّه بن عبد اللَّه السدابادى، رواه فى المقنع فى الإمامة «۲».

۹- شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسىّ: المتوفّى (۴۶۰) فى تلخيص الشافى.

۱۰- المفسِّر الكبير الشيخ أبو الفتوح الخزاعى الرازىّ من مشايخ ابن شهرآشوب: المتوفّى (۵۸۸). رواه فى تفسيره «۳» (۲/ ۱۹۲) بلفظ يقرب من لفظ الحافظ أبى نعيم و زاد فيه «۴»:

فَخَصّ بها دونَ البريّةِ كلِّها عليّا و سمّاه الوزير المواخيا

۱۱- شيخنا الفتّال أبو علىّ الشهيد، المترجم فى كتابنا شهداء الفضيلة (ص ۳۷) رواه فى روضة الواعظين «۵» (ص ۹۰).

١٢- أبو علىّ الفضل بن الحسن الطبرسىّ، رواه فى إعلام الورى «۶» (ص ٨١).

---

(١). كنز الفوائد: ١/ ٢۶٨.

(٢). المقنع فى الإمامة: ص ٧۵.

(٣). تفسير أبى الفتوح الرازى: ۴/ ٢٧٩.

(۴). ستقف على أنَّ هذه الزيادة فى محلّها من شعر حسّان. (المؤلف)

(۵). روضة الواعظين: ١/ ١٠٣.

(۶). إعلام الورى: ص ١٣٩.

ص: ٧٢

١٣- ابن شهرآشوب السَرَوىّ: المتوفّى (۵٨٨). فى المناقب «١» (٣/ ٣۵).

١۴- أبو زكريّا يحيى بن الحسن الحلّى الشهير بابن البطريق، رواه فى الخصائص «٢» (ص ٣٧) من طريق الحافظ أبى نعيم الأصبهانى.

١۵- السيِّد هبة اللَّه، رواه فى كتابه المجموع الرائق «٣» المخطوط.

١۶- رضىّ الدين سيِّدنا علىّ بن طاووس: المتوفّى (۶۶۴) فى الطرائف «۴» (ص ٣۵).

١٧- بهاء الدين أبو الحسن الإربلىّ: المتوفّى (۶٩٢، ۶٩٣) فى كشف الغمّة «۵») (ص ٩۴).

١٨- عماد الدين الحسن الطبرىّ، فى الكامل البهائى «۶» (ص ١۵٢ و ٢١٧).

١٩- الشيخ يوسف بن حاتم الشامىّ، فى موضعين من كتابه الدرّ النظيم «٧».

٢٠- الشيخ علىّ البياضىّ العاملىّ، فى كتابه الصراط المستقيم «٨».

٢١- القاضى نور اللَّه المرعشىّ: الشهيد سنة (١٠١٩)، المترجم فى كتابنا شهداء الفضيلة (ص ١٧١): ذكره فى مجالس المؤمنين «٩» (ص ٢١).

(۱). مناقب آل أبی طالب: ۳/ ۳۷.

(۲). خصائص الوحی المبین: ص ۶۲.

(۳). المجموع الرائق: ص ۲۰۴.

(۴). الطرائف: ص ۱۴۶ ح ۲۲۱.

(۵). کشف الغمّة: ۱/ ۳۲۵.

(۶). الکامل البهائی: ۱/ ۲۸۱.

(۷). الدرّ النظیم: ۱/ ۹۰، ۱۴۱.

(۸). الصراط المستقیم: ۱/ ۳۰۵.

(۹). مجالس المؤمنین: ۱/ ۴۶.

ص: ۷۳

۲۲- مولانا المحقّق المحسن الکاشانیّ: المتوفّی (۱۰۹۱). فی علم الیقین «۱») (ص ۱۴۲) نقلًا عن- التهاب نیران الأحزان- بلفظ یقرب من لفظ سلیم بن قیس الهلالیِّ التابعیِّ فی کتابه، و هو:

یناديهمُ یومَ الغدیرِ نبیُّهم	بخمٍّ و أسْمِعْ بالنبیِّ مناديا
و قد جاءَهُ جبریلُ عن أمرِ ربهِ	بأَنَّک معصومٌ فلا تَکُ وانیا
و بلّغهمُ ما أنزلَ اللَّهُ ربُّهم	إلیکَ و لا تخش هناک الأعادیا
فقام به إذ ذاک رافعَ کفِّهِ	بکفٍّ علیٍّ مُعلنَ الصوتِ عالیا
فقال فمن مولاکمُ و ولیّکمْ	فقالوا و لم یُبدوا هناک تعامیا
إلهُکَ مولانا و أنت ولیُّنا	و لَنْ تَجِدَنْ فینا لک الیومَ عاصیا
فقال له قم یا علیُّ فإنَّنی	رَضیتُکَ من بعدی إماماً و هادیا

فمن كنتُ مولاهُ فهذا وليُّه فكونوا له أنصارَ صدقٍ مواليا

هناک دعا اللّهمَّ والِ وليّهُ و كن للّذى عادى عليّا مُعاديا

فيا ربِّ أُنصر ناصريه لنَصْرِهمْ إمامَ هدىً كالبدرِ يجلو الدياجيا

۲۳- الشيخ إبراهيم القطيفىّ، فى الفرقة الناجية بلفظ الكاشانى.

۲۴- السيِّد هاشم البحرانىّ: المتوفّى (۱۱۰۷). فى غاية المرام «۲» (ص ۸۷).

۲۵- العلّامة المجلسىّ: المتوفّى (۱۱۱۱۱): فى بحار الأنوار «۳» (۹/ ۲۳۴، ۲۵۹).

۲۶- شيخنا البحرانىّ، صاحب الحدائق: المتوفّى (۱۱۸۶). فى كشكوله (۲/ ۳۱۸).

و هناک جمع آخرون رووا هذا الحديث، و فى المذكورين كفاية.

---

(۱). علم اليقين: ۲/ ۶۵۱.

(۲). غاية المرام: ص ۸۷ ح ۷۲.

(۳). بحار الأنوار: ۲۱/ ۳۸۸، ۳۷/ ۱۱۲.

لفت نظر:

و الذى يظهر للباحث أنَّ حسّاناً أكمل هذه الأبيات قصيدةً ضمّنها نُبذاً من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، فكلٌّ أخذ منها شطراً يناسب موضوعه. و ذكر الحافظ ابن أبى شيبة، قال: حدّثنا ابن فضل، قال: حدّثنا سالم بن أبى حفصة، عن جُميع بن عمير، عن عبد اللّه بن عمر.

و صدر الحفّاظ الكنجى الشافعى فى كفايته «۱»- طبع النجف- (ص ۳۸)، و طبع مصر- (ص ۱۶)، و طبع ايران- (ص ۲۱)، و ابن الصبّاغ المالكى فى فصوله المهمّة «۲» (ص ۲۲) و غيرهم، منها قوله:

و كان عليٌّ أرمدَ العينِ يبتغى دواءً فلمّا لم يحسَّ مداويا

شفاهُ رسولُ اللَّهِ منه بتفلةٍ فبورکَ مَرْقيّا و بورک راقيا

فقال سأُعطى الراية اليومَ ضارباً کَمِيّا مُحبّا للرسولِ مواليا

يحبُّ إلهى و الإله يُحبُّهُ به يفتحُ اللَّهُ الحصونَ الأوابيا

فَخَصَّ بها دون البريّةِ کلِّها عليّا و سمّاهُ الوزيرَ المواخيا«۳»

هذه الأبيات إشارة الى حديث صحيح متواتر، أخرجه أئمّة الحديث بأسانيد رجالها کلّهم ثقات، أنهوها إلى:

بُريدة بن الحصيب، عبد اللَّه بن عمر، عبد اللَّه بن العبّاس، عمران بن حصين،

---

(۱). کفاية الطالب: ص ۱۰۴ باب ۱۴.

(۲). الفصول المهمّة: ص ۳۷.

(۳). و رواه شيخنا الطبرى فى المسترشد [ص ۴۵۵]، رواية عن الحافظ ابن أبى شيبة المذکور [المصنّف: ۱۲/ ۶۹ ح ۱۲۱۴۵]، و أبو علىّ الفتّال فى روضة الواعظين [۱/ ۱۳۰]، و غيرهما. (المؤلف) و أوردها الشريف المرتضى فى شرح القصيدة المذهّبة ص ۱۳۱ و کرّرها فى ص ۱۳۲. (الطباطبائى)

ص: ۷۵

أبى سعيد الخدرى، أبى ليلى الأنصارى، سهل الساعدى، أبى هريرة الدوسى، سعد ابن أبى وقّاص، البراء بن عازب، سلمة بن الأکوع.

فأخرجه البخارى فى صحيحه (۴/ ۳۲۳) عن سهل، و (۵/ ۲۶۹) عنه، و (ص ۲۷۰) عن سلمة، و (۶/ ۱۹۱) عن سلمة و سهل، و أخرجه مسلم فى صحيحه (۲/ ۳۲۴)، و الترمذى فى صحيحه (۲/ ۳۰۰) و صحّحه، و أحمد بن حنبل فى مسنده (۱/ ۹۹)، و (۵/ ۳۵۳، ۳۵۸) و غيرها، و ابن سعد فى طبقاته (۳/ ۱۵۸)، و ابن هشام فى سيرته (۳/ ۳۸۶)، و الطبرى فى تاريخه (۳/ ۹۳)، و النسائى فى خصائصه (ص ۴- ۸، ۱۶، ۳۳)، و الحاکمفى المستدرک (۳/ ۱۰۹، ۱۱۶) و قال: هذا حديث دخل فى حدّ التواتر، و الخطيب فى تاريخه (۸/ ۵)، و أبو نعيم الأصبهانى فى الحلية (۱/ ۶۲)، بعدّة طرق و صحّح بعضها، و (۴/ ۳۵۶)، و ابن عبد البرّ فى الاستيعاب (۲/ ۳۶۳) فى ترجمة عامر، و الحمّوئى «۱» فى فرائده، و قال: قال الإمام محيى السنّة: هذا حديثٌ

صحيح متّفقٌ على صحّته، و محبُّ الدين الطبرى فى الرياض (٢/ ١٨٧)، و اليافعى فى مرآة الجنان (١/ ١٠٩) و صحّحه، و القاضى الإيجى فى المواقف (٣/ ١٠، ١٢) «٢»، و هناك آخرون

---

(١). بفتح المهملة ثمّ الميم المضمومة المشدّدة نسبة الى جدّه حمّويه، و نحن تبعاً للمؤلفين ذكرناه فى المجلد الأول (الحموينى)، و قد أوقفنا السير على كلام ابن الأثير من أنَّ رجال هذه الأسرة يكتبون لأنفسهم (الحموى) و ضبطه على ما ذكر، فعدلنا عما كنا عليه. (المؤلف)

(٢). صحيح البخارى: ٣/ ١٠٧٧ ح ٢٧٨٣، ١٠٩٦ ح ٢٨٤٧، ١٠٨٦ ح ٢٨١٢، ٤/ ١٥٤٢ ح ٣٩٧٢- ٣٩٧٣، صحيح مسلم: ٥/ ٢٤- ٢٥ ح ٣٣- ٣٥ كتاب فضائل الصحابة، سنن الترمذى: ٥/ ٥٩٦ ح ٣٧٢٤، مسند أحمد: ١/ ١٦٠ ح ٧٨٠، ٦/ ٤٨٥ ح ٢٢٤٨٤، ٤٩٢ ح ٢٢٥٢٢، الطبقات الكبرى: ٢/ ١١١، السيرة النبوية: ٣/ ٣٤٩، تاريخ الأمم و الملوك: ٣/ ١٢ حوادث سنة ٧ ه، خصائص أمير المؤمنين: ص ٣٧- ٤٩ ح ١١- ٢٤، ص ٧٣ ح ٥٤، ص ١٤٠ ح ١٢٦، و فى السنن الكبرى: ٥/ ١٠٨- ١١٢ ح ٨٣٩٩- ٨٤٠٩، ص ١٢٢ ح ٨٤٣٩، ص ١٤٤ ح ٨٥١١، المستدرک على الصحيحين: ٣/ ١١٧ ح ٤٥٧٥، ص ١٢٦ ح ٤٦٠١، الاستيعاب: القسم الثانى/ ٧٨٧ رقم ١٣١٧، فرائد السمطين: ١/ ٢٥٣ ح ١٩٦ باب ٤٨، الرياض النضرة: ٣/ ١٣٠، المواقف فى علم الكلام: ص ٤١٠.

رووا هذه الأثارة و صحّحوها، لو نذكرهم بأجمعهم لجاء منه كتاب مفرد، و نحن نقتصر من المتون على لفظ البخارى، ألا و هو:

إنَّ رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم قال يوم خيبر: «لأُعطينَّ هذه الراية غداً رجلًا يفتح اللَّه على يديه، يحبّ اللَّه و رسوله، و يحبّه اللَّه و رسوله».

قال: فبات الناس يدوكون «١» ليلتهم أيّهم يُعطاها، فلمّا أصبح الناس غَدَوا على رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم كلّهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علىّ بن أبى طالب؟» فقيل: هو يا رسول اللَّه يشتكى عينيه. قال: «فأرسلوا إليه»، فأُتى به، فبصق رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم فى عينيه و دعا له، فبرأ حتى لم يكن به وجع، فأعطاه الراية. فقال علىٌّ: «يا رسول اللَّه أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟».

فقال: «انفذ على رسْلک حتى تنزل بساحتهم، ثمّ ادعهم إلى الإسلام، و أخبرهم بما يجب عليهم. فو اللَّه لأن يهدى اللَّه بک رجلًا خيرٌ لک من أن يكون لک حمر النِّعم- و فى لفظه الآخر: ففتح اللَّه عليه».

ديوان حسّان

إنَّ لحسّان فى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام مدائح جمّة غير ما سبقت الإشارة إليه، و سنوقفک على ما التقطناه من ذلک، فمن هذه الناحية نعرف أنَّ يد الأمانة لم تقبض عليها يوم مدّت إلى ديوانه، فحرّفت الكلم عن مواضعها، و لعبت بديوان حسّان

كما لعبت بغيره من الدواوين و الكتب و المعاجم، التى أسقطت منها مدائح أهل البيت عليهم السلام و فضائلهم، و الذكريات الحميدة لأتباعهم، كديوان الفرزدق الذى أسقطوا منه ميميّته المشهورة فى مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام مع إشارة الناشر إليها فى مقدّمة شرح

---

(١). أى يخوضون. يقال: الناس فى دوكة. أى: فى اختلاط و خوض. و أصله من الدوك. و هو: السحق. و فى كثير من الكتب: يذكرون. و هو: تصحيف. (المؤلف)

ديوانه، و قد طفحت بذكرها الكتب و المعاجم، و كديوان الكميت، فإنّه حُرّفت منه أبيات كما زيدت عليه أخرى، و كديوان أمير الشعراء أبى فراس، و كديوان كشاجم الذى زحزحوا عنه كميّة مهمّة من مراثى سيّدنا الإمام السبط الشهيد- سلام اللَّه عليه- و كتاب المعارف لابن قتيبة الذى زيد فيه ما شاءه الهوى للمحرّف و نقص منه ما [لا] يلائم خُطّته، بشهادة الكتب الناقلة عنه من بعده، كما مرّ بعض ما ذكر فى محلّه من هذا الكتاب و يأتى بعضه، إلى غير هذه من الكتب التى عاثوا فيها لدى النشر، أو حرّفوها عند النقل، و نحن نحيل تفصيل ذلک إلى مظانّه من المواقع المناسبة لئلّا نخرج عن وضع الكتاب، فلنعد الآن إلى ما شذّ من شعر حسّان عن ديوانه، و أثبتته له المصادر الوثيقة كنفس يائيّته السابقة، فمن ذلک:

فى تاريخ اليعقوبى «١» (٢/ ١٠٧)، و شرح ابن أبى الحديد «٢» (٣/ ١٤) و غيرهما: صعد أبو بكر المنبر عند ولايته الأمر، فجلس دون مجلس رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم بمرقاة، ثمّ حمد اللَّه و أثنى عليه، و قال: إنّى وُلّيتُ عليكم و لستُ بخيركم، فإن استقمت فاتّبعونى، و إن زغت فقوّمونى، لا أقول إنّى أفضلكم فضلًا، و لكنّى أفضلكم حملًا، و أثنى على الأنصار خيراً، و قال: أنا و إيّاكم معشر الأنصار كما قال القائل:

جزى اللَّه عنّا جعفراً حين أزْلَقَتْ ... بنا نعلُنا فى الواطئين فَوَلّتِ

أبوا أن يملّونا و لو أنَّ أمّنا ... تلاقى الذى يلقون منّا لملّتِ

فاعتزلت الأنصار عن أبى بكر، فغضبت قريش و أحفظها ذلک، فتكلّم خطباؤها، و قدم عمرو بن العاص، فقالت له قريش: قم فتكلّم بكلام تنال فيه من الأنصار، ففعل ذلک.

فقام الفضل بن العبّاس فردّ عليهم، ثمّ صار إلى علىّ فأخبره و أنشده شعراً

(۱). تاريخ اليعقوبى: ۲/ ۱۲۷.

(۲). شرح نهج البلاغة: ۶/ ۲۰، ۳۵ خطبة ۶۶.

قاله. فخرج علىٌّ مغضباً حتى دخل المسجد فذكر الأنصار بخير، و ردّ على عمرو بن العاص قوله. فلمّا علمت الأنصار ذلک سرّها، و قالت: ما نبالى بقول من قال مع حُسْن قول علىّ، و اجتمعت إلى حسّان بن ثابت، فقالوا: أجب الفضل، فقال: إن عارضته بغير قوافيه فضحنى، فقالوا «۱»: فاذكر عليّا فقط، فقال:

جزى اللّه خيراً و الجزاء بكفّهِ — أبا حسنٍ عنّا و من كأبى حسنْ

سبقتَ قريشاً بالذى أنت أهلهُ — فصدرُکَ مشروحٌ و قلبُک مُمْتحنْ«۲»

تمنّت رجالٌ من قريشٍ أعزّةٌ — مكانَکَ هيهات الهُزالُ من السَمَنْ

و أنتَ من الإسلامِ فى كلِّ منزلٍ — بمنزلة الطرفِ البطينِ من الرَسَنْ

غَضِبْتَ لنا إذ قال عمروٌ بخصلةٍ — أمات بها التقوى و أحيا بها الإحَنْ

و كنت المرجّى من لؤىّ بنِ غالبٍ — لِما كان منهُ و الذى بعدُ لم يكنْ

حفظتَ رسول اللّه فينا و عهدَهُ — إليک و من أولى به منک من و منْ

أ لستَ أخاه فى الهدى و وصيّهُ — و أعلمَ فِهرٍ بالكتابِ و بالسُنَنْ

فحقُّکَ ما دامتْ بنجدٍ وشيجةٌ — عظيمٌ علينا ثمّ بعدُ على اليَمنْ

قوله: فصدرک مشروحٌ إشارة إلى ما ورد فى قوله تعالى: (أَ فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ) «۳»، فإنّها نزلت فى علىٍّ و حمزة. رواه الحافظ محبّ الدين الطبرى فى رياضه «۴» (۲/ ۲۰۷) عن الحافظين الواحدى و أبى الفرج، و فى ذخائر العقبى (ص ۸۸).

(۱). فى شرح ابن أبى الحديد: فقال له خزيمة بن ثابت: اذكر عليّا و آله يَكْفِک عن كلِّ شىء. (المؤلف)

(۲). هذان البيتان ذكرهما لحسّان شيخ الطائفة المفيد كما فى الفصول: ۲/ ۶۱، ۶۷ [ص ۲۰۹، ۲۱۶]. (المؤلف)

(۳). الزمر: ۲۲.

(۴). الرياض النضرة: ۳/ ۱۵۷.

ص: ۷۹

قوله: و قلبک ممتحن. أشار به إلى

النبوىّ الوارد فى أمير المؤمنين: «إنّه امتحن اللّه قلبه بالإيمان» «۱». أخرجه جمعٌ من الحفّاظ و العلماء منهم: النسائى فى خصائصه (ص ۱۱)، و الترمذى فى الصحيح (۲/ ۲۹۸)، و الخطيب البغدادى فى تاريخه (۱/ ۱۳۳)، و البيهقى فى المحاسن و المساوئ (۱/ ۲۹) و محبّ الدين الطبرى فى الرياض (۲/ ۱۹۱) و ذخائر العقبى (ص ۷۶) و قال: أخرجه الترمذى و صحّحه، و الكنجى فى الكفاية (ص ۳۴) و قال هذا حديثٌ عالٍ حسنٌ صحيح، و الحمّوئى فى فرائده فى الباب (۳۳)، و السيوطى فى جمع الجوامع بعدّة طرق كما فى كنز العمّال (۶/ ۳۹۳، ۳۹۶)، و البدخشى فى نُزُل الأبرار (ص ۱۱) «۲» و غيرهم.

قوله: أ لست أخاه فى الهدى و وصيّه. أوعز به إلى حديثَى الإخاء و الوصيّة، و هما من الشهرة و التواتر بمكان عظيم، يجدهما الباحث فى جلّ مسانيد الحفّاظ و الأعلام.

قوله: و أعلم فهرٍ بالكتاب و بالسنن. أراد به ما ورد فى علم علىّ أمير المؤمنين بالكتاب و السنّة.

و أخرج الحفّاظ عن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فى حديث فاطمة عليها السلام: «زوّجتكِ خير أهلى، أعلمهم علماً، و أفضلهم حلماً، و أوّلهم إسلاماً».

و فى حديث آخر: «أعلم أمّتى من بعدى علىُّ بن أبى طالب».

و فى ثالث: «أعلم الناس باللّه و بالناس».

و فى حديث: «يا علىّ لک سبع خصال»، و عدّ منها: «و أعلمهم بالقضيّة» «۳».

---

(۱). كذا فى لفظ الخطيب، و فى بعض المصادر: على الإيمان. و فى بعضها: للإيمان. (المؤلف)

(۲). خصائص أمير المؤمنين عليه السّلام: ص ۵۵ ح ۳۱، و فى السنن الكبرى: ۵/ ۱۱۵ ح ۸۴۱۶، سنن الترمذى: ۵/ ۵۹۲ ح ۳۷۱۵، المحاسن و المساوئ: ص ۴۱، الرياض النضرة: ۳/ ۱۳۸، كفاية الطالب: ص ۹۷ باب ۱۳، فرائد السمطين: ۱/ ۱۶۲ ح ۱۲۴، كنز العمّال: ۱۳/ ۱۱۵ ح ۳۶۳۷۳، و ص ۱۲۷ ح ۳۶۴۰۲، نُزُل الأبرار: ص ۴۱.

(۳). حلية الأولياء: ۱/ ۶۶ [رقم ۴]، كنز العمّال: ۶/ ۱۵۳، ۱۵۶، ۳۹۸ [۱۱/ ۶۰۵ ح ۳۲۹۲۶، و ص ۶۱۷ ح ۳۲۹۹۵، ۱۳/ ۱۳۵ ح ۳۶۴۲۳]. (المؤلف)

ص: ۸۰

و أخرج محبّ الدين الطبرى فى رياضه «۱» (۲/ ۱۹۳) و الذخائر (ص ۷۸)، و ابن عبد البرّ فى الاستيعاب «۲»- هامش الإصابة- (۳/ ۴۰) عن عائشة: «أنّه أعلم الناس بالسنّة».

و فى كفاية الكنجى «۳» (ص ۱۹۰) عن أبى أمامة، عنه صلى الله عليه و آله و سلم: «أعلم أمّتى بالسنّة و القضاء بعدى علىّ بن أبى طالب».

و أخرج الخوارزمى فى المناقب «۴» (ص ۴۹)، و شيخ الإسلام الحمّوئى فى فرائده «۵» فى الباب الثامن عشر بإسناده عن سلمان، عن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم: «أعلم أمّتى من بعدى علىّ بن أبى طالب».

و أخرج الحفّاظ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «و اللَّه ما نزلت آيةٌ إلّا و قد علمتُ فيم نزلتْ و على من نزلتْ، إنَّ ربّى وهبَ لى قلباً عقولًا و لساناً ناطقاً» «۶».

و عن النبىّ صلى الله عليه و سلم: «قُسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأُعطى علىٌّ تسعة أجزاء، و الناس جزءاً واحداً» «۷».

و قال السيِّد أحمد زينى دحلان فى الفتوحات الإسلاميّة (۲/ ۳۳۷): كان علىٌّ رضى الله عنه أعطاه اللَّه علماً كثيراً و كشفاً غزيراً.

قال أبو الطفيل: شهدت عليّا يخطب و هو يقول: «سلونى «۸» من كتاب اللَّه،

---

(۱). الرياض النضرة: ۳/ ۱۴۱.

(۲). الاستيعاب: القسم الثالث/ ۱۱۰۴ رقم ۱۸۵۵.

(۳). كفاية الطالب: ص ۳۳۲ باب ۹۴.

(۴). المناقب: ص ۸۲ ح ۶۷.

(۵). فرائد السمطين: ۱/ ۹۷ ح ۶۶.

(۶). حلية الأولياء: ۱/ ۶۷ [رقم ۴]، كفاية الكنجى: ص ۹۰ [ص ۲۰۷ باب ۵۲]، كنز العمّال: ۶/ ۳۹۶ [۱۳/ ۱۲۸ ح ۳۶۴۰۴]، إسعاف الراغبين: ص ۱۶۲. (المؤلف)

(۷). حلية الأولياء: ۱/ ۶۵ [رقم ۴]. (المؤلف)

(۸). فى الإصابة: ۲/ ۵۰۹ [رقم ۵۶۸۸]: سلونى سلونى سلونى عن كتاب اللّه. (المؤلف)

ص: ۸۱

فو اللّه ما من آية إلّا و أنا أعلم أبِلَيْلٍ نزلتْ أم بنهار، أم فى سهلٍ أم فى جبلٍ، و لو شئتُ أوقرتُ سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب».

و قال ابن عبّاس رضى الله عنه: علم رسول اللّه من علم اللّه تبارک و تعالى، و علم علىّ رضى الله عنه من علم النبىّ صلى الله عليه و سلم و علمى من علم علىّ رضى الله عنه، و ما علمى و علم أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم فى علم علىّ رضى الله عنه إلّا كقطرة فى سبعة أبحر. و يقال: إنَّ عبد اللّه بن عبّاس أكثر البكاء على علىٍّ رضى الله عنه حتى ذهب بصره، و قال ابن عبّاس أيضاً: لقد أُعطى علىّ بن أبى طالب تسعة أعشار العلم، و ايمُ اللّهِ لقد شارک الناسَ فى العشر العاشر. و كان معاوية رضى الله عنه يسأله و يكتب له فيما ينزل به، فلمّا توفّى علىٌّ رضى الله عنه قال معاوية: لقد ذهب الفقه و العلم بموت علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه. و كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتعوّذ من معضلة ليس فيها أبو الحسن «۹». و سُئل عطاء: أ كان فى أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم أحدٌ أعلم من علىّ؟ قال: لا و اللّه ما أعلمه. انتهى.

و عن عبد اللّه بن مسعود: إنَّ القرآن نزل على سبعة أحرف، ما منها حرفٌ إلّا و له ظهرٌ و بطنٌ، و إنَّ علياً عنده علم الظاهر و الباطن «۱۰».

و هناک نظير هذه الأحاديث و الكلمات حول علم أمير المؤمنين بالكتاب و السنّة كثير جدّا، لو جمعته يد التأليف لجاء كتاباً ضخماً.

و من شعر حسّان فى أمير المؤمنين:

ذكر له أبو المظفّر سبط ابن الجوزى الحنفىّ فى تذكرته «۱۱» (ص ۱۱۵)، و الكنجى

---

(۹). أخرجه كثير من الحفّاظ و أئمة الحديث [منهم: أحمد فى المناقب: ص ۱۵۵ ح ۱۲۲، و ابن عبد البرّ فى الاستيعاب: القسم الثالث/ ۱۱۰۲ رقم ۱۸۵۵، و محبّ الدين الطبرى فى الرياض النضرة: ۳/ ۱۴۲، و آخرون غيرهم، يأتى تفصيل ما أخرجوه بهذا اللفظ و غيره فى الجزء الثالث من هذا الكتاب إن شاء اللّه]. (المؤلف)

(۱۰). أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء: ۱/ ۶۵ [رقم ۴]. (المؤلف)

(۱۱). تذكرة الخواص: ص ۲۰۲.

ص: ۸۲

الشافعى، فى كفايته «۱» (ص ۵۵)، و ابن طلحة الشافعى، فى مطالب السؤول (ص ۲۰) و قال: فشت هذه الأبيات من قول حسّان، و تناقلها سمعٌ عن سمع و لسانٌ عن لسانٍ:

أنزلَ اللَّهُ و الكتابُ عزيزٌ — فى علىٍّ و فى الوليدِ قُرانا

فتبوّأ الوليدُ من ذاک فسقاً — و علىٌّ مبوّأٌ إيمانا

ليس من كان مؤمناً عَرفَ اللَّهَ — كمنْ كان فاسقاً خوّانا

فعلىٌّ يلقى لدى اللَّه عِزّا — و وليدٌ يلقى هناک هوانا

سوف يُجزى الوليدُ خزياً و ناراً — و علىٌّ لا شکَّ يجزى جِنانا

و رواها له ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة «۲» (۲/ ۱۰۳) و فيه بعد البيت الثالث:

سوف يُدعى الوليدُ بعد قليلٍ — و علىٌّ إلى الحسابِ عِيانا

فعلىٌّ يُجزى بذاک جِناناً — و وليدٌ يُجزى بذاک هَوانا«۳»

رُبَّ جَدٍّ لعُقْبةَ بنِ أبانٍ — لابسٌ فى بلادنا تُبّانا«۴»

و ذكرها له نقلًا عن شرح النهج الاستاذ أحمد زكى صفوت فى جمهرة الخطب «۵» (۲/ ۲۳).

أشار بهذه الأبيات إلى قوله تعالى: (أ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ) «۶». و نزوله فى علىّ عليه السلام و الوليد بن عقبة بن أبى معيط فيما شجر بينهما.

---

(۱). كفاية الطالب: ص ۱۴۱ باب ۳۱.

(۲). شرح نهج البلاغة: ۶/ ۲۹۳ خطبة ۸۳.

(۳). فی التذکرة: (هناک) بدل بذاک، فی الموضعین. (المؤلف)

(۴). أبان: هو أبو معیط جدّ الولید. و التبّان: سراویل صغیرة مقدار شبر یستر العورة فقط، کان یخصّ بالملّاحین. (المؤلف)

(۵). جمهرة خطب العرب: ۲/ ۲۹ رقم ۱۸.

(۶). السجدة: ۱۸.

ص: ۸۳

أخرج الطبری فی تفسیره «۱» (۲۱/ ۶۲) بإسناده عن عطاء بن یسار، قال: کان بین الولید و علیّ کلامٌ، فقال الولید: أنا أبسط منک لساناً، و أحدُّ منک سناناً، و أردُّ منک للکتیبة. فقال علیٌّ: «اسکت فإنّک فاسقٌ». فأنزل اللّه فیهما: (أَ فَمَنْ کانَ مُؤْمِناً کَمَنْ کانَ فاسِقاً لا یَسْتَوُونَ) الآیة.

و فی الأغانی «۲» (۴/ ۱۸۵)، و تفسیر الخازن «۳» (۳/ ۴۷۰): کان بین علیّ و الولید تنازعٌ و کلامٌ فی شیء، فقال الولید لعلیّ: اسکت فإنّک صبیٌّ و أنا شیخ، و اللّه إنّی أبسط منک لساناً، و أحدُّ منک سِناناً، و أشجع منک جناناً، و أملأ منک حشواً فی الکتیبة. فقال له علیٌّ: «اسکت فإنّک فاسقٌ». فأنزل اللّه هذه الآیة.

و أخرجه الواحدی بإسناده من طریق ابن عبّاس فی أسباب النزول «۴» (ص ۲۶۳)، و محبّ الدین الطبری فی الریاض «۵» (۲/ ۲۰۶) عن ابن عبّاس و قتادة من طریق الحافظین السلفی و الواحدی، و فی ذخائر العقبی (ص ۸۸)، و الخوارزمی فی المناقب «۶» (ص ۱۸۸)، و الکنجی فی الکفایة «۷» (ص ۵۵)، و النیسابوری فی تفسیره «۸»، و ابن کثیر فی تفسیره (۳/ ۴۶۲) قال: ذکر عطاء بن یسار و السدّی و غیرهما: أنّها نزلت فی علیّ بن أبی طالب و عقبة- فیه تصحیفٌ لا یخفی-، و رواه جمال الدین الزرندی فی نظم درر السمطین «۹».

---

(۱). جامع البیان: مج ۱۱/ ج ۲۱/ ۱۰۷.

(۲). الأغانی: ۵/ ۱۵۳.

(۳). تفسیر الخازن: ۳/ ۴۴۷.

(۴). أسباب النزول: ص ۲۳۵.

(۵). الریاض النضرة: ۳/ ۱۵۶.

(۶). المناقب: ص ۲۷۹ ح ۲۷۱.

(۷). کفایة الطالب: ص ۱۴۰ باب ۳۱.

(۸). غرائب القرآن: مج ۱۰/ ج ۲۱/ ۷۲.

(۹). نظم درر السمطین: ص ۹۲.

ص: ۸۴

و ذکره ابن أبی الحدید فی شرح النهج «۱») (۱/ ۳۹۴ و ۲/ ۱۰۳) و حکی عن شیخه: إنَّه من المعلوم الذی لا ریب فیه لاشتهار الخبر به، و إطباق الناس علیه.

و أخرجه السیوطی فی الدرّ المنثور «۲» (۴/ ۱۷۸) و قال: أخرج أبو الفرج فی الأغانی، و الواحدی، و ابن عدیّ، و ابن مردویه، و الخطیب، و ابن عساکر «۳»، من طرق عن ابن عبّاس. و أخرج ابن إسحاق و ابن جریر عن عطاء بن یسار. و أخرج ابن أبی حاتم عن السدّی رضی الله عنه مثله. و أخرج ابن أبی حاتم عن عبد الرحمن‌بن أبی لیلی رضی الله عنه. و أخرج ابن مردویه و الخطیب و ابن عساکر عن ابن عبّاس. و ذکره الحلبی فی السیرة «۴» (۲/ ۸۵).

و من شعر حسّان فی أمیر المؤمنین:

ذکر له أبو المظفر سبط ابن الجوزی الحنفیّ، فی تذکرته «۵» (ص ۱۰):

مَن ذا بخاتَمِهِ تصدّقَ راکعاً	و أسرّها فی نفسِهِ إسرارا
مَن کان باتَ علی فراش محمد	و محمد أسری یؤمُّ الغارا
مَن کان فی القرآن سُمِّیَ مؤمناً	فی تسعِ آیاتٍ تُلِینَ غِزارا«۶»

فی البیت الأوّل: إیعازٌ إلی مأثرة تصدّقه- صلوات اللّه علیه- بخاتمه للسائل راکعاً، و فیها نزل قوله تعالی: (إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا) «۷» الآیة.

---

(۱). شرح نهج البلاغة: ۴/ ۸۰ خطبة ۵۶، ۶/ ۲۹۲ خطبة ۸۳.

(۲). الدرّ المنثور: ۶/ ۵۵۳.

(۳). تاريخ مدينة دمشق: ۱۷/ ۸۷۶، و فى مختصر تاريخ دمشق: ۲۶/ ۳۴۰.

(۴). السيرة الحلبية: ۲/ ۷۶.

(۵). تذكرة الخواص: ص ۱۶.

(۶). و ذكرها الكنجى فى الكفاية: ص ۱۲۳ [ص ۲۵۱ باب ۹۲] و نسبها إلى بعضهم و فيه: فى تسع آيات جعلن كباراً. (المؤلف)

(۷). المائدة: ۵۵.

ص: ۸۵

و سنوقفک على بيانها فى شرح البيت الثالث إن شاء اللّه تعالى.

و بثانى الأبيات: أشار إلى حديث أصفقت الأمّة عليه من أنَّ عليّا عليه السلام لبس بُرد النبىِّ صلى الله عليه و آله و سلم الحضرمىَّ الأخضر، و نام على فراشه ليلة هرب النبىّ من المشركين إلى الغار، و فداه بنفسه، و نزلت فيه: (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ) «۱».

قال أبو جعفر الاسكافى كما فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد «۲» (۳/ ۲۷۰): حديث الفراش قد ثبت بالتواتر؛ فلا يجحده إلّا مجنون أو غير مخالط لأهل الملّة، و قد روى المفسِّرون كلّهم أنَّ قول اللّه تعالى: (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى) الآية: نزلت فى علىّ ليلة المبيت على الفراش.

و روى الثعلبى فى تفسيره «۳»: أنَّ النبىَّ صلى الله عليه و سلم لمّا أراد الهجرة إلى المدينة، خلّف علىّ بن أبى طالب بمكّة لقضاء ديونه، و أداء الودائع التى كانت عنده، و أمر ليلة خرج إلى الغار و قد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه، و قال له: «اتَّشح ببردى الحضرمىِّ الأخضر و نَمْ على فراشى، فإنَّه لا يصل منهم إليک مكروهٌ إن شاء اللّه تعالى».

ففعل ذلک علىٌّ عليه السلام، فأوحى اللّه تعالى إلى جبرئيل و ميكائيل: إنّى آخيت بينكما، و جعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيُّكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة، فأوحى اللّه تعالى إليهما: أ فلا كنتما مثل علىِّ بن أبى طالب؟! آخيت بينه و بين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه و يؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه. فنزلا، فكان جبرئيل عند رأسه و ميكائيل عند رجليه،

---

(۱). البقرة: ۲۰۷.

(۲). شرح نهج البلاغة: ۱۳/ ۲۶۱ خطبة ۲۳۸.

(۳). الكشف و البيان: الورقة ۵۴ سورة البقرة: آية ۲۰۷.

ص: ۸۶

و جبرئيل ينادى: بخ بخ من مثلک يا علىُّ! يباهى اللَّه تبارک و تعالى بک الملائكة.

فأنزل اللَّه على رسوله و هو متوجِّهٌ إلى المدينة فى شأن علىّ (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ). و قال ابن عبّاس: نزلت الآية فى علىّ حين هرب- رسول اللَّه- من المشركين إلى الغار مع أبى بكر، و نام على فراش النبىّ.

و حديث الثعلبىّ هذا رواه بطوله الغزالى فى إحياء العلوم (۳/ ۲۳۸)، و الكنجى فى كفاية الطالب (ص ۱۱۴)، و الصفورى فى نزهة المجالس (۲/ ۲۰۹) نقلًا عن الحافظ النسفى. و رواه ابن الصبّاغ المالكىّ فى فصوله (ص ۳۳)، و سبط ابن الجوزى الحنفى فى تذكرته (ص ۲۱) و الشبلنجى فى نور الأبصار (ص ۸۶). و فى المصادر الثلاثة الأخيرة: قال ابن عبّاس: أنشدنى أمير المؤمنين شعراً قاله فى تلک الليلة:

وقيتُ بنفسى خيرَ من وَطِئ الحصى ... و أكرمَ خلْقٍ طافَ بالبيتِ و الحِجْرِ

و بتُّ أُراعى منهمُ ما يسوؤنى ... و قد صَبَرَتْ نفسى على القتلِ و الأسرِ

و باتَ رسولُ اللَّهِ فى الغارِ آمناً ... و ما زالَ فى حفظ الإلهِ و فى السترِ«۱»

و يوجد حديث ليلة المبيت فى مسند أحمد (۱/ ۳۴۸)، تاريخ الطبرى (۲/ ۹۹- ۱۰۱)، الطبقات لابن سعد (۱/ ۲۱۲)، تاريخ اليعقوبى (۲/ ۲۹)، سيرة ابن هشام (۲/ ۲۹۱)، العقد الفريد (۳/ ۲۹۰)، تاريخ الخطيب البغدادى (۱۳/ ۱۹۱)، تاريخ ابن الأثير (۲/ ۴۲)، تاريخ أبى الفدا (۱/ ۱۲۶)، مناقب الخوارزمى (ص ۷۵)، الإمتاع للمقريزى (ص ۳۹)، تاريخ ابن كثير (۷/ ۳۳۸)، السيرة الحلبيّة (۲/ ۲۹) «۲».

---

(۱). و توجد هذه الأبيات فى مناقب الخوارزمى [ص ۱۲۷ ح ۱۴۱] مع زيادة بيت. (المؤلف)

(۲). إحياء علوم الدين: ۳/ ۲۴۴، كفاية الطالب: ص ۲۳۹ باب ۶۲، الفصول المهمّة: ص ۴۷، تذكرة الخواص: ص ۳۵، نور الأبصار: ص ۱۷۵، مسند أحمد: ۱/ ۵۷۲ ح ۳۲۴۱، تاريخ الأُمم و الملوک: ۲/ ۳۷۲ ۳۷۴، الطبقات الكبرى: ۱/ ۲۲۸، تاريخ اليعقوبى: ۲/ ۳۹، السيرة النبوية: ۲/ ۱۲۶، العقد الفريد: ۵/ ۶۱، الكامل فى التاريخ: ۱/ ۵۱۶، المناقب: ص ۱۲۷ ح ۱۴۱، البداية و النهاية: ۷/ ۳۷۴ حوادث سنة ۴۰ ه، السيرة الحلبية: ۲/ ۲۷.

و يوجد الإيعاز إلى هذه المأثرة فى حديث صحيح عن ابن عبّاس، أخرجه جمعٌ من الحفّاظ الأثبات، راجع ما مرّ (۱/ ۵۰ و ۵۱)، و هى مرويّة فى حديث عن الإمام السبط الحسن و قال: بات أمير المؤمنين يحرس رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم من المشركين، و فداه بنفسه ليلة الهجرة حتى أنزل اللّه فيه: (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ) «۱».

البيت الثالث: أشار به إلى الآيات التسع النازلة فى أمير المؤمنين التى سُمِّى فيها مؤمناً، و نحن وقفنا من تلك على عشر «۲» آيات، و لم نعرف خصوص التسع المراد لحسّان فى قوله. و قال معاوية بن صعصعة فى قصيدة له ذكرها نصر بن مزاحم فى كتاب صفّين «۳» (ص ۳۱):

و مَنْ نَزَلَتْ فيه ثلاثون آيةً تُسمِّيهِ فيها مؤمناً مخلصاً فَرْدا

سوى موجباتٍ جئنَ فيه و غيرها بها أوجبَ اللَّهُ الولايةَ و الوُدّا

و الآيات:

۱- (أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ) «۴».

مرَّ الإيعاز إلى حديث نزولها فى علىّ عليه السلام (ص ۴۶) من هذا الجزء.

۲- (هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ) «۵».

---

(۱). تذكرة السبط: ص ۱۱۵ [ص ۲۰۰]، شرح ابن أبى الحديد: ۲/ ۱۰۳ [۱۳/ ۲۶۲ خطبة ۲۳۸]، جمهرة الخطب: ۲/ ۱۲. (المؤلف)

(۲). و كذا قال الإمام الحسن السبط الزكى فى حديث: «سمّى أبى مؤمناً فى عشر آيات». (المؤلف)

(۳). وقعة صفّين: ص ۲۷.

(۴). السجدة: ۱۸.

(۵). الأنفال: ۶۲.

أخرج الحافظ أبو القاسم بن عساكر فی تاریخه «۱»، قال: أخبرنا أبو الحسن علیّ بن مسلم الشافعیّ، أخبرنا أبو القاسم بن العلا، و أبو بکر محمد بن عمر بن سلیمان العرینیّ النصیبیّ، حدّثنا أبو بکر أحمد بن یوسف بن خلّاد، حدّثنا أبو عبد اللَّه الحسین بن إسماعیل المهری، حدّثنا عبّاس بن بکّار، حدّثنا خالد بن أبی عمر الأسدی، عن الکلبی، عن أبی صالح، عن أبی هریرة قال: مکتوبٌ علی العرش: لا إله إلّا اللَّه وحدی لا شریک لی، و محمد عبدی و رسولی، أیّدته بعلیّ، و ذلک قوله فی کتابه الکریم: (هُوَ الَّذِی أَیَّدَکَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِینَ) علیٌّ وحده.

و رواه بإسناده الکنجیّ الشافعیّ فی کفایته «۲» (ص ۱۱۰) ثمّ قال: قلت: ذکره ابن جریر فی تفسیره «۳»، و ابن عساکر فی تاریخه فی ترجمة علیّ علیه السلام.

و رواه الحافظ جلال الدین السیوطی فی الدرّ المنثور «۴» (۳/ ۱۹۹) نقلًا عن ابن عساکر، و القندوزی فی ینابیعه «۵» (ص ۹۴) نقلًا عن الحافظ أبی نعیم بإسناده عن أبی هریرة، و من طریق أبی صالح عن ابن عبّاس.

و صدر الحدیث أخرجه جمعٌ من الحفّاظ منهم: الخطیب البغدادی فی تاریخه (۱۱/ ۱۷۳) بإسناده عن أنس بن مالک قال: قال النبی صلی الله علیه و سلم: «لمّا عُرج بی رأیت علی ساق العرش مکتوباً: لا إله إلّا اللَّه، محمد رسول اللَّه، أیّدته بعلیّ، نصرته بعلیّ».

و محبّ الدین الطبری فی الریاض «۶» (۲/ ۱۷۲) عن أبی الحمراء من طریق

---

(۱). تاریخ مدینة دمشق: ۱۲/ ۳۰۷، و فی ترجمة الإمام علیّ بن أبی طالب علیه السّلام- الطبعة المحقّقة-: رقم ۹۲۶ و فیها: العوفی بدل العرینی.

(۲). کفایة الطالب: ص ۲۳۴ باب ۹۲.

(۳). لم نجد هذا الحدیث فی تفسیر الطبری تحت هذه الآیة. (المؤلف)

(۴). الدرّ المنثور: ۴/ ۱۰۰.

(۵). ینابیع المودّة: ۱/ ۹۳ باب ۲۳.

(۶). الریاض النضرة: ۳/ ۱۱۷.

الملّا فی سیرته، و فی ذخائر العقبی (ص ۶۹)، و الخوارزمی فی المناقب «۱» (ص ۲۵۴)، و الحمّوئی فی فرائده «۲» فی الباب السادس و الأربعین من طریقین بلفظ: «لمّا أُسریَ بی إلی السماء رأیت فی ساق العرش مکتوباً: لا إله إلّا اللّه، محمد رسول اللّه صفوتی من خلقی، أیّدته بعلیٍّ و نصرته به».

و بإسناد آخر عن أبی الحمراء- خادم النبیِّ صلی الله علیه و آله و سلم- بلفظ: «لیلة أُسری بی رأیتُ علی ساق العرش الأیمن مکتوباً: أنا اللّه وحدی لا إله غیری، غرست جنّة عدن بیدی لمحمد صفوتی، أیّدته بعلیّ». و بهذا اللفظ رواه الحافظ السیوطی کما فی کنز العمّال «۳» (۶/ ۱۵۸) من غیر طریق عن أبی الحمراء.

و من طریق آخر عن جابر، عن النبی صلی الله علیه و آله و سلم: «مکتوبٌ فی باب الجنة قبل أن یخلق اللّه السماوات و الأرض بألفی سنة: لا إله إلّا اللّه، محمد رسول اللّه، أیّدته بعلی». و ذکره الحافظ الهیثمی فی المجمع (۹/ ۱۲۱) من طریق الطبرانی عن أبی الحمراء، و السیوطی فی الخصائص الکبری «۴» (۱/ ۷) نقلًا عن ابن عدیّ، و ابن عساکر من طریق أنس.

و روی السیِّد الهمدانی فی مودّة القربی- فی المودّة الثامنة- عن علیّ قال: «قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم: إنّی رأیت اسمک مقروناً باسمی فی أربعة مواطن: فلمّا بلغت البیت المقدس فی معراجی إلی السماء، وجدت علی صخرة بها: لا إله إلّا اللّه، محمد رسول اللّه، أیّدتُهُ بعلیٍّ وزیره. و لمّا انتهیت إلی سدرة المنتهی وجدت علیها: إنّی أنا اللّه، لا إله إلّا أنا وحدی، محمد صفوتی من خلقی، أیّدته بعلیٍّ وزیره و نصرته به. و لمّا انتهیت إلی عرش ربِّ العالمین، وجدت مکتوباً علی قوائمه: إنّی أنا اللّه، لا إله إلّا أنا،

---

(۱). المناقب: ص ۳۲۰ ح ۳۲۶.

(۲). فرائد السمطین: ۱/ ۲۳۵ ح ۱۸۳، ص ۲۳۷ ح ۱۸۵.

(۳). کنز العمّال: ۱۱/ ۶۲۴ ح ۳۳۰۴۰- ۳۳۰۴۲.

(۴). الخصائص الکبری: ۱/ ۱۳.

محمد حبیبی من خلقی، أیّدته بعلیٍّ وزیره، و نصرته به. فلمّا وصلت الجنّة، وجدت مکتوباً علی باب الجنّة: لا إله إلّا أنا، و محمد حبیبی من خلقی، أیّدته بعلیٍّ وزیره و نصرته به».

۳- (یا أَیُّهَا النَّبِیُّ حَسْبُکَ اللَّهُ وَ مَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ) «۱».

أخرج الحافظ أبو نعیم فی فضائل الصحابة بإسناده: أنّها نزلت فی علیّ، و هو المعنیُّ بقوله: المؤمنین.

۴- (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) «۲».

أخرج الخطيب الخوارزمى فى المناقب «۳» (ص ۱۸۸) و صدر الحفّاظ الكنجى فى الكفاية «۴» (ص ۱۲۲) نقلًا عن ابن جرير و غيره من المفسِّرين، أنّه نزل قوله:

(فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ) فى حمزة و أصحابه، كانوا عاهدوا اللَّه تعالى لا يُولّون الأدبار، فجاهدوا مقبلين حتى قُتلوا (وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) علىٌّ بن أبى طالب، مضى على الجهاد لم يبدِّل و لم يغيِّر الآثار.

و فى الصواعق «۵» لابن حجر (ص ۸۰): سُئل علىٌّ و هو على المنبر بالكوفة عن قوله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ). الآية.

فقال: «اللّهمَّ غفراً هذه الآية نزلت فىَّ، و فى عمِّى حمزة، و فى ابن عمّى عبيدة ابن الحارث بن عبد المطّلب. فأمّا عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر، و حمزة قضى

---

(۱). الأنفال: ۶۴.

(۲). الأحزاب: ۲۳.

(۳). المناقب: ص ۲۷۹ ح ۲۷۰.

(۴). كفاية الطالب: ص ۲۴۹ باب ۶۲.

(۵). الصواعق المحرقة: ص ۱۳۴.

نحبه شهيداً يوم أُحد، و أمّا أنا فأنتظر أشقاها، يخضب هذه من هذه- و أشار إلى لحيته و رأسه- عهد عهده إلىَّ حبيبى أبو القاسم صلى الله عليه و سلم».

۵- (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ) «۱».

أخرج أبو إسحاق الثعلبى فى تفسيره «۲» بإسناده عن أبى ذرّ الغفارى قال: أما إنّى صلّيت مع رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم يوماً من الأيام الظهر، فسأل سائلٌ فى المسجد فلم يعطه أحدٌ شيئاً، فرفع السائل يديه إلى السماء، و قال: اللّهمَّ اشهد أنّى سألت فى مسجد نبيِّک محمد صلى الله عليه و سلم فلم يعطِنى أحدٌ شيئاً، و كان علىّ عليه السلام فى الصلاة راكعاً فأومأ إليه بخنصره

اليمنى و فيه خاتم، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره، و ذلک بمرأى من النبى صلى الله عليه و سلم و هو فى المسجد، فرفع رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم طرفه إلى السماء، و قال:

«اللّهمَّ إنَّ أخى موسى سألک فقال: (رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى* وَ يَسِّرْ لِى أَمْرِى* وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِى* يَفْقَهُوا قَوْلِى* وَ اجْعَلْ لِى وَزِيراً مِنْ أَهْلِى هارُونَ أَخِى* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِى* وَ أَشْرِكْهُ فِى أَمْرِى) «٣» فانزلت عليه قرآناً (سَنَشُدُّ عَضُدَکَ بِأَخِيکَ وَ نَجْعَلُ لَکُما سُلْطاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْکُما) «۴» اللّهمَّ، و إنّى محمد نبيّک و صفيّک، اللّهمَّ و اشرحْ لى صدرى، و يسِّر لى أمرى، و اجعل لى وزيراً من أهلى، عليّا أشدد به ظهرى».

قال أبو ذر رضى الله عنه: فما استتمَّ دعاءه حتى نزل جبرئيل عليه السلام من عند اللَّه و قال: يا محمد اقرأ (إِنَّما وَلِيُّکُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا) الآية.

---

(١). المائدة: ۵۵.

(٢). الكشف و البيان: الورقة ١٨٠ سورة المائدة: آية ۵۵.

(٣). سورة طه: ٢۵- ٣٢.

(۴). القصص: ٣۵.

أخرج هذه الأثارة و نزول الآية فيها، جمع كثير من أئمّة التفسير و الحديث منهم: الطبرى فى تفسيره (۶/ ١۶۵) من طريق ابن عبّاس، و عتبة بن أبى حكيم، و مجاهد. الواحدى فى أسباب النزول (ص ١۴٨) من طريقين. الرازى فى تفسيره (٣/ ۴٣١) عن عطاء، عن عبد اللَّه بن سلام و ابن عبّاس و حديث أبى ذرّ المذكور. الخازن فى تفسيره (١/ ۴٩۶). أبو البركات فى تفسيره (١/ ۴٩۶). النيسابورى فى تفسيره (٣/ ۴۶١). ابن الصبّاغ المالكى فى الفصول المهمّة (ص ١٢٣) حديث الثعلبى المذكور. ابن طلحة الشافعى فى مطالب السؤول (ص ٣١) بلفظ أبى ذرّ المذكور. سبط ابن الجوزى فى التذكرة (ص ٩) عن تفسير الثعلبى، عن السدّى، و عتبة، و غالب بن عبد اللَّه. الكنجى الشافعى فى الكفاية (ص ١٠۶) بإسناده عن أنس و (ص ١٢٢) عن ابن عبّاس، من طريق حافظ العراقين و الخوارزمى و ابن عساكر، عن أبى نعيم و القاضى أبى المعالى. الخوارزمى فى مناقبه (ص ١٧٨) بطريقين. الحمّوئى فى فرائده فى الباب الرابع عشر، من طريق الواحدى، و فى التاسع و الثلاثين عن أنس، و من طرق أخرى عن ابن عبّاس، و فى الباب الأربعين عن ابن عبّاس و عمّار بن ياسر. القاضى عضد الإيجى فى المواقف (٣/ ٢٧۶). محبّ الدين الطبرى فى الرياض (٢/ ٢٢٧) عن عبد اللَّه بن سلام، من طريق الواحدى و أبى الفرج و الفضائلى، و (ص ٢٠۶)، و فى الذخائر (ص ١٠٢) من طريق الواقدى و ابن الجوزى. ابن كثير الشامى فى تفسيره (٢/ ٧١) بطريق عن أمير المؤمنين، و من طريق ابن أبى حاتم عن سلمة بن كهيل، و عن ابن جرير الطبرى بإسناده عن مجاهد و السدّى، و عن الحافظ عبد الرزاق

بإسناده عن ابن عبّاس، و بطريق الحافظ ابن مردويه بالإسناد عن سفيان الثورى عن ابن عبّاس، و من طريق الكلبى عن ابن عبّاس و قال: هذا إسناد لا يقدح به، و عن الحافظ ابن مردويه بلفظ أمير المؤمنين، و عمّار، و أبى رافع. ابن كثير أيضاً فى البداية و النهاية (٧/ ٣٥٧) عن الطبرانى بإسناده عن أمير المؤمنين، و من طريق ابن عساكر عن سلمة ابن كهيل. الحافظ السيوطى فى جمع الجوامع كما فى الكنز (٦/ ٣٩١) من

ص: ٩٣

طريق الخطيب فى المتّفق عن ابن عبّاس، و (ص ٤٠٥) من طريق أبى الشيخ و ابن مردويه عن أمير المؤمنين. ابن حجر فى الصواعق (ص ٢٥). الشبلنجى فى نور الأبصار (ص ٧٧) حديث أبى ذرّ المذكور عن الثعلبى. الآلوسى فى روح المعانى (٢/ ٣٢٩) «١» و غيرهم.

و لحسّان بن ثابت فى هذه المأثرة شعر يأتى «٢» إن شاء اللّه‌تعالى.

٦- (أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جاهَدَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ) «٣».

أخرج الطبرى فى تفسيره «۴» (١٠/ ٥٩) بإسناده عن أنس أنّه قال: قعد العبّاس و شيبة بن عثمان- صاحب البيت- يفتخران، فقال له العبّاس: أنا أشرف منك، أنا عمُّ رسول اللّه، و وصىُّ أبيه، و ساقى الحجيج. فقال شيبة: أنا أشرف منك، أنا أمين اللّه على بيته و خازنه، أ فلا ائتمنك كما ائتمننى؟!

فهما على ذلك يتشاجران، حتى أشرف عليهما علىٌّ، فقال له العبّاس: إنَّ شيبة فاخرنى، فزعم أنّه أشرف منّى، فقال: «فما قلت له يا عمّاه؟». قال: قلت: أنا عمُّ رسول اللّه، و وصىُّ أبيه، و ساقى الحجيج، أنا أشرف منك. فقال لشيبة: «ما ذا قلت

---

(١). جامع البيان: مج ۴/ ج ۶/ ٢٨٨، أسباب النزول: ص ١٣٣، التفسير الكبير: ١٢/ ٢۶، تفسير الخازن: ١/ ۴٧٥، تفسير النسفى: ١/ ٢٨٩، غرائب القرآن: مج ٣/ ج ۶/ ١۶٧- ١۶٩، الفصول المهمّة: ص ١٢٢، تذكرة الخواص: ص ١٥، كفاية الطالب: ص ٢٢٩ باب ۶١، ص ٢٥٠ باب ۶٢، تاريخ مدينة دمشق: ١٢/ ٣٠٥، و فى ترجمة الإمام علىّ بن أبى طالب ٧- الطبعة المحقّقة-: رقم ٩١۶، المناقب: ص ٢۶۴ ح ٢۴۶، ص ٢۶۶ ح ٢۴٨، فرائد السمطين: ١/ ٧٩ ح ۴٩، ص ١٨٧ ح ١۴٩، ص ١٩٣ ح ١٥٢، ص ١٩۴ ح ١٥٣، المواقف فى علم الكلام: ص ۴٠۴، الرياض النضرة: ٣/ ١٨٢ باب ۴ فصل ٩، ص ١٥۶ فصل ۶، البداية و النهاية: ٧/ ٣٩۴ حوادث سنة ۴٠ ه، كنز العمّال: ١٣/ ١٠٨ ح ٣۶٣۵۴، ص ١۶٥ ح ٣۶٥٠١، الصواعق المحرقة: ص ۴١، نور الأبصار: ص ١٥٨، روح المعانى: ۶/ ١۶٧.

(٢). ص ١٠١.

(٣). التوبة: ١٩.

(۴). جامع البيان: مج ۶/ ج ۱۰/ ۹۵.

ص: ۹۴

أنت يا شيبة؟» قال: قلت: أنا أشرف منک، أنا أمين اللّه على بيته و خازنه، أ فلا ائتمنک كما ائتمننى؟!

قال: فقال لهما: «اجعلانى معكما فخراً». قالا: نعم. قال: «فأنا أشرف منكما، أنا أوّل من آمن بالوعيد من ذكور هذه الأمّة، و هاجر، و جاهد».

و انطلقوا ثلاثتهم إلى النبىّ، فأخبر كلُّ واحد منهم بمفخره، فما أجابهم النبىُّ بشىء، فانصرفوا عنه، فنزل جبرئيل عليه السلام بالوحى بعد أيّام فيهم، فأرسل النبىُّ إليهم ثلاثتهم حتى أتوه، فقرأ عليهم: (أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ) الآية.

حديث هذه المفاخرة و نزول الآية فيها أخرجه كثيرٌ من الحفّاظ و العلماء مجملًا و مفصّلًا، منهم: الواحدى فى أسباب النزول «۱» (ص ۱۸۲) نقلًا عن الحسن و الشعبى و القرظى. القرطبى فى تفسيره «۲» (۸/ ۹۱) عن السدِّى. الرازى فى تفسيره «۳» (۴/ ۴۲۲). الخازن فى تفسيره «۴» (۲/ ۲۲۱) قال: و قال الشعبى و محمد بن كعب القرظى: نزلت فى علىّ بن أبى طالب و العبّاس بن عبد المطّلب و طلحة بن أبى شيبة «۵» افتخروا فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدى مفاتيحه. و قال العبّاس: و أنا صاحب السقاية و القيام عليها. و قال علىّ: «ما أدرى ما تقولون، لقد صلّيت إلى القبلة ستّة أشهر قبل الناس، و أنا صاحب الجهاد». فأنزل اللّه هذه الآية.

---

(۱). أسباب النزول: ص ۱۶۴.

(۲). الجامع لأحكام القرآن: ۸/ ۵۹.

(۳). التفسير الكبير: ۱۶/ ۱۱.

(۴). تفسير الخازن: ۲/ ۲۱۱.

(۵). ليس هناک من يسمّى طلحة بن أبى شيبة! و إنّما الصواب فيه ما تقدّم عن الطبرى، و هو شيبة بن عثمان بن أبى طلحة. قال ابن عبد البرّ فى الاستيعاب: القسم الثانى/ ۷۱۲ رقم ۱۲۰۵: شيبة هذا هو جدّ بنى شيبة حَجَبَة الكعبة إلى اليوم دون سائر الناس. أقول: و لا زال مفاتح الكعبة بيد بنى شيبة حتى يومنا هذا. (الطباطبائى)

ص: ۹۵

و منهم: أبو البركات النسفى فى تفسيره «۱» (۲/ ۲۲۱). الحمّوئى فى الفرائد «۲» فى الباب الواحد و الأربعين بإسناده عن أنس. ابن الصبّاغ المالكىّ فى الفصول المهمّة «۳» (ص ۱۲۳) من طريق الواحدى عن الحسن و الشعبى و القرظى. جمال الدين محمد بن يوسف الزرندى فى نظم درر السمطين «۴». الكنجى فى الكفاية «۵» (ص ۱۱۳) من طريق ابن جرير و ابن عساكر «۶»، عن أنس بلفظه المذكور. ابن كثير الشامى فى تفسيره (۲/ ۳۴۱) عن الحافظ عبد الرزاق بإسناده عن الشعبى، و من طريق ابن جرير عن محمد بن كعب القرظى، و عن السدّى و فيه: افتخر علىٌّ و العبّاس و شيبة كما مرّ، و من طريق الحافظ عبد الرزاق أيضاً عن الحسن، و محمد بن ثور عن معمر، عن الحسن. الحافظ السيوطى فى الدرّ المنثور «۷» (۳/ ۲۱۸) من طريق الحافظ ابن مردويه عن ابن عبّاس، و من طريق الحفّاظ عبد الرزاق و ابن أبى شيبة و ابن جرير و ابن منذر و ابن أبى حاتم و أبى الشيخ عن الشعبى، و عن ابن مردويه عن الشعبى، و عن عبد الرزاق عن الحسن، و من طريق ابن أبى شيبة و أبى الشيخ و ابن مردويه عن عبيد اللّه بن عبيدة، و من طريق الفريابى عن ابن سيرين، و عن ابن جرير عن محمد بن كعب القرظى، و من طريق ابن جرير و أبى الشيخ عن الضحّاك، و عن الحافظين أبى نعيم و ابن عساكر بإسنادهما عن أنس، باللفظ المذكور.

و منهم: الصفورى فى نزهة المجالس (۲/ ۲۴۲) و فى طبعةٍ (۲۰۹) نقلًا عن شوارد

---

(۱). تفسير النسفى: ۲/ ۱۲۰.

(۲). فرائد السمطين: ۱/ ۲۰۳ ح ۱۵۹.

(۳). الفصول المهمّة: ص ۱۲۲.

(۴). نظم درر السمطين: ص ۸۸- ۸۹.

(۵). كفاية الطالب: ص ۲۳۸ باب ۶۲.

(۶). تاريخ مدينة دمشق: ۱۲/ ۳۰۵، و فى ترجمة الامام علىّ بن أبى طالب ۷- الطبعة المحقّقة-: رقم ۹۱۷.

(۷). الدرّ المنثور: ۴/ ۱۴۶.

المُلَح و موارد المِنَح: إنَّ العبّاس و حمزة تفاخرا، فقال حمزة: أنا خيرٌ منك لأنّى على عمارة الكعبة. و قال العبّاس: أنا خيرٌ منك لأنّى على سقاية الحاجّ. فقالا: نخرج إلى الأبطح و نتحاكم إلى أوّل رجل نلقاه، فوجدا عليّا رضى الله عنه فتحاكما على يديه فقال: «أنا خيرٌ منكما لأنّى سبقتكما إلى الإسلام». فأخبر النبىَّ بذلک، فضاق صدره لافتخاره على عمّيه، فأنزل اللّه تعالى تصديقاً لكلام علىّ و بياناً لفضله: (أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ) الآية.

و لا يسعنا ذكر جميع المصادر التى وقفنا فيها على هذه المفاخرة و نزول الآية فيها «۱»، و كذلک فى بقيّة الآيات و الأحاديث، بل لم نذكر جلّها رَوماً للاختصار، و قد بسطنا القول فى جميعها فى كتابنا العترة الطاهرة فى الكتاب العزيز، يتضمّن الآيات النازلة فيهم- صلوات اللّه عليهم.

و هذه المفاخرة و نزول الآية فيها نظمها غير واحد من شعراء السلف الحافظين لناموس الحديث، كسيِّد الشعراء الحميرى، و الناشئ، و البشنوى، و نظرائهم، و ستقف عليه فى تراجمهم إن شاء اللّه.

۷- (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا) «۲».

أخرج أبو إسحاق الثعلبى فى تفسيره «۳»، بإسناده عن البراء بن عازب قال:

---

(۱). ابن أبى شيبة فى المصنّف: ح ۱۲۱۷۳، محمد بن سليمان الصنعانى فى مناقب أمير المؤمنين ۷: ح ۷۴ و ۸۴ و ۱۱۷ و ۱۱۸، و منهم الخطيب البغدادى فى الأسماء المبهمة: ص ۴۷۳، و الحاكم الحسكانى فى شواهد التنزيل: ح ۳۲۸- ۳۳۸، و ابن المغازلى فى كتاب مناقب أمير المؤمنين ۷ بطريقين: ح ۳۶۷ و ۳۶۸، و الحاكم الجشمى فى تنبيه الغافلين، و الزمخشرى فى ربيع الأبرار: ۳/ ۴۲۴، و ابن عساكر فى تاريخه فى ترجمة أمير المؤمنين ۷: ح ۹۱۷ تحقيق العلّامة المحمودى، و ابن الأثير فى جامع الأصول: ۹/ ۴۷۷، و الشوكانى فى فتح القدير: ۲/ ۳۰۳. (الطباطبائى)

(۲). مريم: ۹۶.

(۳). الكشف و البيان: الورقة ۱۹ سورة مريم: آية ۹۶.

قال رسول اللّه صلى الله عليه و سلم لعلىّ: «قل: اللّهمَّ اجعل لى عندک عهداً، و اجعل لى فى صدور المؤمنين مودّة». فأنزل اللّه هذه الآية.

و رواه أبو المظفّر سبط ابن الجوزى الحنفىّ فى تذكرته «۱» (ص ۱۰) و قال: و رُوى عن ابن عبّاس أنَّ هذا الودّ جعله اللّه لعلىّ فى قلوب المؤمنين.

و فى مجمع الزوائد (۹/ ۱۲۵) عن ابن عبّاس قال: نزلت فى علىّ بن أبى طالب (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) الآية. قال: محبّة فى قلوب المؤمنين.

و أخرج الخطيب الخوارزمى فى مناقبه «۲» (ص ۱۸۸) حديث ابن عبّاس، و بعده بالإسناد عن علىّ عليه السلام أنّه قال: «لقينى رجلٌ فقال: يا أبا الحسن و اللّه إنّى أُحبّک فى اللّه. فرجعت إلى رسول اللّه فأخبرته بقول الرجل، فقال: لعلّک يا علىُّ

اصطنعت إليه معروفاً. قال: فقلت: و اللّه ما اصطنعت إليه معروفاً. فقال رسول اللّه: الحمد للّه الذى جعل قلوب المؤمنين تتوق إليک بالمودّة، فنزل قوله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا). ..».

و أخرجه صدر الحفّاظ الكنجى فى الكفاية «۳» (ص ۱۲۱). و أخرج محبُّ الدين الطبرى فى رياضه «۴» (۲/ ۲۰۷) فى الآية من طريق الحافظ السلفى، عن ابن الحنفيّة: لا يبقى مؤمنٌ إلّا و فى قلبه ودٌّ لعلىّ و أهل بيته.

و أخرج الحمّوئى فى فرائده «۵» فى الباب الرابع عشر، من طريق الواحدى بسندين عن ابن عبّاس، و السيوطى فى الدرّ المنثور «۶» (۴/ ۲۸۷) من طريق الحافظ

---

(۱). تذكرة الخواص: ص ۱۷.

(۲). المناقب: ص ۲۷۸ ح ۲۶۸ و ۲۶۹.

(۳). كفاية الطالب: ص ۲۴۸ باب ۶۲.

(۴). الرياض النضرة: ۳/ ۱۵۷.

(۵). فرائد السمطين: ۱/ ۷۹ ح ۵۰- ۵۱.

(۶). الدرّ المنثور: ۵/ ۵۴۴.

ابن مردويه و الديلمى عن البراء، و من طريق الطبرانى و ابن مردويه عن ابن عبّاس، و القسطلانى فى المواهب «۱» (۷/ ۱۴) من طريق النقّاش، و الشبلنجى فى نور الأبصار «۲» (ص ۱۱۲) عن النقّاش، و ذكر ما مرّ عن ابن الحنفيَّة، و الحضرمى فى رشفة الصادى (ص ۲۵).

۸- (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) «۳».

قال أبو المظفّر سبط ابن الجوزى الحنفى فى تذكرته «۴» (ص ۱۱): قال السدّى عن ابن عبّاس: نزلت هذه الآية فى علىّ عليه السلام يوم بدر: فَ (الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ) عتبة و شيبة و الوليد و المغيرة، (و كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) علىٌّ عليه السلام.

و تجد ما يقرب منه فى كفاية الكنجى «۵» (ص ۱۲۰).

۹- (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِکَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) «۶».

أخرج الطبرى فى تفسيره «۷» (۳۰/ ۱۴۶) بإسناده عن أبى الجارود، عن محمد ابن علىّ: (أُولئِکَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ). فقال: «قال النبىُّ صلى الله عليه و سلم: أنت يا علىُّ و شيعتک».

و روى الخوارزمى فى مناقبه «۸» (ص ۶۶) عن جابر، قال: كنّا عند النبى صلى الله عليه و سلم فأقبل علىُّ بن أبى طالب، فقال رسول اللَّه: «قد أتاكم أخى، ثمّ التفت إلى الكعبة

---

(۱). المواهب اللدنية: ۳/ ۳۶۶.

(۲). نور الأبصار: ص ۲۲۶.

(۳). الجاثية: ۲۱.

(۴). تذكرة الخواص: ص ۱۷.

(۵). كفاية الطالب: ص ۲۴۷ باب ۶۲.

(۶). البيّنة: ۷.

(۷). جامع البيان: مج ۱۵/ ج ۳۰/ ۲۶۴.

(۸). المناقب: ص ۱۱۱ ح ۱۲۰، ص ۲۶۵ ح ۲۴۷.

فضربها بيده. ثمّ قال: و الذى نفسى بيده، إنَّ هذا و شيعته هم الفائزون يوم القيامة.

ثمّ قال: إنّه أوّلكم إيماناً معى، و أوفاكم بعهد اللَّه، و أقومكم بأمر اللَّه، و أعدلكم فى الرعيّة، و أقسمكم بالسويّة، و أعظمكم عند اللَّه مزيّة».

قال: و فى ذلک الوقت نزلت فيه: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِکَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)، و كان أصحاب النبىِّ صلى الله عليه و سلم إذا أقبل علىٌّ قالوا: قد جاء خير البريّة.

و روى فى (ص ۱۷۸) من طريق الحافظ ابن مردويه، عن يزيد بن شراحيل الأنصارى كاتب علىّ عليه السلام، قال: سمعت عليّا يقول: «حدّثنى رسول اللَّه و أنا مسنده إلى صدرى، فقال: أى علىّ، أ لَمْ تسمع قول اللَّه تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِکَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)؟ أنت و شيعتک، و موعدى و موعدكم الحوض، إذا جاءت الأُمم للحساب تُدعَون غُرّا محجَّلين».

و أخرج الكنجى فى الكفاية «۹» (ص ۱۱۹) حديث يزيد بن شراحيل.

و أرسل ابن الصبّاغ المالكى فى فصوله «۱۰» (ص ۱۲۲) عن ابن عبّاس، قال: لمّا نزلت هذه الآية قال النبىّ صلى الله عليه و سلم لعلىّ: «أنت و شيعتک، تأتى يوم القيامة أنت و هم راضين مرضيِّين، و يأتى أعداؤک غضاباً مُقمحين».

و روى الحمّوئى فى فرائده «۱۱» بطريقين عن جابر: أنّها نزلت فى علىّ، و كان أصحاب محمد إذا أقبل علىٌّ قالوا: قد جاء خير البريّة.

و قال ابن حجر فى الصواعق «۱۲» (ص ۹۶) فى عدِّ الآيات الواردة فى أهل البيت:

---

(۹). كفاية الطالب: ص ۲۴۶ باب ۶۲.

(۱۰). الفصول المهمّة: ص ۱۲۱.

(۱۱). فرائد السمطين: ۱/ ۱۵۶ ح ۱۱۸ باب ۳۱.

(۱۲). الصواعق المحرقة: ص ۱۶۱ باب ۱۱.

الآية الحادية عشرة قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِکَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ).

أخرج الحافظ جمال الدين الزرندى «۱»، عن ابن عبّاس رضى الله عنه: إنَّ هذه الآية لمّا نزلت قال صلى الله عليه و آله و سلم لعلىّ: «هو أنت و شيعتک، تأتى أنت و شيعتک يوم القيامة راضين مرضيِّين، و يأتى عدوُّک غضاباً مقمحين. قال: و من عدوّى؟ قال: من تبرّأ منک و لعنک. ثمَّ قال رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم: و من قال: رحم اللَّه عليّا، رحمه اللَّه».

و قال جلال الدين السيوطى فى الدرّ المنثور «۲» (۶/ ۳۷۹): أخرج ابن عساكر «۳» عن جابر بن عبد اللَّه قال: كنّا عند النبىّ صلى الله عليه و سلم فأقبل علىٌّ، فقال النبىُّ صلى الله عليه و سلم: «و الذى نفسى بيده، إنَّ هذا و شيعته لهم الفائزون يوم القيامة».

و نزلت: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِکَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)، فكان أصحاب النبىّ صلى الله عليه و سلم إذا أقبل علىٌّ قالوا: جاء خير البريّة.

و أخرج ابن عدىّ عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) الآية: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم لعلىّ: «أنت و شيعتک يوم القيامة راضين مرضيِّين».

و أخرج ابن مردويه عن علىّ قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم، و ذكر حديث يزيد بن شراحيل المذكور، و ذكر الشبلنجى فى نور الأبصار «۴» (ص ۷۸ و ۱۱۲) عن ابن عبّاس باللفظ المذكور عن ابن الصبّاغ المالكىّ.

---

(۱). نظم درر السمطين: ص ۹۲.

(۲). الدرّ المنثور: ۸/ ۵۸۹.

(۳). تاريخ مدينة دمشق: ۱۲/ ۳۱۳، و فى ترجمة الامام علىّ بن أبى طالب عليه السّلام- الطبعة المحقّقة-: رقم ۹۵۸.

(۴). نور الأبصار: ص ۱۵۹، ۲۲۶.

ص: ۱۰۱

۱۰- (وَ الْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِى خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ).

قال جلال الدين السيوطى فى الدرّ المنثور «۱» (۶/ ۳۹۲): أخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس فى قوله تعالى: (وَ الْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِى خُسْرٍ). يعنى أبا جهل بن هشام (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) ذكر عليّا و سلمان.

و من شعر حسّان فى أمير المؤمنين:

أبا حسنٍ تَفْديکَ نفسى و مهجتى ... و كلُّ بطىءٍ فى الهُدى و مُسارعِ

أ يذهبُ مدحى و المحبِّينَ ضائعاً ... و ما المدحُ فى ذات الإله بضائعِ

فأنت الذى أعطيتَ إذ أنتَ راكعٌ ... فدتْکَ نفوسُ القومِ يا خيرَ راكعِ

بخاتَمِک «۲» الميمونِ يا خير سيِّدٍ ... و يا خيرَ شارٍ ثمَّ يا خير بائعِ

فأنزل فيک اللَّهُ خيرَ ولايةٍ ... و بيّنها فى مُحْكَماتِ الشَّرائعِ

نظم بها حديث تصدّق أمير المؤمنين عليه السلام بخاتمه للسائل راكعاً و نزول قوله تعالى: (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ) فيه كما مرّ حديثه (ص ۵۲).

ذكرها لحسّان الخطيب الخوارزمى فى المناقب «۳» (ص ۱۷۸)، و شيخ الإسلام الحمّوئى فى فرائده «۴» فى الباب التاسع و الثلاثين، و صدر الحفّاظ الكنجىّ فى الكفاية «۵» (ص ۱۰۷)، و سبط ابن الجوزى فى تذكرته «۶» (ص ۱۰)، و جمال الدين الزرندى فى

---

(۱). الدرّ المنثور: ۸/ ۶۲۲.

(۲). كذا بالباء، و هو مفعول ل «أعطى» الذى يتعدّى بنفسه.

(۳). المناقب: ص ۲۶۴ ح ۲۴۶.

(۴). فرائد السمطين: ۱/ ۱۹۰ ح ۱۵۰.

(۵). كفاية الطالب: ص ۲۲۹ باب ۶۱.

(۶). تذكرة الخواص: ص ۱۵.

نظم درر السمطين «۱».

و من شعر حسّان فى أمير المؤمنين:

جبريلُ نادى معلناً و النقعُ ليس بمنجلى

و المسلمون قد أحدقوا حول النبىَّ المرسلِ

لا سيف إلّا ذو الفقار و لا فتى إلّا على

يشير بها إلى ما هتف به أمين الوحى جبرئيل عليه السلام يوم أُحد فى علىٍّ و سيفه.

أخرج الطبرى فى تاريخه «۲» (۳/ ۱۷) عن أبى رافع، قال: لمّا قَتل علىٌّ بن أبى طالب يوم أُحد أصحاب الألوية، أبصر رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم جماعةً من مشركى قريش، فقال لعلىٍّ: «احمل عليهم». فحمل عليهم ففرّق جمعهم، و قتل عمرو بن عبد اللَّه الجمحى.

قال: ثمَّ أبصر رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم جماعةً من مشركى قريش، فقال لعلىّ: «احمل عليهم». فحمل عليهم ففرّق جماعتهم، و قتل شيبة بن مالك.

فقال جبريل: يا رسول اللَّه إنَّ هذا للمواساة. فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم: «إنّه منّى و أنا منه». فقال جبريل: و أنا منكما.

قال: فسمعوا صوتاً:

لا سيف إلّا ذو الفقار و لا فتى إلّا على

و أخرجه أحمد بن حنبل فى الفضائل «۳» عن ابن عبّاس، و ابن هشام فى

---

(۱). نظم درر السمطين: ص ۸۸.

(۲). تاريخ الأُمم و الملوک: ۲/ ۵۱۴ حوادث سنة ۳ ه.

(۳). فضائل الصحابة: ۲/ ۶۵۷ رقم ۱۱۱۹، و فى مناقب علىّ لأحمد بن حنبل: رقم ۲۴۱، و فى الرياض النضرة: ۳/ ۱۳۷، و ذخائر العقبى: ص ۶۸، و سمط النجوم العوالى: ۲/ ۴۸۵ كلّهم عن أحمد فى مناقب علىّ، و هو إلى قوله: و أنا منكما يا رسول اللَّه. و أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير فى ترجمة أبى رافع: ۱/ ۲۹۷ ح ۹۴۱، و ابن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق فى ترجمة الإمام علىّ بن أبى طالب عليه السّلام- الطبعة المحقّقة-: رقم ۱۶۷، ۲۱۵. (الطباطبائى)

سيرته «۱» (۳/ ۵۲) عن ابن أبى نُجيح، و الخثعمى فى الروض الأُنف «۲» (۲/ ۱۴۳)، و ابن أبى الحديد فى شرح النهج «۳» (۱/ ۹) و قال: إنَّه المشهور المروىّ. و فى (۲/ ۲۳۶) و قال: إنَّ رسول اللَّه قال: «هذا صوت جبرئيل»، و (۳/ ۲۸۱).

و الخوارزمی فی المناقب «۴» (ص ۱۰۴) عن محمد بن إسحاق بن یسار، قال: هاجت ریحٌ فی ذلک الیوم، فسُمِعَ منادٍ یقول:

لا سیف إلّا ذو الفقار و لا فتی إلّا علی

فإذا ندبتمْ هالکاً فابکوا الوفیّ أخا الوفیّ«۵»

و روی الحمّوئی نحوه فی فرائده «۶» فی الباب التاسع و الأربعین، و روی بإسناده من طرق شتّی عن الحافظ البیهقی إلی علیّ علیه السلام قال:

«أتی جبریل النبیَّ صلی الله علیه و سلم فقال: إنَّ صنماً فی الیمن مُغفَّراً فی حدید، فابعث إلیه فادققه، و خذ الحدید.

قال: فدعانی و بعثنی إلیه، فدققت الصنم، و أخذت الحدید، فجئت به إلی رسول اللّه، فاستنصرت منه سیفین، فسمّی واحداً ذا الفقار، و الآخر مِجْذَماً، فتقلّد

---

(۱). السیرة النبویة: ۳/ ۱۰۶.

(۲). الروض الأُنف: ۶/ ۴۷.

(۳). شرح نهج البلاغة: ۱/ ۲۹ المقدمة، ۱۳/ ۲۹۳ خطبة ۲۳۸، ۱۴/ ۲۵۱.

(۴). المناقب: ص ۱۷۳ ح ۲۰۸.

(۵). یعنی حمزة سیّد الشهداء، قتیل ذلک الیوم سلام اللّه علیه. (المؤلف)

(۶). فرائد السمطین: ۱/ ۲۵۲ ح ۱۹۴ باب ۴۸.

رسول اللّه ذا الفقار، و أعطانی مِجْذَماً، ثمَّ أعطانی بعد ذا الفقار، و رآنی رسول اللّه و أنا أقاتل دونه یوم أُحد، فقال:

لا سیفَ إلّا ذو الفقار و لا فتی إلّا علی«

و فی تذکرة سبط ابن الجوزی «۷» (ص ۱۶): ذکر أحمد فی الفضائل أیضاً أنّهم سمعوا تکبیراً من السماء فی ذلک الیوم یوم خیبر و قائلًا یقول:

لا سیف إلّا ذو الفقارِ و لا فتی إلّا علی

فاستأذن حسّان بن ثابت رسول اللّه صلی الله علیه و سلم أن ینشد شعراً، فأذن له، فقال:

جبریلُ نادی مُعلناً و النقعُ لیس بمنجلی

إلی آخر الأبیات المذکورة.

ثمّ قال ما ملخّصه یقال: إنَّ الواقعة کانت یوم أُحد، کما رواه أحمد بن حنبل عن ابن عبّاس، و قیل: إنَّ ذلک کان یوم بدر، و الأصحّ أنّه کان فی یوم خیبر، فلم یطعن فیه أحدٌ من العلماء. انتهی.

قال الأمینی: إنَّ الأحادیث تؤذننا بتعدّد الواقعة، و أنَّ المنادی یوم أُحد کان جبریل کما مرَّ، و المنادی یوم بدر ملَک یقال له رضوان. قد أجمع أئمّة الحدیث علی نقله، کما قال الکنجی،

و أخرجه فی کفایته «۸» (ص ۱۴۴) من طریق أبی الغنائم، و ابن الجوزی، و السلفی، و ابن الجالیقی، و ابن أبی الوفاء البغدادی، و ابن الولید، و ابن أبی الفهم، و المفتی عبد الکریم الموصلی، و محمد بن القاسم العدل، و الحافظ محمد بن محمود، و ابن أبی البدر، و الفقیه عبد الغنی بن أحمد، و صدقة بن الحسین، و یوسف

---

(۷). تذکرة الخواص: ص ۲۶. و راجع فیه کلام مؤلفه بتفصیله.

(۸). کفایة الطالب: ص ۲۷۷- ۲۸۰ باب ۶۹. و أخرجه فیه بعدّة طرق أخری منها عن البیهقی عن النیسابوری فی المناقب.

ابن شروان المقری، و الصاحب أبی المعالی الدوامی، و ابن بطّة، و شیخ الشیوخ عبد الرحمن بن عبد اللطیف، و علیّ بن محمد المقری، و ابن بکروس، و الحافظ [علیّ] بن المعالی، و أبی عبد اللّه محمد بن عمر، بأسانیدهم عن سعد بن طریف الحنظلی، عن أبی جعفر محمد بن علیّ- الإمام الباقر- قال: «نادی ملَک من السماء یوم بدر یقال له رضوان:

لا سيف إلّا ذو الفقار و لا فتى إلّا على«

ثمّ قال: قلت: أجمع أئمّة الحديث على نقل هذا الجزء كابراً عن كابر، رزقناه عالياً بحمد اللّه عن الجمّ الغفير كما سقناه، و رواه الحاكم مرفوعاً، و أخرجه عنه البيهقى فى مناقبه، أخبرنا بذلک الحافظ ابن النجّار، أخبرنا المؤيَّد الطوسى- إلى آخر السند- عن جابر بن عبد اللّه قال: قال رسول اللّه يوم بدر: «هذا رضوان ملک من ملائكة اللّه ينادى:

لا سيف إلّا ذو الفقار و لا فتى إلّا على«

و أخرجه محبّ الدين الطبرى باللفظ المذكور فى رياضه «١» (٢/ ١٩٠)، و ذخائر العقبى (ص ٧٤)، و الخوارزمى فى المناقب «٢» (ص ١٠١) حديث جابر، و فى كتاب صفّين لنصر بن مزاحم «٣» (ص ٢٥٧) و فى طبع مصر (ص ٥۴۶) عن جابر بن نُمير- الصحيح عُمير- الأنصارى قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم يقول كثيراً:

لا سيف إلّا ذو الفقار و لا فتى إلّا على

و من شعر حسّان:

---

(١). الرياض النضرة: ٣/ ١٣٧.

(٢). المناقب: ص ١۶٧ ح ٢٠٠.

(٣). وقعة صفّين: ص ۴٧٨. الغدير، العلامة الأمينى ج٢ ١٠۶ و من شعر حسان فى أمير المؤمنين: ..... ص : ٨١

ص: ١٠۶

و إنْ مريمٌ أحصنت فرجها و جاءت بعيسى كبدر الدجى

فقد أحصنت فاطمٌ بعدها و جاءت بسبطَی نبیِّ الهدی«۱»

یشیر إلی ما صحَّ عن النبیِّ الطاهر فی بضعته الصدّیقة فاطمة:

«إنَّ فاطمة أحصنت فرجها، فحرّم اللّه ذریّتها علی النار».

أخرجه الحاکم فی المستدرک «۲» (۳/ ۱۵۲) و قال: هذا حدیثٌ صحیح الإسناد. و الخطیب فی تاریخه (۳/ ۵۴)، و محبّ الدین الطبری فی ذخائر العقبی (ص ۴۸) عن تمّام فی فوائده «۳»، و صدر الحفّاظ الکنجیّ الشافعیّ فی الکفایة «۴» (ص ۲۲۲) بإسناده عن حذیفة بن الیمان، قال: قال رسول اللّه: «إنَّ فاطمة أحصنت فرجهافحرَّمها اللّه و ذریّتها علی النار».

و فی (ص ۲۲۳) بسند آخر عن ابن مسعود بلفظ حذیفة. و السیوطی فی إحیاء المیت (ص ۲۵۷) عن ابن مسعود من طریق البزّار و أبی یعلی و العقیلی و الطبرانی «۵» و ابن شاهین، و أخرجه فی جمع الجوامع «۶» من طریق البزّار «۷» و العقیلی و الطبرانی و الحاکم بلفظ حذیفة الیمانی.

و ذکر المتّقی الهندی فی إکماله فی کنز العمّال «۸» (۶/ ۲۱۹) من طریق الطبرانی بلفظ: «إنَّ فاطمة أحصنت فرجها، و إنَّ اللّه أدخلها بإحصان فرجها و ذریّتها الجنّة».

---

(۱). ذکره ابن شهرآشوب السرَوی فی المناقب: ۴/ ۲۴ [۳/ ۴۰۹]. (المؤلف)

(۲). المستدرک علی الصحیحین: ۳/ ۱۶۵ ح ۴۷۲۶.

(۳). الروض البسّام بترتیب و تخریج فوائد تمّام: ۴/ ۳۱۵ ح ۱۴۹۲- ۱۴۹۴.

(۴). کفایة الطالب: ص ۳۶۶، ۳۶۷ باب ۶۹.

(۵). المعجم الکبیر: ۲۲/ ۴۰۶ ح ۱۰۱۸.

(۶). جامع الأحادیث: ۳/ ۱۱۶ ح ۷۶.

(۷). مسند البزّار (البحر الزخّار): ۵/ ۲۲۳ ح ۱۸۲۹.

(۸). کنز العمّال: ۱۲/ ۱۱۱ ح ۳۴۲۳۹.

و ابن حجر فی الصواعق «۱» من طریق تمّام و البزّار و الطبرانی و أبی نعیم باللفظ المذکور، و قال: و فی روایة: «فحرّمها اللَّه و ذریّتها علی النار». و رواه فی (ص ۱۱۲) من طریق البزّار و أبی یعلی و الطبرانی و الحاکم باللفظ الثانی. و ذکره الشبلنجی فی نور الأبصار «۲» (ص ۴۵) باللفظین.

الشاعر

أبو الولید حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زید مناة بن عدیّ ابن عمرو بن مالک بن النجّار- تیم اللَّه- بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة العنقاء- سُمّی به لطول عنقه- ابن عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطریف ابن امرئ القیس البطریق ابن ثعلبة البهلول ابن مازن بن الأزد بن الغوث ابن نبت بن مالک بن زید بن کهلان بن سبأ بن یشجب بن یعرب بن قحطان «۳».

بیت حسّان أحد بیوتات الشعر، عریق فی الأدب و نظم القریض، قال المرزبانی فی معجم الشعراء «۴» (ص ۳۶۶): قال دعبل و المبرّد: اعرق الناس کانوا فی الشعر آل حسّان، فمنهم یُعدّون ستّة فی نسق کلّهم شاعر، سعید بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام. انتهی.

و ولده عبد الرحمن المذکور شاعر، قلیل الحدیث، تُوفّی (۱۰۴)، و فیه و فی والده حسّان، قال شاعر:

فَمَنْ لِلقوافی بعد حسّان و ابنِهِ و من للمثانی بعد زید بن ثابتِ

---

(۱). الصواعق المحرقة: ص ۱۶۰، ۱۸۸.

(۲). نور الأبصار: ص ۹۶.

(۳). کذا سرده أبو الفرج فی الأغانی: ۴/ ۳ [۴/ ۱۴۱]. (المؤلف)

(۴). معجم الشعراء: ص ۲۶۹.

و أمّا المترجم نفسه فعن أبى عبيدة: أنَّ العرب قد اجتمعت على أنَّ حسّان أشعر أهل المدن، و أنّه فضل الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار، و شاعر النبىِّ فى أيّامه صلى الله عليه و آله و سلم، و شاعر اليمن كلّها فى الإسلام.

قال له النبىُّ صلى الله عليه و آله و سلم: «ما بقى من لسانک؟»

فأخرج لسانه حتى قرع بطرفه طرف ارنبته ثمَّ قال: و اللَّه إنّى لو وضعته على صخر لفلقه، أو على شعر لحلقه، و ما يسرُّنى به مقول من معد «١». و كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم يضع له منبراً فى مسجده الشريف يقوم عليه قائماً، و يفاخر عن رسول اللَّه، و

يقول رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم: «إنَّ اللَّه يؤيِّد حسّان بروح القدس، ما نافحَ أو فاخر عن رسول اللَّه» «٢».

كانت الحالة على هذا فى عهد النبىِّ صلى الله عليه و آله و سلم و

لمّا توفّى صلى الله عليه و آله و سلم مرّ عمر على حسّان و هو ينشد فى المسجد فانتهره «٣»، فقال: أفى مسجد رسول اللَّه تنشد؟ فقال: كنت أُنشد و فيه من هو خيرٌ منک. ثمَّ التفت إلى أبى هريرة، فقال: سمعتَ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «أجب عنّى، اللّهمَّ أيِّده بروح القدس»؟ قال: نعم.

قال أبو عبد اللَّه الآبىُّ المالكىُّ فى شرح صحيح مسلم (ص ٣١٧): و هذا يدلُّ على أنَّ عمر رضى الله عنه كان يكره إنشاد الشعر فى المسجد، و كان قد بنى رحبةً خارجه و قال: من أراد أن يلغط أو ينشد شعراً، فليخرج إلى هذه الرحبة.

كلُّ ذلک على خلاف ما كان عليه النبىُّ صلى الله عليه و آله و سلم، و فى وقته أفحمه حسّان بما ذكر من قوله، لكن لا رأى لمن لا يُطاع، و قبل حسّان نهاه النبى صلى الله عليه و آله و سلم عن فكرته هذه،

---

(١). البيان و التبيين للجاحظ: ١/ ٦٨ و ١٥٠ [١/ ٧٣ و ١٥٣]. (المؤلف)

(٢). مستدرک الحاكم: ٣/ ٢٨٧ [٣/ ٥٥٥ ح ٦٠٥٨] بإسناد صحّحه هو و الذهبى. (المؤلف)

(٣). كذا فى لفظ ابن عبد البرّ فى الاستيعاب [القسم الأول/ ٣٤٥ رقم ٥٠٧]، و ابن عساكر فى تاريخه: ٤/ ١٢٦ [٤/ ٣٥٧، و فى مختصر تاريخ دمشق: ٦/ ٢٩٠]، و فى لفظ مسلم فى الصحيح: ٢/ ٣٨٤ [٥/ ٨٦ ح ١٥١ كتاب فضائل الصحابة]: فلحظ إليه. و فى لفظ لأحمد فى مسنده: ٥/ ٢٢٢ [٦/ ٢٩٢ ح ٢١٤٣١] فقال: مه. (المؤلف)

و فهّمه بما هناک من الغاية الدينيّة المتوخّاة حين تعرّض لعبد اللَّه بن رواحة،

لمّا كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم يطوف البيت على بعير، و عبد اللَّه آخذٌ بغرزه و هو يقول:

خلّوا بنى الكفّارِ عن سبيلهِ — خلّوا فكلُّ الخير مع رسولهِ

نحن ضربناكمْ على تنزيلهِ — ضرباً يُزيلُ الهامَ عن مقيلهِ

و يُذهلُ الخليلَ عن خليلهِ — يا ربِّ إنى مؤمنٌ بقيلهِ

فقال له عمر: أو هاهنا يا ابن رواحة أيضاً؟ فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم: «أو ما تعلمن، أولا تسمع ما قال؟!».

و فى رواية أبى يعلى أنَّ النبىَّ قال: «خلِّ عنه يا عمر، فو الذى نفسى بيده لكلامه أشدُّ عليهم من وقع النبل» «١».

و كان حسّان من المعروفين بالجبن، ذكره ابن الأثير فى أُسد الغابة «٢» (٢/ ۶) و قال: كان من أجبن الناس. و عدّه الوطواط فى غرر الخصائص «٣» (ص ٣٥٥) من الجبناء و قال: ذكر ابن قتيبة فى كتاب المعارف «۴»: أنّه لم يشهد مع رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم مشهداً قطُّ. قالت صفيّة بنت عبد المطّلب عمّة رسول اللَّه: كان معنا حسّان فى حصن فارغ يوم الخندق مع النساء و الصبيان، فمرَّ بنا فى الحصن رجلٌ يهودىّ، فجعل يطوف بالحصن- و قد حاربت بنو قريظة و قطعت ما بينها و بين رسول اللَّه، و ليس بيننا و بينهم أحدٌ يدفع عنّا، و رسول اللَّه و المسلمون فى نحور عدوِّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا إن أتانا آتٍ. قالت: فقلت: يا حسّان أنا و اللَّه لا آمن أن يدلَّ علينا هذا اليهودىُّ أصحابه، و رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم قد شغل عنّا، فانزل إليه و اقتله. قال: يغفر اللَّه لكِ (يا بنت عبد المطّلب) ما أنا بصاحب شجاعة.

---

(١). تاريخ ابن عساكر: ٧/ ٣٩١ [٩/ ٢٠٧، و فى مختصر تاريخ دمشق: ١٢/ ١٥۴]. (المؤلف)

(٢). أُسد الغابة: ٢/ ٧ رقم ١١٥٣.

(٣). غرر الخصائص: ص ٣٥٨.

(۴). المعارف: ص ٣١٢.

قالت: فلمّا قال لى ذلک و لم أر عنده شيئاً، اعتجرت «١»، ثمَّ أخذت عموداً و نزلت إليه فضربته بالعمود حتى قتلته، ثمّ رجعت إلى الحصن، و قلت: يا حسّان انزل إليه و اسلبه، فإنَّه لم يمنعنى من سلبه إلّا أنَّه رجل.

فقال: مالى بسلبه من حاجة (يا بنت عبد المطّلب) «۲»، و كأن حسّان اقتدى فى فعله بهذا الشاعر فى قوله:

باتت تشجّعنى هندٌ و ما علمتْ — أنَّ الشجاعةَ مقرونٌ بها العَطَبُ

لا و الذى منعَ الأبصارَ رؤيتَهُ — ما يشتهى الموتَ عندى من له إربُ

للحربِ قومٌ أضلَّ اللَّهُ سعيهمُ — إذا دعتهمْ إلى نيرانها وثبوا

و لستُ منهمْ و لا أبغى فعالَهُمُ — لا القتلُ يعجبنى منهمْ و لا السلَبُ

قال الأمينى: هذا ما نقله الوطواط عن المعارف لابن قتيبة، لكن أسفى على مطابع مصر و على يد الطبع الأمينة فيها، فإنّها تحرِّف الكلم عن مواضعها، فأسقطت هذه القصّة عن المعارف كما حرّفت عنه غيرها.

ولد المترجَم قبل مولد النبىِّ القدسىِّ صلى الله عليه و آله و سلم بثمان سنين، و عاش عند الجمهور مائة و عشرين سنة، و قال ابن الأثير: لم يختلفوا فى عمره. و فى المستدرک «۳» (۳/ ۴۸۶)، و أُسد الغابة «۴» (۲/ ۷): أربعة تناسلوا من صلب واحد، عاش

---

(۱). أى لبست المعجر. و فى سيرة ابن هشام: احتجزت. يقال: احتجزت المرأة أى شدّت وسطها. (المؤلف)

(۲). و إلى هنا ذكره ابن هشام فى سيرته: ۳/ ۲۴۶ [۳/ ۲۳۹]، و ابن عساكر فى تاريخه: ۴/ ۱۴۰ [۴/ ۳۸۴، و فى مختصر تاريخ دمشق: ۶/ ۳۰۳]، و ابن الاثير فى أُسد الغابة: ۲/ ۶ [۲/ ۷ رقم ۱۱۵۳]، و العبّاسى فى المعاهد: ۱/ ۷۴ [۱/ ۲۱۴ رقم ۳۹]، و الجمل التى جعلناها بين القوسين من لفظ ابن هشام. (المؤلف)

(۳). المستدرک على الصحيحين: ۳/ ۵۵۴ ح ۶۰۵۷.

(۴). أُسد الغابة: ۲/ ۷ رقم ۱۱۵۳.

كلٌّ منهم مائة و عشرين سنة، و هم: حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام.

يُكنّى بأبى الوليد، و أبى المضرب، و أبى حسام، و أبى عبد الرحمن، و الأوّل أشهر، و كان يقال له: الحسام. و ذلک لكثرة دفاعه عن حامية الإسلام المقدَّس بشعره.

و روى الحاكم «۱» عن مصعب [بن عبد اللَّه الزبيرى] «۲» أنَّه قال: عاش حسّان ستّين فى الجاهليّة و ستّين فى الإسلام، و ذهب بصره و تُوفّىَ على قول سنة (۵۵) «۳» أعمى البصر و البصيرة، كما نصَّ عليه الصحابىُّ الكبير سيِّد الخزرج قيس بن سعد بن عبادة، لمّا عزله أمير المؤمنين عليه السلام من ولاية مصر، و رجع إلى المدينة، فإنَّه حينما قدمها جاءه حسّان شامتاً به، و كان عثمانيّا بعد ما كان علويّا، فقال له: نزعک علىُّ بن أبى طالب و قد قتلت عثمان، فبقى عليک الإثم و لم يحسن لک الشكر. فزجره قيسٌ، و قال: يا أعمى القلب و أعمى البصر، و اللَّه لو لا أن أُلقى بين رهطى و رهطک حرباً لضربت عنقک، ثمَّ أخرجه من عنده «۴».

---

(۱). المستدرک على الصحيحين: ۳/ ۵۵۳ ح ۶۰۵۴.

(۲). ما بين المعقوفين أثبتناه من المستدرک.

(۳). هذا أحد القولين فى المستدرک: و قد كثر الخلاف فى وفاته، و صحّح ابن كثير فى تاريخه [۸/ ۵۱]: سنة (۵۴). (المؤلف)

(۴). تاريخ الطبرى: ۵/ ۲۳۱ [۴/ ۵۵۵ حوادث سنة ۳۶ ه]، شرح النهج لابن أبى الحديد: ۲/ ۲۵ [۶/ ۶۴ خطبة ۶۶]. (المؤلف)

۳- قيس الأنصارى

قلتُ لمّا بغى العدوُّ علينا — حسبُنا ربُّنا و نِعْمَ الوكيلُ

حسبُنا ربُّنا الذى فتحَ البص — رةَ بالأمسِ و الحديثُ طويلُ

و يقول فيها:

و علىٌّ إمامنا و إمامٌ — لسوانا أتى به التنزيلُ

يومَ قال النبىُّ من كنتُ مولا — هُ فهذا مولاهُ خطبٌ جليلُ

إنَّ ما قاله النبىُّ على الأمّةِ — حتمٌ ما فيه قالٌ و قيلُ

ما يتبع الشعر

هذه الأبيات أنشدها الصحابيُّ العظيم سيِّد الخزرج قيس بن سعد بن عبادة بين يدى أمير المؤمنين عليه السلام بصفّين، رواها شيخنا المفيد معلّمُ الأمّة المتوفّى (۴۱۳) فى الفصول المختارة «۱» (۲/ ۸۷)، و قال بعد ذكرها: إنَّ هذه الأشعار مع تضمّنها الاعتراف بإمامة أمير المؤمنين، فهى دلائل على ثبوت سلف الشيعة و إبطال عناد المعتزلة فى إنكارهم ذلک.

و ذكرها فى رسالته فى معنى المولى «۲»، و قال فيها: قصيدة قيس التى لا يشکُ

---

(۱). الفصول المختارة: ص ۲۳۶.

(۲). رسالة فى معنى المولى، المطبوع ضمن مصنّفات الشيخ المفيد: ۸/ ۲۰.

أحدٌ من أهل النقل فيها، و العلم بها من قوله كالعلم بنصرته لأمير المؤمنين و حربه أهل البصرة و صفّين معه، و هى التى أوّلها:

قلتُ لمّا بغى العدوُّ علينا حسبُنا ربُّنا و نعمَ الوكيلُ

فشهد هكذا شهادةً قطعيّةً بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام من جهة خبر يوم الغدير، صرّح بأنَّ القول فيه يوجب رئاسته على الكلِّ، و إمامته عليهم.

و رواها سيِّدنا الشريف الرضىُّ المتوفّى (۴۰۶) فى خصائص الأئمّة «۱»، و قال: اتّفق حملة الأخبار على نقل شعر قيس و هو ينشده بين يدى أمير المؤمنين عليه السلام بعد رجوعهم من البصرة، فى قصيدته التى أوّلها:

قلتُ لمّا بغى العدوُّ علينا حسبُنا ربُّنا و نعمَ الوكيلُ

و هذان الشاعران- قيس و حسّان- صحابيّان، شهدا بالإمامة لأمير المؤمنين، شهادة من حضر المشهد، و عرف المصدر و المورد.

و أخرجها العَلَم الحجّة الشيخ عبيد اللَّه السدابادى فى المقنع «۲»- الموجود عندنا- فقال: قالوا: و من الدليل على أنّ أمير المؤمنين هو الإمام المنصوص عليه، قول قيس ابن سعد بن عبادة، و هذا من خيار الصحابة يشهد له بالإمامة، و أنَّه منصوصٌ عليه، و أنَّه خولف، و قال الكميت بن زيد يصدِّق قول قيس بن سعد و حسّان بن ثابت...

و رواها العلّامة الكراجكى المتوفّى (۴۴۹) فى كنز الفوائد «۳» (ص ۲۳۴) فقال: إنَّه ممّا حُفظ عن قيس بن سعد بن عبادة، و إنَّه كان يقوله بين يدى أمير المؤمنين عليه السلام بصفّين و معه الراية.

---

(۱). خصائص الأئمّة: ص ۴۲، خصائص أمير المؤمنين: ص ۷.

(۲). المقنع فى الإمامة: ص ۱۳۳- ۱۳۶.

(۳). كنز الفوائد: ۲/ ۹۸.

و أخرجها أبو المظفَّر سبط ابن الجوزى الحنفىُّ المتوفّى (۶۵۴) فى التذكرة «۱» (ص ۲۰) فقال: إنَّ قيساً أنشدها بين يدى علىٍّ بصفّين.

و رواها «۲» سيِّدنا هبة اللَّه الموسوى فى المجموع الرائق- الموجود عندنا- و المفسِّر الكبير الشيخ أبو الفتوح الرازى فى تفسيره (۲/ ۱۹۳)، و شيخ السرَوىّ الآتى شيخنا الشهيد الفتّال فى روضة الواعظين (ص ۹۰)، و سيِّدنا القاضى نور اللَّه المرعشىّ الشهيد (۱۰۱۹) فى مجالس المؤمنين (ص ۱۰۱)، و العلّامة المجلسى المتوفّى (۱۱۱۱) فى البحار (۹/ ۲۴۵)، و السيِّد علىّ خان المتوفّى (۱۱۲۰) فى الدرجات الرفيعة- الموجود عندنا- فى ذكر وقعة صفّين، و شيخنا صاحب الحدائق البحرانى المتوفّى (۱۱۸۶) فى كشكوله (۲/ ۳۱۸). و جمع آخر من متأخِّرى أعلام الطائفة.

الشاعر

أبو القاسم- و قيل: أبو الفضل «۳»- قيس بن سعد بن عبادة بن دليم «۴» بن حارثة بن أبى حزيمة- بالحاء المهملة المفتوحة- «۵» بن ثعلبة بن ظريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأكبر «۶» بن حارثة بن ثعلبة. إلى آخر النسب المذكور (ص ۶۲).

أمّه فكيهة بنت عبيد بن دليم بن حارثة.

---

(۱). تذكرة الخواص: ص ۳۳.

(۲). المجموع الرائق: ص ۲۱۷، تفسير أبى الفتوح الرازى: ۴/ ۲۷۹، روضة الواعظين: ص ۱۰۳، مجالس المؤمنين: ۱/ ۲۳۸، بحار الأنوار: ۳۷/ ۱۵۰، الدرجات الرفيعة: ص ۳۴۵.

(۳). و قيل: أبو عبد اللّه. و قيل: أبو عبد الملک. (المؤلف)

(۴). فى تهذيب التهذيب [۸/ ۳۵۳ رقم ۷۰۲]: دليهم. (المؤلف)

(۵). و قيل: حارثة بن خزيم بن أبى خُزيمة- بالمعجمة المضمومة- تاريخ الخطيب: ۱/ ۱۷۷ [رقم ۱۷]. (المؤلف)

(۶). هنا يتّحد المترجم مع حسّان فى النسب. (المؤلف)

ص: ۱۱۶

هو ذلک الصحابىّ العظيم، كان يُعدُّ من أشراف العرب، و أُمرائها، و دهاتها، و فرسانها، و أجوادها، و خطبائها، و زهّادها، و فضلائها، و من عمد الدين، و أركان المذهب.

أمّا شرفه:

فكان هو سيِّد الخزرج و ابن سادتها، و قد حاز بيته الشرف و المجد جاهليّةً و إسلاماً، قال سليم بن قيس الهلالى فى كتابه «۱»: إنَّ قيس بن سعد كان سيِّد الأنصار و ابن سيِّدها.

و فى كامل المبرّد «۲» (۱/ ۳۰۹): كان شجاعاً جواداً سيِّداً. و قال أبو عمرو الكشّى فى رجاله «۳» (ص ۷۳): لم يزل قيس سيِّداً فى الجاهليّة و الإسلام، و أبوه و جدُّه و جدُّ جدِّه لم يزل فيهم الشرف، و كان سعد يُجير فيُجار و ذلک له لسؤدده، و لم يزل هو و أبوه أصحاب إطعام فى الجاهليّة و الإسلام، و قيس ابنه بعده على مثل ذلک.

و فى الاستيعاب «۴» (۲/ ۵۳۸): كان قيس شريف قومه غير مدافع هو و أبوه و جدُّه. و فى أُسد الغابة «۵» (۴/ ۲۱۵): كان شريف قومه غير مدافع، و من بيت سيادتهم. و قال ابن كثير فى تاريخه «۶» (۸/ ۹۹): كان سيِّداً مطاعاً، كريماً، ممدّحاً، شجاعاً.

و قال المترجَم له فى أبيات له:

---

(۱). كتاب سليم بن قيس: ص ۲/ ۷۷۸ ح ۲۶.

(۲). الكامل فى اللغة و الأدب: ۱/ ۴۱۹.

(۳). رجال الكشّی: ۱/ ۳۲۷ رقم ۱۷۷.

(۴). الاستیعاب: القسم الثالث/ ۱۲۸۹ رقم ۲۱۳۴.

(۵). أُسد الغابة: ۴/ ۴۲۵ رقم ۴۳۴۸.

(۶). البدایة و النهایة: ۸/ ۱۰۷ حوادث سنة ۵۹ ه.

و إنّی من القومِ الیمانینَ سیِّدٌ و ما الناسُ إلّا سیِّدٌ و مَسُودُ

وَ بزَّ جمیعَ الناسِ أصلی و منصبی و جسمٌ به أعلو الرجالَ مدیدُ

و کان والده أحد النقباء الاثنی عشر الذین ضمنوا لرسول اللَّه صلی الله علیه و سلم إسلام قومهم. و النقیب: الضمین. راجع تاریخ ابن عساکر «۱» (۱/ ۸۶).

و أمّا إمارته:

ففی العهد النبویِّ کان من النبیِّ صلی الله علیه و آله و سلم بمنزلة صاحب الشرطة من الأمیر، یلی ما یلی من أموره «۲». و کان حامل رایة الأنصار مع رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم فی بعض الغزوات، و استعمله علی الصدقة، و کان من ذوی الرأی من الناس «۳»، و بعده ولّاه أمیر المؤمنین علیه السلام مصر، و کان أمیرها الطاهر.

کان قیس من شیعة علیٍّ علیه السلام و مناصحیه، بعثه علیٌّ أمیراً علی مصر فی صفر (سنة ۳۶)، و قال له: «سر إلی مصر فقد ولَّیتُکَها، و اخرج إلی ظاهر المدینة، و اجمع إلیک ثقاتک و من أحببت أن یصحبک، حتی تأتی مصر و معک جند، فإنَّ ذلک أرعب لعدوِّک، و أعزُّ لولیِّک، فإذا أنت قدمتها إن شاء اللَّه فأحسن إلی المحسن، و اشدد علی المریب، و ارفق بالعامّة و الخاصّة، فإنَّ الرفق یُمْنٌ».

فقال قیس: رحمک اللَّه یا أمیر المؤمنین، قد فهمتُ ما ذکرتَ، فأمّا الجند فإنّی أدَعُهُ لک، فإذا احتجتَ إلیهم کانوا قریباً منک، و إن أردتَ بعثتهم إلی وجه من

(۱). تاريخ مدينة دمشق: ۷/ ۱۱۲، و فى مختصر تاريخ دمشق: ۹/ ۲۳۶، ۲۳۸.

(۲). صحيح الترمذى: ۲/ ۳۱۷ [۵/ ۶۴۸ ح ۳۸۵۰]، سنن البيهقى: ۸/ ۱۵۵، مصابيح البغوى: ۲/ ۵۱ [۳/ ۱۳ ح ۲۷۸۳]، الاستيعاب: ۲/ ۵۳۸ [القسم الثالث/ ۱۲۸۹ رقم ۲۱۳۴]، أُسد الغابة: ۴/ ۲۱۵ [۴/ ۴۲۵ رقم ۴۳۴۸]، الإصابة: ۵/ ۳۵۴ [۳/ ۲۴۹ رقم ۷۱۷۷]، تهذيب التهذيب: ۶/ ۳۹۴ [۸/ ۳۵۳ رقم ۷۰۲]، مجمع الزوائد: ۹/ ۳۴۵. (المؤلف)

(۳). تاريخ ابن عساكر [۱۴/ ۴۵۲، ۴۵۹، و فى مختصر تاريخ دمشق: ۲۱/ ۱۰۲]، تاريخ ابن كثير: ۸/ ۹۹ [۸/ ۱۰۷ حوادث سنة ۵۹ ه‍]. (المؤلف)

ص: ۱۱۸

وجوهک كان لک عدّة، و لكنّى أسير إلى مصر بنفسى و أهل بيتى، و أمّا ما أوصيتنى به من الرفق و الإحسان، فاللَّه تعالى هو المستعان على ذلک.

فخرج قيس فى سبعة نفر من أهله، حتى دخل مصر مستهل ربيع الأوّل، فصعد المنبر فجلس عليه خطيباً، فحمد اللَّه و أثنى عليه، و قال: الحمد للَّهِ الذى جاء بالحقِّ، و أمات الباطل، و كبت الظالمين. أيّها الناس، إنّا بايعنا خير من نعلم بعد نبيِّنا محمد صلى الله عليه و آله و سلم، فقوموا فبايعوا على كتاب اللَّه و سنّة رسوله، فإن نحن لم نعمل لكم بذلک فلا بيعة لنا عليكم.

فقام الناس فبايعوا و استقامت مصر و أعمالها لقيس، و بعث عليها عمّاله، إلّا أنَّ قريةً منها يقال لها: خربتا «۱» قد أعظم أهلها قتل عثمان، و بها رجل من بنى كنانة يقال له: يزيد بن الحارث، فبعث إلى قيس: إنّا لا نأتيک، فابعث عمّالک، فالأرض أرضک، و لكن أقرّنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس.

و وثب محمد بن مسلمة بن مخلّد بن صامت الأنصارى، فنعى عثمان و دعا إلى الطلب بدمه، فأرسل إليه قيس: ويحک أ علىَّ تثب؟ و اللَّه ما أحبُّ أنَّ لى ملک الشام و مصر و أنّى قتلتک! فَاحْقِنْ دَمَکَ. فأرسل إليه مسلمة: إنّى كافٌّ عنک ما دمت أنت والى مصر. و كان قيس له حزمٌ و رأىٌ «۲».

خرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى الجمل و قيس على مصر، و رجع من البصرة إلى الكوفة و هو بمكانه، و وليها أربعة أشهر و خمسة أيّام، دخلها كما مرَّ فى مستهلِّ ربيع الأوّل، و صرف منها لخمس خلون من رجب، كما فى الخطط للمقريزى «۳»، فما فى

(۱). بفتح الخاء و كسرها و كسر الراء المهملة ثمّ الموحَّدة الساكنة. (المؤلف)

(۲). تاریخ الطبری: ۵/ ۲۲۷ [۴/ ۵۴۹ ۵۵۰ حوادث سنة ۳۶ ه]، کامل ابن الأثیر: ۳/ ۱۰۶ [۲/ ۳۵۴ حوادث سنة ۳۶ ه]، شرح ابن أبی الحدید: ۲/ ۲۳ [۶/ ۵۹ خطبة ۶۷] نقلًا عن کتاب الغارات لإبراهیم بن محمد الثقفی [ص ۱۲۷- ۱۳۰]. (المؤلف)

(۳). الخطط و الآثار: ۲/ ۳۳۶.

الاستیعاب «۱» و غیره: أنّه شهد الجمل الواقع فی جمادی الآخرة سنة (۳۶) فی غیر محلّه. نعم؛ یظهر من التاریخ شهوده «۲» فی مقدّمات الجمل.

و ولّاه علیٌّ أمیر المؤمنین آذربیجان کما فی تاریخ الیعقوبی «۳» (۲/ ۱۷۸)، و کتب إلیه و هو علیها:

أمّا بعد: فأقبل علی خراجک بالحقّ، و أحسن إلی جندک بالإنصاف، و علّم من قِبلک ممّا علّمک اللّه، ثمَّ إنَّ عبد اللّه بن شبیل الأحمسی سألنی الکتاب إلیک فیه بوصایتک به خیراً، فقد رأیته وادعاً متواضعاً، فألن حجابک، و افتح بابک، و اعمد إلی الحقِّ، فإنَّ من وافق الحقَّ ما یحبو أسرّه، (وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوی فَیُضِلَّکَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِینَ یَضِلُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِیدٌ بِما نَسُوا یَوْمَ الْحِسابِ) «۴».

قال غیاث: وَ لمّا أجمع علیٌّ علی القتال لمعاویة، کتب أیضاً إلی قیس:

«أمّا بعد: فاستعمل عبد اللّه بن شبیل الأحمسی خلیفةً لک و أقبل إلیّ؛ فإنَّ المسلمین قد أجمع ملَؤهم و انقادت جماعتهم، فعجِّل الإقبال، فأنا سأحضرَنّ إلی المحلّین عند غرّة الهلال إن شاء اللّه، و ما تأخّری إلّا لک، قضی اللّه لنا و لک بالإحسان فی أمرنا کلِّه».

و روی الطبری فی تاریخه «۵» (۶/ ۹۱)، و ابن کثیر فی تاریخه «۶» (۸/ ۱۴) عن الزهری، أنّه قال: جعل علیٌّ علیه السلام قیس بن سعد علی مقدِّمته من أهل العراق إلی قِبل آذربیجان و علی أرضها، و شرطة الخمیس التی ابتدعتها العرب و کانوا أربعین ألفاً

---

(۱). الاستیعاب: القسم الثالث/ ۱۲۹۰ رقم ۲۱۳۴.

(۲). الظاهر أنّه قدّس سرّه ضمّن (شهد) معنی (حضر) فعدّاه ب (فی).

(۳). تاریخ الیعقوبی: ۲/ ۲۰۲.

(۴). سورة ص: ۲۶.

(۵). تاريخ الأُمم و الملوک: ۵/ ۱۵۸ حوادث سنة ۴۰ ه.

(۶). البداية و النهاية: ۸/ ۱۶ حوادث سنة ۴۰ ه.

ص: ۱۲۰

بايعوا عليّا عليه السلام على الموت، و لم يزل قيس يُدارى ذلک البعث حتى قُتل علىٌّ عليه السلام و استخلف أهل العراق الحسن بن علىّ عليهما السلام على الخلافة.

حديث دهائه:

يجد القارئ شواهد قويَّة على ذلک من مواقفه العظيمة فى المغازى، و نظراته العميقة فى الحروب، و آرائه المتَّبعة فى مهمّات القضايا، و أفكاره العالية فى إمارته، و إعظام الإمام أمير المؤمنين محلّه من الدهاء، و إكباره رأيه فى حكومته، فإنَّه لَمّا قدم قيس من ولاية مصر على علىٍّ، و أخبره الخبر الجارى بينه و بين رجال مصر و معاوية، علم أنَّه كان يقاسى أموراً عظاماً من المكايدة، فعظم محلّ قيس عنده، و أطاعه فى الأمر كلّه. تاريخ الطبرى «۱» (۵/ ۲۳۱).

فعندها تجد سيِّد الخزرج قيساً فى الطبقة العليا من أصحاب الرأى، و من مقدِّمى رجالات النُّهى و الحجا، و تشاهد هناک آيات عقله المطبوع و المكتسب، و تعدُّه أعظم دهاة العرب حين ثارت الفتن، و سعرت نار الحرب، إن لم نقل: أعظم دهاة العالم، و نرى له التقدُّم فى الفضيلة على الخمسة «۲» الذين عدّوه منهم، و أولاهم بالعقليّة الناضجة، و تجد دون محلّه الشامخ ما فى الاستيعاب «۳» (۲/ ۵۳۸) و غيره «۴» من أنَّه أحد الفضلاء الجلّة من دهاة العرب، من أهل الرأى و المكيدة فى الحرب، مع النجدة و السخاء و الشجاعة.

---

(۱). تاريخ الأُمم و الملوک: ۴/ ۵۵۵ حوادث سنة ۳۶ ه.

(۲). هم: معاوية، عمرو بن العاص، قيس بن سعد، المغيرة بن شعبة، عبد اللَّه بن بُديل. راجع تاريخ الطبرى: ۶/ ۹۴ [۵/ ۱۶۴ حوادث سنة ۴۱ ه]، كامل ابن الأثير: ۳/ ۱۴۳ [۲/ ۴۴۸ حوادث سنة ۴۱ ه]، أُسد الغابة: ۴/ ۲۱۵ [۴/ ۴۲۵ رقم ۴۳۴۸]. (المؤلف)

(۳). الاستيعاب: القسم الثالث/ ۱۲۸۹ رقم ۲۱۳۴.

(۴). أُسد الغابة: ۴/ ۲۱۵ [۴/ ۴۲۵ رقم ۴۳۴۸]، الإصابة: ۳/ ۲۴۹ [رقم ۷۱۷۷]، تهذيب التهذيب: ۸/ ۳۹۵ [۸/ ۳۵۴ رقم ۷۰۲]، السيرة الحلبيّة: ۳/ ۹۳ [۳/ ۸۲]. (المؤلف)

ص: ۱۲۱

قال الحلبى فى سيرته: من وقف على ما وقع بينه و بين معاوية لرأى العجب من وفور عقله.

و قال ابن كثير فى البداية «۱» (۸/ ۹۹): ولّاه علىٌّ نيابةَ مصر و كان يقاوم بدهائه و خديعته و سياسته لمعاوية و عمرو بن العاص.

و كان الإمام السبط الحسن يوصى أمير عسكره عبد اللَّه بن العبّاس و هو أمير اثنى عشر ألفاً من فرسان العرب، و قرّاء مصر، بمشاورة قيس بن سعد و المراجعة إليه فى مهامّ الحرب مع معاوية، و الأخذ برأيه فى سياسة الجيش، كما يأتى حديثه.

و كان ثقيلًا جدّا على معاوية و أصحابه، و لمّا قدم قيس إلى المدينة من مصر، أخافه مروان و الأسود بن أبى البخترى، فظهر قيس إلى علىٍّ عليه السلام فكتب معاوية إلى مروان و الأسود يتغيّظ عليهما، و يقول: أمددتما عليّا بقيس بن سعد و رأيه و مكايدته، فو اللَّه لو أنّكما أمددتماه بمائة ألف مقاتل، ما كان ذلک بأغيظ إلىَّ من إخراجكما قيس ابن سعد إلى علىّ. تاريخ الطبرى «۲» (۶/ ۵۳).

و عالج معاوية قلوب أصحابه، و أمّنهم من ناحية قيس، بافتعال كتاب عليه و قراءته على أهل الشام، كما يأتى تفصيله.

و كان قيس يرى نفسه فى المكيدة و الدهاء فوق الكلّ و أولى الجميع، و يقول: لو لا أنّى سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم يقول: «المكر و الخديعة فى النار» لكنت من أمكر هذه الأمّة «۳»، و يقول: لو لا الإسلام لمكرت مكراً لا تطيقه العرب «۴».

---

(۱). البداية و النهاية: ۸/ ۱۰۷ حوادث سنة ۵۹ ه.

(۲). تاريخ الأُمم و الملوک: ۵/ ۹۴ حوادث سنة ۳۸ ه.

(۳). أُسد الغابة: ۴/ ۲۱۵ [۴/ ۴۲۶ رقم ۴۳۴۸]، تاريخ ابن كثير: ۸/ ۱۰۱ [۸/ ۱۰۹ حوادث سنة ۵۹ ه]. (المؤلف)

(۴). الدرجات الرفيعة [ص ۳۳۵]، الإصابة: ۳/ ۲۴۹ [رقم ۷۱۷۷]. (المؤلف)

فشهرته بالدهاء مع تقيّده المعروف بالدين، و كلاءته حمى الشريعة، و التزامه البالغ فى إعمال الرأى بما يوافق رضا مولاه سبحانه، و كفِّه نفسه عمّا يخالف ربّه، تثبت له الأولويّة و التقدّم و البروز بين دهاة العرب، و لا يعادله من الدهاة الخمسة المشهورين أحدٌ إلّا عبد اللَّه بن بُديل و ذلک لاشتراكهما فى المبدأ، و التزامهما بالدين الحنيف، و الكفِّ عن الهوى، و الوقوف عند مُضلّات الفتن.

و كلامه لمالک الأشتر – مالک و ما مالک؟!– ينمّ عن غزارة عقله، و حسن تدبيره، و استقامة رأيه، و قوّة إيمانه، و هو من غُرر الكَلِم، و دُرر الحِكَم، رواه شيخ الطائفة فی أماليه «۱» (ص ۸۶) فی حديث طويل فقال: قال الأشتر لعلیٍّ عليه السلام: دعنی يا أمير المؤمنين أوقع بهؤلاء الذين يتخلّفون عنک. فقال له: «كفَّ عنّی».

فانصرف الأشتر و هو مغضب! ثمّ إنَّ قيس بن سعد لقی مالکاً فی نفر من المهاجرين و الأنصار، فقال: يا مالک كلّما ضاق صدرک بشیء أخرجته، و كلّما استبطأت أمراً استعجلته، إنَّ أدب الصبر التسليم، و أدب العجلة الأناة، و إنَّ شرّ القول ما ضاهی العيب، و شرّ الرأی ما ضاهی التهمة، فإذا ابتليت فاسأل، و إذا أُمرت فأطع، و لا تسأل قبل البلاء، و لا تكلّف قبل أن ينزل الأمر، فإنَّ فی أنفسنا ما فی نفسک، فلا تشقَّ علی صاحبک.

و لمّا بويع أمير المؤمنين بلغه أنّ معاوية قد وقف من إظهار البيعة له، و قال: إن أقرّنی علی الشام و أعمالی التی ولّانيها عثمان بايعته. فجاء المغيرة إلی أمير المؤمنين فقال له: يا أمير المؤمنين إنَّ معاوية من قد عرفت، و قد ولّاه الشام من كان قبلک، فولّه أنت كيما تتّسق عُری الأمور، ثمّ اعزله إن بدا لک.

فقال أمير المؤمنين: «أتضمن لی عمری يا مغيرة فيما بين توليته إلی خلعه؟». قال: لا. قال: «لا يسألنی اللَّه عزّ و جلّ عن توليته علی رجلين من المسلمين ليلة

---

(۱). أمالی الطوسی: ص ۷۱۷ ح ۱۵۱۸.

سوداء أبداً، (وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً) «۲»، لكن أبعث إليه و أدعوه إلی ما فی يدی من الحقِّ، فإن أجاب فرجلٌ من المسلمين، له مالهم، و عليه ما عليهم، و إن أبی حاكمته إلی اللَّه». فولّی المغيرة و هو يقول: فحاكمه إذاً، فحاكمه إذاً، و أنشأ يقول:

نصحتُ عليّا فی ابن حربٍ نصيحةً فردَّ فما منّی لهُ الدَهرَ ثانيهْ

و لم يقبلِ النصحَ الذی جئتهُ بهِ و كانت له تلک النصيحةُ كافيهْ

و قالوا له ما أخلصَ النُّصحَ كلّهُ فقلت له إنَّ النصيحة غاليهْ

فقام قيس بن سعد فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ المغيرة أشار عليک بأمر لم يُرد اللَّه به، فقدّمَ فيه رِجلًا و أخّر فيه أخری؛ فإن كان لک الغلبة تقرَّب إليک بالنصيحة، و إن كانت لمعاوية تقرَّب إليه بالمشورة. ثمّ أنشأ يقول:

يكاد و من أرسى ثبيراً مكانَهُ مُغيرةُ أن يقوى عليک معاويهْ

و كنتَ بحمدِ اللَّهِ فينا موفَّقاً و تلک التى أرآكها غير كافيهْ

فسبحانَ من علّا السماء مكانَها و أرضاً دحاها فاستقرّت كما هيهْ

فكان هو صاحب الرأى الوحيد بعين الإمام الطاهر، تجاه تلک الآراء التعسة الفارغة عن النزعات الروحيّة، فى كلٍّ مَنحسة و مَتعسة، بين حاذف و قاذف «٣».

فروسيّته:

إنَّ الباحث لا يقف على ايّ معجم يُذكر فيه قيس إلّا و يجد فى طيِّه جمل الثناء متواصلة على حماسته و شجاعته، و يقرأ له دروساً وافية حول فروسيّته، و بأسه فى الحروب، و شدّته فى المواقف الهائلة، فما عسانى أن أكتب عن فارس سجّل له التاريخ

---

(٢). الكهف: ٥١.

(٣). مثل يضرب لمن هو بين شرّين: الحاذف بالعصا، و القاذف بالحصى. (المؤلف)

أنّه كان سيّاف النبىِّ الأعظم، و أشدّ الناس فى زمانه بعد أمير المؤمنين؟ «١»

و ما عسانى أن أقول فى باسلٍ كان أثقل خلق اللَّه على معاوية، جبّن أصحابه الشجاع و الجبان، و كان أشدَّ عليه من جيش عرام، و كتائب تحشد مائة ألف مقاتل؟ و كان يوم صفّين يقول: و اللَّه إنَّ قيساً يريد أن يفنينا غداً إن لم يحبسه عنّا حابس الفيل «٢».

تُعرب عن هذه الناحية مواقفه فى العهدين: النبوىِّ و العلوىِّ.

أمّا مواقفه على العهد النبوىِّ فتجد نبأها العظيم فى صحائف بدر، و فتح [مكة]، و حُنين، و أُحد، و خيبر، و النضير، و الأحزاب، و هو يعدُّ مواقفه هذه كلّها فى شعره، و يقول:

إنَّنا إنَّنا الذين إذا الفتحَ شهدنا و خيبراً و حُنينا

بعد بدرٍ و تلک قاصمةُ الظهرِ و أُحدٍ و بالنضيرِ ثَنَيْنَا

و قال سيِّدنا صاحب الدرجات الرفيعة «۳»: إنّه شهد مع النبيِّ المشاهد كلّها، و كان حامل راية الأنصار مع رسول اللّه، أخذ النبى صلى الله عليه و آله و سلم يوم الفتح الراية من أبيه سعد و دفعها إليه. و قال الخطيب فى تاريخه (۱/ ۱۷۷): إنّه حمل لواء رسول اللّه فى بعض مغازيه. و فى تاريخَى الطبرى «۴» و ابن الأثير «۵» (۳/ ۱۰۶): إنّه كان صاحب راية الأنصار مع رسول اللّه صلى الله عليه و سلم و كان من ذوى الرأى و البأس. و فى الاستيعاب «۶»: إنّه كان

---

(۱). إرشاد القلوب للديلمى: ۲/ ۲۰۱ [ص ۳۸۰]. (المؤلف)

(۲). يأتى ذكر مصادر هذه كلّها إن شاء اللّه تعالى. (المؤلف)

(۳). الدرجات الرفيعة: ص ۳۳۴.

(۴). تاريخ الأُمم و الملوک: ۴/ ۵۵۲ حوادث سنة ۳۶ ه.

(۵). الكامل فى التاريخ: ۲/ ۳۵۴.

(۶). الاستيعاب: ۲/ ۵۳۷ [القسم الثالث/ ۱۲۸۹ رقم ۲۱۳۴]، السيرة الحلبيّة: ۳/ ۹۳ [۳/ ۸۲] و هامشها سيرة زينى دحلان: ۲/ ۲۶۵ [السيرة النبويّة ۲/ ۸۷]. (المؤلف)

حامل راية النبىّ فى فتح مكّة إذْ نزعها من أبيه، و أرسل عليّا رضى الله عنه أن ينزع اللواء منه و يدفعه لابنه قيس، ففعل.

و أمّا مواقفه على العهد العلوىِّ: فكان يحضُّ أمير المؤمنين على قتال معاوية، و يحثّه على محاربة مناوئيه و يقول: يا أمير المؤمنين ما على الأرض أحدٌ أحبُّ إلينا أن يقيم فينا منک؛ لأنّک نجمنا الذى نهتدى به، و مفزعنا الذى نصير إليه، و إن فقدناک لَتَظلَمنَّ أرضنا و سماؤنا، و لكن و اللّه لو خلّيتَ معاوية للمكر ليرومَنَّ مصر، و ليُفسدَنَّ اليمن، و ليطمعنَّ فى العراق، و معه قومٌ يمانيّون قد أُشربوا قتل عثمان، و قد اكتفوا بالظنِّ عن العلم، و بالشكِّ عن اليقين، و بالهوى عن الخير، فسر بأهل الحجاز و أهل العراق ثمّ ارمه بأمرٍ يضيق فيه خناقه، و يقصّر له من نفسه.

فقال: «أحسنت و اللّه يا قيس و أجملت» «۱».

فأرسله علىٌّ عليه السلام مع ولده الحسن الزكىِّ و عمّار بن ياسر إلى الكوفة، و دعوة أهلها إلى نصرته، فخطب الحسن عليه السلام هناک و عمّار، و بعدهما قام قيس، فحمد اللَّه و أثنى عليه، ثمَّ قال: أيّها الناس إنَّ هذا الأمر لو استقبلنا به الشورى، لكان علىٌّ أحقَّ الناس به، فى سابقته، و هجرته، و علمه، و كان قتل مَن أبى ذلک حلالًا، و كيف، و الحجَّة قامت على طلحة و الزبير، و قد بايعاه و خلعاه حسداً؟

فقام خطباؤهم، و أسرعوا إلى الردِّ بالإجابة، فقال النجاشى «٢»:

رَضِينا بِقَسْمِ اللَّهِ إذ كان قَسْمُنا عليّا و أبناءَ النبىِّ محمد

و قلنا له أهلًا و سهلًا و مرحباً نُقبّل يديهِ من هوىً و تودّدِ

---

(١). أمالى شيخ الطائفة: ص ٨٥ [ص ٧١۶ ح ١٥١٨]. (المؤلف)

(٢). هو قيس بن عمرو، شاعر مخضرم، أصله من اليمن، انتقل إلى الحجاز و استقرّ فى الكوفة، و كانت أمّه من الحبشة فنسب إليها، توفّى سنة (۴٠ ه).

فمرنا بما ترضى نُجِبْکَ إلى الرضا بصُمِّ العوالى و الصفيحِ المهنَّدِ«١»

و تسويدِ من سوّدتَ غيرَ مدافعٍ و إن كان من سوّدتَ غيرَ مسوَّدِ

فإن نلتَ ما تهوى فذاک نريدُهُ و إن تَخْطَ ما تهوى فغير تعمّدِ

و قال قيس بن سعد حين أجاب أهل الكوفة:

جزى اللَّه أهلَ الكوفةِ اليوم نصرةً أجابوا و لم يأبَوا بخذلانِ من خذلْ

و قالوا علىٌّ خيرُ حافٍ و ناعلٍ رضينا به من ناقضى العهد من بدلْ

هما أبرزا زوج النبيِّ تعمّداً | يسوق بها الحادى المنيخ على جملْ
فما هكذا كانت وَصاةُ نبيِّكمْ | و ما هكذا الإنصافُ أعظمْ بذا المَثَلْ
فهل بعد هذا من مقالٍ لقائلٍ | ألا قبّحَ اللَّهُ الأمانى و العللْ

هذا لفظ شيخ الطائفة فى أمالى ولده «۲» (ص ۸۷ و ۹۴)

، و رواه شيخنا المفيد فى النصرة لسيِّد العترة «۳»، و نسب الأبيات الداليّة إلى قيس بن سعد بتغيير و زيادة، و هذا لفظه:

فلمّا قدم الحسن عليه السلام و عمّار و قيس الكوفة، مستنفرين لأهلها- إلى أن قال-: ثمّ قام قيس بن سعد رحمه الله فقال: أيّها الناس إنَّ هذا الأمر لو استقبلنا فيه شورى لكان أمير المؤمنين أحقَّ الناس به، لمكانه من رسول اللَّه، و كان قتال من أبى ذلک حلالًا، فكيف فى الحجّة على طلحة و الزبير؟ و قد بايعاه طوعاً ثمّ خلعاه حسداً و بغياً، و قد جاءكم علىٌّ فى المهاجرين و الأنصار،

ثمَّ أنشأ يقول:

رَضِينا بِقَسْمِ اللَّهِ إذ كان قَسْمُنا | عليّا و أبناءَ النبيِّ محمد

---

(۱). صمّ الرجل بحجر: ضربه به. السيف المصمم: الماضى. العوالى جمع العالية: ما يلى السنان من القناة. و يطلق على الرمح. الصفيح جمع الصفيحة: السيف العريض. (المؤلف)

(۲). أمالى الطوسى: ص ۷۱۹ ۷۲۰ ح ۱۵۱۸.

(۳). النصرة فى حرب البصرة (كتاب الجَمل): ص ۱۳۳.

و قلنا لهم أهلًا و سهلًا و مرحباً نمدُّ يدينا من هوىً و تودُّدِ

فما للزبيرِ الناقضِ العهدِ حرمةٌ و لا لأخيه طلحةَ اليوم من يدِ

أتاكم سليلُ المصطفى و وصيُّهُ و أنتم بحمدِ اللَّهِ عارٍ من الهَدِّ«۱»

فمن قائم يُرجى بخيل إلى الوغى و صُمِّ العوالى و الصفيحِ المُهَنَّدِ

يسوِّد من أدناه غيرَ مدافعٍ و إن كان ما نقضيه غيرَ مسوَّدِ

فإن يأتِ ما نهوى فذاك نريدُهُ و إن يخطَ ما نهوى فغير تعمّدِ

و كان يسير فى تلك المواقف بكلِّ عظمة و جلال بهيئة فخمة، ترهب القلوب، و ترعب الفوارس، و ترعد الفرائص.

قال المنذر بن الجارود يصف مواكب المجاهدين مع أمير المؤمنين و قد رآهم فى الزاوية «۲»: ثمَّ مرَّ بنا فارسٌ على فرس أشقر، عليه ثياب بيض، و قلنسوة بيضاء، و عمامة صفراء، متنكِّبٌ قوساً، متقلّدٌ سيفاً، تخطُّ رجلاه فى الأرض، فى ألف من الناس، الغالب على تيجانهم الصفرة و البياض، معه راية صفراء، قلت: مَن هذا؟ قيل: هذا قيس بن سعد بن عبادة فى الأنصار و أبنائهم، و غيرهم من قحطان. مروج الذهب «۳» (۲/ ۸).

و لمّا أراد أمير المؤمنين المسير إلى أهل الشام، دعا إليه من كان معه من المهاجرين و الأنصار، فحمد اللَّه و أثنى عليه، و قال:

«أمّا بعد: فإنّكم ميامين الرأى، مراجيح الحلم، مقاويل بالحقِّ؛ مباركو الفعل و الأمر، و قد أردنا المسير إلى عدوِّنا و عدوّكم، فأشيروا علينا برأيكم».

فقام قيس بن سعد فحمد اللَّه و أثنى عليه، ثمّ قال: يا أمير المؤمنين

---

(۱). الهدِّ: الضعيف و الجبان. (المؤلف)

(۲). موضع قرب البصرة، و قرية بين واسط و البصرة على شاطئ دجلة. (المؤلف)

(۳). مروج الذهب: ۲/ ۳۷۷.

انكمش «۱» بنا إلى عدوّنا، و لا تُعَرِّج «۲»، فو اللَّه لجهادهم أحبُّ إليّ من جهاد الترک و الروم لادّهانهم فی دين اللَّه، و استذلالهم أولياء اللَّه من أصحاب محمد صلی الله عليه و آله و سلم من المهاجرين و الأنصار، و التابعين بالإحسان، إذا غضبوا علی رجل حبسوه، أو ضربوه، أو حرموه، أو سيّروه، و فيؤنا لهم فی أنفسهم حلالٌ، و نحن لهم فيما يزعمون قطينٌ. قال: يعنی رقيق. كتاب صفّين «۳» (ص ۵۰).

قال صعصعة بن صوحان: لمّا عقد علیّ بن أبی طالب الألوية لأجل حرب صفّين، أخرج لواء رسول اللَّه صلی الله عليه و آله و سلم و لم يُرَ ذلک اللواء منذُ قبض رسول اللَّه، فعقده علیٌّ، و دعا قيس بن سعد بن عبادة فدفعه إليه، و اجتمعت الأنصار و أهل بدر، فلمّا نظروا إلی لواء رسول اللَّه صلی الله عليه و آله و سلم بكوا، فأنشأ قيس بن سعد يقول:

هذا اللواءُ الذی كنّا نَحُفُّ بهِ — مع النبیِّ و جبريلٌ لنا مددُ

ما ضرَّ من كانتِ الأنصارُ عيبتَهُ — أن لا يكونَ له من غيرِهم أحدُ

قومٌ إذا حاربوا طالتْ أكفُّهمُ — بالمشرفيّةِ حتی يُفتحَ البلدُ

ابن عساكر فی تاريخه «۴» (۳/ ۲۴۵)، و ابن عبد البرّ فی الاستيعاب «۵» (۲/ ۵۳۹)، و ابن الأثير فی أُسد الغابة «۶» (۴/ ۲۱۶)، و الخوارزمی فی المناقب «۷» (ص ۱۲۲) «۸».

و لمّا تعاظمت الأمور علی معاوية دعا عمرو بن العاص، و بُسر بن أرطاة،

---

(۱). انكمش الرجل: أسرع. (المؤلف)

(۲). من عرّج: وقف و لبث. (المؤلف)

(۳). وقعة صفّين: ص ۹۳.

(۴). تاريخ مدينة دمشق: ۳/ ۳۴۶.

(۵). الاستيعاب: القسم الثالث/ ۱۲۹۲ رقم ۲۱۳۴.

(۶). أُسد الغابة: ۴/ ۴۲۶ رقم ۴۳۴۸.

(۷). المناقب: ص ۱۹۵ ح ۲۳۵.

(۸). ذكر الأبيات له شيخنا المفيد فى يوم الجمل [النصرة فى حرب البصرة (كتاب الجَمل): ص ۱۸۳]، و هو فى غير محلّه. (المؤلف)

ص: ۱۲۹

و عبيد اللَّه بن عمر بن الخطاب، و عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فقال لهم: إنَّه قد غمّنى رجال من أصحاب علىٍّ منهم: سعيد بن قيس فى همدان، و الأشتر فى قومه، و المرقال- هاشم بن عتبة-، و عدىّ بن حاتم، و قيس بن سعد فى الأنصار، و قد وقتكم يمانيّتكم بأنفسها، حتى لقد استحييتُ لكم و أنتم عُددتم من قريش، و قد أردت أن يعلم الناس أنَّكم أهل غنى، و قد عبّأت لكلِّ رجل منهم رجلًا منكم، فاجعلوا ذلک إلىَّ. فقالوا: ذلک إليک: قال: فأنا أكفيكم سعيد بن قيس و قومه غداً. و أنت يا عمرو لأعور بنى زهرة- المرقال-، و أنت يا بُسر لقيس بن سعد، و أنت يا عبيد اللَّه للأشتر النخعى، و أنت يا عبد الرحمن بن خالد لأعور طىّ- يعنى عدىّ بن حاتم-. ثمَّ ليردّ كلّ رجل منكم عن حماة الخيل، فجعلها نوائب فى خمسة أيّام، لكلِّ رجل منهم يوماً.

و إنَّ بُسر بن أرطاة غدا فى اليوم الثالث فى حماة الخيل، فلقى قيس بن سعد فى كماة الأنصار، فاشتدّت الحرب بينهما، و برز قيس كأنَّه فنيق «۱» مقرم «۲» و هو يقول:

أنا ابن سعد زانه عُباده — و الخزرجيّون رجالٌ ساده

ليس فرارى بالوغى بِعاده — إنَّ الفرار للفتى قلاده

يا ربِّ أنت لقِّنى الشهادة«۳» — و القتل خيرٌ من عِناق غاده

حتى متى تُثنى لىَ الوساده

فطعن خيل بُسر، و برز له بعد ملىٍّ و هو يقول:

أنا ابن أرطاة عظيم القدرِ — مراود فى غالب بن فهرِ

ليس الفرار من طباع بُسرِ — إن يرجع اليوم بغير وترِ

(۱). فنیق- کشریف-: الفحل المکرم لا یؤذی و لا یرکب لکرامته. (المؤلف)

(۲). أقرم الفحل: ترک عن الرکوب و العمل للفِحْلة. (المؤلف)

(۳). فی مناقب ابن شهرآشوب [۳/ ۲۰۳]: یا ذا الجلال لقّنی الشهادة. (المؤلف)

و قد قضیت فی عدوّی نذری یا لیت شعری ما بقی من عمری

و جعل یطعن بُسر قیساً، فیضربه قیس بالسیف فیردّه علی عقبیه، و رجع القوم جمیعاً و لقیس الفضل. کتاب صفّین «۱» (ص ۲۲۶).

و روی نصر فی کتابه «۲» (ص ۲۲۷- ۲۴۰): إنَّ معاویة دعا النعمان بن بشیر بن سعد الأنصاری، و مسلمة بن مخلَّد الأنصاری و لم یکن معه من الأنصار غیرهما، فقال: یا هذان لقد غمّنی ما لقیت من الأوس و الخزرج، صاروا واضعی سیوفهم علی عواتقهم یدعون إلی النزال، حتی و اللَّه جبّنوا أصحابی: الشجاع و الجبان، و حتی و اللَّه ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلّا قالوا: قتلته الأنصار، أما و اللَّه لألقینّهم بحدّی و حدیدی، و لأُعَبِّئنَّ لکل فارس منهم فارساً ینشب «۳» فی حلقه، ثمّ لَأَرْمِیَنّهم بأعدادهم من قریش رجالًا لم یغذُهم التمر و الطُفیشل «۴». یقولون: نحن الأنصار، قد و اللَّه آووا و نصروا و لکن أفسدوا حقّهم بباطلهم!

فغضب النعمان، فقال: یا معاویة لا تلومنَّ الأنصار بسرعتهم فی الحرب، فإنَّهم کذلک کانوا فی الجاهلیّة، فأمّا دعاؤهم إلی النزال فقد رأیتهم مع رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم، و أمّا لقاؤک إیّاهم فی أعدادهم من قریش، فقد علمتَ ما لَقِیَتْ قریش منهم، فإن أحببت أن تری فیهم مثل ذلک آنفاً، فافعل، و أمّا التمر و الطُفیشل: فإنَّ التمر کان لنا فلمّا أن ذقتموه شارکتمونا فیه، و أمّا الطُفیشل: فکان للیهود فلمّا أکلناه غلبناهم علیه کما غلبت قریشٌ علی سَخینة «۵» ثمَّ تکلّم مسلمة بن مخلد- إلی أن قال:

(۱). وقعة صفّین: ص ۴۲۸.

(۲). وقعة صفّین: ص ۴۴۵- ۴۵۰.

(۳). نشب الشیء فی الشیء: علق فیه. (المؤلف)

(۴). كسُمَيدَع: نوع من المرق. (المؤلف)

(۵). طعام يتّخذ من دقيق و سَمن، كانت قريش تكثر من أكلها، فعُيّرت بها و سمّيت: قريش السخينة. (المؤلف)

و انتهى الكلام إلى الأنصار، فجمع قيس بن سعد الأنصارى الأنصار، ثمّ قام خطيباً فيهم فقال: إنَّ معاوية قد قال ما بلغكم و أجاب عنكم صاحبكم، فلعمرى لئن غظتم معاوية اليوم لقد غظتموه بالأمس، و إن وَتَرْتموه فى الإسلام لقد وَتَرْتموه فى الشرک، و ما لكم إليه من ذنب أعظم من نصر هذا الدين الذى أنتم عليه، فجدّوا اليوم جدّا تنسونه به ما كان أمس، و جدّوا غداً جدّا تنسونه به ما كان اليوم، و أنتم مع هذا اللواء الذى كان يقاتل عن يمينه جبرئيل و عن يساره ميكائيل، و القوم مع لواء أبى جهل و الأحزاب، و أمّا التمر فإنّا لم نغرسه و لكن غَلَبنا عليه من غرسه، و أمّا الطُفيشل فلو كان طعامنا لَسُمّينا به كما سُمّيت قريش: السخينة. ثمّ قال قيس بن سعد فى ذلک:

يا ابن هندٍ دعِ التوثّبَ فى الحر	بِ إذا نحنُ فى البلادِ نأينا«۱»
نحن من قد رأيتَ فادنُ إذا	شئتَ بمن شئتَ فى العَجاجِ إلينا
إن برَزْنا بالجمعِ نلقَکَ فى الجم	عِ و إن شئتَ محضةً أسْرَيْنَا
فالْقَنا فى اللفيفِ نَلْقَکَ فى الخز	رجِ تدعو فى حربنا أبَوَينا
أىَّ هذين ما أردتَ فَخُذْهُ	ليس منّا و ليس منک الهُوينا
ثمَّ لا يُنزعُ العجاجةُ حتى	تنجلى حربُنا لنا أو علينا
ليتَ ما تطلبُ الغَداةَ أتانا	أنعمَ اللَّه بالشهادةِ عَيْنا
إنَّنا إنَّنا الذينَ إذا الفت	حَ شَهِدْنا و خيبراً و حُنينا
بعد بدرٍ و تلک قاصمةُ الظّهرِ	و أُحدٍ و بالنضيرِ ثنينا
يومَ الاحزابِ فيه قد علم النا	سُ شُفينا من قبلكمْ و اشتفينا

فلمّا بلغ معاوية شعره، دعا عمرو بن العاص، فقال: ما ترى فى شتم الأنصار؟ قال: أرى أن توعد و لا تشتم، ما عسى أن تقول لهم؟ إذا أردت ذمّهم، ذُمّ

(۱). ذكر ابن أبى الحديد فى شرحه: ۲/ ۲۹۷ [۸/ ۸۶ خطبة ۱۲۴] ستّة من هذه الأبيات، مع اختلاف فيها. (المؤلف)

أبدانهم و لا تذمَّ أحسابهم.

قال معاوية: إنَّ خطيب الأنصار قيس بن سعد يقوم كلَّ يوم خطيباً و هو و اللَّه يريد أن يفنينا غداً إن لم يحبسه عنّا حابس الفيل، فما الرأى؟ قال: الرأى التوكّل و الصبر.

فأرسل معاوية إلى رجال من الأنصار فعاتبهم، منهم: عقبة بن عمرو، و أبو مسعود، و البراء بن عازب، و عبد الرحمن بن أبى ليلى، و خزيمة بن ثابت، و زيد بن أرقم، و عمرو بن عمرو، و الحجّاج بن غُزيّة. و كانوا هؤلاء يُلقون فى تلك الحرب، فبعث معاوية بقوله: لتأتوا قيس بن سعد. فمشوا بأجمعهم إلى قيس، فقالوا: إنَّ معاوية لا يريد شتمنا فكُفَّ عن شتمه. فقال: إنَّ مثلى لا يَشْتُمْ، و لكنّى لا أكفُّ عن حربه حتى ألقى اللَّه.

و تحرّكت الخيل غُدوةً، فظنَّ قيس بن سعد أنَّ فيها معاوية، فحمل على رجل يشبهه فقنّعه بالسيف، فإذا غير معاوية، و حمل الثانية على آخر يشبهه أيضاً فضربه، ثمَّ انصرف و هو يقول:

قولوا لهذا الشاتمى معاويه ... إنْ كلُّ ما أوعدتَ ريحٌ هاويه

خوّفتنا أكْلُبَ قومٍ عاويه ... إلىَّ يا ابن الخاطئين الماضيه

تُرقِلُ إرقالَ العجوزِ الخاويه«۱» ... فى أثَرِ السارى ليالى الشاتيه

فقال معاوية: يا أهل الشام، إذا لقيتم هذا الرجل فأخبروه بمساويه.

(فلمّا تحاجز الفريقان شتمه معاوية شتماً قبيحاً و شتم الأنصار) «۲»، فغضب النعمانُ و مَسلمة على معاوية، فأرضاهما بعد ما همّا أن ينصرفا إلى قومهما.

(۱). أرقل: أسرع. الخاوية: الساقطة. (المؤلف)

(۲). هذه الجملة من لفظ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد [۸/ ۸۷ خطبة ۱۲۴]. (المؤلف)

ثمَّ إنَّ معاوية سأل النعمان أن يخرج إلى قيس فيعاتبه و يسأله السلم، فخرج النعمان حتى وقف بين الصفَّين فقال: يا قيس أنا النعمان بن بشير. فقال قيس: هيه يا ابن بشير، فما حاجتک؟

فقال النعمان: يا قيس إنَّه قد أنصفكم من دعاكم إلى ما رضى لنفسه، أ لستم معشر الأنصار تعلمون أنَّكم أخطأتم فى خذل عثمان يوم الدار؟ و قتلتم أنصاره يوم الجمل؟ و أقحمتم خيولكم على أهل الشام بصفِّين؟ فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم عليّا لكان واحدة بواحدة، و لكنَّكم خذلتم حقّا و نصرتم باطلًا، ثمَّ لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتى أعلمتم فى الحرب، و دعوتم إلى البراز، ثمَّ لم ينزل بعلىٍّ أمرٌ «۱» قط إلّا هوّنتم عليه المصيبة، و وعدتموه الظفر، و قد أخذت الحرب منّا و منكم ما قد رأيتم، فاتّقوا اللَّه فى البقيّة.

فضحک قيس ثمَّ قال: ما كنت أراک يا نعمان تجترئ على هذه المقالة، إنَّه لا ينصح أخاه من غشَّ نفسه، و أنت و اللَّه الغاشُّ الضالُّ المضلُّ.

أمّا ذكرک عثمان، فإن كانت الأخبار تكفيک فخذ منّى واحدة، قتل عثمان من لستَ خيراً منه، و خذله من هو خير منک. أمّا أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث. و أمّا معاوية فو اللَّه لو اجتمعت عليه العرب لقاتلته الأنصار.

و أمّا قولک: إنّا لسنا كالناس، فنحن فى هذه الحرب كما كنّا مع رسول اللَّه، نتّقى السيوف بوجوهنا و الرماح بنحورنا، حتى جاء الحقُّ و ظهر أمر اللَّه و هم كارهون، و لكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلّا طليقاً أو أعرابيّا أو يمانيّا مستدرجاً بغرور؟ انظر أين المهاجرون و الأنصار و التابعون لهم بإحسانٍ الذين رضى اللَّه عنهم؟ ثمّ انظر هل ترى مع معاوية غيرک و صويحبک؟ و لستما و اللَّه ببدريَّينِ و لا أُحديَّينِ و لا

---

(۱). فى شرح النهج [۸/ ۸۸ خطبة ۱۲۴]: خطب. (المؤلف)

لكما سابقةٌ فى الإسلام، و لا آيةٌ فى القرآن؟ «۱» و لعمرى لئن شغبت علينا لقد شغب علينا أبوک. ثمَّ قال قيس فى ذلک:

و الراقصاتِ بكلِّ أشعثَ أغْبَرٍ ... خُوصِ العيونِ تحثُّها الركبانُ

ما ابنُ المخلّدِ ناسياً أسيافَنا ... عمّن نحاربُه و لا النعمانُ

تركا العيانَ و فى العيانِ كفايةٌ ... لو كان ينفعُ صاحبيه عيانُ

ثمَّ إنَّ علياً علیه السلام دعا قیس بن سعد فأثنی علیه خیراً و سوّده علی الأنصار «۲».

و خرج قیس فی النهروان إلی الخوارج، فقال لهم: عباد اللَّه، أخرجوا إلینا طَلِبَتَنا منکم، و ادخلوا فی هذا الأمر الذی خرجتم منه، و عودوا بنا إلی قتال عدوِّنا و عدوِّکم، فإنَّکم رکبتم عظیماً من الأمر، تشهدون علینا بالشرک، و الشرک ظلمٌ عظیم، تسفکون دماء المسلمین، و تعدّونهم مشرکین.

فقال له عبد اللَّه بن شجرة السلَمی: إنَّ الحقَّ قد أضاء لنا؛ فلسنا متابعیکم أو تأتونا بمثل عمر. فقال قیس: ما نعلمه فینا غیر صاحبنا فهل تعلمونه فیکم؟. قالوا: لا. قال: نشدتکم اللَّه فی أنفسکم أن تهلکوها، فإنّی لا أری الفتنة إلّا و قد غلبتْ علیکم «۳».

أمّا موقفه بعد العهدین فکان مع الإمام السبط المجتبی- سلام اللَّه علیه-، و

لمّا وجّه عسکره إلی قتال أهل الشام دعا علیه السلام عبید اللَّه بن العبّاس بن عبد المطّلب، فقال له:

«یا ابن عمّ إنّی باعث إلیک اثنی عشر ألفاً من فرسان العرب و قرّاء مضر،

---

(۱). و إلی هنا رواه ابن قتیبة أیضاً فی الإمامة و السیاسة: ۱/ ۹۴ [۱/ ۹۷- ۹۸]. (المؤلف)

(۲). إلی هنا تنتهی روایة نصر بن مزاحم فی کتاب صفّین [ص ۴۴۹]. (المؤلف)

(۳). تاریخ الطبری: ۶/ ۴۷ [۵/ ۸۳ حوادث سنة ۳۷ ه]، کامل ابن الأثیر: ۳/ ۱۳۷ [۲/ ۴۰۴ حوادث سنة ۳۷ ه]. (المؤلف)

الرجل منهم یرید الکتیبة، فَسِرْ بهم، و ألن لهم جانبک، و ابسطْ لهم وجهک، و افرِشْ لهم جناحک، و أَدْنِهِمْ فی مجلسک؛ فإنَّهم بقیّة ثقات أمیر المؤمنین، و سِر بهم علی شطِّ الفرات حتی تقطع بهم الفرات حتی تسیر بمسکن «۴»، ثمّ امض حتی تستقبل بهم معاویة، فإن أنت لقیته فاحبسه حتی آتیک، فإنّی علی أثرک وشیکاً، و لیکن خبرک عندی کلَّ یوم، و شاور هذین- یعنی: قیس بن سعد و سعید بن قیس- و إذا لقیت معاویة فلا تقاتله حتی یقاتلک، فإن فعل فقاتله، و إن أُصبتَ فقیس بن سعد، و إن أُصیب قیس بن سعد فسعید بن قیس علی الناس فسار عبید اللَّه...».

فأمّا معاویة فإنَّه وافی حتی نزل قریة یقال لها: الحیوضة- بمسکن- و أقبل عبید اللَّه بن عبّاس حتی نزل بإزائه، فلمّا کان من غدٍ وجّه معاویة بخیل إلی عبید اللَّه فی من معه، فضربهم حتی ردّهم إلی معسکرهم، فلمّا کان اللیل أرسل معاویة إلی عبید اللَّه بن عبّاس أنّ الحسن قد راسلنی فی الصلح، و هو مسلّم الأمر إلیَّ، فإن دخلت فی طاعتی الآن کنت متبوعاً، و إلّا دخلت و أنت تابع، و لک إن أجبتنی الآن أن أعطیک ألف ألف درهم، أعجِّل لک فی هذا الوقت نصفها، و إذا دخلت الکوفة النصف الآخر.

فأقبل عبيد اللّه إليه ليلًا فدخل عسكر معاوية، فوفى له بما وعده، و أصبح الناس ينتظرون عبيد اللّه أن يخرج حتى أصبحوا، فطلبوه فلم يجدوه، فصلّى بهم قيس ابن سعد بن عبادة، ثمّ خطبهم فثبّتهم، و ذكر عبيد اللّه فنال منه، ثمّ أمرهم بالصبر و النهوض إلى العدوّ، فأجابوه بالطاعة و قالوا له: انهض بنا إلى عدوّنا على اسم اللّه.

فنزل فنهض بهم، و خرج إليه بُسر بن أرطاة، فصاح إلى أهل العراق: و يحكم هذا أميركم عندنا قد بايع، و إمامكم الحسن قد صالح، فعلامَ تقتلون أنفسكم؟!

---

(۴). بفتح الميم ثمّ السكون ثمّ الكسر: موضع قريب من أوانا ناحية الدجيل، بينه و بين بغداد عدّة فراسخ من جهة تكريت. (المؤلف)

فقال لهم قيس بن سعد: اختاروا إحدى اثنتين: إمّا القتال مع غير إمام، و إمّا أن تبايعوا بيعة ضلال. فقالوا: بل نقاتل بلا إمام، فخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردّوهم إلى مصافّهم، فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه و يمنّيه، فكتب إليه قيس: لا و اللّه لا تلقانى أبداً إلّا بينى و بينک الرمح.

شرح بن أبى الحديد «۱» (۴/ ۱۴).

قال اليعقوبى فى تاريخه «۲» (۲/ ۱۹۱): إنّه وجّه الحسن عليه السلام بعبيد اللّه بن العبّاس فى اثنى عشر ألفاً لقتال معاوية، و معه قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى، و أمر عبيد اللّه أن يعمل بأمر قيس و رأيه، فسار إلى ناحية الجزيرة، و أقبل معاوية لمّا انتهى إليه الخبر بقتل علىّ، فسار إلى الموصل بعد قتل علىّ بثمانية عشر يوماً، و التقى العسكران، فوجّه معاوية إلى قيس بن سعد يبذل له ألف ألف درهم على أن يصير معه أو ينصرف عنه، فأرسل إليه بالمال و قال: تخدعنى عن دينى؟

فيقال: إنّه أرسل إلى عبيد اللّه بن عبّاس و جعل له ألف ألف درهم، فصار إليه فى ثمانية آلاف من أصحابه، و أقام قيس على محاربته، و كان معاوية يدسّ إلى عسكر الحسن من يتحدّث أنّ قيس بن سعد قد صالح معاوية و صار معه، و وجّه إلى عسكر قيس من يتحدّث أنّ الحسن قد صالح معاوية و أجابه.

و فى الاستيعاب «۳» (۲/ ۲۲۵) عن عروة قال: كان قيس مع الحسن بن علىٍّ على مقدّمته، و معه خمسة آلاف قد حلقوا رءوسهم بعد ما مات علىٌّ و تبايعوا على الموت، فلمّا دخل الحسن فى بيعة معاوية أبى قيس أن يدخل، و قال لأصحابه: ما شئتم، إن شئتم جالدت بكم حتى يموت الأعجل منّا، و إن شئتم أخذت لكم أماناً؟

---

(۱). شرح نهج البلاغة: ۱۶/ ۴۲- ۴۳ كتاب ۳۱.

(۲). تاریخ الیعقوبی: ۲/ ۲۱۴.

(۳). الاستیعاب: القسم الثالث/ ۱۲۹۱ رقم ۲۱۳۴.

ص: ۱۳۷

فقالوا: خُذ لنا أماناً! فأخذ لهم إنَّ لهم کذا و کذا، و أن لا یعاقَبوا بشیء، و أنَّه رجلٌ منهم، و لم یأخذ لنفسه خاصّة شیئاً. ثمَّ ارتحل نحو المدینة و مضی بأصحابه.

حدیث جوده:

لا یسعنا بسط المقال فی أخبار قیس من هذه الناحیة لکثرتها، غیر أنَّا نورد لک شیئاً من ذلک الکثیر الطیّب، و حسبک من القلادة ما أحاط بالعنق «۱»، و کانت هذه الخلّة من هذا البیت علی عنق الدهر- أی قدیماً-

و کان رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم یقول: «الجود من شیمة أهل ذلک البیت» «۲».

باع قیس مالًا من معاویة بتسعین ألفاً، فأمر منادیاً فنادی فی المدینة: من أراد القرض فلیأت منزل سعد، فأقرض أربعین أو خمسین و أجاز الباقی، و کتب علی من أقرَّ له صکّا، فمرض مرضاً قلَّ عُوّاده، فقال لزوجته قُریبة بنت أبی قحافة- أخت أبی بکر-: یا قُریبة لِم تَرین قلَّ عُوَّادی؟ قالت: للّذی لک علیهم من الدین. فأرسل إلی کلِّ رجل بصکّه المکتوب علیه، فوهبه مالَهُ علیهم «۳».

قال جابر: خرجنا فی بعثٍ کان علیهم قیس بن سعد، و نحرَ لهم تسع رکائب، فلمّا قدموا علی رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم ذکروا له من أمر قیس، فقال: «إنّ الجودَ من شیمة أهل ذلک البیت».

و لمّا ارتحل من العراق نحو المدینة و مضی بأصحابه، جعل ینحر لهم کلَّ یوم جزوراً حتی بلغ «۴».

---

(۱). مثل یضرب: أی حسبک بالقلیل من الکثیر [مجمع الأمثال: ۱/ ۳۴۸ رقم ۱۰۳۵]. (المؤلف)

(۲). الإصابة: ۴/ ۲۵۴ [۳/ ۲۴۹ رقم ۷۱۷۷]. (المؤلف)

(۳). تاریخ الخطیب البغدادی: ۱/ ۱۷۷ [رقم ۱۷]، تاریخ ابن کثیر: ۸/ ۶۹ [۸/ ۱۰۸ حوادث سنة ۵۹ ه]. (المؤلف)

(۴). الاستیعاب: ۲/ ۵۲۵ [القسم الثالث/ ۱۲۹۰ رقم ۲۱۳۴]، تهذیب التهذیب: ۸/ ۳۹۸ [۸/ ۳۵۴ رقم ۷۰۲]. (المؤلف)

ص: ۱۳۸

روى عبد اللّه بن المبارک عن جويرية قال: كتب معاوية إلى مروان: أن اشتر دار كثير بن الصلت منه فأبى عليه، فكتب معاوية إلى مروان: أن خذه بالمال الذى عليه، فإن جاء به و إلّا بع عليه داره. فأرسل إليه مروان فأخبره. قال: إنّى أؤجّلک ثلاثاً، فإن جئت بالمال و إلّا بعت عليک دارک.

قال: فجمعها إلّا ثلاثين ألفاً. فقال: مَن لى بها؟ ثمَّ ذكر قيس بن سعد، فأتاه فطلبها منه فأقرضه، فجاء بها إلى مروان، فلمّا رآه قد جاء بها ردّها إليه و ردَّ عليه داره، فردَّ كثير الثلاثين ألفاً على قيس، فأبى أن يقبلها «۱».

روى المبرّد فى كامله «۲» (۱/ ۳۰۹): أنَّ عجوزاً شكت إلى قيس أن ليس فى بيتها جرذ. فقال: ما أحسن ما سألت! أمّا و اللّه لأُكثرنَّ جرذان بيتک. فملأ بيتها طعاماً و ودكاً و إداماً، و قال ابن عبد البرّ «۳»: هذه القصّة مشهورة صحيحة.

فى كامل المبرّد (۱/ ۳۰۹): إنَّه توفّى أبوه عن حمل لم يعلم به، فلمّا وُلد و قد كان سعد رضى الله عنه قسم ماله فى حين خروجه من المدينة بين أولاده، فكلّم أبو بكر و عمر فى ذلک قيساً، و سألاه أن ينقض ما صنع سعد من تلک القسمة. فقال: نصيبى للمولود و لا أُغيّر ما صنع أبى و لا أنقضه. و ذكره ابن عبد البرّ فى الاستيعاب «۴» (۲/ ۵۲۵) و قال: صحيحٌ من رواية الثقات.

و من مشهور أخبار قيس: أنَّه كان له مال كثير ديوناً على الناس، فمرض و استبطأ عوّاده، فقيل له: إنّهم يستحيون من أجل دَينک. فقال: أخزى اللّه مالًا يمنع الإخوان من العيادة. فأمر منادياً ينادى: من كان لقيس عليه مال فهو فى حلٍّ، فأتاه

---

(۱). الاستيعاب: ۲/ ۵۲۵ [القسم الثالث/ ۱۲۹۲ رقم ۲۱۳۴]. الإصابة: ۵/ ۲۵۴ [۳/ ۲۴۹ رقم ۷۱۷۷]. (المؤلف)

(۲). الكامل فى اللغة و الأدب: ۱/ ۴۱۹.

(۳). الاستيعاب: القسم الثالث/ ۱۲۹۱ رقم ۲۱۳۴.

(۴). المصدر السابق.

الناس حتى هدموا درجةً كانوا يصعدون عليها إليه، و فى لفظ: فما أمسى حتى كُسِرت عتبة بابه من كثرة العوّاد «۱».

كان قيس فى سريّة فيها أبو بكر و عمر، فكان يستدين و يطعم الناس، فقال أبو بكر و عمر: إن تركنا هذا الفتى أهلک مال أبيه، فمشيا فى الناس، فلمّا سمع سعد قام خلف النبىِّ، فقال: من يعذرنى من ابن أبى قحافة و ابن الخطّاب يبخّلان علىَّ ابنى. أسد الغابة «۲» (۴/ ۲۱۵).

و فی لفظ: کان قیس مع أبی بکر و عمر فی سفر فی حیاة رسول اللّه صلی الله علیه و سلم، فکان ینفق علیهما و علی غیرهما و یفضل، فقال له أبو بکر: إنّ هذا لا یقوم به مال أبیک فأمسک یدک، فلمّا قدموا من سفرهم قال سعد بن عبادة لأبی بکر: أردت أن تبخِّل ابنی؛ إنّا لقوم لا نستطیع البخل «۳».

حکی ابن کثیر فی تاریخه «۴» (۸/ ۹۹): أنّه کانت لقیس صحفة یُدار بها حیث دار، و کان ینادی له منادٍ: هلمّوا إلی اللحم و الثرید. و کان أبوه و جدّه من قبله یفعلان کفعله.

قال الهیثم بن عدی: اختلف ثلاثة عند الکعبة فی أکرم أهل زمانهم، فقال أحدهم: عبد اللّه بن جعفر. و قال الآخر: قیس بن سعد. و قال الآخر: عُرابة الأوسی. فتمارَوا فی ذلک حتی ارتفع ضجیجهم عند الکعبة، فقال لهم رجل: فلیذهب کلُّ رجل منکم إلی صاحبه الذی یزعم أنّه أکرم من غیره، فلینظر ما یعطیه و لیحکم علی العیان.

---

(۱). ربیع الأبرار للزمخشری [۴/ ۹۱]، الاستیعاب: ۲/ ۵۲۶ [القسم الثالث/ ۱۲۹۳ رقم ۲۱۳۴]، البدایة و النهایة: ۸/ ۱۰۰ [۸/ ۱۰۸ حوادث سنة ۵۹ ه]. (المؤلف)

(۲). أسد الغابة: ۴/ ۴۲۵ رقم ۴۳۴۸.

(۳). الدرجات الرفیعة [ص ۳۳۵]، نقلًا عن کتاب الغارات لإبراهیم بن سعید الثقفی [ص ۱۳۹]. (المؤلف)

(۴). البدایة و النهایة: ۸/ ۱۰۸ حوادث سنة ۵۹ ه.

فذهب صاحب عبد اللّه بن جعفر إلیه، فوجده قد وضع رجله فی الغَرْز «۱» لیذهب إلی ضیعة له، فقال له: یا ابن عمّ رسول اللّه ابن سبیل و منقطَعٌ به. قال: فأخرج رجله من الغَرْز، و قال: ضع رجلک و استوِ علیها، فهی لک بما علیها، و خذ ما فی الحقیبة «۲» و لا تُخْدَعَنَّ فی السیف فإنّه من سیوف علیٍّ. فرجع إلی أصحابه بناقة عظیمة، و إذا فی الحقیبة أربعة آلاف دینار و مطارف من خزّ و غیر ذلک، و أجلُّ ذلک سیف علیّ بن أبی طالب.

و مضی صاحب قیس إلیه فوجده نائماً، فقالت له الجاریة: ما حاجتک إلیه؟ قال: ابن سبیل و منقطَعٌ به. قالت: فحاجتک أیسر من إیقاظه، هذا کیسٌ فیه سبعمائة دینار، ما فی دار قیس مالٌ غیره الیوم، و اذهب إلی مولانا فی معاطن الإبل فخذ لک ناقةً و عبداً، و اذهب راشداً. فلمّا استیقظ قیس من نومه أخبرته الجاریة بما صنعت، فأعتقها شکراً علی صنیعها ذلک، و قال: هلّا أیقظتنی حتی أُعطیه ما یکفیه أبداً، فلعلّ الذی أعطیتِه لا یقع منه موقع حاجته.

و ذهب صاحب عُرابة الأوسی إلیه، فوجده و قد خرج من منزله یرید الصلاة و هو یتوکّأ علی عبدین له- و کان قد کُفَّ بصره- فقال له: یا عُرابة، فقال: قل. فقال: ابن سبیل و منقطَعٌ به. قال: فخلّی عن العبدین ثمّ صفّق بیدیه، بالیمنی علی الیسری، ثمّ قال:

أوّه أوّه، و اللّه ما أصبحت و لا أمسيت و قد تركت الحقوق من مال عُرابة شيئاً، و لكن خذ هذين العبدين. قال: ما كنت لأفعل. فقال: إن لم تأخذهما فهما حرّان، فإن شئت فاعتق، و إن شئت فخذ. و أقبل يلتمس الحائط بيده، قال: فأخذهما و جاء بهما إلى صاحبيه.

قال فحكم الناس على أنَّ ابن جعفر قد جاد بمال عظيم، و أنّ ذلک ليس

---

(١). الغرز- بالفتح ثمّ السكون-: ركاب من جلد. (المؤلف)

(٢). الحقيبة- بفتح المهملة-: ما يحمل على الفرس خلف الراكب. (المؤلف)

بمستنكر له، إلّا أنّ السيف أجلّه. و إنّ قيساً أحد الأجواد، حكمت مملوكته فى ماله بغير علمه، و استحسن فعلها، و عتقها شكراً لها على ما فعلت. و أجمعوا على أنّ أسخى الثلاثة عُرابة الأوسى، لأنَّه جاد بجميع ما يملكه، و ذلک جهد من مقلّ.

البداية و النهاية «١» (٨/ ١٠٠).

حديث خطابته:

إنَّ تقدُّم سيِّد الأنصار فى المعالم الدينيّة، و تضلّعه فى علمى الكتاب و السنّة، و عرفانه بمعاريض القول و مخاريق القيل و سقطات الرأى، و تحلّيه بما يحتاج إليه مدارِه

الكلام و مشيخة الخطابة من العلم الكثار، و الأدب الجمّ، و ربط الجأش، و قوّة العارضة، و حسن التقرير، وجودة السرد، و بلاغة المنطق، و طلاقة اللسان، و معرفة مناهج الحِجاج و المناظرة، و أساليب إلقاء المحاضرة، كلّها براهين واضحة على حظّه الوافر و قسطه البالغ من هذه الخُلّة، و إنَّه أعلى الناس ذا فوق «٢»، على أنّ فيما مرّ و ما يأتى من كلمه و خطبه خُبراً يصدِّق الخبر، و شاهد صدق على أنَّه أحد أمراء الكلام، كما كان فى مقدَّم أمراء السيف. فهو خطيب الأنصار المفوَّه، و اللسِنُّ الفذّ من الخزرج، و متكلِّم الشيعة الأكبر، و لسان العترة الطاهرة الناطق، و المجاهد الوحيد دون مبدئه المقدَّس بالسيف و اللسان، أخطب من سحبان وائل، و أنطق من قُسّ الأيادى، و أصدق فى مقاله من قطاة «٣».

و ناهيک بقول معاوية بن أبى سفيان لقومه يوم صفِّين: إنّ خطيب الأنصار قيس بن سعد يقوم كلّ يوم خطيباً، و هو و اللّه يريد أن يفنينا غداً إن لم يحبسه عنّا

---

(١). البداية و النهاية: ٨/ ١٠٨ حوادث سنة ٥٩ ه.

(۲). مثل یضرب: أی أعلی الناس سهماً. (المؤلف)

(۳). أصدق من قطاة: مثل مشهور [یضرب للصدق، لانّ القطاة لها صوت واحد لا یتغیّر. انظر: مجمع الأمثال: ۲/ ۲۴۷ رقم ۲۱۷۳]. (المؤلف)

حابس الفیل. مرّ (ص ۸۱)، و فی

قول أمیر المؤمنین علیه السلام له عند بعض مقاله کما مرّ (ص ۷۶): «أحسنت و اللّه یا قیس و أجملت»

لغنیً و کفایة عن أیّ إطراء و ثناء علیه.

حدیث زهده:

لا نحاول فی البحث عن هذه النواحی، فی أیّ من التراجم، سرد تاریخ أمّة غابرة، أو ذکریات أماثل الأمّة أو حثالتها فی القرون الخالیة فحسب، بل إنّما نخوض

فیها بما فیها من عظات دینیّة، و فلسفة أخلاقیّة، و حِکَم عملیّة، و معالم روحیّة، و مصالح اجتماعیّة، و دستور فی مناهج السیر إلی المولی سبحانه، و برنامج فی إصلاح النفس، و دروس فی التحلّی بمکارم الأخلاق، التی بُعث لإتمامها نبیُّ الإسلام.

و هناک نماذج من نفسیّات شیعة العترة الطاهرة، و ما لهم دون مناوئیهم من خلاق من المکارم و الفضائل و القداسة و النزاهة، یحقُّ بذلک کلّه أن یکون کلٌّ من نظراء قیس قدوةً للبشر فی السلوک إلی المولی، و قادةً للخلق فی تهذیب النفس، و مؤدِّباً للأمّة بالخلائق الکریمة، و مُصلحاً للمجتمع بالنفسیّات الراقیة، و الروحیّات السلیمة، فلن تجد فیهم (جُرفٌ مُنهال، و لا سحابٌ مُنجال) «۱».

ففی وسع الباحث أن یستخرج من تاریخ تلکم النفوس القدسیّة، من قیس و من یصافقه فی المبدأ الدینیِّ، و من ترجمة من یضادُّهم فی التشیّع لآل اللّه، من عمرو ابن العاص و من یشاکله، حقیقة راهنة دینیّة، أثمن و أغلی من معرفة حقائق الرجال، و الوقوف علی تاریخ الأجیال الماضیة، و یمکنه أن یقف بذلک علی غایة کلٍّ من الحزبین العلویِّ و الأمویِّ مهما یکن القارئ شریف النفس، حرّا فی تفکیره، غیر مقلّد و لا إمّعة، مهما حداه التوفیق إلی اتّباع الحقّ، و الحقُّ أحقُّ أن یُتَّبع، غیر ناکبٍ عن الطریقة المثلی فی البخوع للحقائق، و الجنوح إلیها.

---

(۱). مثل یُضرب. جرف منهال: أی لا حزم عنده و لا عقل. سحاب منجال: أی لا یطمع فی خیره [مجمع الأمثال: ۱/ ۳۱۶ رقم ۹۴۶]. (المؤلف)

فخذ قیس بن سعد و عمرو بن العاص مثالًا من الفریقین، و قس بینهما، وضع یدک علی أیّ مأثرة تحاولها: من طهارة مولد، و إسلام، و عقل، و حزم، و عفّة، و حیاء، و شَمم، و إباء، و منعة، و بذخ، و صدق، و وفاء، و وقار، و رزانة، و مجد، و نجدة، و شجاعة، و کرم، و قداسة، و زهد، و سداد، و رشد، و عدل، و ثبات فی الدین، و ورع عن محارم اللَّه، إلی مآثر أخری لا تُحصی؛ تجد الأوّل منهما حامل عبء کلٍّ منها، بحیث لو تجسّم أیٌّ من تلکم الصفات لَیکونُ هو مثاله و صورته.

و هل تری الثانی کذلک؟! اللّهمَّ لا. بل کلٌّ منها فی ذاته محکوم بالسلب؛ أضف إلی مخازٍ فی المولد، و المَحْتِد، و الدین، و الفروسیّة، و الأخلاق، و النفسیّات کلّها، و سنلمسک کلّ هذه بیدیک عن قریب إن شاء اللَّه تعالی.

عندئذٍ یعرف المنقّب نفسیّة کلٍّ من إمامی الحزبین- إذ الناس علی دین ملوکهم، و یکون علی بصیرة من أمرهما، و حقیقة دعوة أیٍّ منهما، و تکون أمثلتهما نصب عینیه، إن لم یتّبع الهوی، و لا تضلّه تعمیة من یروقه جهل الأمّة الإسلامیّة بالحقائق، بقوله فی مقاتلی أمیر المؤمنین و الخارجین علیه: إنَّهم کانوا مجتهدین مخطئین و لهم أجر واحدٌ، أو بقوله: الصحابة کلّهم عدول، و إن فعل أحدهم ما فعل، و جنت یداه ما جنت، و خرج عن طاعة الإمام العادل، و سنَّ لعنه، و سبّه، و حاربه، و قاتله، و قتله.

فالناظر إلی هذه التراجم بعین النصفة، إذا أمعن فیها بما فیها من المغازی المذکورة، یعتقد بأنّ «۱»)

«أفضل عباد اللَّه عند اللَّه إمام عادل هُدی و هَدی، فأقام سنّةً معلومةً و أمات بدعةً مجهولة، و إنَّ السُنَن لنیِّرة لها أعلام، و إنَّ البدع لظاهرةٌ لها أعلامٌ، و إنَّ شرَّ الناس عند اللَّه إمامٌ جائرٌ ضلَّ و أُضِلَّ به، فأمات سنّةً مأخوذةً، و أحیا بدعةً متروکةً»

و صدَّق بقول النبیِّ الطاهر: «یؤتی یوم القیامة بالإمام الجائر، و لیس

---

(۱). من هنا إلی آخر الکلمة لمولانا أمیر المؤمنین، إلّا کلمتی: صدّق و الطاهر. (المؤلف)

معه نصیرٌ و لا عاذرٌ، فَیُلقی فی نار جهنّم، فیدور فیها کما تدور الرحی، ثمَّ یرتبط فی قعرها» «۱».

لعلَّ الباحث لا یمرُّ علی شیء من خطب سیِّد الخزرج، و کتبه، و کَلِمه، و محاضراته، إلّا و یجده طافحاً بقداسة جانبه عن کلِّ ما یلوِّث و یدنّس من اتِّباع الهوی، و بزهادته عن حطام الدنیا، معرباً عن ورعه عن محارم اللَّه و خشونته فی ذات ربِّه، و تعظیمه شعائر الدین، و قیامه بحقِّ النبیِّ الأعظم، و رعایته فی أهل بیته و ذویه بکلِّ حول و طول، و بذل النفس و النفیس دون کلاءة دینه، و إعلاء کلمة الحقِّ، و إرحاض معرّة الباطل، و إصلاح الفاسد، و کسر شوکة المعتدین، و بعد الیأس عن صلاح أمّته، و العجز عن الدعوة إلی الحقِّ، لزم عقر داره بالمدینة المشرّفة بقیّة حیاته، و أقبل علی العبادة، حتی أدرکه أجله المحتوم. کما ذکره ابن عبد البرّ فی الاستیعاب «۲» (۲/ ۵۲۴).

و أوفى كلمة فى زهده و عبادته، ما قاله المسعودى فى مروج الذهب «۳» (۲/ ۶۳) قال: كان قيس بن سعد من الزهد، و الديانة، و الميل إلى علىٍّ، بالموضع العظيم، و بلغ من خوفه للّه و طاعته إيّاه، أنّه كان يصلّى، فلما أهوى للسجود، إذا فى موضع سجوده ثعبانٌ عظيم مطرق، فمال على الثعبان برأسه، و سجد إلى جانبه، فتطوّق الثعبان برقبته، فلم يقصر من صلاته، و لا نقص منها شيئاً حتى فرغ، ثمّ أخذ الثعبان فرمى به. كذلک ذكر الحسن بن علىّ بن عبد اللّه بن المغيرة، عن معمر بن خلّاد، عن أبى الحسن- الإمام- علىّ بن موسى الرضا عليه السلام. انتهى.

و الحديث الرضوىّ هذا رواه الكشّى، بإسناده عنه عليه السلام فى رجاله «۴» (ص ۶۳).

---

(۱). نهج البلاغة: ص ۲۳۴ خطبة ۱۶۴.

(۲). الاستيعاب: القسم الثالث/ ۱۲۹۰ رقم ۲۱۳۴.

(۳). مروج الذهب: ۳/ ۲۷.

(۴). رجال الكشّى: ۱/ ۳۰۹ رقم ۱۵۱.

و كان ذلک الخشوع و الإقبال إلى اللّه فى العبادة و إفراغ القلب بكلّه إلى الصلاة من وصايا والده الطاهر له، قال: يا بنىَّ أوصيک بوصيّة فاحفظها، فإذا أنت ضيّعتَها فأنت لغيرها من الأمر أضيع، إذا توضّأت فَأَتِمَّ الوضوء، ثمّ صلِّ صلاة امرئٍ مودِّع يرى أنّه لا يعود، و أظهِرِ اليأس من الناس فإنّه غنى، و إيّاک و طلب الحوائج إليهم؛ فإنّه فقر حاضر، و إيّاک و كلّ شىء تعتذر منه. تاريخ ابن عساكر «۱» (۶/ ۹۰).

و كان من دعاء سيِّدنا المترجَم، كما فى الدرجات الرفيعة «۲»، و تاريخ الخطيب «۳» و غيرهما قوله: اللّهمَّ ارزقنى حمداً و مجداً، فإنّه لا حمدَ إلّا بفعالٍ، و لا مجدَ إلّا بمال. اللّهمَّ وسِّع علىَّ، فإنَّ القليل لا يسعنى و لا أسعه.

و فى البداية و النهاية «۴» (۸/ ۱۰۰): كان قيس يقول: اللّهمَّ ارزقنى مالًا و فعالًا، فإنّه لا تصلح الفعال إلّا بالمال.

و معلوم أنَّ طلب المال غير منافٍ للزهادة؛ فإنّ حقيقة الزهد أن لا يملكک المال، لا أن لا تملک المال.

حديث فضله:

إنّ خطابات قيس، و كتاباته، و محاضراته، و مقالاته، المبثوثة فى طيّات الكتب و معاجم السِيَر، شواهد صادقة على تضلّعه فى المعارف الإلهيّة، و أشواطه البعيدة فى علمى الكتاب و السنّة، و فى خدمته النبىَّ الأعظم مدّة عشر سنين «۵»،

(۱). تاريخ مدينة دمشق: ۷/ ۱۲۵، و فى مختصر تاريخ دمشق: ۹/ ۲۴۵.

(۲). الدرجات الرفيعة: ص ۳۳۵.

(۳). تاريخ بغداد: ۱/ ۱۷۹ رقم ۱۷.

(۴). البداية و النهاية: ۸/ ۱۰۸ حوادث سنة ۵۹ ه.

(۵). البداية و النهاية: ۸/ ۹۹ [۸/ ۱۰۷ حوادث سنة ۵۹ ه]، الإصابة: ۵/ ۲۵۴ [۳/ ۲۴۹ رقم ۷۱۷۷]. (المؤلف)

أو مدّة غير محدودة، و قد كان أبوه دفعه إلى النبىِّ صلى الله عليه و آله و سلم ليخدمه، كما فى أسد الغابة «۱» (۴/ ۲۱۵) و مسامرته له صلى الله عليه و آله و سلم سفراً و حضراً طول عمره، مع ما كان له من العقل، و الحزم، و الرأى السديد، و الشوق المؤكّد إلى تهذيب نفسه، و الولع التامّ إلى تكميل روحيّاته، لَغنىً و كفاية عن أىِّ ثناء على علمه المتدفِّق، و فضله الكثار، و تقدّمه فى علمى الكتاب و السنّة.

و من الفضول أن نتعرَّض لإحصاء شواهد حسن تعليم النبىِّ صلى الله عليه و آله و سلم إياه، و أنَّه كان يجيد تربيته، و يعلّمه معالم دينه، و يفيض عليه من نمير فضله، و يلقِّنه بما يحتاج إليه الإنسان الكامل من المعارف الدينيّة، و إنّ ملازمته لصاحب الرسالة، و هو سيِّد الخزرج و ابن سادتها لم تكن خدمةً بسيطةً، كما هو الشأن فى الخدم و الأتباع من الناس، و إنّما هى كخدمة تلميذ لأستاذه للتعلّم و أخذ المعارف الدينيّة، و الاقتباس من أنوار علمه، و ممّا لا شكّ فيه أنَّ النبىَّ صلى الله عليه و آله و سلم كان يعلّمه معالم دينه فى كلِّ حال يجده، و كان قيس يغتنم الفرص و يظهر الشوق إليه، و ينمُّ عن ذلک ما

رواه ابن الأثير فى أسد الغابة «۲» (۴/ ۲۱۵) عن قيس، قال: مرَّ بى النبىُّ صلى الله عليه و سلم و قد صلّيت و قال: «ألا أدلّک إلى باب من أبواب الجنّة؟». قلت: نعم. قال: «لا حول و لا قوّة إلّا باللَّه».

و سماعه بعد وفاة النبىِّ صلى الله عليه و آله و سلم عن أمير المؤمنين باب مدينة العلم النبوىِّ، و أخذه منه علمى الكتاب و السنّة، كما قاله لمعاوية فى حديث يأتى، لمّا جرت بينهما مناظرة، و احتجَّ قيس عليه بكلّ آية نزلت فى علىّ، و بكلِّ حديث ورد فى فضله، حتى قال معاوية: يا ابن سعد: عمّن أخذت هذا، و عمَّن رويته؟ و عمّن سمعته؟ أبوک أخبرک بذلک؟ و عنه أخذته؟

قال قيس: سمعته و أخذته ممّن هو خير من أبى، و أعظم حقّا من أبى. قال: من؟ قال: علىّ بن أبى طالب عليه السلام عالم هذه الأمّة و صدّيقها.

(۱). أسد الغابة: ۴/ ۴۲۵ رقم ۴۳۴۸.

(۲). أسد الغابة: ۴/ ۴۲۵ رقم ۴۳۴۸.

ص: ۱۴۷

کلّ هذه آیةٌ محکمةٌ، تدلّ علی اطّلاعه الغزیر فی المعالم الدینیّة، و برهنة واضحة تثبت طول باعه فی العلوم الإلهیّة، و مثل قیس إذا کان أخذه، و سماعه، و روایته، عن مثل مولانا أمیر المؤمنین علیه السلام ینحسر البیان عن استکناه فضله، و یقصر التعریف عن درک مداه.

و من شواهد غزارة علمه: إسلامه الراسخ، و إیمانه المستقرّ، و عرفانه بأولیاء الأمر بعد نبیِّه، و تهالکه فی ولائهم، و تفانیه فی نصرتهم إلی آخر نفَسٍ لفَظه، و عدم اکتراثه بلومة أیِّ لائم. و کان هناک قوم حنّاق علیه، من أهل النفاق و حملة الحقد و الضغینة، یعیِّرونه بولاء العترة الطاهرة، و عدم إیثاره علی دینه عوامل النهمة، و عدم تأثّره ببواعث الفخفخة أو دواعی الجشع، و عدم انتظاره منهم فی دولتهم لرتبة و لا راتب، و عدم إرادته منهم علی ولائه جزاءً عاجلًا و لا شکوراً، و یشفُّ عن ذلک ما وقع بینه و بین حسّان بن ثابت، لمّا عزله أمیر المؤمنین عن ولایة مصر، و رجع إلی المدینة، فإنَّه حینما قدمها جاءه حسّان شامتاً به، و کان عثمانیّا، فقال له: نزعک علیُّ ابن أبی طالب، و قد قتلت عثمان فبقی علیک الإثم، و لم یحسن لک الشکر!. فزجره قیس و قال: یا أعمی القلب و أعمی البصر! و اللّه لو لا أن ألقی بین رهطی و رهطک حرباً، لضربت عنقک، ثمَّ أخرجه من عنده «۱».

و لولا أنّ قیساً مستودع العلوم و المعارف، و مستقی معالم الدین، و معقد جمان الفضیلة، کما کانت له الشهرة الطائلة فی الدهاء و الحزم، لمَا ولّاه أمیر المؤمنین علیه السلام مصر لإدارة شئونها الدینیّة و المدنیّة، کما فوّض إلیه إقامة أمورها السیاسیّة و الإداریّة و العسکریّة، و لما کتب إلیه بما مرَّ (ص ۷۱)

من کلامه علیه السلام: «و عَلّمْ مِن قِبلک ممّا علّمک اللّه».

فإنّ عامل الخلیفة هو مرجع تلکم الشؤون کلّها فی الوسط الذی استعمل به، و موئل أمّته فی کلّ مشکلة دینیّة، کما أنّ له إمامة الجمعة و الجماعة، و ما کان للخلیفة

(۱). تاریخ الطبری: ۵/ ۱۳۱ [۴/ ۵۵۵ حوادث سنة ۳۶ ه]، شرح ابن أبی الحدید: ۲/ ۲۵ [۶/ ۶۴ خطبة ۶۷]. (المؤلف)

ص: ۱۴۸

من مُنتدح عن استعمال من له الکفایة لذلک کلّه.

قال الماوردى فى الأحكام السلطانيّة «۱» (ص ۲۴): إذا قلّد الخليفة أميراً على إقليم أو بلد، كانت إمارته على ضربين: عامّة و خاصّة.

فأمّا العامة على ضربين: إمارة استكفاء بعقدٍ عن اختيار، و إمارة استيلاء بعقدٍ عن اضطرار.

فأمّا إمارة الاستكفاء التى تنعقد عن اختياره، فتشتمل على عمل محدود، و نظر معهود، و التقليد فيها أن يفوّض إليه الخليفة إمارة بلد أو إقليم، ولايةً على جميع أهله، و نظراً فى المعهود من سائر أعماله، فيصير عامّ النظر فيما كان محدوداً من عمل، و معهوداً من نظر، فيشتمل نظره فيه على سبعة أمور:

۱- النظر فى تدبير الجيوش، و ترتيبهم فى النواحى، و تقدير أرزاقهم، إلّا أن يكون الخليفة قدّرها فيدرّها عليهم.

۲- النظر فى الأحكام و تقليد القضاة و الحكّام.

۳- جباية الخراج، و قبض الصدقات، و تقليد العمّال فيهما، و تفريق ما استحقّ منهما.

۴- حماية الدين، و الذبّ عن الحريم، و مراعاة الدين من تغيير أو تبديل.

۵- إقامة الحدود فى حقِّ اللَّه، و حقوق الآدميِّين.

۶- الجُمع و الجماعات، حتى يؤمَّ بها أو يَستخلفَ عليها.

۷- تسيير الحجيج من عمله.

فإن كان هذا الإقليم ثغراً متاخماً للعدوِّ اقترن بها ثامنٌ، و هو: جهاد مَن يليه من الأعداء، و قَسْمُ غنائمهم فى المقاتلة، و أخذ خمسها لأهل الخمس. و تعتبر فى هذه الإمارة الشروط المعتبرة فى وزارة التفويض.

---

(۱). الأحكام السلطانية: ۲/ ۳۰، ۲۲، ۶.

و قال فى (ص ۲۰): يعتبر فى تقليد وزارة التفويض شروط الإمامة إلّا النسب. و ذكر الشروط المعتبرة فى الإمامة (ص ۴) و قال: إنّها سبعة:

۱- العدالة على شروطها الجامعة.

۲- العلم المؤدّی إلی الاجتهاد فی النوازل و الأحکام.

۳- سلامة الحواسّ من السمع، و البصر، و اللسان.

۴- سلامة الأعضاء من نقص یمنع عن استیفاء الحرکة.

۵- الرأی المفضی إلی سیاسة الرعیّة و تدبیر المصالح.

۶- الشجاعة و النّجدة المؤدِّیة إلی حمایة البیضة و جهاد العدوِّ.

۷- النسب و هو أن یکون من قریش.

إذا عرفتَ معنی التقلید بالولایة علی المسلمین و مغزاها، و وقفتَ علی الأمور الثمانیة التی ینظر إلیها کلّ أمیر بالاستکفاء بعقد عن اختیار، کأمیر الإسلام الکبیر قیس بن سعد، و اطّلعتَ علی ما یُعتبر فیها من الشروط الستّة المعتبرة فی الإمامة و وزارة التفویض، فحدِّث عن فضل قیس و لا حرج.

کلمتنا الأخیرة عن قیس: إنّه من عَمَد الدین و أرکان المذهب.

لعلّک بعد ما تلوناه علیک من فضائل المترجَم له و فواضله، و علومه و معارفه، و حزمه و سداده، و صلاحه و إصلاحه، و تهالکه فی نصرة إمامه الطاهر، و إقامته علم الدین منذ عهد النبوّة و علی العهد العلویِّ الناصع، و ثباته عند تخاذل الأیدی و تدابر النفوس علی العهد الحسنیِّ، و مصارحته بکلمة الحقِّ فی کلِّ محتشد إلی آخر حیاته، و عدم انخداعه ببهرجة الباطل، و زبرجة الإلحاد السفیانیِّ، و ثراء معاویة الطائل الهاطل علیه لخدعه عن دینه، حینما بذل له ألف ألف درهم علی أن یصیر معه أو ینصرف عنه کما مرّ (ص ۸۴)، أنّک لا تشکّ بعد ذلک کلّه، فی أنَّ قیساً من عَمد الدین، و أرکان المذهب، و عظماء الأمّة، و دعاة الحق، فدون مقامه الباذخ ما فی

المعاجم و الکتب من جمل الثناء علیه، مهما بالغوا فیها.

و لولا مثل قیس فی آل سعد، لما

قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم و هو رافعٌ یدیه: «اللّهمّ اجعل صلواتک و رحمتک علی آل سعد بن عبادة».

و ما کان یقول فی غزوة ذی قَرَد «۱»: «اللّهمّ ارحم سعداً و آل سعد، نعم المرء سعد بن عبادة».

و ما کان یقول لمّا أکل طعاماً فی منزل سعد: «أکلَ طعامکم الأبرار، و صلّت علیکم الملائکة، و أفطر عندکم الصائمون».

و ما كان يقول لسعد و قيس، لمّا أتيا بزاملة تحمل زاداً يوم ضلّت زاملة النبيِّ:

«بارک اللَّه عليكما يا أبا ثابت «۲» ابشر فقد أفلحت، إنَّ الإخلاف بيد اللَّه فمن شاء أن يمنحه منها خلفاً صالحاً منحه، و لقد منحک اللَّه خلفاً صالحاً» «۳».

فلينظر القارئ فی قيس بن سعد إلى آثار رحمة اللَّه، و مظاهر صلواته، و مجالی فضله، و ما أثّرت فيه تلک الدعوة النبويّة، و ما ظهر فيه و فی آله من برکاتها، و قد حفّت به الصلوات و الرحمة الإلهيّة صلوات اللَّه عليه و رحمته و برکاته.

و لقيس محاضرة و مناظرة مع الشيخين فی قصّة طوق خالد، ذکرها أبو محمد الديلمی الحسن بن أبی الحسن فی إرشاد القلوب «۴» (۲/ ۲۰۱)، أفاضها بلسان ذلق، و إيمان مستقرٍّ، و جنان ثابت، نضرب عنها صفحاً، تحرِّياً للإيجاز.

مشايخ قيس و الرواة عنه

يروی سيِّد الخزرج عن النبیِّ صلی الله عليه و آله و سلم و صنوه الطاهر، و عن والده السعيد سعد،

---

(۱). ذو قرد: ماء علی ليلتين من المدينة بينها و بين خيبر.

(۲). کنية سعد والد المترجَم له. (المؤلف)

(۳). توجد هذه الأحاديث فی إمتاع المقريزی: ص ۲۶۳، ۵۱۵، تاريخ ابن عساکر: ۶/ ۸۲، ۸۸ [۷/ ۱۱۹، و فی مختصر تاريخ دمشق: ۹/ ۲۴۲]، السيرة الحلبيّة: ۳/ ۸ [۳/ ۷]. (المؤلف)

(۴). إرشاد القلوب: ۲/ ۳۷۸- ۳۸۴.

کما فی الإصابة و تهذيب التهذيب.

و من رواياته عن والده ما

أخرجه الحافظ محمد بن عبد العزيز الجنابذی الحنبلیّ، فی کتاب معالم العترة، مرفوعاً إلى قيس، عن أبيه: أنَّه سمع عليّا رضی الله عنه يقول:

«أصابتنی يوم أُحد ستّ عشرة ضربة، سقطت إلى الأرض فی أربع منهنّ، فجاء رجل حسن الوجه، طيّب الريح، فأخذ بضَبعی فأقامنی، ثمّ قال: أقبل عليهم فإنّک فی طاعة اللَّه و طاعة رسوله، و هما عنک راضيان.

قال علیٌّ: فأتیت النبیَّ صلی الله علیه و آله و سلم فأخبرته فقال: یا علیُّ أقرَّ اللَّه عینک ذاک جبریل». کفایة الطالب طبعة مصر (ص ۳۷)، نور الأبصار «۱» (ص ۸۷).

و یروی عن عبد اللَّه بن حنظلة بن الراهب الأنصاری، المقتول یوم الحرّة (سنة ۶۳) و کانت الأنصار قد بایعته یومئذٍ، ذکر روایته عنه ابن حجر فی تهذیب التهذیب «۲» (۲/ ۱۹۳ و ۵/ ۱۹۳ و ۸/ ۳۹۶).

و یروی عن سیِّدنا قیس زرافات من الصحابة و التابعین، ذکر منهم فی حلیة الأولیاء «۳» و أُسد الغابة «۴» (۴/ ۲۱۵)، و الإصابة (۳/ ۲۴۹)، و تهذیب التهذیب «۵» (۸/ ۳۹۶):

۱- أنس بن مالک الأنصاری، خادم رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم.

۲- بکر بن سوادة. یروی عن قیس حدیثاً فی الملاهی، کما فی السنن الکبری للبیهقی. (۱۰/ ۲۲۲).

---

(۱). نور الأبصار: ص ۱۷۷.

(۲). تهذیب التهذیب: ۵/ ۱۶۹ رقم ۳۳۲، ۸/ ۳۵۴ رقم ۷۰۲.

(۳). حلیة الأولیاء: ۶/ ۱۷۹ رقم ۳۶۶.

(۴). أُسد الغابة: ۴/ ۴۲۶ رقم ۴۳۴۸.

(۵). تهذیب التهذیب: ۸/ ۳۵۴ رقم ۷۰۲.

۳- ثعلبة بن أبی مالک القرظی.

۴- عامر بن شراحیل الشعبیّ: المتوفّی (۱۰۴).

۵- عبد الرحمن بن أبی لیلی الأنصاری، خاصّة أمیر المؤمنین و صاحب رایته یوم الجمل، ضربه الحجّاج حتی اسودّ کتفاه علی سبِّ علیّ فما فعل. کان أصحاب رسول اللَّه یسمعون لحدیثه، و ینصتون له.

قال عبد اللَّه بن حارث: ما ظننت أنَّ النساء ولدن مثله. و وثّقه ابن معین و العجلی «۱» و غیرهما، تُوفّی (۸۱، ۸۲، ۸۳، ۸۶)، ترجمه ابن خلّکان «۲» (۱/ ۲۹۶) و کثیرٌ من أرباب المعاجم.

۶- عبد اللّه بن مالک الجیشانی: المتوفّی (۷۷).

ترجمه ابن حجر فی تهذیبه «۳» (۵/ ۳۸۰)، و حکی عن جمع ثقته، و عن مرثد: کان أعبد أهل مصر، یروی عن أمیر المؤمنین، و عمر، و أبی ذرّ، و معاذ بن جبل، و عقبة.

۷- أبو عبد اللّه عروة بن الزبیر بن العوّام الأسدی، المدنی.

۸- أبو عمار عَریب بن حمید الهمدانی.

یروی عن أمیر المؤمنین، و حذیفة، و عمار، و أبی میسرة، وثّقه أحمد و غیره. راجع تهذیب التهذیب «۴» (۷/ ۱۹۱).

۹- أبو میسرة عمرو بن شرحبیل الهمدانی، الکوفی: المتوفّی (۶۳).

أثنی علیه شیخنا الشهید الثانی فی درایته «۵» و قال: تابعیّ فاضل من أصحاب

---

(۱). تاریخ الثقات: ص ۲۹۸ رقم ۹۷۸.

(۲). وفیات الأعیان: ۳/ ۱۲۶ رقم ۳۶۰.

(۳). تهذیب التهذیب: ۵/ ۳۳۲ رقم ۶۴۹.

(۴). تهذیب التهذیب: ۷/ ۱۷۲ رقم ۳۶۴.

(۵). الدرایة: ص ۱۳۵.

محمد بن مسعود. و ترجمه ابن حجر فی الإصابة (۳/ ۱۱۴)، و فی تهذیبه «۱» (۸/ ۴۷) و قال: ذکره ابن حبّان فی الثقات «۲» و قال: کان من العبّاد، و کانت رکبته کَرُکبة البعیر من کثرة الصلاة.

۱۰- عمرو بن الولید السهمی المصری: المتوفّی سنة (۱۰۳) مولی عمرو بن العاص، یروی عن جمع من الصحابة منهم: المترجم له- قیس- کما فی تهذیب التهذیب «۳» (۸/ ۱۱۶)، و من أحادیثه عنه: حدیثٌ فی الملاهی، أخرجه من طریقه البیهقی فی السنن (۱۰/ ۲۲۲).

۱۱- أبو نصر میمون بن أبی شبیب الربعی الکوفی: المتوفّی (۸۳) و یقال: الرقّی.

یروی عن أمیر المؤمنین و عمر و معاذ بن جبل و أبی ذر و المقداد و ابن مسعود.

ترجمه ابن حجر فی تهذیبه «۴».

۱۲- هُزیل بن شرحبیل الأزدی الکوفی. کما فی حلیة الأولیاء (۵/ ۲۴)، و الإصابة (۳/ ۶۱۹).

۱۳- الولید بن عَبَدة- بفتح الباء- مولی عمرو بن العاص. یروی عن المترجَم له کما فی تهذیب ابن حجر «۵» (۱۱/ ۱۴۱)، و لعلّه عمرو بن الولید المذکور، کما یظهر من کلام الدارقطنی «۶».

۱۴- أبو نجیح یسار الثقفی، المکّی: المتوفّی (۱۰۹).

---

(۱). تهذیب التهذیب: ۸/ ۴۲ رقم ۷۸.

(۲). الثقات: ۵/ ۱۶۸.

(۳). تهذیب التهذیب: ۸/ ۱۰۲ رقم ۱۹۳.

(۴). تهذیب التهذیب: ۱۰/ ۳۴۷ رقم ۷۰۰.

(۵). تهذیب التهذیب: ۱۱/ ۱۲۴ رقم ۲۳۵.

(۶). المؤتلف و المختلف: ۳/ ۱۵۱۶.

حکی ابن حجر فی تهذیبه «۱» عن جمع ثقته،

و روی ابن الأثیر فی أُسد الغابة «۲» (۴/ ۲۱۵) عنه، عن قیس، عن النبیّ صلی الله علیه و سلم قوله: «لو کان العلم متعلّقاً بالثریّا لناله ناس من فارس». و أخرجه أبو بکر الشیرازی: المتوفّی (۴۰۷) فی الألقاب، کما فی تبییض الصحیفة (ص ۴).

معاویة و قیس قبل وقعة صفّین

ذکر غیر واحد من رجال التاریخ فی معاجمهم «۳»: أنّه لمّا قرب یوم صفّین، خاف معاویة علی نفسه أن یأتیه علیّ بأهل العراق، و قیس بأهل مصر، فیقع بینهما، ففکّر فی استدراج قیس و اختداعه فکتب إلیه:

أمّا بعد: فإنّكم إن كنتم نقمتم على عثمان فى أثَرَة رأيتموها، أو ضربة سوط ضربها، أو فى شتمه رجلًا، أو تسييره أحداً، أو فى استعماله الفتيان من أهله، فقد عَلِمْتُمْ أنَّ دمه لم يحلَّ لكم بذلک، فقد ركبتم عظيماً من الأمر، و جئتم شيئاً إدّا، فتب يا قيسُ إلى ربِّک إن كنتَ من المُجْلبين على عثمان إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغنى شيئاً.

فأمّا صاحبک؛ فإنّا استيقنّا أنَّه الذى أغرى الناس، و حَملَهم حتى قتلوه، و أنَّه لم يسْلَم من دمه عظيم قومک، فإن استطعتَ أن تكون ممّن يطلب بدم عثمان، فبايعنا على عليّ فى أمرنا، و لک سلطان العِراقَيْن إن أنا ظفرتُ ما بقيت، و لمن أحببتَ من أهل بيتک سلطان الحجاز ما دام لى سلطان، و سلنى غير هذا ما تحبّ.

---

(١). تهذيب التهذيب: ١١/ ٣٣١ رقم ۶۳۶.

(٢). أُسد الغابة: ۴/ ۴۲۶ رقم ۴۳۴۸.

(٣). ذكره الطبرى فى تاريخه: ۵/ ۲۲۸ [۴/ ۵۵۰ حوادث سنة ٣۶ ه]، و ابن الأثير فى كامله: ٣/ ١٠٧ [٢/ ٣۵۵ حوادث سنة ٣۶ ه]، و ابن أبى الحديد فى شرح النهج: ٢/ ٢٣ [۶/ ۶٠ خطبة ۶٧] نقلًا عن كتاب الغارات لابراهيم الثقفى: المتوفّى (٢٨٣) [ص ١٣١]. (المؤلف)

فكتب إليه قيس:

أمّا بعد: فقد وصل إلىّ كتابک، و فهمتُ الذى ذكرتَ من أمر عثمان، و ذلک أمرٌ لم أُقاربه، و ذكرتَ أنَّ صاحبى هو الذى أغرى الناس بعثمان، و دسّهم إليه حتى قتلوه، و هذا أمرٌ لم أطّلِع عليه، و ذكرتَ لى أنّ عظم عشيرتى لم تسلم من دم عثمان، فلعمرى إنَّ أولى الناس كان فى أمره عشيرتى. و أمّا ما سألتنى من مبايعتک على الطلب بدم عثمان، و ما عرضته علىَّ، فقد فهمتُه، و هذا أمر لى فيه نظر و فكر، و ليس هذا ممّا يُعجل إلى مثله، و أنا كافّ عنک، و ليس يأتيک من قبلى شىء تكرهه، حتى ترى و نرى.

فكتب إليه معاوية:

أمّا بعد: فقد قرأتُ كتابکَ، فلم أرَکَ تدنو فأعدّک سِلماً، و لم أرک تتباعد فأعدّک حرباً، أراک كحبل الجزور، و ليس مثلى يُصانَعُ بالخداع، و لا يُخدعُ بالمكايد، و معه عدد الرجال، و بيده أعنّة الخيل، فإن قبلتَ الذى عرضتُ عليک فلک ما أعطيتُک، و إن أنت لم تفعل، ملأتُ عليک خيلًا و رجلًا، و السلام.

فكتب إليه قيس:

أمّا بعد: فالعجب من استسقاطک رأیی و الطمع فی أن تسومنی لا أبا لغیرک- الخروج عن طاعة أولی الناس بالأمر، و أقوَلهم للحقّ، و أهداهم سبیلًا، و أقربهم من رسول اللّه وسیلةً، و تأمرنی بالدخول فی طاعتک، طاعة أبعد الناس من هذا الأمر، و أقوَلهم للزور، و أضلّهم سبیلا، و أبعدهم من رسول اللّه وسیلة، ولدیک قوم ضالّون مضلّون، طاغوت من طواغیت إبلیس. و أمّا قولک: إنَّک تملأ علیَّ مصر خیلًا و رجلًا، فلئن لم أُشغلک عن ذلک حتی یکون منک، إنَّک لذو جدّ، و السلام.

و فی لفظ الطبری: فو اللّه إن لم أُشغلک بنفسک حتی تکون نفسک أهمَّ إلیک، إنَّک لذو جدّ.

ص: ۱۵۶

فلما أیس معاویة منه کتب إلیه «۱»:

أمّا بعد: فإنک یهودیّ ابن یهودیّ، إن ظفر أحبّ الفریقین إلیک عَزَلَک، و استبدل بک، و إن ظفر أبغضهما إلیک قتلَکَ و نکّل بک، و کان أبوک وتر قوسَه، و رمی غیر غرضه، فأکثر الحزّ، و أخطأ المِفْصَل، فخذله قومه، و أدرکه یومه، ثمّ مات طریداً بحوران. و السلام.

فکتب إلیه قیس:

أمّا بعد: فإنّما أنت وثن ابن وثن، دخلت فی الإسلام کرهاً، و خرجت منه طوعاً، لم یَقْدُمْ إیمانک، و لم یحدُثْ نفاقک، و قد کان أبی وتر قوسه، و رمی غرضه، و شغب علیه من لم یبلغ کعبه، و لم یشقّ غباره، و نحن أنصار الدین الذی خرجتَ منه، و أعداء الدین الذی دخلتَ فیه. و السلام.

راجع «۲»: کامل المبرّد (۱/ ۳۰۹)، البیان و التبیین (۲/ ۶۸)، تاریخ الیعقوبی (۲/ ۱۶۳)، عیون الأخبار لابن قتیبة (۲/ ۲۱۳)، مروج الذهب (۲/ ۶۲)، مناقب الخوارزمی (ص ۱۷۳)، شرح ابن أبی الحدید (۴/ ۱۵).

لفظ الجاحظ فی کتاب التاج «۳» (ص ۱۰۹): کتب قیس إلی معاویة:

یا وثن ابن وثن، تکتب إلیّ تدعونی إلی مفارقة علیٍّ بن أبی طالب و الدخول فی طاعتک، و تخوّفنی بتفرّق أصحابه عنه، و إقبال الناس علیک و إجفالهم إلیک، فو اللّه الذی لا إله غیره، لو لم یبقَ له غیری، و لم یبقَ لی غیره، ما سالمتک أبداً و أنت حربه،

---

(۱). من هنا کلام الجاحظ فی البیان و التبیّین: ۲/ ۶۸ [۲/ ۵۸] و الکتب المذکورة توجد فی تعلیق البیان: ۲/ ۴۸. (المؤلف)

(۲). الکامل فی اللغة و الأدب: ۱/ ۴۱۹، تاریخ الیعقوبی: ۲/ ۱۸۶- ۱۸۷، مروج الذهب: ۳/ ۲۶، المناقب: ص ۲۵۸ ح ۲۴۰، شرح نهج البلاغة: ۱۶/ ۴۳ خطبة ۳۱.

(۳). التاج فی أخلاق الملوک: ص ۱۱۴.

ص: ۱۵۷

و لا دخلت فی طاعتک و أنت عدوّه، و لا اخترت عدوَّ اللَّه علی ولیِّه، و لا حزب الشیطان علی حزب اللَّه. و السلام.

کتاب مفتعل:

فلمّا أیس معاویة من قیس أن یتابعه علی أمره، شقَّ علیه ذلک، و ثقل علیه مکانه، لما کان یعرف من حزمه و بأسه، و لم تنجح حیلة فیه تکاده من قِبل علیّ، فقال لأهل الشام: إنَّ قیساً قد تابعکم فادعوا اللَّه له و لا تسبّوه، و لا تدعوا إلی غزوه، فإنّه لنا شیعة، قد تأتینا کتبه و نصیحته سرّا، ألا ترون ما یفعل بإخوانکم الذین عنده من أهل- خربتا- یجری علیهم عطایاهم و أرزاقهم و یحسن إلیهم.

و اختلق کتاباً و نسبه إلی قیس، فقرأه علی أهل الشام و هو:

بسم اللَّه الرحمن الرحیم. للأمیر معاویة بن أبی سفیان من قیس بن سعد:

سلامٌ علیک، فإنّی أحمد إلیکم اللَّه الذی لا إله إلّا هو، أمّا بعد:

فإنّی لمّا نظرت لنفسی و دینی فلم أرَ یسعنی مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرَّماً برّا تقیّا، فنستغفر اللَّه لذنوبنا، و نسأله العصمة لدیننا، ألا و إنّی قد ألقیت إلیکم بالسلم، و إنّی أجبتک إلی قتال قتلة عثمان رضی الله عنه إمام الهدی المظلوم، فعوِّل علیَّ فیما أحببت من الأموال و الرجال، أُعجّل علیک. و السلام «۱».

إنَّ شنشنة التقوُّل و الافتعال غریزة ثابتة فی سجایا معاویة، و منذ عهده شاعت الأحادیث المزوَّرة فیما یعنیه من فضل بنی أمیّة، و الوقیعة فی بنی هاشم، عترة الوحی و أنصاره، یوم کان یَهبُ القناطیر المقنطرة من الذهب و الفضّة لأهل الجباه السود، فیضعون له فی ذلک روایات معزوّة إلی صاحب الرسالة صلی الله علیه و آله و سلم؛ فإنّه بذل لسمرة بن

---

(۱). تاریخ الطبری: ۵/ ۲۲۹ [۴/ ۵۵۳ حوادث سنة ۳۶ ه]، کامل ابن الأثیر: ۳/ ۱۱۷ [۲/ ۳۵۶ حوادث سنة ۳۶ ه]، شرح ابن أبی الحدید ۲/ ۲۴ [۶/ ۶۲ خطبة ۶۷]. (المؤلف)

ص: ۱۵۸

جندب مائة ألف درهم لیروی أنّ قوله تعالی: (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یَشْری نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ) «۱» نزل فی ابن ملجم أشقی مراد. و قوله تعالی: (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یُعْجِبُکَ قَوْلُهُ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ یُشْهِدُ اللَّهَ عَلی ما فِی قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ) «۲» الآیة.

نزل فی علیّ أمیر المؤمنین. فلم یقبل، فبذل له مائتی ألف درهم فلم یقبل، فبذل له أربعمائة ألف درهم فقبل «۳»، و له من نظائر هذا شیءٌ کثیرٌ.

فلیس من البِدع اختلاقه علی قیس، و هو یفتعل علی سیِّده النبیِّ الأطهر ما لم یقله، و علی أمیر المؤمنین ما لم یکن، و علی سروات المجد من بنی هاشم الأطیبین ما هم عنه بُعداء. فهو مبتدع هذه الخزایات العائدة علیه و علی لفیفه فی عهد ملوکیّته المظلم، و علی هذا کان دینه و دیدنه، ثمَّ تمرّنت رواة السوء من بعده علی روایة الموضوعات، و شاعت و کثرت، إلی أن ألقت العلماء و حفظة الحدیث فی جهود متعبة بالتألیف، فی تمییز الموضوع من غیره، و الخبیث من الطیِّب.

لم یزل معاویة دائباً علی ذلک متهالکاً فیه، حتی کبر علیه الصغیر، و شاخ الکهل، و هرم الکبیر، فتداخل بغض أهل البیت علیهم السلام فی قلوب ران علیها ذلک التمویه، فتسنّی له لعن أمیر المؤمنین علیه السلام و سبّه فی أعقاب الصلوات فی الجمعة و الجماعات! و علی صهوات المنابر فی شرق الأرض و غربها، حتی فی مهبط وحی اللَّه المدینة المنوّرة.

قال الحموی فی معجم البلدان «۴» (۵/ ۳۸): لُعن علیُّ بن أبی طالب رضی الله عنه علی منابر الشرق و الغرب، و لم یُلعن علی منبر سجستان إلّا مرّة، و امتنعوا علی بنی أمیَّة حتی زادوا فی عهدهم: و أن لا یُلعن علی منبرهم أحدٌ. و أی شرف أعظم من امتناعهم

---

(۱). البقرة: ۲۰۷.

(۲). البقرة: ۲۰۴.

(۳). شرح ابن أبی الحدید: ۱/ ۳۶۱ [۴/ ۷۳ خطبة ۵۶]. (المؤلف)

(۴). معجم البلدان: ۳/ ۱۹۱.

من لعن أخی رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم علی منبرهم، و هو یُلعن علی منابر الحرمین- مکّة و المدینة. انتهی.

لمّا مات الحسن بن علی علیهما السلام حجّ معاویة فدخل المدینة، و أراد أن یلعن علیّا علی منبر رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم فقیل له: إنَّ هاهنا سعد بن أبی وقّاص، و لا نراه یرضی بهذا، فابعث إلیه و خذ رأیه. فأرسل إلیه و ذکر له ذلک فقال: إن فعلت لأخرجنَّ من المسجد، ثمّ لا أعود الیه. فأمسک معاویة عن لعنه حتی مات سعد، فلمّا مات لعنه علی المنبر، و کتب إلی عمّاله: أن یلعنوه علی المنابر. ففعلوا.

فكتبت أمّ سلمة زوج النبيِّ صلى الله عليه و آله و سلم إلى معاوية: إنَّكم تلعنون اللَّه و رسوله على منابركم! و ذلک أنَّكم تلعنون عليَّ بن أبى طالب و من أحبه، و أنا أشهد أنّ اللَّه أحبه و رسوله. فلم يلتفت إلى كلامها «۱».

قال الجاحظ فى كتاب الردِّ على الإماميّة: إنَّ معاوية كان يقول فى آخر خطبته: اللهم إنَّ أبا تراب ألحد فى دينک، و صدَّ عن سبيلک، فالعنه لعناً وبيلًا، و عذِّبه عذاباً أليما. و كتب بذلک إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشادبها على المنابر إلى أيّام عمر ابن عبد العزيز. و إنَّ قوماً من بنى أميّة قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين إنَّک قد بلغت ما أمّلت، فلو كففتَ عن هذا الرجل. فقال: لا و اللَّه حتى يربو عليه الصغير، و يهرم عليه الكبير، و لا يذكر له ذاكرٌ فضلًا. و ذكره ابن أبى الحديد فى شرحه «۲» (۱/ ۳۵۶).

قال الزمخشرى فى ربيع الأبرار «۳»- على ما يعلق بالخاطر و الحافظ السيوطى: إنّه كان فى أيّام بنى أميّة أكثر من سبعين ألف منبر، يُلعن عليها علىّ بن أبى طالب، بما سنّه لهم معاوية من ذلک. و فى ذلک يقول العلّامة الشيخ أحمد الحفظى

---

(۱). العقد الفريد: ۲/ ۳۰۰ [۴/ ۱۵۹]. (المؤلف)

(۲). شرح نهج البلاغة: ۴/ ۵۶، ۵۷ خطبة ۵۶.

(۳). ربيع الأبرار: ۲/ ۱۸۶.

الشافعى فى أُرجوزته:

و قد حكى الشيخ السيوطى أنَّه — قد كان فيما جعلوهُ سُنَّهْ

سبعون ألف منبرٍ وَ عشَرهْ — من فوقهنّ يلعنون حيدرَهْ

و هذه فى جنبها العظائمُ — تَصْغُرُ بل تُوجّهُ اللوائمُ

فهل ترى من سنّها يعادى — أم لا و هل يُستَرُ أو يهادى

أو عالمٌ يقول عنه نسكتُ — أجب فإنّى للجواب مُنصتُ

و ليت شعرى هل يقالُ اجتهدا — كقولهم فى بغيِهِ أم ألحدا

أليس ذا يؤذيه أم لا فاسمَعنْ — إنَّ الذى يؤذيه من و من و من

بل جاء فی حدیثِ أمّ سلمهْ هل فیکمُ اللّه یُسبُّ مه لِمَهْ

عاون أخا العرفان بالجوابِ و عادِ من عادی أبا ترابِ

و کان أمیر المؤمنین یخبر بذلک کلّه و یقول: «أما إنّه سیظهر علیکم بعدی رجلٌ رَحْب البلعوم، مُنْدَحِق البطن «۱» یأکل ما یجد، و یطلب ما لا یجد، فاقتلوه و لن تقتلوه، ألا و إنَّه سیأمر کم بسبّی و البراءة منّی». نهج البلاغة «۲».

و نحن لو بسطنا القول فی المقام، لخرج الکتاب عن وضعه، إذ صحائف تاریخ معاویة السوداء و من لفَّ لفّه من بنی أمیّة، إنّما تُعدّ بالآلاف لا بالعشرات و المئات.

الصلح بین قیس و معاویة

أمّرت شرطة الخمیس قیس بن سعد علی أنسهم- و کان یعرف بصاحب شرطة الخمیس کما فی الکشّی «۳» (ص ۷۲)- و تعاهد هو معهم علی قتال معاویة،

---

(۱). مندحق البطن: واسعها. کان معاویة موصوفاً بالنهم و کثرة الأکل. (المؤلف)

(۲). نهج البلاغة: ص ۹۲ خطبة ۵۷.

(۳). رجال الکشّی: ۱/ ۳۲۶ رقم ۱۷۷. الغدیر، العلامة الأمینی ج۲ ۱۶۱ الصلح بین قیس و معاویة ..... ص : ۱۶۰

ص: ۱۶۱

حتی یشترط لشیعة علیّ و لمن کان اتّبعه علی أموالهم و دمائهم، و ما أصابوا فی الفتنة، فأرسل معاویة إلی قیس یقول: علی طاعة من تُقاتل، و قد بایعنی الذی أعطیته طاعتک؟ فأبی قیس أن یلین له، حتی أرسل الیه معاویة بسجلّ قد ختم علیه فی أسفله، و قال: اکتب فی هذا ما شئت فهو لک. فقال عمرو بن العاص لمعاویة: لا تعطه هذا و قاتله.

فقال معاویة: علی رسلک فإنّا لا نخلص إلی قتلهم حتی یقتلوا أعدادهم من أهل الشام، فما خیر العیش بعد ذلک؟! فإنّی و اللّه لا أقاتله أبداً حتی لا أجد من قتاله بُدّا.

فلمّا بعث إلیه معاویة ذلک السجل، اشترط قیس له و لشیعة علیّ أمیر المؤمنین علیه السلام الأمان علی ما أصابوا من الدماء و الأموال، و لم یسأل فی سجلّه ذلک مالًا، و أعطاه معاویة ما سأل، و دخل قیس و من معه فی طاعته «۱».

قال أبو الفرج «۲»: فأرسل معاوية إليه يدعوه إلى البيعة، فلمّا أرادوا إدخاله إليه، قال إنّى حلفت أن لا ألقاه إلّا بينى و بينه الرمح أو السيف. فأمر معاوية برمح و سيف فوضعا بينهما ليبرَّ يمينه، فلمّا دخل قيس ليبايع، و قد بايع الحسن عليه السلام فأقبل على الحسن عليه السلام فقال: أفى حلٍّ أنا من بيعتک؟. فقال: «نعم». فأُلقى له كرسىٌّ، و جلس معاوية على سرير و الحسن معه، فقال له معاوية: أ تبايع يا قيس؟ قال: نعم. و وضع يده على فخذه و لم يمدّها إلى معاوية، فجاء معاوية من سريره، و أكبّ على قيس حتى مسح يده، و ما رفع إليه قيس يده «۳».

---

(۱). تاريخ الطبرى: ۶/ ۹۴ [۵/ ۱۶۴ حوادث سنة ۴۱ ه]، كامل ابن الأثير: ۳/ ۱۶۳ [۲/ ۴۴۸ حوادث سنة ۴۱ ه]. (المؤلف)

(۲). مقاتل الطالبيّين: ص ۷۹.

(۳). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۴/ ۱۷ [۱۶/ ۴۸ كتاب ۳۱]. (المؤلف)

قال اليعقوبى فى تاريخه «۱» (۲/ ۱۹۲): بويع معاوية بالكوفة فى ذى القعدة سنة (۴۰) و أحضر الناس لبيعته، و كان الرجل يحضر فيقول: و اللَّه يا معاوية إنّى لأُبايعک و إنّى لكارهٌ لک. فيقول: بايع فإنَّ اللَّه قد جعل فى المكروه خيراً كثيراً، و يأتى الآخر فيقول: أعوذ باللَّه من شرّ نفسک.

و أتاه قيس بن سعد بن عبادة، فقال: بايع قيس. قال: إنّى كنت لأكرهُ مثل هذا اليوم يا معاوية. فقال له: مَه رحمک اللَّه. فقال: لقد حرصت أن أفرّق بين روحک و جسدک قبل ذلک، فأبى اللَّه يا ابن أبى سفيان إلّا ما أحبَّ. قال: فلا يُردّ أمر اللَّه.

قال: فأقبل قيس على الناس بوجهه فقال: يا معشر الناس لقد اعتضتم الشرّ من الخير، و استبدلتم الذلّ من العزّ، و الكفر من الإيمان، فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين، و سيّد المسلمين، و ابن عمّ رسول ربّ العالمين، و قد وَلَيَكم الطليق ابن الطليق، يسومكم الخسف، و يسير فيكم بالعسف، فكيف تجهل ذلک أنفسكم؟ أم طبع اللَّه على قلوبكم و أنتم لا تعقلون؟

فجثا معاوية على ركبته، ثمّ أخذ بيده، و قال: أقسمت عليک. ثمَّ صفق على كفّه و نادى الناس: بايعَ قيس. فقال: كذبتم و اللَّه ما بايعتُ. و لم يبايع لمعاوية أحدٌ إلّا أُخذ عليه الأيْمان، فكان أوّل من استحلف على بيعته.

أخرج الحافظ عبد الرزّاق، عن ابن عُيينة، قال: قدم قيس بن سعد على معاوية، فقال له معاوية: و أنت يا قيس، تُلْجِمُ علىَّ مع من ألجم؟ أما و اللَّه لقد كنت أُحبُّ أن لا تأتينى هذا اليوم إلّا و قد ظفر بک ظفر من أظافرى موجع. فقال له قيس: و أنا و اللَّه قد كنت كارهاً أن أقوم فى هذا المقام، فأحيّيک بهذه التحيّة. فقال له معاوية: و لِمَ؟ و هل أنتَ إلّا حبر من أحبار اليهود؟ فقال له قيس: و أنت يا معاوية كنت صنماً من أصنام الجاهليّة، دخلت فى الإسلام كارهاً، و خرجت منه طائعاً، فقال

(۱). تاريخ اليعقوبى: ۲/ ۲۱۶.

ص: ۱۶۳

معاوية: اللّهمّ غفراً، مُدَّ يدک. فقال له قيس: إن شئت زدتُ و زدت. تاريخ ابن كثير «۱» (۸/ ۹۹).

قيس و معاوية فى المدينة بعد الصلح بينهما:

دخل قيس بن سعد بعد وقوع الصلح فى جماعة من الأنصار على معاوية، فقال لهم معاوية: يا معشر الأنصار بِم تطلبون ما قِبلى؟ فو اللّه لقد كنتم قليلًا معى كثيراً علىَّ، و لَفَلَلْتم حدِّى يوم صفِّين، حتى رأيت المنايا تلظّى فى أسنّتكم، و هجوتمونى فى أسلافى بأشدّ من وقع الأسنّة، حتى إذا أقام اللّه ما حاولتم ميله، قلتم: ارعَ فينا وصية رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم. هيهات يأبى الحقين العِذْرة.

فقال قيس: نطلب ما قبلک بالإسلام الكافى به اللّه لا بما نَمّتْ به إليک الأحزاب، و أمّا عداوتنا لک فلو شئتَ كففتَها عنک، و أمّا هجاؤُنا إيّاک فقول يزول باطله و يثبت حقّه، و أمّا استقامة الأمر فعلى كُرهٍ كان منّا، و أمّا فَلّنا حدّک يوم صفّين، فإنّا كنّا مع رجل نرى طاعة اللّه طاعته، و أمّا وصيّة رسول اللّه بنا فمن آمن به رعاها بعده، و أمّا قولک: يأبى الحقين العِذرة، فليس دون اللّه يد تحجزک منّا يا معاوية، فدونک أمرک يا معاوية، فإنّما مثلک كما قال الشاعر:

يا لکِ من قُبّرةٍ بمَعمرِ خلا لکِ الجوّ فبيضى و اصفرى

فقال معاوية يموِّه: ارفعوا حوائجكم. العقد الفريد «۲» (۲/ ۱۲۱)، مروج الذهب «۳» (۲/ ۶۳)، الإمتاع و المؤانسة (۳/ ۱۷۰).

بيان: قول معاوية: يأبى الحقين العِذْرة «۴» مثل سائر، أصله: أنّ رجلًا نزل بقوم

(۱). البداية و النهاية: ۸/ ۱۰۷ حوادث سنة ۵۹ ه.

(۲). العقد الفريد: ۳/ ۲۱۹.

(۳). مروج الذهب: ۳/ ۲۶.

(۴). مجمع الأمثال: ۱/ ۶۹ رقم ۱۶۰.

فاستسقاهم لبناً، فاعتلّوا عليه و زعموا أن لا لبن عندهم، و كان اللبن محقوناً فى و طاب عندهم. يُضرب به للكاذب الذى يعتذر و لا عذر له، يعنى: أنّ اللبن المحقون لديكم يكذّبكم فى عذركم. فما فى مروج الذهب من: يأبى الحقير العذرة. و فى العقد الفريد: أبى الخبير العذر. فهو تصحيف.

قيس و معاوية فى المدينة

روى التابعىُّ الكبير أبو صادق سليم بن قيس الهلالى فى كتابه «۱»، قال:

قدم معاوية حاجّا فى أيّام خلافته بعد ما مات الحسن بن علىّ عليهما السلام، فاستقبله أهل المدينة، فنظر فإذا الذين استقبلوه عامّهم قريش، فالتفت معاوية إلى قيس بن سعد بن عبادة، فقال: ما فعلت الأنصار، و ما بالها ما تستقبلنى؟ فقيل: إنَّهم محتاجون ليس لهم دواب. فقال معاوية: فأين نواضحهم؟

فقال قيس بن سعد: أفنوها يوم بدر و أُحد و ما بعدهما من مشاهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم حين ضربوك و أباك على الإسلام، حتى ظهر أمر اللَّه و أنتم كارهون.

فقال معاوية: اللّهم اغفر. فقال قيس: أما إنَّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم قال: «سترون بعدى أثرة». فقال معاوية: فما أمركم به؟ قال: أمرنا أن نصبر حتى نلقاه. قال: فاصبروا حتى تَلْقوه.

ثمّ قال: يا معاوية تعيِّرنا بنواضحنا؟ و اللَّه لقد لقيناكم عليها يوم بدر و أنتم جاهدون على إطفاء نور اللَّه، و أن تكون كلمة الشيطان هى العليا؛ ثمَّ دخلتَ أنت و أبوك كرهاً فى الإسلام الذى ضربناكم عليه.

فقال معاوية: كأنّك تمنّ علينا بنصرتكم إيّانا، فللّه و لقريش بذلك المنّ و الطول. أ لستم تمنّون علينا يا معشر الأنصار بنصرتكم رسول اللَّه؟ و هو من قريش

---

(۱). كتاب سليم بن قيس: ۷۷۷/ ح ۲۶.

و هو ابن عمّنا و منّا، فلنا المنّ و الطَّول أن جعلكم اللَّه أنصارنا و أتباعنا فهداكم بنا.

فقال قيس: إنَّ اللَّه بعث محمداً صلى الله عليه و آله و سلم رحمةً للعالمين، فبعثه إلى الناس كافّة، و إلى الجنّ، و الإنس، و الأحمر، و الأسود، و الأبيض، اختاره لنبوّته، و اختصّه برسالته، فكان أوّل من صدّقه و آمن به ابن عمّه علىّ بن أبى طالب عليه السلام و أبو طالب يذبُّ عنه و يمنعه، و يحول بين كفّار قريش و بين أن يردعوه أو يؤذوه، و أمره أن يبلِّغ رسالة ربِّه، فلم يزل

ممنوعاً من الضيم و الأذى حتى مات عمّه أبو طالب، و أمر ابنه بموازرته، فوازره و نصره، و جعل نفسه دونه فى كلِّ شديدة، و كلِّ ضيق، و كلِّ خوف، و اختصَّ اللَّه بذلک عليّا عليه السلام من بين قريش، و أكرمه من بين جميع العرب و العجم، فجمع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم جميع بنى عبد المطّلب، فيهم أبو طالب و أبو لهب، و هم يومئذ أربعون رجلًا، فدعاهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم و خادمه علىّ عليه السلام و رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم فى حجر عمِّه أبى طالب، فقال: «أيّكم ينتدب أن يكون أخى، و وزيرى، و وصيّى، و خليفتى فى أمّتى، و ولىّ كلِّ مؤمن بعدى؟».

فسكت القوم حتى أعادها ثلاثاً، فقال علىٌّ عليه السلام: «أنا يا رسول اللَّه صلّى اللَّه عليک» فوضع رأسه فى حجره، و تفل فى فيه، و قال: «اللّهمّ املأ جوفه علماً و فهماً و حكماً». ثمّ قال لأبى طالب: «يا أبا طالب اسمع الآن لابنک و أطع فقد جعله اللَّه من نبيِّه بمنزلة هارون من موسى» و آخى صلى الله عليه و آله و سلم بين علىّ و بين نفسه. فلم يدع قيس شيئاً من مناقبه إلّا ذكره و احتجَّ به.

و قال: منهم: جعفر بن أبى طالب الطيّار فى الجنّة بجناحين، اختصّه اللَّه بذلک من بين الناس، و منهم: حمزة سيِّد الشهداء، و منهم: فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنّة. فإذا وضعتَ من قريش رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته و عترته الطيِّبين، فنحن- و اللَّه- خيرٌ منكم يا معشر قريش، و أحبّ إلى اللَّه و رسوله و إلى أهل بيته منكم، لقد قُبض رسول اللَّه فاجتمعت الأنصار إلى أبى، ثمّ قالوا: نبايع سعداً، فجاءت قريش فخاصمونا بحجّة علىّ و أهل بيته، و خاصمونا بحقّه و قرابته، فما يعدو قريشاً أن

يكونوا ظلموا الأنصار و ظلموا آل محمد، و لعمرى ما لأحد من الأنصار و لا لقريش و لا لأحد من العرب و العجم فى الخلافة حقٌّ مع علىّ بن أبى طالب و ولده من بعده.

فغضب معاوية، و قال: يا ابن سعد عمّن أخذت هذا؟ و عمّن رويته؟ و عمّن سمعته؟ أبوک أخبرک بذلک و عنه أخذته؟

فقال قيس: سمعته و أخذته ممّن هو خير من أبى، و أعظم علىَّ حقّا من أبى. قال: مَن؟ قال: علىُّ بن أبى طالب، عالم هذه الأمّة، و صدّيقها الذى أنزل اللَّه فيه: (قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ) «۱»- فلم يدع آية نزلت فى علىّ إلّا ذكرها.

قال معاوية: فإنَّ صدّيقها أبو بكر، و فاروقها عمر، و الذى عنده علم الكتاب عبد اللَّه بن سلام.

قال قيس: أحقّ هذه الأسماء و أولى بها الذى أنزل اللَّه فيه: (أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) «۲» و الذى نصبه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم بغدير خُمّ فقال: «من كنت مولاه أولى به من نفسه، فعلىٌّ أولى به من نفسه» و قال فى غزوة تبوک: «أنت منّى بمنزلة هارون من موسى إلّا أنَّه لا نبىَّ بعدى».

كلّ ما ذكره قيس فى هذه المناظرة من الآيات النازلة فى أمير المؤمنين، و الأحاديث النبويّة المأثورة فى فضله، أخرجها الحفّاظ و العلماء فى المسانيد و الصحاح، نذكر كُلّا منها فى محلّه إن شاء اللَّه، كما مرّ بعضها.

قيس فى خلقته:

إنَّ للأشكال و الهيئات دخلًا فى مواقع الأبّهة و الإكبار، فإنَّها هى التى تملأ

---

(١). الرعد: ۴۳.

(٢). هود: ١٧.

العيون بادئ بدء، و هى أوّل ما يقع عليه النظر من الإنسان قبل كلّ ما انحنت عليه أضالعه، من جأشٍ رابط، و بطولة و بسالة، و دهاء و حزم، و لذلک قيل: إنَّ للهيئة قسطاً من الثمن، و هذا فى الملوک و الأمراء، و ذوى الشؤون الكبيرة آكد، فإنَّ الرعيّة تتفرّس فى العظيم فى جثّته عِظماً فى معنويّاته، و تترسّم منه كبر نفسيّاته، و شدّة أمره، و نفوذ عزائمه، و ترضخ له قَبل الضئيل، الذى يحسب أنَّه لا حول له و لا طَول، و أنَّه يضعف دون إدارة الشؤون طوقه و أوقه «١»، و لذلک إنَّ اللَّه سبحانه لمّا عرّف طالوت لبنى إسرائيل مَلِكاً عرّفه بأنّه أوتى بسطة فى العلم و الجسم، فبعلمه يدير شئون الشعب الدينيّة و المدنيّة، و يكون ما أُوتى من البسطة فى الجسم، من مؤكّدات الأبّهة و الهيبة، التى هى كقوّة تنفيذيّة. لموادِّ العلم و شؤونه.

إنَّ سيِّد الأنصار قيساً، لمّا لم يدع اللَّه سبحانه شيئاً من صفات الفضيلة ظاهرةً و باطنةً إلّا و جمعه فيه، من علم و عمل، و هدى و ورع، و حزم، و سَداد، و عقل، و رأى و دهاء، و ذكاء، و إمارة، و حكومة، و رئاسة، و سياسة، و بسالة، و شهامة، و سخاء، و كرم، و عدل، و صلاح، لم يشأ أنْ يخليه عن هذه الخاصّة المُرْبية بمقام العظماء.

فقال شيخنا الديلمى فى إرشاده «٢» (٢/ ٣٢٥): إنَّه كان رجلًا طوله ثمانية عشر شبراً فى عرض خمسة أشبار، و كان أشدَّ الناس فى زمانه بعد أمير المؤمنين.

و قال أبو الفرج «٣»: كان قيس رجلًا طُوالًا، يركب الفرس المُشرف و رجلاه تخطّان فى الأرض. و مرَّ (ص ٧٧) عن المنذر بن الجارود أنَّه رآه فى الزاوية على فرس أشقر، تخطُّ رجلاه فى الأرض.

---

(١). الأوْق: الثقل.

(٢). إرشاد القلوب: ص ٣٨٠.

(۳). مقاتل الطالبیّین: ص ۷۹.

ص: ۱۶۸

و قال أبو عمرو الکشّی فی رجاله «۱» (ص ۷۳): کان قیس من العشرة الذین لحقهم النبیّ صلی الله علیه و سلم من العصر الأوّل، ممّن کان طولهم عشرة أشبار بأشبار أنفسهم، و کان قیس و أبوه سعد طولهما عشرة أشبار بأشبارهم. و عن کتاب الغارات «۲» لإبراهیم الثقفی أنَّه قال: کان قیس طُوالًا، أطول الناس و أمدّهم قامة، و کان سِناطاً «۳»، أصلع شیخاً، شجاعاً، مجرّباً، مناصحاً لعلیّ و لولده، و لم یزل علی ذلک إلی أن مات.

عدَّ الثعالبی فی ثمار القلوب «۴» (ص ۴۸۰) من الأمثال الدائرة، و المضافات المعروفة، و المنسوب السائر: سراویل قیس. و قال: إنَّه یُضرب مثلًا لثوب الرجل الضخم الطویل.

و کان قیصر بعث إلی معاویة بعلج من علوج الروم، طویل جسیم، معجباً بکمال خِلقَته، و امتداد قامته، فعلم معاویة أنَّه لیس لمطاولته و مقاومته إلّا قیس بن سعد بن عبادة، فإنَّه کان أجسم الناس و أطولهم. فقال له یوماً و عنده العلج: إذا أتیتَ رَحْلَکَ فابعث إلیَّ بسراویلک. فعلم قیس مُراده، فنزعها و رمی بها إلی العلج و الناس ینظرون، فلبِسها العِلج فطالت إلی صدره، فعجب الناس، و أطرق الرومی مغلوباً، و لِیمَ قیس علی ما فعل بحضرة معاویة، فأنشد یقول:

أردتُ لکیما یعلمَ الناسُ أنَّها	سراویلُ قیسٍ و الوفودُ شهودُ
و أن لا یقولوا غابَ قیسٌ و هذه	سراویلُ عادٍ قد نَمتْهُ ثمودُ
و إنّی من القوم الیمانینَ سیِّدٌ	و ما الناسُ إلّا سیِّدٌ و مسودُ
و بزَّ جمیعَ الناس أصلی و منصبی	و جسمٌ به أعلو الرجالَ مدیدُ

---

(۱). رجال الکشّی: ۱/ ۳۲۷ رقم ۱۷۷.

(۲). الغارات: ص ۱۳۹.

(۳). السناط: الذی لا لحیة له، و قیل: هو الذی لا شعر فی وجهه البتّة.

(۴). ثمار القلوب: ص ۶۰۱ رقم ۹۹۹.

و رواها ابن كثير فى البداية و النهاية «۱» (۸/ ۱۰۳) بتغيير فيها، ثمّ قال: و فى رواية: إنَّ ملک الروم بعث إلى معاوية برجلين من جيشه، يزعم أنّ أحدهما أقوى الروم و الآخر أطول الروم، فانظر هل فى قومک من يفوقهما فى قوّةهذا و طول هذا؟ فإن كان فى قومک من يفوقهما، بعثت إليکَ من الأسارى كذا و كذا، و من التحف كذا و كذا، و إن لم يكن فى جيشک من هو أقوى و أطول منهما، فهادنّى ثلاث سنين.

فلمّا حضروا عند معاوية قال: من لهذا القوىّ؟ فقالوا: ما له إلّا أحد رجلين: إمّا محمد بن الحنفيّة أو عبد اللَّه بن الزبير، فجىء بمحمد بن الحنفيّة- و هو ابن علىّ بن أبى طالب- فلمّا اجتمع الناس عند معاوية، قال له معاوية: أتعلم فيمَ أرسلتُ إليک؟ قال: لا. فذكر له أمر الرومىِّ، و شدّة بأسه.

فقال للرومىِّ: إمّا أن تجلسَ لى أو أجلسَ لک، و تناولنى يدک أو أُناولک يدى، فأيّنا قدر على أن يقيم الآخر من مكانه غلبه، و إلّا فقد غُلب. فقال له: ما ذا تريد، تجلس أو أجلس؟ فقال له الرومىُّ: بل اجلس أنت.

فجلس محمد بن الحنفيّة و أعطى الرومىّ يده، فاجتهد الرومىّ بكلّ ما يقدر عليه من القوّة أنْ يزيله من مكانه، أو يحرّكه ليقيمه، فلم يقدر على ذلک و لا وجد إليه سبيلًا، فغُلب الرومىُّ عند ذلک، و ظهر لمن معه من الوفود من بلاد الروم أنَّه قد غُلب.

ثمَّ قام محمد بن الحنفيّة، فقال للرومىِّ: اجلس لى. فجلس و أعطى محمداً يده، فما أمهله أن أقامه سريعاً، و رفعه فى الهواء ثمّ ألقاه على الأرض، فَسُرَّ بذلک معاوية سروراً عظيماً، و نهض قيس بن سعد فتنحّى عن الناس، ثمّ خلع سراويله و أعطاها لذلک الرومىّ الطويل، فبلغت إلى ثدييه و أطرافها تخطُّ بالأرض، فاعترف الرومىُّ بالغَلَب، و بعث ملكهم ما كان التزمه لمعاوية.

---

(۱). البداية و النهاية: ۸/ ۱۰۹ حوادث سنة ۵۹ ه.

يستفيد القارئ من أمثال هذه الموارد من التاريخ، أنَّ أهل البيت عليهم السلام و شيعتهم، كانوا هم المرجع لحلِّ المشكلات من كلِّ الوجوه، كما أنّ مولاهم أمير المؤمنين عليه السلام كان هو المرجع الفذّ فيها لدى الصدر الأوّل.

وفاته:

قال الواقدى، و خليفة بن خيّاط «۱»، و الخطيب البغدادى فى تاريخه (۱/ ۱۷۹) و ابن كثير فى تاريخه «۲» (۸/ ۱۰۲) و غيرهم بكثير: إنّه تُوفّى بالمدينة فى آخر خلافة معاوية. فإن عُدّت سنة وفاة معاوية من سنىّ خلافته، فالمترجَم له تُوفّى فى سنة ستِّين، و إلّا ففى تسع و خمسين، و لعلَّ هذا منشأ تردُّد ابن عبد البرّ فى الاستيعاب «۳»، و ابن الأثير فى أُسد الغابة «۴»، فى تاريخ وفاته بين السنتين، ففى الأوّل: إنَّه توفّى سنة ستِّين، و قيل تسع و خمسين فى آخر خلافة معاوية. و فى الثانى

بالعكس، و ذكر ابن الجوزى «۵» سنة (۵۹) و تبعه ابن كثير فى تاريخه، و هناک قول لابن حبّان «۶» متروکٌ، قال: إنَّه هرب من معاوية و مات سنة (۸۵) فى خلافة عبد الملک. ذكره ابن حجر فى الإصابة (۳/ ۲۴۹)، و استصوب قول خليفة و من وافقه.

بيت قيس:

كان فى العصور المتقادمة آل قيس من أشرف بيوتات الأنصار، و ما زال مُنْبَثَقَ أنوار العلم و المجد فى أدواره، بين زعيم، و حافظ، و عالم، و محدِّث، و مشفوع بالصلاح

---

(۱). كتاب الطبقات: ص ۱۶۷ رقم ۶۰۴.

(۲). البداية و النهاية: ۸/ ۱۱۰ حوادث سنة ۵۹ ه.

(۳). الاستيعاب: القسم الثالث/ ۱۲۹۰ رقم ۲۱۳۴.

(۴). أُسد الغابة: ۴/ ۴۲۶ رقم ۴۳۴۸.

(۵). المنتظم: ۵/ ۳۱۸ رقم ۳۹۹.

(۶). الثقات: ۳/ ۳۳۹.

و القداسة، منهم: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عمّار بن يحيى بن العبّاس بن عبد الرحمن بن سالم بن قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى الأنصارى. ترجم له السمعانى فى الأنساب «۱» و قال: من أشرف بيت فى الأنصار، و من أوحد مشايخ نيسابور فى الثروة، و العدالة، و الورع، و القبول، و الإتقان فى الرواية، و أكثرهم طلباً للحديث، و الفهم و المعرفة، سمع بنيسابور محمد بن رافع، و إسحاق بن منصور، و عبد الرحمن بن بشير بن الحكم. و بالعراق عمر بن شبّه النميرىّ، و الحسن بن محمد ابن الصباح، و محمد بن إسماعيل الأحمسى، و أحمد بن سنان القطّان. و بالحجاز بحر بن نصر الخولانى. و بالرىّ أبا زرعة، و محمد بن مسلم بن واره.

روى عنه أبو إسحاق إبراهيم بن عبدوس، و محمد بن شريک الأسفراييني، و أبو أحمد إسماعيل بن يحيى بن زكريّا، مات فى جمادى الآخرة سنة (۳۱۷) بنيسابور.

و منهم: أبو بكر محمد بن أبى نصر أحمد بن العبّاس بن الحسن بن جبلة بن غالب بن جابر بن نوفل بن عِياض بن يحيى بن قيس بن سعد الأنصارى، الشهير بالعياضى- بكسر العين- ذكره السمعانى فى الأنساب «۲»، و قال: من أهل سمرقند، كان فقيهاً

جليلًا، من رؤساء البلدة، و المنظور إليهم، روى عن أبى علىّ محمد بن محمد بن الحرث الحافظ السمرقندى، لقيه أبو سعد الإدريسى «٣» و لم يكتب عنه شيئاً «۴».

و منهم: أبو أحمد بن أبى نصر العياضى أخو أبى بكر العياضى المذكور.

---

(١). الأنساب: ٢/ ٣۶٠.

(٢). الأنساب: ۴/ ٢۶٧.

(٣). أبو سعد عبد الرحمن بن محمد الاسترابادى، نزيل سمرقند و المتوفّى بها فى سلخ ذى الحجّة سنة (۴٠۵). (المؤلف)

(۴). و ذكره و أخاه محيى الدين بن أبى الوفاء فى الجواهر المُضيّة: ص ١٣ [٣/ ٣۶ رقم ١١۶٩]. (المؤلف)

و منهم: ابن المطَرىّ أبو محمد عبد اللَّه بن محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى بن عسّاس بن يوسف بن بدر بن عثمان الأنصارى الخزرجى العبادى، المدنى.

قال أبو المعالى السلامى فى المختار كما فى منتخبه (ص ٧٢): إنَّه من ولد قيس ابن سعد بن عبادة. كان حافظ وقته، حسن الأخلاق، كثير العبادة، جميل العِشرة مع العلماء و روّاد العلم، ارتحل فى سماع الحديث إلى الشام و مصر و العراق، و رأى فى حياته كوارث، نُهبت داره سنة (٧۴٢) و حُبس مدّة ثمّ أُطْلِقَ، له كتاب الإعلام فى من دخل المدينة من الأعلام، سمع الحديث بالمدينة المشرَّفة من أبى حفص عمر بن أحمد السودانى، و بالقاهرة من أبى الحسن علىّ بن عمر الوانى، و يوسف بن عمر الختنى، و يوسف بن محمد الدبابيسى، و بالإسكندريّة من عبد الرحمن بن مخلوف بن جماعة، و بدمشق من أحمد بن أبى طالب بن الشحنة، و القاسم بن عساكر، و أبى نصر ابن الشيرازى، و ببغداد من محمد بن عبد المحسن الدواليبى. توفِّى بالمدينة المشرَّفة فى ربيع الأوّل سنة (٧۶۵) «١».

و منهم: أبو العبّاس أحمد بن محمد بن عبد المعطى بن أحمد بن عبد المعطى بن مكّى بن طرد بن حسين بن مخلوف بن أبى الفوارس بن سيف الإسلام «٢» بن قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى، المكّى المالكىّ النحوى، المولود سنة (٧٠٩) و المتوفّى فى المحرّم سنة (٨٠٨) «٣»، ترجم له السيوطى فى بغية الوعاة «۴» (ص ١۶١).

(الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى) «۵»

---

(١). أخذناها من منتخب المختار: ص ٧٢، الدرر الكامنة: ٢/ ٢٨۴ [رقم ٢٢٠١]. (المؤلف)

(۲). أحسب هنا سقطاً فی النسب کما لا یخفی. (المؤلف)

(۳). فی الدرر الکامنة: ۱/ ۲۷۷ رقم ۷۰۹: أنّه توفّی سنة (۷۸۸ ه) و قد جاوز السبعین.

(۴). بغیة الوعاة: ۱/ ۳۷۲ رقم ۷۲۸.

(۵). النمل: ۵۹.

۴- عمرو بن العاص

المتوفّی سنة (۴۳)

معاویةُ الحالَ لا تجهلِ و عن سُبُلِ الحَقِّ لا تعدِلِ

نسیتَ احتیالیَ فی جِلّقٍ«۱» علی أهلِها یوم لُبْسِ الحُلِی

و قد أقبلوا زُمَراً یُهْرَعونَ مهالیعَ کالبقرِ الجُفَّلِ«۲»

و قولی لهم إنَّ فرضَ الصلاةِ بغیرِ وجودِکَ لمْ تُقبلِ

فَوَلَّوا و لم یعبئوا بالصلاةِ ورمت النفار الی القَسْطَلِ«۳»

و لَمّا عصیتَ إمام الهدی و فی جیشِهِ کلُّ مُستفحلِ

أ بالْبَقر البُکْمِ أهلِ الشآمِ لأهلِ التقی و الحجا أبتلی؟

فقلت نعم قم فإنّی أری قتالَ المُفضَّل بالأفضلِ

فبی حاربوا سیِّدَ الأوصیاءِ بقولی دمٌ طُلَّ مِن نعثلِ«۴»

و کدتُ لهمْ أنْ أقاموا الرماحَ علیها المصاحفُ فی القَسْطَلِ

و علّمتُهمْ کشفَ سوآتِهم لردِّ الغَضَنفَرَةِ المُقبلِ

فَقامَ البغاةُ علی حیدرٍ و کفّوا عن المِشعَلِ المصطلی

(۱). جِلّق: دمشق.

(۲). أهرع: أسرع. الهلع: الجزع. الجفل: النفر و الشرد. (المؤلف)

(۳). القسطل: الغبار الساطع.

(۴). طلّ الدم: هدر أو لم يثأر له، فهو طليل، و مطلول، و مطل. (المؤلف)

نسيتَ محاورةَ الأشعرىِ و نحنُ على دَوْمَةِ الجَنْدَلِ

ألينُ فيطمعُ فى جانبى و سهمىَ قد خاضَ فى المَقْتَلِ

خلعتُ الخلافةَ من حيدرٍ كخَلعِ النعالِ من الأرجلِ

و ألبستُها فيک بعد الإياس كَلُبس الخواتيمِ بالأنمُلِ

و رقّيتُکَ المنبرَ المُشْمَخِرَّ بلا حدِّ سيفٍ و لا مُنصِلِ

و لو لم تكن أنت من أهلِهِ و ربِّ المقام و لم تَكْمُلِ

و سيّرتُ جيشَ نفاقِ العراقِ كَسَيْرِ الجَنوبِ مع الشمألِ

و سيّرتُ ذِكرَک فى الخافقينِ كَسَيرِ الحَميرِ مع المحملِ

و جهلُکَ بى يا ابنَ آكلةِ ال كبودِ لأعظَمُ ما أبتلى

فلو لا موازرتى لم تُطَعْ و لولا وجودىَ لمْ تُقبَلِ

و لولاىَ كنتَ كَمِثْلِ النساءِ تعافُ الخروجَ من المنزلِ

نصرناک من جَهْلِنا يا ابن هندٍ على النبإ الأعظمِ الأفضلِ

و حيث رفعناک فوقَ الرؤوسِ نَزَلْنا إلى أسفلِ الأسفَلِ

و كمْ قد سَمِعْنا من المصطفى وَصايا مُخصّصةً فى على

و فى يومِ خُمٍّ رقى منبراً يُبلّغُ و الركبُ لم يرحلِ«۱»

و فى كفِّهِ كفُّهُ معلناً يُنادى بأمرِ العزيزِ العلى

أ لستُ بكم منكمُ فى النفوسِ بأولى فقالوا بلى فافعلِ

فَأنْحَلهُ إمرَةَ المؤمنينَ من اللَّهِ مُستخلف المُنحِلِ

و قال فمن كنتُ مولىً لَهُ فهذا له اليومَ نعمَ الولى

فوالِ مُواليهِ يا ذا الجلا لِ و عادِ مُعادى أخى المُرْسَلِ

و لا تَنْقضُوا العهدَ من عِترتى فقاطِعُهُمْ بىَ لم يُوصِلِ

فَبخْبَخَ شيخُکَ لَمّا رأى عُرى عَقْدِ حيدر لم تُحْلَلِ

---

(۱). فى بعض النسخ: و بلّغ و الصحب لم تَرحل. (المؤلف)

فقالَ وليُّكُم فاحفظوهُ فَمَدْخَلُهُ فيكمُ مَدْخَلى

و إنّا و ما كان من فعلِنا لفى النارِ فى الدرَکِ الأسفلِ

و ما دَمُ عثمانَ مُنْجٍ لنا من اللَّهِ فى الموقفِ المُخجِلِ

و إنَّ عليّا غداً خصمُنا و يعتزُّ باللَّهِ و المرُسَلِ«۱»

يُحاسبُنا عن أمورٍ جَرَتْ و نحنُ عن الحقِّ فى مَعْزِلِ

فما عُذْرُنا يومَ كشفِ الغطا — لکَ الويلُ منه غداً ثمّ لی

ألا يا ابن هندٍ أ بِعتَ الجِنانَ — بعهدٍ عهدتَ و لم تُوفِ لی

و أخسرتَ أُخراک کیما تنالَ — يَسيرَ الحُطامِ من الأجزلِ

و أصبحتَ بالناسِ حتی استقام — لکی الملکُ من ملِکٍ محولِ

و کنتَ کمُقتنصٍ فی الشراکِ«۲» — تذودُ الظِّماءَ عن المنهلِ

کأَنَّکَ أُنسِيتَ ليلَ الهريرِ — بصفِّينَ مَعْ هولِها المُهْولِ

و قد بتَّ تذرقُ ذَرقَ النعامِ — حذاراً من البطل المُقبلِ

و حين أزاحَ جيوشَ الضلالِ — وافاک کالأسد المُبسلِ

و قد ضاق منکَ عليکَ الخناقُ — و صارَ بکَ الرحبُ کالفلفلِ«۳»

و قولک يا عمرو أين المفَرُّ — من الفارسِ القَسْوَرِ المُسبلِ

عسی حيلةٌ منک عن ثنيهِ — فإنَّ فؤادیَ فی عسعلِ

و شاطرتنی کلَّ ما يستقيمُ — من المُلْکِ دهرَکَ لم يکملِ

فقمتُ علی عَجْلَتی رافعاً — و أکشِفُ عن سوأتی أذْيُلِی

فستّرَ عن وجههِ و انثنی — حياءً و روعُکَ لم يعقلِ

و أنتَ لخوفِکَ من بأسِهِ — هناک مُلئت من الأفکلِ«۴»

---

(۱). فی روایة الخطيب التبريزی: سيحتجّ باللّه و المرسل. (المؤلف)

(۲). اقتنص الطير أو الظبی: اصطاده. (المؤلف)

(۳). الفلفل: القرب بين الخطوات. (المؤلف)

(۴). الأفكل: الرعدة من الخوف. (المؤلف)

ص: ۱۷۶

و لَمّا ملكتَ حُماة الأنامِ و نالتْ عصاک يدَ الأوّلِ

منحتَ لِغيرىَ وزنَ الجبالِ و لم تُعْطِنى زِنةَ الخردلِ

و أنْحَلْتَ مصراً لعبد الملک«۱» و أنت عن الغىِّ لم تَعدِلِ

و إن كنتَ تطمعُ فيها فقدْ تخلّى القَطا من يَدِ الأجدلِ

و إن لم تسامحْ إلى ردِّها فإنّى لحَوبِكمُ مُصطلى

بِخَيْلٍ جيادٍ و شُمِّ الأُنوفِ و بالمُرهَفات و بالذبّلِ

و أكشفُ عنک حجابَ الغرورِ و أوقظُ نائمةَ الأثكلِ

فإنَّک من إمرةِ المؤمنينَ و دعوى الخلافةِ فى مَعْزلِ

و مالک فيها و لا ذرّةٌ و لا لِجدُودک بالأوّلِ

فإن كانَ بينكما نِسْبةٌ فأينَ الحُسامُ من المِنجلِ

و أين الحصى من نجوم السما و أين معاويةٌ من على

فإن كنتَ فيها بلغتَ المُنى ففى عُنقى عَلَقُ الجلجلِ«۲»

ما يتبعُ الشعر

هذه القصيدة المسمّاة بالجلجليّة، كتبها عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبى سفيان، فى جواب كتابه إليه يطلب خراج مصر و يعاتبه على امتناعه عنه، توجد منها نسختان فى مجموعتين فى المكتبة الخديويّة بمصر، كما فى فهرستها المطبوع سنة (۱۳۰۷) (۴/ ۳۱۴). و روى جملةً منها ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة «۳» (۲/ ۵۲۲)، و قال: رأيتها بخطّ أبى زكريّا يحيى «۴» بن علىّ الخطيب التبريزىّ: المتوفّى (۵۰۲).

(۱). عبد الملک بن مروان والد الخلفاء الأمويين. (المؤلف)

(۲). مثل يضرب [لِمن يُشهر نفسه و يخاطر بها بين القوم]، راجع مجمع الأمثال للميدانى: ص ۱۹۵ [۳/ ۲۰۹ رقم ۳۶۹۴]. (المؤلف)

(۳). شرح نهج البلاغة: ۱۰/ ۵۶ خطبة ۱۷۸.

(۴). أحد أئمة اللغة و النحو، قال ابن ناصر: كان ثقة فى النقل و له المصنّفات الكثيرة. كذا ترجم له ابن كثير فى تاريخه: ۱۲/ ۱۷۱ [۱۲/ ۲۱۱ حوادث سنة ۵۰۲ ه]. (المؤلف)

ص: ۱۷۷

و قال الإسحاقى فى لطائف أخبار الدول «۱» (ص ۴۱): كتب معاوية إلى عمرو بن العاص: أنَّه قد تردّد كتابى إليک بطلب خراج مصر، و أنت تمتنع و تدافع و لم تسيِّره، فسيِّره إلىَّ قولًا واحداً، و طلباً جازماً، و السلام.

فكتب إليه عمرو بن العاص جواباً، و هى القصيدة الجلجليّة المشهورة التى أوّلها:

معاويةُ الفضلَ لا تنسَ لى	و عن نهجِ الحقِّ لا تَعْدِلِ
نَسِيتَ احتيالىَ فى جِلِّقٍ	على أهلِها يومَ لُبْس الحُلى
و قد أقبلوا زُمَراً يُهْرَعون	و يأتون كالبَقَر المُهّلِ

و منها أيضاً:

و لولاىَ كنتَ كمثِلِ النساءِ	تَعافُ الخروجَ من المنزلِ
نسيتَ مُحاورةَ الأشعرىِ	و نحنُ على دَومةِ الجَندلِ
و أَلْعَقْتُهُ عَسَلًا بارداً	و أمزجتُ ذلکَ بالحنظلِ«۲»
ألينُ فيطمعُ فى جانبى	و سهمىَ قَدْ غابَ فى المِفْصلِ

و أخلعتُها منهُ عن خُدعةٍ كَخَلْع النَعالِ من الأرجلِ

و ألبستُها فیک لمّا عَجزْتَ كَلُبس الخواتیمِ فی الأَنْمُلِ

و منها أیضاً:

و لم تکُ و اللَّهِ من أهلِها و ربِّ المقامِ و لم تَکمُلِ

و سیّرتُ ذِکْرَکَ فی الخافقینِ كَسَیْرِ الجنوبِ مع الشمألِ

نصرناکَ من جهلِنا یا ابن هندٍ علی البطلِ الأعظمِ الأفضلِ

---

(۱). لطائف أخبار الدول: ص ۶۱.

(۲). فی روایة الخطیب التبریزی: [] فألمظه عسلًا بارداً [] و أخبئ من تحته حنظلی [] (المؤلف)

و کنتَ و لم تَرَها فی المنامِ فزُفّتْ إلیکَ و لا مهر لی

و حیثُ تَرکنا أعالی النفوسِ نَزَلْنا إلی أسفلِ الأرجلِ

و کم قد سَمِعْنا من المصطفی وصایا مُخَصَّصَةً فی علی

و منها أیضاً:

و إن کانَ بینکما نِسبةٌ فأین الحسامُ من المِنجلِ

و أين الثريّا و أين الثرى و أين معاويةٌ من على

فلمّا سمع معاوية هذه الأبيات، لم يتعرّض له بعد ذلک. انتهى.

و ذكر الشيخ محمد الأزهرى فى شرح مغنى اللبيب (١/ ٨٢) هذه الأبيات برمّتها حرفيّا، نقلًا عن تاريخ الإسحاقى «١»، غير أنّه حذف قوله:

و حيث تركنا أعالى النفوس نزلنا إلى أسفل الأرجلِ

و ذكر منها ثلاثة عشر بيتاً ابن شهرآشوب فى المناقب «٢» (٣/ ١٠۶).

و أخذ منها السيِّد الجزائرى فى الأنوار النعمانيّة «٣» (ص ۴٣) عشرين بيتاً.

و ذكرها برمّتها الزنوزى فى الروضة الثانية من رياض الجنّة و قال: هذه القصيدة تسمّى بالجلجليّة لما فى آخرها: و فى عنقى عَلَقُ الجلجلِ.

و خمّسها بطولها الشاعر المُفْلِق الشيخ عبّاس الزيورى البغدادى، وقفت عليه فى ديوانه المخطوط المصحَّح بقلمه، و يوجد التخميس فى إحدى نسختى المكتبة الخديويّة بمصر.

(يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ) «۴»

---

(١). لطائف أخبار الدول: ص ۶١.

(٢). مناقب آل أبى طالب: ٣/ ٢١۶.

(٣). الأنوار النعمانية: ١/ ١٢١.

(۴). آل عمران: ١۶٧.

مهمّات مصادر ترجمة عمرو بن العاص

صحيح البخارى.

صحيح مسلم [١/ ١٥۴ ح ١٩٢ كتاب الإيمان].

سنن أبى داود.

سنن الترمذى.

سنن النسائى.

كتاب سُليم بن قيس [ص ٢١۶، ٢١٨ ٢١٩].

السيرة النبويّة لابن هشام [٣/ ٢٨٩].

عيون الأخبار لابن قتيبة [١/ ٣٧، ٢/ ١۶٩، ٣/ ٢٨۴].

المعارف لابن قتيبة [ص ٢٨۵].

الإمامة و السياسة لابن قتيبة [١/ ٩۵].

المحاسن و الأضداد للجاحظ [ص ٧٩].

البيان و التبيين للجاحظ [٢/ ٢٠۶].

الأنساب لأبى عبيدة.

أنساب الأشراف للبلاذرى [٢/ ٢٨٢ ٢٩٠].

بلاغات النساء لابن أبى طاهر طيفور [ص ۴٣].

الكامل للمبرّد [١/ ٢١٩ ٢٢١].

المثالب للكلبى.

تاريخ اليعقوبى [٢/ ٢٩].

الإمتاع و المؤانسة لأبى حيّان [٣/ ١٨١، ١٨٣].

الأغانى لأبى الفرج [٩/ ٦٩].

الطبقات لابن سعد [٤/ ٢٥٤].

ص: ١٨٠

العقد الفريد لابن عبد ربّه [١/ ٢٢٥].

مروج الذهب للمسعودى [٢/ ٣٧١].

المستدرک للحاكم النيسابورى [٣/ ٥١٢ ح ٥٩٠٤].

المحاسن و المساوئ للبيهقى [ص ٥٢ ٥٤].

الاستيعاب لابن عبد البرّ [القسم الثالث/ ١١٨٤ رقم ١٩٣١].

تاريخ الطبرى [٤/ ٥٥٨ حوادث سنة ٣٦ ه].

تاريخ دمشق لابن عساكر [١٣/ ٤٩٣، و فى مختصر تاريخ دمشق: ١٩/ ٢٣٢].

ربيع الأبرار للزمخشرى [١/ ٦٩٠، ٢/ ١٩، ٣/ ٥٤٨].

الخصائص للوطواط [ص ٣٣١].

التفسير الكبير للفخر الرازى [٣٢/ ١٣٢].

الترغيب و الترهيب للمنذرى [٢/ ١٦٣ ح ٤ كتاب الحج].

شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد [٦/ ٢٨١ خطبة ٨٣].

الكامل لابن الأثير [٢/ ٣٥٨ حوادث سنة ٣٦ ه].

البداية و النهاية لابن كثير [٨/ ٢٨ حوادث سنة ٤٣ ه].

تمييز الطيِّب من الخبيث لابن الديبع.

تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزى [ص ٢٠١].

ثمرات الأوراق لابن حجّة [ص ۶۲].

السيرة النبويّة للحلبى [٢/ ٢٠١].

تاريخ روض المناظر لابن شحنة [١/ ٢٢٩].

نور الأبصار للشبلنجى [ص ١٩٢].

جمهرة خطب العرب لأحمد زكى صفوت [٢/ ٢٥ رقم ١٨].

جمهرة رسائل العرب لأحمد زكى صفوت [١/ ٣٨٨].

دائرة المعارف لفريد وجدى [۶/ ٧۴١].

ص: ١٨١

الشاعر

عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعيد- بالتصغير- بن سهم بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤى القرشى، أبو محمد و أبو عبد اللَّه.

أحد دُهاة العرب الخمسة، منه بدأت الفتن و إليه تعود. و تقحّمه فى البوائق و المخاريق ثابت مشهور تضمّنته طيّات الكتب، و تناقلته الآثار و السِيَر، و إذا استرسلتَ فى الكلام عن الجور، و الفجور، فحدِّث عنه و لا حرج، كما تجده فى كلمات الصحابة الأوّلين، فالبغل نغل و هو لذلک أهل «١»، و يقع الكلام فى ترجمته على نواحٍ شتّى.

نسبه:

أبوه هو الأبتر بنصٍّ الذكر الحميد: (إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ) «٢» و عليه أكثر أقوال المفسِّرين و العلماء «٣».

و فى بعض التفاسير، و إن جاء ترديدٌ بينه و بين أبى جهل و أبى لهب و عقبة بن أبى معيط و غيرهم، إلّا أنّ القول الفصل ما ذكره الفخر الرازى من: أنّ كُلّا من أُولئک كانوا يَشنَئون رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، إلّا أنّ ألهجهم به، و أشدّهم شنأةً العاص بن وائل. فالآية تشملهم أجمع، و تخصُّ اللعين بخزيٍ آكد، و لذلک اشتهر بين المفسِّرين أنَّه هو المراد.

قال الرازى فى تفسيره «۴» (٨/ ٥٠٣): رُوى أنّ العاص بن وائل كان يقول: إنَ

(۱). مثل يضرب لمن لؤم أصله، فخبث فعله [مجمع الأمثال: ۱/ ۱۸۵ رقم ۵۳۳]. (المؤلف)

(۲). الكوثر: ۳.

(۳). راجع الطبقات لابن سعد: ۱/ ۱۱۵ [۱/ ۱۳۳]، و المعارف لابن قتيبة: ص ۱۲۴ [ص ۲۸۵]، و تاريخ ابن عساكر: ۷/ ۳۳۰ [۱۳/ ۴۹۳، و فى مختصر تاريخ دمشق: ۱۹/ ۲۳۲]. (المؤلف)

(۴). التفسير الكبير: ۳۲/ ۱۳۲، ۱۳۳.

محمداً أبتر لا ابن له يقوم مقامه بعده، فإذا مات انقطع ذكره، و استرحتم منه، و كان قد مات ابنه عبد اللَّه من خديجة، و هذا قول ابن عبّاس، و مقاتل، و الكلبى، و عامّة أهل التفسير. و قال (ص ۵۰۴) بعد نقل الأقوال الأُخَر: و لعلّ العاص بن وائل كان أكثرهم مواظبةً على هذا القول، فلذلک اشتهرت الروايات بأنَّ الآية نزلت فيه.

و روى التابعىُّ الكبير سليم بن قيس الهلالى فى كتابه «۱»: أنَّ الآية نزلت فى المترجَم نفسه، كان أحد شانئى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم لمّا مات ولده إبراهيم، فقال: إنَّ محمداً قد صار أبتر لا عقب له. و ذكّره بذلک أمير المؤمنين فى أبيات له تأتى، فقال:

إن يَقرِنوا وصيَّهُ و الأبترا شانى الرسولِ و اللعينَ الأخزرا

و ذكّره بذلک عمّار بن ياسر يوم صفِّين و عبد اللَّه بن جعفر، فى حديثيهما الآتيين. فالمترجَم له هو الأبتر ابن الأبتر، و بذلک خاطبه أمير المؤمنين عليه السلام فى كتاب له يأتى

بقوله: «من عبد اللَّه أمير المؤمنين، إلى الأبتر ابن الأبتر عمرو بن العاص، شانئ محمد و آل محمد فى الجاهليّة و الإسلام».

تُعرِّفنا الآية الكريمة المذكورة أنَّ كلَّ معزوٍّ إلى العاص من الولد من ذكر أو أنثى، من المترجم له أو غيره ليسوا لرشدة، فمن هنا تعرف فضيلة عمرو من ناحية النسب، أضف إلى ذلک حديث أمِّه ليلى العنزيّة الجلّانيّة.

كانت أمّه ليلى أشهر بغىٍّ بمكّة، و أرخصهنَّ أُجرةً، و لمّا وضعته ادّعاه خمسة، كلّهم أتوها، غير أنّ ليلى ألحقته بالعاص لكونه أقرب شبهاً به، و أكثر نفقةً عليها، ذكرت ذلک أروى بنت الحارث بن عبد المطّلب، لمّا وفدت إلى معاوية، فقال لها: مرحباً بک يا عمّة؟ فكيف كنت بعدنا؟

فقالت: يا ابن أخى، لقد كفرتَ يد النعمة، و أسأت لابن عمِّک الصحبة،

---

(۱). كتاب سليم بن قيس: ۲/ ۷۳۷ ح ۲۲.

و تسمَّيت بغير اسمک، و أخذت غير حقِّک، من غير بلاء كان منک و لا من آبائک، و لا سابقة فى الإسلام، و لقد كفرتم بما جاء به محمد صلى الله عليه و آله و سلم فأتعسَ اللَّه منكم الجدود، و أصعرَ منكم الخدود، حتى ردّ اللَّه الحقَّ إلى أهله، و كانت كلمة اللَّه هى العليا، و نبيّنا محمدصلى الله عليه و آله و سلم هو المنصور على من ناوأه و لو كره المشركون، فكنّا أهل البيت أعظم الناس فى الدين حظّا، و نصيباً، و قدراً، حتى قبض اللَّه نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم مغفوراً ذنبه، مرفوعاً درجته، شريفاً عند اللَّه مرضيّا، فصرنا- أهل البيت- منكم بمنزلة قوم موسى من آل فرعون، يُذبِّحون أبناءهم و يستحيون نساءهم، و صار ابن عمٍّ سيِّد المرسلين فيكم بعد نبيِّنا بمنزلة هارون من موسى حيث يقول: (قالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَ كادُوا يَقْتُلُونَنِى) «۱» و لم يجمع بعد رسول اللَّه لنا شملٌ، و لم يَسهُلْ لنا وعرٌ، و غايتنا الجنّة، و غايتكم النار.

فقال لها عمرو بن العاص: أيّتها العجوز الضالَّة اقصرى من قولكِ، و غضِّى من طرفک.

قالت: و من أنت، لا أمَّ لک؟ قال: عمرو بن العاص.

قالت: يا ابن اللخناء النابغة، تتكلّم و أمّک كانت أشهر امرأة بمكّة، و آخذهن لأُجرة، اربَع على ظَلعک «۲» وَ اعْنَ بشأن نفسک، فو اللَّه ما أنت من قريش فى اللُّباب من حسبها، و لا كريم منصبها، و لقد ادّعاک ستّة «۳» نفرٍ من قريش، كلّهم يزعم أنَّه أبوک، فسئلت أمُّک عنهم، فقالت: كلّهم أتانى، فانظروا أشبههم به فألحقوه به، فغلب عليک شَبَه العاص بن وائل، فَلَحِقت به، و لقد رأيت أمّک أيّام منى بمكّة مع كلّ عبدٍ

---

(۱). الأعراف: ۱۵۰.

(۲). مثل يضرب لمن يتوعّد. ربع فى المكان أى أقام به. الظلع، العرج: يقال: ظلع البعير أى غمز فى مشيته. فالمعنى: لا تجاوز حدّک فى وعيدک، و أبصر نقصک و عجزک عنه [المستقصى فى أمثال العرب: ۱/ ۱۳۸ رقم ۵۳۳]. (المؤلف)

(۳). فى العقد الفريد: [۱/ ۲۲۵]، و روض المناظر: [۱/ ۲۲۹ حوادث سنة ۶۰ ه]: خمسة. (المؤلف)

عاهر، فائتمّ بهم، فإنّک بهم أشبه «۱».

و قال الإمام السبط الحسن الزكى- سلام اللّه عليه- بمحضر من معاوية و جمع آخر: «أمّا أنت يا ابن العاص فإنَّ أمرك مشترك، وضعتك أمّك مجهولًا من عِهرٍ و سِفاح، فتحاكم فيك أربعة «٢» من قريش، فغلب عليك جزّارُها، ألأمُهم حَسَباً، و أخبثُهم منصباً، ثمّ قام أبوك فقال: أنا شانئ محمد الأبتر، فأنزل اللّه فيه ما أنزل» «٣».

و عدّه الكلبى أبو المنذر هشام: المتوفّى (٢٠۴، ٢٠۶) فى كتابه مثالب العرب- الموجود عندنا- ممّن يدين بسفاح الجاهليّة، و قال فى باب تسمية ذوات الرايات: و أمّا النابغة أمّ عمرو بن العاص فإنّها كانت بغيّا من طوائف مكّة، فقدمت مكّة و معها بنات لها، فوقع عليها العاص بن وائل فى الجاهليّة فى عدّة من قريش منهم: أبو لهب، و أميّة بن خلف، و هشام بن المغيرة، و أبو سفيان بن حرب، فى طهر واحد، فولدت عمراً، فاختصم القوم جميعاً فيه، كلٌّ يزعم أنَّه ابنه. ثمَّ إنَّه أضرب عنه ثلاثة و أكبَّ عليه اثنان: العاص بن وائل، و أبو سفيان بن حرب، فقال أبو سفيان: أنا و اللّه وضعته فى حِر أمّه. فقال العاص: ليس هو كما تقول، هو ابنى، فحكّما أمّه فيه، فقالت: للعاص. فقيل لها بعد ذلك: ما حملكِ على ما صنعتِ و أبو سفيان أشرف من العاص؟ فقالت: إنَّ العاص كان ينفق على بناتى، و لو ألحقته بأبى سفيان لم ينفق علىَّ العاص شيئاً، و خفتُ الضيعة، و زعم ابنها عمرو بن العاص أنّ أمّه امرأة من عنزة بن

---

(١). بلاغات النساء: ص ٢٧ [ص ۴٣]، العقد الفريد: ١/ ١۶۴ [١/ ٢٢۵]، روض المناظر: ٨/ ۴ [١/ ٢٢٩ حوادث سنة ۶٠ ه]، ثمرات الأوراق: ١/ ١٣٢ [ص ١۵٢]، دائرة المعارف لفريد وجدى: ١/ ٢١۵، جمهرة الخطب: ٢/ ٣۶٣ [٢/ ٣٨٢ رقم ٣٧٠]. (المؤلف)

(٢). فى لفظ الكلبى و سبط ابن الجوزى [تذكرة الخواص: ص ٢٠١]: خمسة. (المؤلف)

(٣). أخذنا هذه الجملة من حديث المهاجاة الطويلة، الواقعة بين الإمام الحسن بن علىّ و بين عمرو بن العاص، و الوليد بن عقبة، و عتبة بن أبى سفيان، و المغيرة بن شعبة، فى مجلس معاوية. رواه ابن أبى الحديد فى شرحه: ٢/ ١٠١ [۶/ ٢٩١ خطبه ٨٣] نقلًا عن كتاب المفاخرات للزبير بن بكّار، و ذكره سبط ابن الجوزى فى التذكرة: ص ١١۴ [ص ٢٠١]. (المؤلف)

أسد بن ربيعة.

كان الزناة الذين اشتهروا بمكّة جماعة منهم هؤلاء المذكورون، و أميّة بن عبد شمس، و عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص أخو مروان بن الحكم، و عتبة بن أبى سفيان أخو معاوية، و عقبة بن أبى مُعيط «١».

و عدّه الكلبى من الأدعياء فى باب- أدعياء الجاهليّة- و قال: قال الهيثم: و من الأدعياء عمرو بن العاص، و أمّه النابغة حبشيّةٌ، و أخته لأمِّه أُرَيْنب- بضم الألف- و كانت تُدعى لعفيف بن أبى العاص، و فيها قال عثمان لعمرو بن العاص: لمن كانت تُدعى أختك أُرَيْنب يا عمرو؟ فقال: لعفيف بن أبى العاص. قال عثمان: صدقت. انتهى.

و روى أبو عبيدة معمر بن المثنّى المتوفّى (۲۰۹، ۲۱۱) فى كتاب الأنساب: أنّ عمراً اختصم فيه يوم ولادته رجلان: أبو سفيان و العاص، فقيل: لتحكم أمّه، فقالت: إنّه من العاص بن وائل. فقال أبو سفيان: أما إنّى لا أشكّ أنّنى وضعته فى رحم أمّه، فأبت إلّا العاص، فقيل لها: أبو سفيان أشرف نسباً! فقالت: إنَّ العاص بن وائل كثير النفقة علىَّ، و أبو سفيان شحيحٌ. ففى ذلک يقول حسّان بن ثابت لعمرو بن العاص، حيث هجاه مكافأةً له عن هجاء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم:

أبوک أبو سفيان لا شکّ قد بدَتْ — لنا فيکَ منهُ بيِّناتُ الدلائلِ

ففاخِر به إمّا فخرتَ و لا تکنْ — تفاخرُ بالعاص الهجين ابن وائلِ

و إنَ التى فى ذاک يا عمرو حُکِّمتْ — فقالت رجاءً عندَ ذاکَ لنائلِ

من العاص عمروٌ تُخبرُالناس کلّما — تجمّعتِ الأقوامُ عند المحاملِ«۲»

و قال الزمخشرى فى ربيع الأبرار «۳»: كانت النابغة أمّ عمرو بن العاص أمة

---

(۱). و إلى هنا ذكره سبط ابن الجوزى فى تذكرته: ص ۱۱۷ [ص ۲۰۵] عن المثالب. (المؤلف)

(۲). شرح ابن أبى الحديد: ۲/ ۱۰۱ [۶/ ۲۸۵ خطبة ۸۳]. (المؤلف)

(۳). ربيع الأبرار: ۳/ ۵۴۸ و ۲/ ۱۹.

لرجل من عنزة- بالتحريک- فَسُبيتْ، فاشتراها عبد اللَّه بن جذعان التيمىّ بمكّة، فكانت بغيّا. ثمّ ذكر نظير الجملة الأولى من كلام الكلبى، و نسب الأبيات المذكورة إلى أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب. و قال: جُعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمِّه و لم تكن بمنصب مرضىٍّ، فأتاه بمصر أميراً عليها، فقال: أردت أن أعرف أمَّ الأمير. فقال: نعم؛ كانت امرأة من عَنزة، ثمّ من بنى جلّان، تُسمّى ليلى، و تُلقّب النابغة، اذهب و خذ ما جُعل لک «۱».

و قال الحلبى فى سيرته «۲» (۱/ ۴۶) فى نكاح البغايا و نكاح الجمع من أقسام نكاح الجاهليّة:

الأوّل: أن يطأ البغىّ جماعة متفرِّقين واحداً بعد واحد، فإذا حملت و ولدت أُلحِقَ الولد بمن غلب عليه شبهه منهم.

الثانى: أن تجتمع جماعة دون العشرة، و يدخلون على امرأة من البغايا ذوات الرايات كلّهم يطؤها، فإذا حملت و وضعت، و مرّ عليها ليال بعد أن تضع حملها، أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، فتقول لهم: قد عرفتم الذى كان من أمركم، و قد ولدت، و هو ابنک يا فلان. تسمّى من أحبّت منهم، فيلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع منهم الرجل إن لم يغلب شبهه عليه، و حينئذٍ يحتمل أن تكون أمُّ عمرو بن العاص رضى الله عنه من القسم الثانى، فإنّه يقال: إنّه وطئها أربعة و هم: العاص، و أبو لهب، و أميّة، و أبو سفيان، و ادّعى كلّهم عمراً، فألحقَتْهُ بالعاص لإنفاقه على بناتها. و يُحتمل أن يكون من القسم الأوّل، و يدلُّ عليه ما قيل: إنّه أُلحِقَ بالعاص لغلبة شبهه عليه، و كان عمرو يُعيَّرُ بذلک، عيّره علىّ، و عثمان، و الحسن،

---

(١). و رواه المبرّد فى الكامل [٢/ ٨٣]، ابن قتيبة فى عيون الأخبار: ١/ ٢٨٤، ابن عبد البر فى الاستيعاب [القسم الثالث/ ١١٨٤ رقم ١٩٣١]، و ذُكر فى شرح النهج لابن أبى الحديد: ٢/ ١٠٠ [٦/ ٢٨٤ خطبة ٨٣]، جمهرة الخطب: ٢/ ١٩ [٢/ ٢٥- ٢٦ رقم ١٨]. (المؤلف)

(٢). السيرة الحلبيّة: ١/ ٤٣.

و عمّار بن ياسر، و غيرهم من الصحابة و سيأتى ذلک فى قصّة قتل عثمان، عند الكلام على بناء مسجد المدينة «١».

عبد اللّه [بن جعفر] و عمرو:

روى الحافظ ابن عساكر فى تاريخ الشام «٢» (٧/ ٣٣٠): أنّ عمرو بن العاص قال لعبد اللّه بن جعفر الطيّار، ذى الجناحين، فى مجلس معاوية: يا ابن جعفر- يريد تصغيره!- فقال له: لئن نسبتنى إلى جعفر فلستُ بدعىٍّ، و لا أبتر، ثمّ ولّى و هو يقول:

تعرّضتَ قرنَ الشمس وقتَ ظهيرةٍ ... لتَسترَ منه ضوءَهُ بظلامِكا

كفرتَ اختياراً ثمّ آمنتَ خِيفةً ... و بغضُکَ إيّانا شهيدٌ بذلكا

عبد اللّه [بن أبى سفيان] و عمرو:

أخرج الحافظ ابن عساكر فى تاريخه «٣» (٧/ ٤٣٨): أنّ عبد اللّه بن أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب الهاشمىّ، قدم على معاوية و عنده عمرو، فجاء الآذن، فقال: هذا عبد اللّه، و هو بالباب. فقال: ائذن له.

فقال عمرو: يا أمير المؤمنين لقد أذنتَ لرجل كثير الخلوات للتلهّى، و الطَرَبات للتغنّى، صدوفٌ عن السنان، محبٌّ للقيان، كثيرٌ مزاحُهُ، شديدٌ طِماحه، ظاهر الطيش، ليِّنُ العيش، أخّاذٌ للسلف، صفّاقٌ للشرف.

فقال عبد اللَّه: كذبت يا عمرو، و أنت أهله، ليس كما وصفت، و لكنّه: للَّهِ

---

(١). ذكر قتل عثمان عند الكلام على بناء المسجد: ٢/ ٧٢- ٨٨ [٢/ ٧٦- ٧٨] و لم يوجد هناک شيء ممّا أوعز إليه. (المؤلف)

(٢). تاريخ مدينة دمشق: ٩/ ۶۶، و فى مختصر تاريخ دمشق: ١٢/ ٧٨.

(٣). تاريخ مدينة دمشق: ٩/ ٣۶٧، و فى مختصر تاريخ دمشق: ١٢/ ٢٣٨.

ذكور، و لبلائه شكور، و عن الخنا زجور، سيِّد كريم، ماجد صميم، جواد حليم، إن ابتدأ أصاب، و إن سُئل أجاب، غيرُ حَصِرٍ و لا هيّاب، و لا فاحش عَيّاب، كذلک قضى اللَّه فى الكتاب، فهو كالليثِ الضرغام، الجرىء المقدام، فى الحسب القمقام، ليس بدعيٍّ و لا دنيٍّ، كمن اختصم فيه من قريش شرارُها، فغلب عليه جزّارها، فأصبح ينوء بالدليل، و يأوى فيها إلى القليل، مذبذَب بين حيّين، كالساقط بين المهدين، لا المعتزى إليهم قبلوه، و لا الظاعن عنهم فقدوه، فليت شعرى بأىّ حسَب تنازل للنضال؟ أم بأىٍّ قديم تَعرّض للرجال؟ أ بنفسک؟ فأنت الخوّار الوغد الزنيم. أم بمن تنتمى إليه؟ فأنت أهل السفه و الطيش و الدناءة فى قريش، لا بشرف فى الجاهليّة شُهِر، و لا بقديم فى الإسلام ذُكر، غير أنَّک تنطقُ بغير لسانک، و تنهَضُ بغير أركانک، و ايمُ اللَّه إن كان لأسهل للوعث «١» و ألمّ للشعث «٢» أن يكعمَکَ «٣» معاوية على ولوعک بأعراض قريش كِعام الضبع فى وجاره «۴»، فأنت لست لها بكفيٍّ، و لا لأعراضها بوفيٍّ.

قال: فتهيّأ عمرو للجواب، فقال له معاوية: نشدتک اللَّه إلّا ما كففت. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين دعنى أنتصر فإنّه لم يدع شيئاً. فقال معاوية: أمّا فى مجلسک هذا فدع الانتصار، و عليک بالاصطبار.

و أشار إلى هذه القصّة ابن حجر فى الإصابة (٢/ ٣٢٠).

إسلامه:

إنَّ الذى حدانا إليه يقين لا يخالجه شكٌّ، بعد الأخذ بمجامع ما يُؤثر عن الرجل

---

(١). الوعث- بالفتح-: العسر الغليظ. (المؤلف)

(۲). يقال: لمّ اللَّه شعثهم: أى جمع أمرهم. (المؤلف)

(۳). يقال:- كعم البعير: أى شدَّ فمه لئلا يعضّ أو يأكل. (المؤلف)

(۴). الوجار- بكسر الواو و فتحها-: جحر الضبع، و غيرها. (المؤلف)

ص: ۱۸۹

فى شئونه و أطواره، أنَّه لم يعتنق الدين اعتناقاً، و إنّما انتحله انتحالًا و هو فى الحبشة، نزل بها مع عمارة بن الوليد لاغتيال جعفر و أصحابه رُسل النبىِّ الأعظم، تنتهى إليه الأنباء عن أمر الرسالة، و يبلغه التقدّم و النشور له، و سمع من النجاشى قوله: أ تسألنى أن أعطيک رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله؟ فقال: أيّها الملک أ كذلک هو؟ فقال: ويحک يا عمرو أطعنى و اتّبعه، فإنّه و اللَّه لعلى الحقِّ، و ليظهرنَّ على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون و جنوده «۱».

فَرَاقَهُ التزلّفُ إلى صاحب الرسالة بالتسليم له، فلم ينكفئ إلى الحجاز إلّا طمعاً فى رتبة، أو وقوفاً على لُماظة من العيش، أو فرَقاً من البطش الإلهى بالسلطة النبويّة. فنحن لا نعرفه فى غضون هاتيک المُدَد التى كان يداهِن فيها المسلمين و يصانعهم إبقاءً لحياته، و استدراراً لمعاشه، إلّا كما نعرفه يوم كان يهجو رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم بقصيدة ذات سبعين بيتاً، فلعنه صلى الله عليه و آله و سلم عدد أبياته.

و هو كما

قال أمير المؤمنين: «متى ما كان للفاسقين وليّا، و للمسلمين عدوّا؟! و هل يشبه إلّا أمّه التى دفعت به» «۲»

و كان كما يأتى عن أمير المؤمنين، من قوله: «و الذى فلق الحبّة و برأ النسمة، ما أسلموا و لكن استسلموا، و أسرّوا الكفر، فلمّا وجدوا أعواناً، رجعوا إلى عداوتهم منّا».

قال ابن أبى الحديد فى الشرح «۳» (۱/ ۱۳۷): قال شيخنا أبو القاسم البلخى رحمه الله: قول عمرو بن العاص لمعاوية- لمّا قال له معاوية: يا أبا عبد اللَّه إنّى لأكره لک أن تتحدّث العرب عنک إنّک إنّما دخلت فى هذا الأمر لغرض الدنيا-: دعنا عنک. كنايةٌ عن الإلحاد بل تصريحٌ به، أى: دع هذا الكلام لا أصل له، فإنَّ اعتقاد الآخرة و إنّها لا تُباع بعرض الدنيا من الخرافات، و ما زال عمرو بن العاص ملحداً ما تردّد قطُّ فى

---

(۱). سيرة ابن هشام: ۳/ ۳۱۹ [۳/ ۲۸۹] و غير واحد من كتب السيرة النبويّة و التاريخ. (المؤلف)

(۲). تذكرة خواص الأمّة: ص ۵۶ [ص ۹۷]، السيرة الحلبيّة: [۳/ ۲۰] و غيرها. (المؤلف)

(۳). شرح نهج البلاغة: ۲/ ۶۵ خطبة ۲۶، ۶/ ۳۲۱ و ۳۲۵ خطبة ۸۳، ۷/ ۵۸ خطبة ۹۲.

الإلحاد و الزندقة، و كان معاوية مثله.

و قال فی (۲/ ۱۱۳): و نقلت أنا من كتب متفرِّقة، كلمات حكميّة، تُنسب إلى عمرو بن العاص، استحسنتها و أوردتها لأنّی لا أجحد لفاضل فضله، و إن كان دينه عندی غير مرضیٍّ.

و قال فی (ص ۱۱۴): قال شيخنا أبو عبد اللَّه: أوّل من قال بالإرجاء المحض معاوية و عمرو بن العاص، كانا يزعمان أنَّه لا يضرّ مع الإيمان معصية، و لذلک قال معاوية لمن قال: حاربت من تعلم. و ارتكبت ما تعلم، فقال: وثقت بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً) «۱».

و قال فی (۲/ ۱۷۹): و أمّا معاوية: فكان فاسقاً مشهوراً بقلّة الدين، و الانحراف عن الإسلام، و كذلک ناصره و مظاهره على أمره عمرو بن العاص، و من تبعهما من طغام أهل الشام و أجلافهم و جهّال الأعراب، فلم يكن أمرهم خافياً فی جواز محاربتهم و استحلال قتالهم.

و هناک كلماتٌ ذُكرت فی مصادر وثيقة تُمثِّل الرجل بين يدی القارئ بروحيّاته و حقيقته، و تخبره بعُجره و بُجره «۲»، و إليک نماذج منها:

۱- كلمة النبیّ الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم

دخل زيد بن أرقم على معاوية، فإذا عمرو بن العاص جالسٌ معه على السرير، فلمّا رأى ذلک زيد، جاء حتى رمى بنفسه بينهما، فقال له عمرو بن العاص: أما وجدتَ لک مجلساً إلّا أن تقطعَ بينی و بين أمير المؤمنين؟

---

(۱). الزمر: ۵۳.

(۲). العُجر: العروق المتعقّدة فی الظَهر. البُجر: العروق المتعقّدة فی البطن. مثل يضرب لمن يُخبَر بجميع عيوبه [مجمع الأمثال: ۱/ ۴۲۰ رقم ۱۲۵۸]. (المؤلف)

فقال زيد: إنَّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم غزا غزوة و أنتما معه فرآكما مجتمعَين، فنظر إليكما نظراً شديداً، ثمّ رآكما اليوم الثانی و اليوم الثالث، كلّ ذلک يديم النظر إليكما، فقال فی اليوم الثالث: «إذا رأيتم معاوية و عمرو بن العاص مجتمعَينِ ففرِّقوا بينهما، فإنّهما لن يجتمعا على خير».

كذا أخرجه ابن مزاحم فی کتاب صفّین «۱» (ص ۱۱۲)، و رواه ابن عبد ربّه فی العقد الفرید «۲» (۲/ ۲۹۰) عن عبادة بن الصامت، و فیه: إنّه صلی الله علیه و آله و سلم قاله فی غزوة تبوک و لفظه: «إذا رأیتموهما اجتمعا ففرّقوا بینهما، فإنّهما لا یجتمعان علی خیر».

۲- کلمة أمیر المؤمنین علیه السلام

روی أبو حیّان التوحیدی فی الإمتاع و المؤانسة (۳/ ۱۸۳) قال: قال الشعبی: ذکر عمرو بن العاص علیّا، فقال: فیه دُعابة. فبلغ ذلک علیّا، فقال:

«زعم ابن النابغة أنّی تلعابة، تمراحة، ذو دُعابة، أعافس، و أمارس. هیهات یمنع من العِفاس و المِراس «۳»، ذکر الموت و خوف البعث و الحساب، و من کان له قلب، ففی هذا من هذا له واعظ و زاجر، أما و شرُّ القول الکذب، إنَّه لَیَعِدُ فیُخلف، و یحدِّث فیکذب، فإذا کان یوم البأس، فإنّه زاجر و آمر، ما لم تأخذِ السیوفُ بهامِ الرجال، فإذا کان ذاک، فأعظمُ مکیدتِهِ فی نفسه، أن یمنح القومَ استه».

و رواه بهذا اللفظ شیخ الطائفة فی أمالیه «۴» (ص ۸۲) من طریق الحافظ ابن عقدة.

---

(۱). وقعة صفّین: ص ۲۱۸.

(۲). العقد الفرید: ۴/ ۱۴۵.

(۳). العفاس- بالکسر-: الفساد. المراس: العبث و اللعب. (المؤلف)

(۴). أمالی الطوسی: ص ۱۳۱ ح ۲۰۸.

صورةٌ أخری علی روایة الشریف الرضی:

«عجباً لابن النابغة! یزعم لأهل الشام أنّ فیَّ دُعابة، و أنّی امرؤ تلعابة، أعافس و أمارس، لقد قال باطلًا، و نطق آثماً، أما و شرُّ القول الکذب، إنّه لیقول فیکذب، و یَعِدُ فیخلِف، و یسأل فیلحِف، و یُسأل فیَبخَل، و یخونُ العهد، و یقطع الإلّ، فإذا کان عند الحرب فأیُّ زاجر و آمر هو ما لم تأخذ السیوف مآخذها؟! فإذا کان ذلک، کان أکبر مکیدته أن یمنح القِرْمَ سُبَّتَهُ، أما و اللّه إنّی لَیمنعُنی من اللّعبِ ذکر الموت، و إنّه لَیمْنَعُهُ من قول الحقِّ نسیان الآخرة، و إنّه لم یُبایع معاویة حتی شرط له أن یؤتیه أتیّةً، و یرضَخَ له علی ترکِ الدین رضیخة «۱»». نهج البلاغة «۲» (۱/ ۱۴۵).

صورةٌ أخری علی روایة ابن قتیبة:

قال زيد بن وهب: قال لى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه:

«عجباً لابن النابغة! يزعم أنّى تَلْعابة، أعافس و أمارس، أما و شرُّ القول أكذبه، إنّه يسأل فيُلحِف، يُسأل فيبخل، فإذا كان عند البأس فإنّه امرؤٌ زاجرٌ، ما لم تأخذ السيوف مآخذها من هام القوم، فإذا كان كذلک، كان أكبر همِّه أن يُبرقِط «۳» و يمنح الناس استه، قبّحه اللَّه و ترّحه».- عيون الأخبار (۱/ ۱۶۴).

صورةٌ أخرى على رواية ابن عبد ربِّه:

ذُكر عمرو بن العاص عند علىّ بن أبى طالب، فقال فيه علىٌّ:

«عجباً لابن الباغية! يزعم أنّى بلقائه أعافس و أمارس، ألا و شرُّ القول أكذبه، إنّه يسأل فيلحف، و يُسأل فيَبخل، فإذا احمرَّ البأس، و حَمِى الوطيس، و أخذت السيوف

---

(۱). يقال: رضخ له من ماله رضيخة، أى: قليلًا من كثير. (المؤلف)

(۲). نهج البلاغة: ص ۱۱۵ خطبة ۸۴.

(۳). برقط: فرّ هارباً، و ولّى متلفّتاً.

ص: ۱۹۳

مآخذها من هام الرجال، لم يكن له همٌّ إلّا غرقة ثيابه «۴»، و يمنح الناس استه، فضَّه اللَّه و ترّحه».- العقد الفريد «۵» (۲/ ۲۸۷).

۳- كلمة أخرى له عليه السلام

لمّا رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يوم صفِّين، يدعون إلى حكم القرآن،

قال علىٌّ عليه السلام:

«عباد اللَّه: أنا أحقُّ من أجاب إلى كتاب اللَّه، و لكنّ معاوية، و عمرو بن العاص، و ابن أبى مُعَيط، و حبيب بن مَسلَمة، و ابن أبى سَرْح، ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن، إنّى أعْرَفُ بهم منكم، صَحِبتُهمْ أطفالًا، و صَحِبتهم رجالًا، فكانوا شرَّ أطفال، و شرَّ رجال، إنّها كلمة حقّ يراد بها الباطل، إنّهم و اللَّه ما رفعوها، إنّهم يعرفونها و لا يعملون بها، و ما رفعوها لكم إلّا خديعة و مكيدة».- كتاب صفّين لابن مزاحم «۶» (ص ۲۶۴).

۴- كلمة أخرى له عليه السلام

قال أبو عبد الرحمن المسعودى: حدّثنى يونس بن أرقم بن عوف، عن شيخ من بكر بن وائل، قال: كنّا مع علىّ بصفّين، فرفع عمرو بن العاص شقّة خميصة «۷» فى رأس رمح، فقال ناسٌ: هذا لواء عقده له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، فلم يزالوا كذلک حتى بلغ عليّا.

---

(۴). فى المصدر: إلّا نزعة ثيابه.

(۵). العقد الفريد: ۴/ ۱۴۱.

(۶). وقعة صفّين: ص ۴۸۹.

(۷). الخميصة: كساء أسود مربّع له علمان.

ص: ۱۹۴

فقال علىٌّ: «هل تدرون ما أمر هذا اللواء؟ إنَّ عدوّ اللَّه عمرو بن العاص أخرج له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم هذه الشِّقَّة، فقال: من يأخذها بما فيها؟ فقال عمرو: و ما فيها يا رسول اللَّه؟.

قال: فيها أن لا تُقاتل به مسلماً، و لا تقرِّبه من كافر. فأخذها، فقد و اللَّه قرّبه من المشركين، و قاتل به اليوم المسلمين، و الذى فلق الحبّة و برأ النسمة، ما أسلموا و لكن استسلموا و أسرّوا الكفر، فلمّا وجدوا أعواناً رجعوا إلى عداوتهم منّا، إلّا أنَّهم لم يدعوا الصلاة». كتاب صفّين لابن مزاحم «۱» (ص ۱۱۰).

۵- كتاب أمير المؤمنين إلى عمرو

«من عبد اللَّه علىّ أمير المؤمنين إلى الأبتر ابن الأبتر، عمرو بن العاص بن وائل، شانئ محمد و آل محمد فى الجاهليّة و الإسلام. سلام على من اتّبع الهدى.

أمّا بعد: فإنّک تركتَ مروءتَک لامرئ فاسق مهتوک سترُهُ، يَشينُ الكريمَ بمجلسه، و يسفِّهُ الحليمَ بخَلْطَتِهِ، فصار قلبُکَ لقلبه تَبَعاً، كما قيل: وافق شنٌّ طبقة «۲»، فسلَبکَ دينَکَ، و أمانتَک، و دنياک، و آخرتَک، و كان علمُ اللَّه بالغاً فيک، فصرتَ كالذئب يتبعُ الضرغام إذا ما الليل دجا، أو أتى الصبح، يلتمسُ فاضلَ سؤره، و حوايا فريستِه، و لكن لا نجاةَ من القدر، و لو بالحقِّ أخذت لأدركتَ ما رجوتَ، و قد رشدَ من كانَ الحقُّ قائده، فإن يمكِّنِ اللَّهُ منک و من ابن آكلة الأكباد، ألحقتُكما بمن قتلَه اللَّه من ظَلَمَة قريش على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، و إن تُعْجِزا و تبقيا بعدى، فاللَّه حسبكما، و كفى بانتقامه انتقاماً، و بعقابه عقاباً. و السلام».

(۱). وقعة صفّين: ص ۲۱۵.

(۲). مثل سائر له قصّة يستفاد منها. شنّ: اسم رجل. طبقة: اسم امرأة. راجع مجمع الأمثال للميدانى: ۲/ ۳۲۱ [۳/ ۴۱۸ رقم ۴۳۴۰]. (المؤلف)

ص: ۱۹۵

فائدةٌ

هذا الكتاب بهذه الصورة، ذكرها ابن أبى الحديد فى شرحه (۴/ ۶۱) نقلًا عن كتاب صفِّين لنصر بن مزاحم، و لم نجده فيه، فمن أمعن النظر فى جلِّ ما نقله ابن أبى الحديد عن هذا الكتاب يعلم بأنَّ المطبوع منه هو مختصره لا أصله، و هو أكبر من الموجود بكثير.

صورة أخرى له:

«فإنَّک قد جعلتَ دينَک تبعاً لدنيا امرئٍ ظاهرٍ غيّهُ، مهتوکٍ سترُهُ، يشينُ الكريم بمجلسه، و يسفِّهُ الحليم بخلطَتِهِ، فاتّبعتَ أثرَهُ و طلبتَ فضلَهُ اتِّباعَ الكلبِ للضرغامِ يلوذُ بمخالبِهِ، و ينتظرُ ما يُلقى إليه من فضلِ فريستهِ، فأذهبَ دنياک و آخرتَکَ، و لو بالحقِّ أخذتَ أدركتَ ما طلبتَ، فإن يمكّنِ اللَّهُ منک و من ابن أبى سفيان، أجْزِكُما بما قدّمتما، و إن تُعْجِزا و تبقيا فما أمامكما شرٌّ لكما. و السلام». نهج البلاغة (۲/ ۶۴).

۶- خطبة أمير المؤمنين بعد التحكيم

لمّا خرجت الخوارج و هرب أبو موسى إلى مكّة، و ردّ علىٌّ عليه السلام ابن عبّاس إلى البصرة، قام فى الكوفة خطيباً، فقال:

«الحمد للَّه، و إن أتى الدهرُ بالخَطْبِ الفادح، و الحدثِ الجليل، و أشهد أن لا إله إلّا اللَّه وحده لا شريک له، ليس معه إلهٌ غيره، و أنّ محمداً عبده و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم.

ص: ۱۹۶

أمّا بعد: فإنَّ معصية الناصح الشفيق، العالم المجرِّب، تُورثُ الحسرة، و تُعقِبُ الندامة، و قد كنت أَمَرتُكُم فى هذه الحكومة أمرى، و نحلتُ لكم مخزون رأيى، لو كان يُطاع لقصير أمر، فأَبيتم علىَّ إباء المخالفين الجفاة، و المنابذين العصاة، حتى ارتاب الناصح بنصحه، و ضنَّ الزَّنْدُ بقدحه، فكنت أنا و إيّاكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكُمُ أمرى بمنعرج اللِّوى فلم تستبينوا النصحَ إلّا ضحى الغدِ

ألا إن هذين الرجلين عمرو بن العاص و أبا موسى الأشعرى اللذين اخترتموهما حَكَمين، قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما، و أحيَيَا ما أمات القرآن، و أماتا ما أحيا القرآن، و اتّبع كلّ واحد منهما هواه بغير هدىً من اللَّه، فَحَكَما بغير حجّة بيِّنة، و لا سُنّة ماضية، و اختلفا فى حكمهما، و كلاهما لم يَرشُد، فبرئ اللَّه منهما و رسولُه و صالحُ المؤمنين، و استعِدّوا و تأهّبوا للمسير إلىً الشام».

الإمامة و السياسة (۱/ ۱۱۹)، تاريخ الطبرى (۶/ ۴۵)، مروج الذهب (۲/ ۳۵)، نهج البلاغة (۱/ ۴۴)، كامل ابن الأثير (۳/ ۱۴۶).

ذكر ابن كثير فى تاريخه

(۷/ ۲۸۶) هذه الخطبة، و لمّا لم يعجبه ذكر أهل العبث

ص: ۱۹۷

و الفساد بما هم عليه، أو لم يره صادراً من أهله فى محلّه، أو لم يرض أن تطّلع الأمّة الإسلاميّة على حقيقة عمرو بن العاص و صُويحبه بتر الخطبة، و ذكرها إلى آخر البيت، فقال: ثمّ تكلّم فيما فعله الحكمان فردّ عليهما ما حكما به و أنّبهما، و قال ما فيه حطٌّ عليهما. انتهى.

و هناك لأمير المؤمنين عليه السلام فى خطبه كلمات كثيرة حول الرجل، مثل

قوله: «قد سار إلى مصر ابن النابغة عدوُّ اللَّه، و وليُّ مَن عادى اللَّه».

و قوله: «إنَّ مصر افتتحها الفجرة أولو الجور و الظلم الذين صدّوا عن سبيل اللَّه، و بغوا الإسلام عوجاً».

نضرب عنها صفحاً روماً للاختصار.

–

۷- قنوت أمير المؤمنين بلعن عمرو

أخرج أبو يوسف القاضى فى الآثار (ص ۷۱)، من طريق إبراهيم قال: إنَّ عليّا رضى الله عنه قنت يدعو على معاوية رضى الله عنه حين حاربه، فأخذ أهل الكوفة عنه، و قنت معاوية يدعو على علىّ، فأخذ أهل الشام عنه.

و روى الطبرى فى تاريخه (۶/ ۴۰) قال: كان علىٌّ إذا صلّى الغداة يقنتُ فيقول: «اللّهم العن معاوية، و عمراً، و أبا الأعور السلَمى، و حبيباً، و عبد الرحمن بن خالد، و الضحّاک بن قيس، و الوليد».

فبلغ ذلک معاوية، فكان إذا قنت لعن عليّا، و ابن عبّاس، و الأشتر، و حسناً، و حسيناً.

و رواه نصر بن مزاحم فى كتاب صفّين (ص ۳۰۲) و فى طبعة مصر (ص ۶۳۶)

ص: ۱۹۸

و فيه: كان علىٌّ إذا صلّى الغداة و المغرب و فرغ من الصلاة يقول: اللّهمّ العن معاوية، و عمراً، و أبا موسى، و حبيب بن مسلمة...».

إلى آخر الحديث باللفظ المذكور، غير أنّ فيه: قيس بن سعد مكان الأشتر.

و قال ابن حزم فى المحلّى (۴/ ۱۴۵): كان علىٌّ يقنت فى الصلوات كلّهنّ، و كان معاوية يقنت أيضاً، يدعو كلٌّ واحد منهما على صاحبه.

و رواه الوطواط فى الخصائص (ص ۳۳۰) و زاد فيه: و لم يزل الأمر على ذلک برهةً من ملک بنى أميّة، إلى أن ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة، فمنع من ذلک. و ذكره ابن الأثير فى الكامل (۳/ ۱۴۴) بلفظ الطبرى.

و قال أبو عمر فى الاستيعاب)- فى الكنى- فى ترجمة أبى الأعور السلمى: كان هو و عمرو بن العاص مع معاوية بصفّين، و كان من أشدّ من عنده على علىّ رضى الله عنه، و كان علىٌّ رضى الله عنه يذكره فى القنوت فى صلاة الغداة، يقول: «اللّهمّ عليک به» مع قوم يدعو عليهم فى قنوته. و ذكره على لفظ الطبرى، أبو الفداء فى تاريخه (۱/ ۱۷۹).

و قال الزيلعى فى نصب الراية (۲/ ۱۳۱): قال إبراهيم: و أهل الكوفة إنّما أخذوا القنوت عن علىٍّ، قنت يدعو على معاوية حين حاربه، و أهل الشام أخذوا القنوت عن معاوية، قنت يدعو على علىٍّ.

و رواه أبو المظفّر سبط ابن الجوزى الحنفىّ فى تذكرته (ص ۵۹) بلفظ الطبرى حرفيّا إلى قنوت معاوية، و زاد فيه: محمد بن الحنفيّة، و شريح بن هانى. و ذكره ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة (۱/ ۲۰۰) نقلًا عن كتابى صفّين لابن ديزيل

ص: ۱۹۹

المترجم له (۱/ ۷۳) و نصر بن مزاحم. و ذكره الشبلنجى فى نور الأبصار (ص ۱۱۰).

۸- دعاء عائشة على عمرو

لمّا بلغ عائشة قتل محمد بن أبی بکر، جزعت علیه جزعاً شدیداً، و جعلت تقنت و تدعو فی دُبُر الصلاة علی معاویة و عمرو بن العاص.

رواه الطبری فی تاریخه (۶/ ۶۰)، ابن الأثیر فی الکامل (۳/ ۱۵۵)، ابن کثیر فی تاریخه (۷/ ۳۱۴)، ابن أبی الحدید فی شرح النهج (۲/ ۳۳).

۹- الإمام الحسن الزکیّ و عمرو

روی الزبیر بن بکّار فی کتاب المفاخرات قال: اجتمع عند معاویة عمرو بن العاص، و الولید بن عقبة بن أبی مُعَیْط، و عتبة بن أبی سفیان بن حرب، و المغیرة بن شعبة، و قد کان بلغهم عن الحسن بن علیّ علیه السلام قوارص، و بلغه عنهم مثل ذلک، فقالوا: یا أمیر المؤمنین إنَّ الحسن قد أحیا أباه و ذِکره، و قال فصُدِّق، و أمر فأُطیع، و خفقتْ له النعال، و إنَّ ذلک لرافعه إلی ما هو أعظم منه، و لا یزال یبلغنا عنه ما یسوؤنا. قال معاویة: فما تریدون؟

قالوا: ابعث علیه فلیحضر لِنَسُبَّه و نَسُبَّ أباه! و نعیِّره، و نوبِّخه، و نخبره أنَّ أباه

قتل عثمان، و نقرّره بذلک، و لا یستطیع أن یغیِّر علینا شیئاً من ذلک. قال معاویة: إنّی لا أری ذلک و لا أفعله. قالوا: عزمنا علیک یا أمیر المؤمنین لَتفعلَنَّ. فقال: ویْحَکم لا تفعلوا، فو اللّه ما رأیته قطُّ جالساً عندی إلّا خفتُ مقامه و عیبه لی. قالوا: ابعث إلیه علی کلِّ حال. قال: إن بعثتُ إلیه لأُنصِفَنَّه منکم. فقال عمرو بن العاص: أ تخشی أن یأتی باطله علی حقِّنا؟! أو یربی قوله علی قولنا؟ قال معاویة: أما إنّی إن بعثتُ إلیه لآمرنَّه أن یتکلّم بلسانه کلّه. قالوا: مُره بذلک. قال: أمّا إذا عصیتمونی و بعثتم إلیه و أبیتم إلّا ذلک، فلا تمرضوا له فی القول، و اعلموا أنَّهم أهل بیت لا یعیبهم العائب، و لا یَلصقُ بهم العار، و لکن اقذفوه بحجره، تقولون له: إنَّ أباک قتل عثمان، و کره خلافة الخلفاء من قبله.

فبعث إلیه معاویة، فجاءه رسوله، فقال: إنَّ أمیر المؤمنین یدعوک. قال: «من عنده؟» فسمّاهم، فقال الحسن علیه السلام: «ما لهم؟ خرَّ علیهم السقف مِن فوقهم و أتاهم العذاب من حیث لا یشعرون». ثمّ قال: «یا جاریة ابغینی ثیابی، اللّهمّ إنّی أعوذ بک من شرورهم، و أدرأ بک فی نحورهم، و أستعین بک علیهم، فاکْفِنیهم کیف شئت، و أنّی شئت، بحول منک و قوّة یا أرحم الراحمین».

ثمّ قام فدخل علی معاویة. إلی أن قال: فتکلّم عمرو بن العاص، فحمد اللّه و صلّی علی رسوله، ثمّ ذکر علیّا علیه السلام فلم یترک شیئاً یعیبه به إلّا قاله، و قال: إنّه شتم أبا بکر، و کره خلافته، و امتنع من بیعته ثمّ بایعه مکرهاً، و شرک فی دم عمر، و قتل عثمان ظلماً، و ادّعی من الخلافة ما لیس له. ثمّ ذکر الفتنة یعیِّره بها، و أضاف إلیه مساوئ. و قال: إنّکم یا بنی عبد المطّلب لم یکن اللّه لیعطیکم الملک علی قتلکم الخلفاء، و استحلالکم ما حرّم اللّه من الدماء، و حِرصِکم علی المُلک، و إتیانِکم ما لا یَحِلُّ! ثمّ إنّک یا حسن تحدِّث نفسک أنّ الخلافةَ صائرةٌ إلیک، و لیس عندک عقلُ ذلک و لا لبُّه، کیف تری اللّه سبحانه

سلبک عقلک، و ترکک أحمق قریش، یُسخَرُ منک و یُهزأُ بک! و ذلک لسوء عمل أبیک، و إنّما دعوناک لِنَسُبّک و أباک. فأمّا أبوک فقد تفرّد

اللّه به و کفانا أمره، و أمّا أنت فإنّک فی أیدینا نختار فیک الخصال، و لو قتلناک ما کان علینا إثمٌ من اللّه، و لا عیبٌ من الناس، فهل تستطیع أن تردَّ علینا و تکذِّبنا؟ فإن کنت تری لأنّا کذبنا فی شیء فاردُدْهُ علینا فیما قلنا، و إلّا فاعلم أنّک و أباک ظالمان.

فتکلّم الحسن بن علیّ علیهما السلام فحمد اللّه و أثنی علیه و صلّی علی رسوله- إلی أن قال لعمرو بعد جُمل ذکرت (ص ۱۲۲)-:

«و قاتلتَ رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم فی جمیع المشاهد، و هجوتَه و آذیتَه بمکّة، و کِدْتَه کَیْدَک کلّه، و کنت من أشدِّ الناس له تکذیباً و عداوةً، ثمَّ خرجتَ ترید النجاشیَّ مع أصحابِ السفینة، لتأتی بجعفر و أصحابه إلی أهل مکّة، فلمّا أخطأکَ ما رجوتَ، و رجعک اللّه خائباً، و أکذَبَک واشیاً. جعلتَ حسدَکَ علی صاحبک عمارة بن الولید، فوشیتَ به إلی النجاشی، حسداً لما ارتکب من حلیلته، ففضحکَ اللّه و فضحَ صاحبک، فأنت عدوُّ بنی هاشم فی الجاهلیّة و الإسلام، ثمّ إنّک تعلم، و کلُّ هؤلاء الرهط یعلمون: أنّک هجوت رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم بسبعین بیتاً من الشعر، فقال رسول اللّه: اللّهمّ إنّی لا أقول الشعر و لا ینبغی لی، اللّهمّ العنه بکلِّ حرف ألف لعنة. فعلیک إذن من اللّه ما لا یُحصی من اللعن.

و أمّا ما ذکرت من أمر عثمان، فأنت سعّرت علیه الدنیا ناراً، ثمَّ لحقتَ بفلسطین، فلمّا أتاک قتله قلت: أنا أبو عبد اللّه إذا نکأتُ- أی: قشرت- قرحةً أدمیتها. ثمّ حبستَ نفسک إلی معاویة، و بعتَ دینک بدنیاه، فلسنا نلومک علی بغض، و لا نعاتبک علی وُدّ، و باللّه ما نصرتَ عثمان حیّا، و لا غضبت له مقتولًا.

ویحک یا ابن العاص أ لست القائل فی بنی هاشم لمّا خرجت من مکّة إلی النجاشی:

تقول ابنتی أین هذا الرحیلُ و ما السیرُ منّی بمُستَنکَرِ

فقلتُ ذَرِینی فإنّی امرؤٌ أرید النجاشیّ فی جعفرِ

لِأكْوِيَهُ عندَهُ كَيّةً أُقيم بها نخوةَ الأصعرِ

و شانئُ أحمد من بينهم و أقْوَلُهمْ فيه بالمُنكرِ

و أجرى إلى عتبةَ جاهداً و لو كان كالذهبِ الأحمرِ

و لا أنثنى عن بنى هاشمٍ و ما اسطعتُ فى الغَيْبِ و المحضرِ

فإن قَبِلَ العَتبَ منّى له و إلّا لويتُ له مِشفرى«

تذكرة سبط ابن الجوزى) (ص ۱۴)، شرح ابن أبى الحديد (۲/ ۱۰۳)، جمهرة الخطب (۲/ ۱۲).

بيان:

قوله عليه السلام: «لتأتى بجعفر و أصحابه إلى مكّة»

يشير إلى هجرته الثانية إلى الحبشة و قد هاجر إليها من المسلمين نحو ثلاثة و ثمانين رجلًا و ثمانى عشرة امرأة. و كان من الرجال جعفر بن أبى طالب، و لمّا رأت قريش ذلک، أرسلت فى أثرهم عمرو بن العاص، و عمارة بن الوليد بهدايا إلى النجاشىِّ و بطارقته ليسلّم المسلمين، فرجعا خائبين، و أبى النجاشىُّ أن يَخفِر ذمّته.

قوله عليه السلام: «لما ارتكب من حليلته».

ذلک: أنّ عمراً و عمارة ركبا البحر إلى الحبشة، و كان عمارة جميلًا وسيماً تهواه النساء، و كان مع عمرو بن العاص امرأته، فلمّا صاروا فى البحر ليالى أصابا من خمر معهما، فانتشى عمارة، فقال لامرأة عمرو: قبِّلينى. فقال لها عمرو: قبِّلى ابن عمِّک. فقبّلته، فَهَوِيَها عمارة و جعل يراودها عن

ص: ۲۰۳

نفسها، فامتنعت منه، ثمّ إنَّ عمراً جلس على منجاف السفينة يبول، فدفعه عمارة فى البحر، فلمّا وقع عمرو سبح حتى أخذ بمنجاف السفينة، و ضغن على عمارة فى نفسه، و علم أنَّه كان أراد قتله، و مضيا حتى نزلا الحبشة، فلمّا اطمأنّا بها لم يلبث عمارة أن دبّ لامرأة النجاشىِّ فأدخلته، فاختلف إليها، و جعل إذا رجع من مدخله ذلک يخبر عمراً بما كان من أمره، فيقول عمرو: لا أصدِّقک أنَّک قدرت على هذا! إنَّ شأن هذه المرأة أرفع من ذلک.

فلمّا أكثر عليه عمارة بما كان يخبره، و رأى عمرو من حاله و هيئته و مبيته عندها، حتى يأتى إليه من السحر ما عرف به ذلک، قال له: إن كنت صادقاً فقل لها: فلتدهنک بدهن النجاشىِّ الذى لا يَدّهِنُ به غيره، فإنّى أعرفه، و آتنى بشىء منه حتى أصدِّقک.

قال: أفعل. فسألها ذلک، فدهنته منه، و أعطته شيئاً فی قارورة. فقال عمرو: أشهد أنّک قد صدقت، لقد أصبت شيئاً ما أصاب أحدٌ من العرب مثله قطُّ: امرأة الملک! ما سمعنا بمثل هذا. ثمَّ سکت عنه حتی اطمأن، و دخل علی النجاشی فأعلمه شأن عمارة، و قدّم إليه الدهن. فلمّا أثبت أمره، دعا بعمارة، و دعا نسوة أُخر، فجرّدوه من ثيابه، ثمّ أمرهنَّ ينفخن فی إحليله، ثمّ خلّی سبيله، فخرج هارباً.

عيون الأخبار لابن قتيبة (۱/ ۳۷)، الأغانی «۱» (۹/ ۵۶)، شرح النهج لابن أبی الحديد «۲» (۲/ ۱۰۷)، قصص العرب «۳» (۱/ ۸۹) «۴».

---

(۱). الأغانی: ۹/ ۶۹.

(۲). شرح نهج البلاغة: ۶/ ۳۰۴ خطبة ۸۳.

(۳). قصص العرب: ۱/ ۹۸ رقم ۳۵.

(۴). و هناک رواية أخری رواها الرواة بإيجاز و اختصار و حذفوا منها الكثير،

رواها ابن سعد بإسناده فی کتاب الطبقات فی ترجمة الإمام الحسن عليه السّلام برقم ۱۳۶ و هی: لمّا بايع الحسن بن علی عليه السّلام معاوية، قال له عمرو بن العاص و أبو الأعور السلمی- عمرو بن سفيان-: لو أمرت الحسن فصعد المنبر فتكلّم عيی عن المنطق! فيزهد فيه الناس. فقال معاوية: لا تفعلوا، فو اللّه لقد رأيت رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلّم يمصّ لسانه و شفتيه، و لن يعيا لسان مصّه النبیّ صلی اللّه عليه و سلّم أو شفتان، فأبوا علی معاوية... فقالا: لو دعوته فاستنطقته. فقال: مهلًا، فأتوا فدعوه فأجابهم، فأقبل عليه عمرو بن العاص فقال له الحسن: أمّا أنت فقد اختلف فيک رجلان: رجل من قريش، و جزّار أهل المدينة، فادّعياک فلا أدری أيّهما أبوک!. و أقبل عليه أبو الأعور السلمی- عمرو بن سفيان- فقال له الحسن: أ لم يلعن رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلّم رعلًا و ذکوان و عمرو بن سفيان؟! ثم أقبل معاوية يعين القوم! فقال الحسن عليه السّلام: أما علمت أنَّ رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلّم لعن قائد الأحزاب و سائقهم و كان أحدهما أبو سفيان، و الأخر أبو الأعور السلمی؟ أخرجه الطبرانی فی المعجم الكبير فی ترجمة الإمام الحسن عليه السّلام: ۳/ ۷۲ ح ۲۶۹۹ بأوجز ممّا مرّ، و رواه فی ح ۲۶۹۸ بلفظ آخر. و رواه: ابن عساكر فی تاريخ دمشق فی ترجمة أبی الأعور السلمی. و رواه الذهبی فی تاريخ الإسلام ترجمة الإمام الحسن عليه السّلام: ۴/ ۳۹، مجمع الزوائد: ۱/ ۱۱۳ و ۹/ ۱۷۸.

(الطباطبائی)

ص: ۲۰۴

۱۰- كتاب ابن عبّاس إلی عمرو

كتب ابن عبّاس مجيباً عمرو بن العاص:

أمّا بعد: فإنّى لا أعلم رجلًا من العرب أقلَّ حياءً منک، إنّه مال بک معاوية إلى الهوى، و بعته دينک بالثمن اليسير، ثمّ خبطَتَ بالناس فى عَشْوة طمعاً فى الملک، فلمّا لم ترَ شيئاً، أعظمتَ الدنيا إعظام أهل الذنوب، و أظهرتَ فيها نزاهة أهل الورع، لا تريد بذلک إلّا تمهيد الحرب و كسر أهل الدين، فإن كنتَ تريد اللَّهَ بذلک فدعْ مصر، و ارجع إلى بيتک، فإنَّ هذه الحرب ليس فيها معاوية كعلىّ، بدأها علىٌّ بالحقِّ، و انتهى فيها إلى العُذرِ، و بدأها معاوية بالبغى، و انتهى فيها إلى السرَف، و ليس أهل العراق فيها كأهل الشام، بايع أهل العراق عليّا و هو خيرٌ منهم، و بايع أهل الشام معاوية و هم خيرٌ منه، و لستُ أنا و أنت فيها بسواء، أردتُ اللَّه، و أردتَ أنت مصر، و قد عرفت الشىء الذى باعدک منّى، و أعرفُ الشىء الذى قرّبک من معاوية، فإن تُرد

شرّا لا نسبقک به، و إن تُرد خيراً لا تسبقنا إليه.

ثمّ دعا الفضل بن عبّاس فقال له: يا ابن أمّ أجب عمراً، فقال الفضل:

يا عمرو حسبُکَ من خدعٍ و وسواسٍ — فاذهبْ فليس لداءِ الجهل من آسِ«١»

إلّا تواتر طعنٍ فى نحورِكُمُ — يُشجى النفوسَ و يشفى نخوةَ الراسِ

هذا الدواءُ الذى يشفى جماعتَكمْ — حتى تطيعوا عليّا و ابن عبّاسِ

أمّا علىٌّ فإنَّ اللَّه فضّلَهُ — بفضلِ ذى شرفٍ عالٍ على الناسِ

إن تعقِلوا الحربَ نعقْلها مخيّسةً«٢» — أو تبعثوها فإنّا غيرُ أنكاسِ

قد كان منّا و منكم فى عجاجتِها — ما لا يُردّ و كلٌّ عُرضةُ الباسِ

قتلى العراقِ بقتلى الشامِ ذاهبةٌ — هذا بهذا و ما بالحقِّ من باسِ

لا بارک اللَّهُ فى مصرٍ لقد جلبتْ — شرّا و حظُّک منها حسوةُ الكاسِ«٣»

يا عمرو إنَّکَ عارٍ من مغانمِها — و الراقصاتِ و من يوم الجزا كاسى

الإمامة و السياسة «۴» (١/ ٩٥)، كتاب صفّين «۵» (ص ٢١٩)، شرح ابن أبى الحديد «۶» (٢/ ٢٨٨).

و هناک أبياتٌ تُعزى إلى حَبر الأمّة ابن عبّاس فی کتاب صفّين لابن مزاحم «۷» (ص ۳۰۰) ذکر فيها عمراً بکلِّ قول شائن.

---

(۱). أسا أسواً، و أسا الجرح: داواه. (المؤلف)

(۲). خيّس: ذلّل. يقال: خيّس الجمل: راضه و ذلّله بالرکوب. (المؤلف)

(۳). الحسوة، المرّة من حسا: الجرعة الواحدة، الجمع: حسوات. (المؤلف)

(۴). الإمامة و السياسة: ۱/ ۹۹.

(۵). وقعة صفّين: ص ۴۱۲.

(۶). شرح نهج البلاغة: ۸/ ۶۴ خطبة ۱۲۴.

(۷). وقعة صفّين: ص ۵۵۰.

ص: ۲۰۶

۱۱- ابن عبّاس و عمرو

حجَّ عمرو بن العاص، فمرَّ بعبد اللَّه بن عبّاس فحسده مکانه و ما رأی من هيبة الناس له، و موقعه من قلوبهم، فقال له: يا ابن عبّاس ما لَکَ إذا رأيتَنی ولّيتنی قصَرة «۱»، کأنّ بين عينيک دبَرة «۲» و إذا کنت فی ملأ من الناس کنتَ الهَوهاة «۳» الهُمَزَة «۴».

فقال ابن عبّاس: لأنّک من اللئام الفجرة، و قريشٌ من الکرام البررة، لا ينطقون بباطلٍ جهلوه، و لا يکتمون حقّا علموه، و هم أعظم الناس أحلاماً، و أرفع الناس أعلاماً، دخلتَ فی قريش و لست منها، فأنت الساقطُ بين فراشين، لا فی بنی هاشم رحلُکَ، و لا فی بنی عبدِ شمس راحلتُک، فأنت الأثيم الزنيمُ، الضالُّ المضلُّ، حملک معاوية علی رقاب الناس، فأنت تسطو بحلمه، و تسمو بکرمه. فقال عمرو: أما و اللَّه إنّی لمسرورٌ بک فهل ينفعنی عندک؟ قال ابن عبّاس: حيث مال الحقُّ مِلْنا، و حيث سلک قصدنا. العقد الفريد «۵» (۲/ ۱۳۶)

۱۲- ابن عبّاس و عمرو

حضر عبد اللَّه بن جعفر مجلس معاوية و فيه عبد اللَّه بن عبّاس و عمرو بن العاص، فقال عمرو: قد جاءکم رجلٌ کثيرُ الخلوات بالتمنّی، و الطرَبات بالتغنّی، محبٌ

(۱). القصَر و القصَرة- بفتح الصاد-: الكسل. (المؤلف).

(۲). الدبَرة- بفتح المهملة و الموحّدة-: قرحة الدابّة تحدث من الرحل و نحوه، و الجمع دَبَرٌ و أدْبار. (المؤلف).

(۳). الهوهاة: ضعيف القلب، الأحمق. (المؤلف).

(۴). همز الشيطان الإنسان: همس فى قلبه وسواساً. (المؤلف).

(۵). العقد الفريد: ۳/ ۲۰۳.

ص: ۲۰۷

للقيان، كثيرٌ مزاحه، شديدٌ طماحه، صدودٌ عن الشبان «۱»، ظاهر الطيش، رخىّ العيش، أخّاذٌ بالسلف، منفاق بالسرف.

فقال ابن عبّاس: كذبت و اللَّه أنت، و ليس كما ذكرت، و لكنّه: للَّه ذَكورٌ، و لنعمائه شكورٌ، و عن الخنا زجورٌ، جوادٌ كريمٌ، سيِّدٌ حليمٌ، إذا رمى أصاب، و إذا سُئل أجاب، غير حَصِرٍ و لا هيّاب، و لا عيّابة مغتاب، حلَّ من قريش فى كريم النصاب، كالهِزَبْر الضرغام، الجرىء المقدام، فى الحسب القَمقام، ليس بدعيٍّ و لا دنىء، لا كمن اختصم فيه من قريش شرارُها، فغلبَ عليه جزّارُها، فأصبح ألأمَها حسباً، و أدناها منصباً، ينوء منها بالذليل، و يأوى منها إلى القليل، مُذَبذَبٌ بين الحيَّين، كالساقط بين المهدين، لا المضطرُّ فيهم عرفوه، و لا الظاعن عنهم فقدوه، فليت شعرى بأىِّ قَدْرٍ تتعرّض للرجال؟ و بأىِّ حسَب تَغْتَدُّ به تبارز عند النضال؟ أ بنفسِک؟ و أنت الوغد اللئيم، و النكِدُ الذميم، و الوضيعُ الزنيم، أم بمن تُنمى إليهم؟ و هم أهلُ السفه و الطيش، و الدناءة فى قريش، لا بشرفٍ فى الجاهليّة شُهروا، و لا بقديمٍ فى الإسلام ذُكروا، جعلتَ تتكلّمُ بغيرِ لسانِکَ، و تنطِقُ بالزورِ فى غير أقرانِک، و اللَّه لَكانَ أبينَ للفضلِ، و أبعدَ للعدوانِ أن ينزلَکَ معاويةُ منزلةَ البعيدِ السحيقِ، فإنّه طالما سلسَ داؤک، و طمحَ بک رجاؤک إلى الغاية القصوى التى لم يخضرَّ فيها رعيُک، و لم يورِق فيها غصنُکَ.

فقال عبد اللَّه بن جعفر: أقسمتُ عليک لمّا أمسكت، فإنّک عنّى ناضلتَ، و لى فاوضت. فقال ابن عبّاس: دعنى و العبدَ، فإنّه قد يهدرُ خالياً إذ لا يجدُ مراماً، و قد أُتيح له ضيغمٌ شرس، للأقرانِ مفترس، و للأرواح مختلس. فقال عمرو بن العاص: دعنى يا أمير المؤمنين أنتصف منه، فو اللَّه ما تركَ شيئاً. قال ابن عبّاس: دعه فلا يبقى المبقى إلّا على نفسه، فو اللَّه إنَّ قلبى لشديد، و إنَّ جوابى لعتيد، و باللَّه الثقة، و إنِّى لَكَما

(۱). كذا فى المحاسن و الأضداد، و فى المحاسن و المساوئ: السِّنان.

ص: ۲۰۸

قال نابغة بنى ذبيان:

و قِدماً قد قَرَعْتُ و قارعونى فما نَزَرَ الكلامُ و لا شَجانى

يصدُّ الشاعرُ العرّافُ عنّى صدودَ البِكر عن قرمٍ هِجانِ

هذا الحديث: أخرجه الجاحظ فى المحاسن و الأضداد «۱» (ص ۱۰۱)، و البيهقى فى المحاسن و المساوئ «۲» (۱/ ۶۸).

و قد مرَّ (ص ۱۲۵) عن ابن عساكر «۳» لعبد اللَّه بن أبى سفيان نحوه، و فى بعض ألفاظه تصحيفٌ يُصحّح بهذا.

۱۳- معاوية و عمرو

لمّا علم معاوية أنَّ الأمر لا يتمّ له إن لم يبايعه عمرو، فقال له: يا عمرو اتّبعنى. قال: لما ذا، للآخرة؟ فو اللَّه ما معک آخرة، أم للدنيا؟ فو اللَّه لا كان حتى أكون شريکک فيها. قال: فأنت شريکى فيها. قال: فاكتب لى مصر و كورَها. فكتب له مصر و كورَها، و كتب فى آخر الكتاب: و على عمرو السمع و الطاعة. قال عمرو: و اكتب: إنَّ السمع و الطاعة لا ينقصانِ من شرطِه شيئاً. قال معاوية: لا ينظرُ الناس إلى هذا. قال عمرو: حتى تكتب. قال: فكتب، و و اللَّه ما يجد بُدّا من كتابتها.

و دخل عتبة بن أبى سفيان على معاوية و هو يكلّم عمراً فى مصر، و عمرو يقول له: إنّما أبايعک بها دينى. فقال عتبة: ائتمن الرجل بدينه، فإنّه صاحبٌ من أصحاب محمد. و كتب عمرو إلى معاوية:

---

(۱). المحاسن و الأضداد: ص ۸۷.

(۲). المحاسن و المساوئ: ص ۹۰.

(۳). تاريخ مدينة دمشق: ۹/ ۳۶۷، و فى مختصر تاريخ دمشق: ۱۲/ ۲۳۹.

معاويَ لا أُعطيکَ دينى و لم أَنَلْ به منک دنياً فانظرَنْ كيف تصنعُ

و مَا الدينُ و الدنيا سواءٌ و إنّنى لآخذُ ما تُعطى و رأسى مُقَنَّعُ

فإن تُعطنی مصراً فأربحُ صفقةٍ أخَذْتَ بها شیخاً یَضُرُّ و ینفُعُ

العقد الفرید «۱» (۲/ ۲۹۱)

۱۴- معاویة و عمرو

بصورة مفصّلة:

کتب أمیر المؤمنین علیه السلام إلی معاویة بن أبی سفیان یدعوه إلی بیعته، فاستشار معاویة أخاه عتبة بن أبی سفیان، فقال له: استعن بعمرو بن العاص، فإنّه من قد علمتَ فی دهائهِ و رأیهِ، و قد اعتزل أمر عثمان فی حیاته، و هو لأمرِکَ أشدُّ اعتزالًا، إلّا أن تُثْمِنَ له بدینه فسیبیعک، فإنّه صاحب دنیا. فکتب إلیه معاویة و هو بالسبع من فلسطین:

أمّا بعدُ: فإنّه قد کان من أمر علیٍّ و طلحة و الزبیر ما قد بلغک، و قد سقط إلینا مروان بن الحکم فی رافضة «۲» أهل البصرة، و قدم علینا جریر بن عبد اللّه فی بیعة علیّ، و قد حبستُ نفسی علیک حتی تأتینی، أقبِلْ أُذاکِرْک أمراً.

فلمّا قرأ الکتاب، استشار ابنیه عبد اللّه و محمداً، فقال لهما: ما تریان؟ فقال عبد اللّه: أری أنَّ نبیّ اللّه صلی الله علیه و آله و سلم قُبض و هو عنک راض، و الخلیفتان من بعده، و قُتل عثمان و أنت عنه غائبٌ، فَقرَّ فی منزلک فلستَ مجعولًا خلیفة، و لا ترید أن تکون حاشیةً لمعاویةً علی دنیاً قلیلة أوشک أن تهلک فتشقی فیها.

---

(۱). العقد الفرید: ۴/ ۱۴۴.

(۲). الرافضة: کلّ جندترکوا قائدهم. (المؤلف)

و قال محمد: أری أنَّک شیخ قریش و صاحب أمرها، و إنْ تَصَرّمَ هذا الأمر و أنت فیه خاملٌ تصاغر أمرک، فالحق بجماعة أهل الشام فکن یداً من أیدیها، و اطلب بدم عثمان، فإنّک قد استنمت فیه إلی بنی أمیّة.

فقال عمرو: أمّا أنت یا عبد اللّه، فأمَرتَنی بما هو خیرٌ لی فی دینی، و أمّا أنت یا محمد فأمرتنی بما هو خیرٌ لی فی دنیای، و أنا ناظرٌ فیه. فلمّا جنّه اللیل رفع صوته و أهله ینظرون إلیه:

تطاولَ لیلی للهمومِ الطوارقِ و خوفِ التی تجلو وجوهَ العوائقِ

و إنَّ ابنَ هندٍ سائلی أنْ أزورَهُ | و تلک التی فیها بناتُ البوائقِ
أتاه جریرٌ من علیٍّ بخُطّةٍ | أمرّت علیه العیش ذات مضائقِ
فإن نالَ منّی ما یُؤمّلُ ردّهُ | و إن لم یَنَلْهُ ذَلَّ ذُلَّ المطابِقِ«۱»
فو اللَّه ما أدری و ما کنتُ هکذا | أکونُ و مهما قادنی فهو سائقی
أُخادعُهُ إنَّ الخداعَ دنیّةٌ | أم اعطیهِ من نفسی نصیحةَ وامقِ
أم اقعُدُ فی بیتی و فی ذاکَ راحةٌ | لشیخٍ یخافُ الموتَ فی کلِّ شارقِ
و قد قال عبدُ اللَّه قولًا تعلّقتْ | به النفسُ إن لم تقتطعنی عوائقی
و خالفَهُ فیهِ أخوه محمد | و إنّی لَصَلْبُ العود عند الحقائقِ

فقال عبد اللَّه: رحل الشیخ. و فی لفظ الیعقوبی: بال الشیخ علی عقبیه و باع دینه بدنیاه.

فلمّا أصبح دعا عمرو غلامه وردان و کان داهیاً مارداً، فقال: ارحل یا وردان، ثمّ قال: حطَّ یا وردان، ثمّ قال: ارحل یا وردان، حطَّ یا وردان!

فقال له وردان: خلطت أبا عبد اللَّه! أما إنّک إن شئتَ أنبأتک بما فی نفسک. قال:

---

(۱). المطابقة: المشی فی القید.

هات ویحک، قال: اعترکت الدنیا و الآخرة علی قلبک، فقلتَ: علیٌّ معه الآخرة فی غیر دنیا، و فی الآخرة عوض من الدنیا. و معاویة معه الدنیا بغیر آخرة، و لیس فی الدنیا عوض من الآخرة، فأنت واقفٌ بینهما.

قال: فإنّک و اللَّه ما أخطأت، فما تری یا وردان؟ قال: أری أن تقیم فی بیتک، فإن ظهر أهل الدین عشت فی عفو دینهم، و إن ظهر أهل الدنیا لم یستغنوا عنک. قال: الآن لمّا شهدت العرب مسیری إلی معاویة، فارتحل و هو یقول:

يا قاتلَ اللَّهُ ورداناً و فطَنَتهُ أبدى لَعَمْرُکَ ما فی النفسِ وردانُ

لمّا تعرّضتِ الدنیا عرضتُ لها بحرص نفسی و فی الأطباع إدهانُ

نفسٌ تَعِفُّ و أخری الحرصُ یقلبُها«۱» و المرء یأکلُ تِبناً و هو غَرثانُ«۲»

أمّا علیٌّ فدینٌ لیس یَشرَکُهُ دنیا و ذاک له دنیاً و سلطانُ

فاخترتُ من طمعی دنیاً علی بصرٍ و ما معی بالذی أختار برهانُ

إنّی لأعرفُ ما فیها و أُبصرُهُ و فیَّ أیضاً لما أهواهُ ألوانُ

لکنَّ نفسی تُحبُ العیشَ فی شَرَفٍ و لیس یرضی بذُلِّ العیش إنسانُ

عمروٌ لعمرُ أبیه غیرُ مُشتبهٍ و المرءُ یعطسُ و الوَسنان و سنانُ

فسار حتی قدم علی معاویة، و عرف حاجة معاویة إلیه، فباعده من نفسه، و کاید کلٌّ واحد منهما صاحبه.

فلمّا دخل علیه قال: یا أبا عبد اللَّه طَرَقَتْنا فی لیلتنا هذه ثلاثة أخبار لیس فیها وِرْدٌ و لا صدرٌ. قال: و ما ذاک؟ قال: ذاک أنّ محمد بن أبی حذیفة قد کسر سجن مصر، فخرج هو و أصحابه، و هو من آفات هذا الدین. و منها أنّ قیصر زحف بجماعة الروم إلیَّ لیتغلّب علی الشام. و منها: أنّ علیّا نزل الکوفة متهیِّئاً للمسیر إلینا.

---

(۱). فی شرح ابن أبی الحدید [۲/ ۶۳ خطبة ۲۶]: یغلبها. (المؤلف)

(۲). غرث غرثاً: جاع. فهو غرثان. و الجمع غرثی و غراث و غراثی. (المؤلف)

قال: لیس کلّ ما ذکرت عظیماً، أمّا ابن أبی حذیفة، فما یتعاظمک من رجل خرج فی أشباهه، أن تبعث إلیه خیلًا تقتله أو تأتیک به، و إن فاتک لا یضرُّک.

و أمّا قیصر: فاهدِ له من وصفاء «۱» الروم و وصائفها، و آنیة الذهب و الفضّة، و سله الموادعة، فإنّه إلیها سریع.

و أمّا علیٌّ: فلا و اللّه یا معاویة! ما تسوّی العرب بینک و بینه فی شیء من الأشیاء، إنَّ له فی الحرب لَحَظّا ما هو لأحد من قریش، و إنّه لصاحب ما هو فیه إلّا أن تظلمه.

و فی روایة أخری: قال معاویة: یا أبا عبد اللّه إنّی أدعوک إلی جهاد هذا الرجل الذی عصی ربّه، و قتل الخلیفة، و أظهر الفتنة، و فرّق الجماعة، و قطع الرحم.

قال عمرو: إلی مَن؟ قال: إلی جهاد علیّ.

فقال عمرو: و اللّه یا معاویة ما أنت و علیٌّ بعِکمی «۲» بعیر، ما لَکَ هجرتُه، و لا سابقته، و لا صحبته، و لا جهاده، و لا فقهه، و لا علمه، و اللّه إنَّ له مع ذلک حدّا و حدوداً، و حظّا و حظوةً، و بلاءً من اللّه حسناً، فما تجعل لی إن شایعتک علی حربه؟ و أنت تعلم ما فیه‌من الغرر و الخطر. قال: حکمک. قال: مصر طعمة. فتلکّأ علیه «۳».

و فی حدیث، قال له معاویة: إنّی أکره لک أن یتحدّث العرب عنک، إنّک إنّما دخلتَ فی هذا الأمر لغرض الدنیا. قال: دعنی عنک «۴». قال معاویة: إنّی لو شئت أن أُمنّیک و أخدعک لفعلتُ. قال عمرو: لا لعمر اللّه ما مثلی یُخدع، لأنا أکیس من ذلک.

---

(۱). الوصیف: الغلام دون المراهق، الجمع وصفاء، مؤنّثه: الوصیفة، و الجمع وصائف. (المؤلف)

(۲). العکم- بالکسر-: العدل- بالکسر. (المؤلف)

(۳). تلکّأ عن الأمر: أبطأ و توقّف. (المؤلف)

(۴). مرّ تحلیل هذه الکلمة: ص ۱۲۶. (المؤلف)

قال له معاویة: أُدنُ منّی برأسک أُسارّک. قال: فدنا منه عمرو یسارّه، فعضّ معاویة أُذنه، و قال: هذه خدعة، هل تری فی البیت أحداً غیری و غیرک؟ فأنشأ عمرو یقول:

معاویَ لا أُعطیک دینی و لم أَنَلْ — بذلک دنیا فانظُرَنْ کیف تصنعُ

فإن تُعطنی مصراً فأرْبِحْ بصفقةٍ — أخذتَ بها شیخاً یضُرُّ و ینفُعُ«۱»

و ما الدینُ و الدنیا سواءٌ و إنّنی — لآخذ ما تُعطی و رأسی مقنَّعُ

و لکنَّنی أُغضی الجفون و إنّنی — لأخدَعُ نفسی و المخادِع یُخدَعُ

و أُعطيک أمراً فيه للمُلک قوّةٌ و إنّی به إن زلّتِ النعلُ أصرعُ

و تمنعنی مصراً و لیست برغبةٍ«۲» و إنّی بذا الممنوعِ قِدماً لَمُولَعُ

قال: أبا عبد اللّه، أ لم تعلم أنّ مصر مثل العراق؟ قال: بلی. و لکنّها إنّما تکون لی إذا کانت لک، و إنّما تکون لک إذا غلبتَ علیّا علی العراق، و قد کان أهلها بعثوا بطاعتهم إلی علیٍّ.

قال: فدخل عتبة بن أبی سفیان، فقال لمعاویة: أما ترضی أن تشتری عَمْراً بمصر إن هی صفت لک؟ لیتک لا تُغْلَبُ علی الشام. فقال معاویة: یا عتبة بت عندنا اللیلة.

فلمّا جُنَّ علی عتبة اللیل، رفع صوته لیُسمع معاویة، و قال:

أیّها المانع سیفاً لم یُهزّ و إنّما مِلْتَ علی خزٍّ قزّ

إنّما أنت خروفٌ ماثلٌ بین ضَرْعَینِ و صوفٍ لم یُجزْ

أعطِ عَمْراً إنَّ عَمْراً تارکٌ دینَهُ الیوم لدنیاً لم تُحَزْ

---

(۱). البیتان یوجدان فی عیون الأخبار لابن قتیبة: ۱/ ۱۸۱. (المؤلف)

(۲). الرغبة- بکسر المهملة و فتحها-: العطاء الکثیر. (المؤلف)

یا لک الخیرُ فَخُذْ من دَرّهِ شَخْبَهُ الأولی و أبعِدْ ما غرزْ«۱»

و اسحبِ الذیْلَ و بادر فُوقَها«۲» و انتهزها إنَّ عمراً یُنتهز«۳»

أعطه مصراً و زده مثلها إنّما مصرُ لِمنْ عَزَّ فَبَزّ«۴»

و اتْركِ الحِرْصَ عليها ضَلّةً و اشبُبِ النارَ لمقرور يَكزّ«۵»

إنَّ مصراً لعليٍّ أو لنا يُغلَبُ اليومَ عليها من عَجَز

فلمّا سمع معاوية قول عتبة، أرسل إلى عمرو فأعطاه مصر، فقال له عمرو: لى اللَّه عليک بذلک شاهدٌ؟. قال له معاوية: نعم لک اللَّه علىَّ بذلک، لئن فتح اللَّه علينا الكوفة. قال عمرو: و اللَّهُ على ما نقُولُ وكيل.

فخرج عمرو من عنده، فقال له ابناه: ما صنعت؟ قال: أعطانا مصر. قالا: و ما مصر فى ملک العرب. قال: لا أشبع اللَّه بطونكما إن لم يشبعكما مصر.

و كتب معاوية على أن لا ينقُضَ شرطٌ طاعةً. و كتب عمرو على أن لا ينقض طاعةٌ شرطاً. فكايد كلٌّ واحد منهما صاحبه.

كتاب صفّين لابن مزاحم (ص ۲۰- ۲۴)، كامل المبرّد (۱/ ۲۲۱)، شرح ابن أبى الحديد (۱/ ۱۳۶- ۱۳۸)، تاريخ اليعقوبى (۲/ ۱۶۱- ۱۶۳)، رغبة الآمل من كتاب الكامل (۳/ ۱۰۸)، قصص العرب (۲/ ۳۶۲) «۶».

---

(۱). الشخب: ما يخرج من تحت يد الحالب. الشخبة: الدفعة منه، الجمع شخاب. غرز الغنم: ترک حلبها لتسمن. (المؤلف)

(۲). الفُوق: الطريق الأول.

(۳). يقال: جاء يسحب ذيله: أى يمشى متبختراً. انتهز: ابتدر و اغتنم. (المؤلف)

(۴). بزّه: غلبه. بزّ الشىء منه: أخذه بجفاء و قهر. (المؤلف)

(۵). الكزاز: داء يأخذ من شدة البرد و تعترى منه رعدة.

(۶). وقعة صفّين: ص ۳۴- ۴۰، شرح نهج البلاغة: ۲/ ۶۱- ۶۷ خطبة ۲۶، تاريخ اليعقوبى: ۲/ ۱۸۴- ۱۸۶، رغبة الآمل من كتاب الكامل: مج ۲/ ج ۳/ ۲۱۰، قصص العرب: ۲/ ۳۶۸ رقم ۱۴۹.

ص: ۲۱۵

۱۵- عمّار بن ياسر و عمرو

اجتمع عمّار بن ياسر مع عمرو بن العاص فى المعسكر يوم صفّين، فنزل عمّار و الذين معه فاحتبوا بحمائل سيوفهم، فتشهّد عمرو بن العاص- يعنى قال: أشهد أن لا إله إلّا اللَّه-. فقال عمّار: اسكت فقد تركتها فى حياة محمد و من بعده، و نحن أحقُّ

بها منک، فإن شئت کانت خصومة فیدفع حقّنا باطلک، و إن شئت کانت خطبة، فنحن أعلم بفصل الخطاب منک، و إن شئت أخبرتک بکلمة تفصل بیننا و بینک، و تکفرک قبل القیام، و تشهد بها علی نفسک، و لا تستطیع أن تکذّبنی.

قال عمرو: یا أبا الیقظان، لیس لهذا جئت، إنّما جئت لأنّی رأیتک أطوع أهل هذا العسکر فیهم، أُذکرک اللّه إلّا کففتَ سلاحهم، و حقنت دماءهم، و حرّضتَ علی ذلک، فعلامَ تقاتلنا؟! أ و لسنا نعبد إلهاً واحداً؟ و نصلّی قبلتکم؟ و ندعو دعوتکم؟ و نقرأ کتابکم؟ و نؤمن برسولکم؟

قال عمّار: الحمد للّه الذی أخرجها من فیک، إنّها لی و لأصحابی: القبلة، و الدین، و عبادة الرحمن، و النبیّ، و الکتاب، من دونک و دون أصحابک، الحمد للّهِ الذی قرّرک لنا بذلک دونک و دون أصحابک، و جعلک ضالّا مضلّا، لا تعلم هادٍ أنت أم ضالّ، و جعلک أعمی، و سأخبرک علی ما قاتلتک علیه أنت و أصحابک؛ أمرنی رسول اللّه أن أقاتل الناکثین، و قد فعلتُ، و أمرنی أن أقاتل القاسطین، فأنتم هم، و أمّا المارقون، فما أدری أدرکهم أم لا؟

أیّها الأبتر أ لستَ تعلم

أنّ رسول اللّه قال لعلیّ: «من کنت مولاه فعلیٌّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، و عادِ من عاداه؟!»

و أنا مولی اللّه و رسوله و علیّ من بعده، و لیس لک مولی.

قال له عمرو: لِمَ تشتمنی یا أبا الیقظان! و لست أشتمک؟ قال عمّار: و بِمَ

تشتمنی؟ أ تستطیع أن تقول: إنّی عصیت اللّه و رسوله یوماً قطّ. قال له عمرو: إنَّ فیک لمسبّاتٍ سوی ذلک. قال عمّار: إنَّ الکریم مَن أکرمه اللّه، کنتُ وضیعاً فرفعنی اللّه، و مملوکاً فأعتقنی اللّه، و ضعیفاً فقوّانی اللّه، و فقیراً فأغنانی اللّه. قال له عمرو: فما تری فی قتل عثمان؟ قال: فتح لکم باب کلِّ سوء. قال عمرو: فعلیٌّ قتله. قال عمّار: بل اللّه ربُّ علیّ قتله «۱».

و روی نصر فی کتابه «۲» (ص ۱۶۵) فی حدیث: فلمّا دنا عمّار بن یاسر رحمه الله بصفّین من عمرو بن العاص، قال: یا عمرو بعتَ دینک بمصر، تبّا لک، و طالما بغیتَ الإسلام عوجاً.

و رواه سبط ابن الجوزی فی تذکرته «۳» (ص ۵۳) و زاد: و اللّه ما قصدُک و قصدُ عدوِّ اللّه ابن عدوِّ اللّه بالتعلّل بدم عثمان إلّا الدنیا.

۱۶- أبو نوح الحمیری و عمرو

أتی أبو نوح الحمیری الکلاعی یوم صفین مع ذی الکلاع إلی عمرو بن العاص، و هو عند معاویة و حوله الناس، و عبد اللّه بن عمر «۴» یحرِّض الناس علی الحرب، فلمّا وقفا علی القوم، قال ذو الکلاع لعمرو: یا أبا عبد اللّه هل لک فی رجل ناصح لبیب

شفیق، یخبرک عن عمّار بن یاسر، لا یکذبک؟ قال عمرو: و مَن هو؟ قال ذو الکلاع: ابن عمّی هذا، و هو من أهل الکوفة. فقال عمرو: إنّی لأری علیک

---

(۱). کتاب صفّین لنصر بن مزاحم: ص ۱۷۶ [ص ۳۳۷]، شرح ابن أبی الحدید: ۲/ ۳۷۳ [۸/ ۲۱ خطبة ۱۲۴]. (المؤلف)

(۲). وقعة صفّین: ص ۳۲۰.

(۳). تذکرة الخواص: ص ۹۲.

(۴). کذا فی شرح النهج، و فی کتاب صفّین: عبد اللَّه بن عمرو، و هو الصحیح؛ لأنّ عبد اللَّه بن عمر لم یشهد صفِّین.

ص: ۲۱۷

سیما أبی تراب. قال أبو نوح: علیَّ سیما محمد صلی الله علیه و آله و سلم و أصحابه، و علیک سیما أبی جهل و سیما فرعون.

کتاب صفِّین «۱» (ص ۱۷۴)، شرح النهج لابن أبی الحدید «۲».

۱۷- أبو الأسود الدؤلی و عمرو

قدم أبو الأسود «۳» الدؤلی علی معاویة بعد مقتل علیّ رضی الله عنه، و قد استقامت لمعاویة البلاد، فأدنی مجلسه، و أعظم جائزته، فحسده عمرو بن العاص، فقدم علی معاویة، فاستأذن علیه فی غیر وقت الإذن، فأذن له، فقال له معاویة: یا أبا عبد اللَّه ما أعجلک قبل وقت الإذن؟ فقال: یا أمیر المؤمنین أتیتک لأمر قد أوجعنی و أرّقنی و غاظنی، و هو من بعد ذلک نصیحةٌ لأمیر المؤمنین. قال: و ما ذاک یا عمرو. قال: یا أمیر المؤمنین إنَّ أبا الأسود رجلٌ مفوّهٌ، له عقلٌ و أدبٌ، من مثله للکلام یُذکر؟ و قد أذاع بمصرک من الذکر لعلیّ و البغض لعدوِّه، و قد خشیت علیک أن یُتری «۴» فی ذلک حتی یُؤخذ بعنقک، و قد رأیت أن ترسل إلیه، و ترهبه، و ترعبه، و تَسبره، و تَخبره، فإنّک من مسألته علی إحدی خِبرتین، إمّا أن یبدی لک صفحته فتعرف مقالته، و إمّا أن یستقبلک فیقول ما لیس من رأیه، فیحتمل ذلک عنه فیکون لک فی ذلک عاقبة صلاح إن شاء اللَّه تعالی. فقال له معاویة: إنّی امرؤٌ- و اللَّه- لقلّما ترکت رأیاً لرأی امرئٍ قطُّ إلّا کنت فیه بین أن أری ما أکره و بین بین، و لکن إن أرسلتُ إلیه فسألته فخرج من مساءلتی بأمرٍ لا أجد علیه مقدما، و یملئونی غیظاً لمعرفتی بما یرید، و إنَّ الأمر فیه أن یُقبل ما أبدی من لفظه، فلیس لنا أن نشرح عن صدره و ندع ما وراء

---

(۱). وقعة صفّین: ص ۳۳۴.

(۲). شرح نهج البلاغة: ۸/ ۱۸ خطبة ۱۲۴.

(۳). ظالم بن عمرو التابعی الکبیر المتوفّی سنة (۶۹) و هو ابن خمس و ثمانین سنة. (المؤلف)

(۴). تری تریاً فی الأمر: تراخی فیه. (المؤلف)

ص: ۲۱۸

ذلک یذهب جانباً. فقال عمرو: أنا صاحبک یوم رفع المصاحف بصفّین، و قد عرفت رأیی، و لست أری خلافی و ما آلوک خیراً، فأرسل إلیه، و لا تفرش مهاد العجز فتتّخذه و طیئاً.

فأرسل معاویة إلی أبی الأسود، فجاء حتی دخل علیه فکان ثالثاً، فرحّب به معاویة و قال: یا أبا الأسود خلوتُ أنا و عمرو فتناجزنا «۱» فی أصحاب محمد صلی الله علیه و سلم، و قد أحببت أن أکون من رأیک علی یقین. قال: سل یا أمیر المؤمنین عمّا بدا لک.

فقال: یا أبا الأسود أیّهم کان أحبَّ إلی رسول اللّه صلی الله علیه و سلم؟ فقال: أشدّهم حبّا لرسول اللّه صلی الله علیه و سلم و أوقاهم له بنفسه.

فنظر معاویة إلی عمرو و حرّک رأسه، ثمّ تمادی فی مسألته، فقال: یا أبا الأسود فأیّهم کان أفضلهم عندک؟ قال: أتقاهم لربِّه و أشدُّهم خوفاً لدینه.

فاغتاظ معاویة علی عمرو، ثمّ قال: یا أبا الأسود فأیّهم کان أعلم؟ قال: أقولهم للصواب و أفصلهم للخطاب. قال: یا أبا الأسود فأیّهم کان أشجع؟ قال: أعظمهم بلاءً، و أحسنهم عناءً و أصبرهم علی اللقاء. قال: فأیّهم کان أوثق عنده؟ قال: من أوصی إلیه فیما بعده. قال: فأیّهم کان للنبیِّ صلی الله علیه و سلم صدیقاً؟ قال: أوّلهم به تصدیقاً.

فأقبل معاویة علی عمرو، و قال: لا جزاک اللّه خیراً، هل تستطیع أن تردَّ ممّا قال شیئاً؟

فقال أبو الأسود: إنّی قد عرفت من أین أُتیت، فهل تأذن لی فیه؟. فقال: نعم؛ فقل ما بدا لک. فقال: یا أمیر المؤمنین إنَّ هذا الذی تری هجا رسول اللّه صلی الله علیه و سلم بأبیات من الشعر،

فقال رسول صلی الله علیه و سلم: «اللّهمّ إنّی لا أحسن أن أقول الشعر، فالعن عمراً بکلِ

---

(۱). ناجزه: خاصمه. و المناجزة فی الحرب: المبارزة. (المؤلف)

ص: ۲۱۹

بیت لعنة»

أ فتراه بعد هذا نائلًا فلاحاً؟ أو مدركاً رباحاً؟ و ايم اللّه إنَّ امرءاً لم يُعرف إلّا بسهم أُجيل عليه فجال، لحقيقٌ أن يكون كليل اللسان، ضعيف الجنان، مستشعراً للاستكانة، مقارناً للذلِّ و المهانة، غير ولوج فيما بين الرجال، و لا ناظر فى تسطير المقال، إن قالت الرجال أصغى، و إن قامت الكرام أقعى «٢»، متعيّصٌ لدينه لعظيم دينه «٣»، غير ناظر فى أُبّهة الكرام و لا منازع لهم، ثمّ لم يزل فى دجّة ظلماء مع قلّة حياء، يعامل الناس بالمكر و الخداع، و المكر و الخداع فى النار.

فقال عمرو: يا أخا بنى الدؤل، و اللّه إنَّک لأنت الذليل القليل، و لولا ما تمتُّ به من حسب كنانة، لاختطفتک من حولک اختطاف الأجدل الحديّة «۴»، غير أنَّک بهم تطول، و بهم تصول، فلقد استطبت مع هذا لساناً قوّالًا، سيصير عليک وبالًا، و ايم اللّه إنّک لأعدى الناس لأمير المؤمنين قديماً و حديثاً، و ما كنت قطُّ بأشدّ عداوةً له منک الساعة، و إنّک لتوالى عدوّه، و تعادى وليّه، و تبغيه الغوائل، و لئن أطاعنى ليقطعنّ عنه لسانک، و ليخرجنَّ من رأسک شيطانک، فأنت العدوُّ المطرق له إطراق الأُفعوان «۵» فى أصل الشجرة.

فتكلّم معاوية فقال: يا أبا الأسود أغرقت فى النزع و لم تدع رجعة لصلحک. و قال لعمرو: فلم تغرق كما أغرقت، و لم تبلغ ما بلغت، غير أنَّه كان منه الابتداء و الاعتداء، و الباغى أظلم، و الثالث أحلم، فانصرِفا عن هذا القول إلى غيره، و قوما غير مطرودين، فقام عمرو و هو يقول:

لعمرى لقد أعيا القرون التى مضت لغشٍّ ثوى بين الفؤاد كمينِ

---

(٢). أقعى الكلب: جلس على استه. (المؤلف)

(٣). كذا فى المصدر، و فى مختصر تاريخ دمشق: مبصبِص بذَنَبه لعظيم ذنبه.

(۴). الأجدل: الصقر. و الحدأة- بكسر الحاء-: طائر من الجوارح. و العامّة تسمّيه الحديّة. (المؤلف)

(۵). الأُفعوان- بضمّ الأوّل-: ذكر الأفعى. (المؤلف)

ص: ٢٢٠

و قام أبو الأسود و هو يقول:

ألا إنَّ عمراً رامَ ليثَ خفيّةٍ«١» و كيف ينالُ الذئبُ ليثَ عرينِ

تاريخ ابن عساكر «۲» (۷/ ۱۰۴- ۱۰۶)

۱۸- حديث أبى جعفر و زيد

قال أبو جعفر و زيد بن الحسن: طلب معاوية إلى عمرو بن العاص يوم صفّين أن يسوّى صفوف أهل الشام، فقال له عمرو: على أنَّ لى حكمى إن قتل اللَّه ابن أبى طالب، و استوسقت لک البلاد؟ فقال: أليس حكمک فى مصر؟ قال: و هل مصر تكون عوضاً عن الجنّة؟ و قتل ابن أبى طالب ثمناً لعذاب النار الذى لا يفتّر عنهم و هم فيه مبلسون؟ فقال معاوية: إنَّ لک حكمک أبا عبد اللَّه إن قتل ابن أبى طالب، رويداً لا يسمع أهل الشام كلامک. فقال لهم عمرو: يا معشر أهل الشام سوّوا صفوفكم، أعيروا ربّكم جماجمكم، و استعينوا باللَّه إلهكم، و جاهدوا عدوَّ اللَّه و عدوّكم، و اقتلوهم قتلهم اللَّه و أبادهم (وَ اصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) «۳». كتاب صفّين لابن مزاحم «۴» (ص ۱۲۳)، شرح ابن أبى الحديد «۵».

هذه أكبر كلمة تدلُّ على ضئولة الرجل فى دينه، لأنَّها تنمُّ عن عرفانه بحقِّ أمير المؤمنين عليه السلام و مغبّة أمر من ناواه، و مع ذلک فهو يحرِّض الناس على قتاله، و يموِّه عليهم، و هى تردُّ قول من يبرِّر عمله باجتهاده أو بعدله.

---

(۱). الخفيّة: الغيضة الملتفّة. (المؤلف)

(۲). تاريخ مدينة دمشق: ۸/ ۶۰۶، و فى مختصر تاريخ دمشق: ۱۱/ ۲۲۱.

(۳). الأعراف: ۱۲۸.

(۴). وقعة صفّين: ص ۲۳۷.

(۵). شرح نهج البلاغة: ۵/ ۱۸۹ خطبة ۶۵.

ص: ۲۲۱

۱۹- عمرو و ابن أخيه

كان لعمرو بن العاص ابن أخ «۱» أريب من بنى سهم جاءه من مصر، فقال له: ألا تخبرنى يا عمرو بأىِّ رأى تعيش فى قريش؟ أعطيت دينک، و تمنّيت دنيا غيرک، أ ترى أهل مصر و هم قَتَلة عثمان يدفعونها إلى معاوية و علىٌّ حىٌّ؟ و تراها إن صارت إلى معاوية لا يأخذها بالحرف الذى قدّمه فى الكتاب «۲»؟

فقال عمرو: يا ابن أخى إنَّ الأمر للَّه دون علىّ و معاوية. فقال الفتى:

ألا يا هندُ أُختَ بنى زيادٍ رُمى عمروٌ بداهيةِ البلادِ

رُمى عمروٌ بأعورَ عَبْشَمىٍ بعيدِ القعر محشىِّ الكبادِ«۳»

له خُدعٌ يَحارُ العقلُ فيها مزخرفةٌ صوائدُ للفؤادِ

فشرّطَ فى الكتابِ عليه حرفاً يُناديه بخدعته المنادى

و أثبت مثلَهُ عمروٌ عليه كلا المرأين حيّةُ بطنِ وادى

ألا يا عمرو ما أحرزت مصراً و ما مِلْت الغداة إلى الرشاد

و بعت الدين بالدنيا خساراً فأنت بذاک من شرِّ العبادِ

فلو كنتَ الغداةَ أخذتَ مصراً و لكن دونها خرطُ القتادِ

وفدتَ إلى معاويةَ بنِ حربٍ فكنتَ بها كوافدِ قومِ عادِ

و أُعطيتَ الذى أعطيتَ منها بِطَرْسٍ فيه نضحٌ من مدادِ

أ لم تعرف أبا حسنٍ عليّا و ما نالتْ يداه من الأعادى

عدلتَ به معاويةَ بنَ حربٍ فيا بُعد البياضِ من السوادِ

---

(۱). فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ابن عم. (المؤلف)

(۲). يعنى كتاباً كتبه معاوية لعمرو بمصر، و جعلها طعمة له. (المؤلف)

(۳). يعنى معاوية. يقال فى النسبة إلى عبد شمس: عبشمى. حشا حشواً: ملأ. احتشى: امتلأ. (المؤلف)

و يا بُعد الأصابعِ من سُهيلٍ و يا بُعد الصلاحِ من الفسادِ

أ تأمنُ أن تراه على خِدَبٍ يحثُّ الخيل بالأُسُلِ الحِدادِ«۱»

ينادى بالنزالِ و أنت منهُ قريبٌ فانظرَنْ مَن ذا تُعادى

فقال عمرو: يا ابن أخی‌لو كنت مع علیّ وسعنی بیتی، و لكنّی الآن مع معاویة. فقال له الفتی: إنّک إن لم تُرد معاویة لم یُردک. و لكنّک ترید دنیاه و یرید دینک.

و بلغ معاویة قول الفتی، فطلبه فهرب، فلحق بعلیٍّ، فحدّثه بأمر عمرو و معاویة.

قال: فَسَرَّ ذلک علیّا و قرّبه.

قال: و غضب مروان و قال: ما بالی لا أُشْتری كما اشتُرِیَ عمرو؟ فقال معاویة: إنّما یُشتری الرجال لک!.

قال: فلمّا بلغ علیّا ما صنع معاویة و عمرو، قال:

یا عجباً لقد سمعتُ مُنكرا كَذِباً على اللَّهِ یُشیبُ الشعرا

یسترقُ السمعَ و یُغشی البصرا ما كان یرضی أحمدٌ لو أُخبرا

أن یقرِنوا وصیَّهُ و الأبترا شانی الرسولِ و اللعینَ الأخزرا«۲»

كلاهما فی جُندِهِ قد عسكرا قد باعَ هذا دینَه فأفجرا

من ذا بدنیا بیعِهِ قد خَسرا بمُلْكِ مصرٍ إن أصابَ الظفرا

إنّی إذا الموتُ دَنا و حَضرا شمّرتُ ثوبی و دعوتُ قنبرا

قدِّم لوائی لا تؤخِّرْ حذَرا لن ینفع الحذارُ ممّا قُدِّرا

لمّا رأیتُ الموتَ موتاً أحمرا عبّأتُ هَمْدانَ و عَبّوا حِمْیَرا

---

(۱). خِدَبّ- بالكسر و تشدید الموحّدة: سنام البعیر الضخم. الأُسُل: الرماح. (المؤلف)

(۲). الخزر: ضيق العين. الخزرة بالضم: انقلاب الحدقة نحو اللحاظ، و هو أقبح الحول. (المؤلف)

حيٌّ يمانٍ يُعْظِمُون الخَطَرا قِرنٌ إذا ناطحَ قِرناً كَسَرا

قل لابن حربٍ لا تَدِبَّ الحمرا أرْوِدْ قليلًا أبْدِ منک الضجرا«۱»

لا تحسبنّی يا ابن حرب غَمَرا«۲» و سَلْ بنا بدراً معاً و خيبرا

كانت قريشٌ يوم بدرٍ جزرا إذ وردوا الأمر فذمّوا الصَدَرا«۳»

لو أنَّ عندی يا ابن حرب جعفرا أو حمزةَ القِرمَ الهُمامَ الأزهرا

رأت قريشٌ نجمَ ليلٍ ظُهُرا

الإمامة و السياسة (۱/ ۸۴)، كتاب صفّين لابن مزاحم (ص ۲۴)، شرح ابن أبی الحديد (۱/ ۱۳۸) «۴».

۲۰- غانمة بنت غانم و عمرو

بلغ غانمة بنت غانم سبُّ معاوية و عمرو بن العاص بنی هاشم و هی بمكّة، فقالت: يا معشر قريش و اللَّه ما معاوية بأمير المؤمنين، و لا هو كما يزعم، هو و اللَّه شانیء رسول اللَّه صلی الله عليه و سلم، إنّی آتيةٌ معاوية و قائلةٌ له بما يعرق منه جبينه، و يكثر منه عويله.

فكتب عامل معاوية إليه بذلک، فلمّا بلغه أنَّ غانمة قد قَرُبَتْ منه، أمر بدار ضيافة فنظّفت، و أُلقی فيها فرش، فلمّا قربت من المدينة استقبلها يزيد فی حَشَمه

---

(۱). أدبّ الصبی: سَيّره. أرود فی السير: رفق و تمهّل. الضجر- بفتح الضاد و الجيم: القلق من غم و ضيق نفس. (المؤلف)

(۲). الغَمَر: من لم يجرّب الأمور.

(۳). الجزرة: الشاة التى تذبح، و الجمع جزر- بالفتح و قد تكسر. الصدر- بالتحريک: رجوع المسافر من مقصده، و الشاربة من الورد. (المؤلف)

(۴). الإمامة و السياسة: ۱/ ۸۸، وقعة صفّين: ص ۴۱- ۴۴، شرح نهج البلاغة: ۲/ ۶۸ خطبة ۲۶.

و مماليكه، فلمّا دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن غانم، فقال لها يزيد: إنَّ أبا عبد الرحمن يأمرک أن تصيرى إلى دار ضيافته، و كانت لا تعرفه.

فقالت: من أنت كلأک اللَّه؟ قال: يزيد بن معاوية. قالت: فلا رعاک اللَّه يا ناقص لست بزائد. فتمعّر لون يزيد، فأتى أباه فأخبره، فقال: هى أسنُّ قريش و أعظمهم. فقال يزيد: كم تعدُّ لها يا أمير المؤمنين؟ قال: كانت تعدُّ على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم أربعمائة عام، و هى من بقيّة الكرام.

فلمّا كان من الغد، أتاها معاوية فسلّم عليها. فقالت: على المؤمنين السلام و على الكافرين الهوان. ثمَّ قالت: من منكم ابن العاص «۱»؟ قال عمرو: ها أنا ذا. فقالت: و أنت تسبُّ قريشاً و بنى هاشم؟ و أنت أهل السبِّ، و فيک السبُّ، و إليک يعود السبُّ، يا عمرو إنّى و اللَّه لعارفةٌ بعيوبک و عيوب أمِّک، و إنّى أذكر لک ذلک عيباً عيباً: وُلدت من أمة سوداء، مجنونة حمقاء، تبول من قيام، و تعلوها اللئام، إذا لامسها الفحل كانت نطفتها أنفذ من نطفته، ركبها فى يوم واحد أربعون رجلًا، و أمّا أنت فقد رأيتک غاوياً غير راشد، و مفسداً غير صالح، و لقد رأيتَ فحل زوجتک على فراشک، فما غرت و لا أنكرت، و أمّا أنت يا معاوية فما كنت فى خير و لا رُبِّيت فى خير، فمالک و لبنى هاشم؟ أنساء بنى أميّة كنسائهم؟.. الحديث. و هو طويلٌ و قد حذفنا من أوّله مقدار ما ذكر، راجع المحاسن و الأضداد للجاحظ «۲» (ص ۱۰۲- ۱۰۴)، و فى طبعةٍ (۱۱۸- ۱۲۱)، و المحاسن و المساوئ للبيهقى «۳» (۱/ ۶۹- ۷۱).

هذه حقيقة الرجل و نفسيّاته و روحيّاته منذ العهد الجاهلىِّ، و فى دور النبوّة و بعده إلى ما أثاره من فتن التقت بها حلقتا البطان فى أيّام أمير المؤمنين عليه السلام، يوم تحيّزه إلى ابن آكلة الأكباد لدحض الحقِّ و أهله، و ما كان يتحرّى فيها من الغوائل

---

(۱). فى لفظ الجاحظ: أ فيكم عمرو بن العاص؟ (المؤلف)

(۲). المحاسن و الأضداد: ص ۸۸ ۹۰.

(۳). المحاسن و المساوئ: ص ۹۱ ۹۴.

و بعدها، إلى أن اصطلمه القدر الحاتم، و اخترمته منيّته يوم خابت أمنيّته، فطفق يتقلقل بين أطباق الجحيم، و تضربه زبانيتها بمقامع من حديد، و لعلّنا ألمسناک هذه الحقيقة باليد، فلن تجد فى تضاعيف هاتيک الأعوام له مأثرةً يتبجّح بها ابن أنثى، خلا ما تقوّله زبائنه من أعداء أهل البيت عليهم السلام، و ما عسى أن يكون مقيلها من ظلِّ الحقِّ؟ بعد ما أثبتناه من الحقيقة الراهنة، و وقفنا عليه من أحوال رواة السوء و شناشنهم فى افتعال المدائح للزعانفة المؤتلفة معهم فى النزعات الباطلة.

و أمّا تأميره فى غزوة ذات السلاسل فلا يجديه نفعاً بعد ما علمناه من أنَّه كان يتظاهر بالإسلام، و يبطن النفاق فى طيلة حياته، و ما كان الصالح العامّ و الحكمة الإلهيّة يحدوان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم على العمل بالبواطن، و إنّما يجارى القوم مجارى ظواهرهم؛ لأنَّهم حديثو عهد بالجاهليّة، و الإسلام لمّا يتحكّم فى أفئدتهم، فلو كاشفهم على السرائر لانتكصوا على أعقابهم، و تقهقروا إلى جاهليّتهم الأولى، فكان يسايرهم على هذا الظاهر، لعلّهم يتمرّنون باعتناق الدين، و يأخذ من قلوبهم محلّه؛ و لذلک إنَّه صلى الله عليه و آله و سلم كان يعلم بنفاق كثير من أصحابه كما أخبره اللَّه تعالى بقوله (وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ) «١» إلى غيرها من الآيات الكريمة، لكنَّه يستر عليهم رعاية لما أبرمه حذار الانتكاث، فكان تأمير عمرو- مع علمه بنفاقه- لتلک الحكمة البالغة، غير ملازم لحسن حاله على ما عرفته من كلام مولانا أمير المؤمنين، من أنَّه صلى الله عليه و آله و سلم لمّا عقد له الراية شرط عليه شرطاً قد أخلفه.

و يُعرب عن حقيقة ما نرتئيه قول أبى عمرو و غيره: إنَّ عمرو بن العاص ادّعى على أهل الإسكندريّة أنّهم قد نقضوا العهد الذى كان عاهدهم، فعمد إليها فحارب أهلها و افتتحها، و قتل المقاتلة، و سبى الذريّة، فنقم ذلک عليه عثمان، و لم يصحّ عنده نقضهم العهد، فأمر بردّ السبى الذى سبوا من القرى إلى مواضعهم، و عزل عمراً عن

---

(١). التوبة: ١٠١.

مصر، و ولّى عبد اللَّه بن سعد بن أبى سرح العامرى مصراً بدله، فكان ذلک بدء الشرِّ بين عمرو بن العاص و عثمان بن عفان، فلمّا بدا بينهما من الشرّ ما بدا، اعتزل عمرو فى ناحية فلسطين بأهله، و كان يأتى المدينة أحياناً و يطعن على عثمان «١». و سعّر عليه الدنيا ناراً، و لما أتاه قتله قال: أنا أبو عبد اللَّه إذا نكأت «٢» قرحة أدميتها.

و ولّى عمر عمرو بن العاص على مصر، و بقى والياً عليها إلى أوّل خلافة عثمان، ثمَّ إنَّ عثمان عزله عن الخراج و استعمله على الصلاة، و استعمل على الخراج عبد اللَّه بن سعد بن أبى سرح، ثمَّ جمعهما لعبد اللَّه بن سعد و عزل عمراً، فلمّا قدم عمرو المدينة جعل يطعن على عثمان، فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به. فقال: يا ابن النابغة ما أسرع ما قمل جربّان «٣» جُبّتک؟ إنَّما عهدک بالعمل عام أوّل، أتطعن علىَّ و تأتينى بوجه و تذهب عنّى بالآخر؟ و اللَّه لو لا أكلة ما فعلت ذلک.

فقال عمرو: إنَّ كثيراً ممّا يقول الناس و ينقلون إلى ولاتهم باطل، فاتّق اللَّه يا أمير المؤمنين فى رعيّتک. فقال عثمان: و اللَّه لقد استعملتک على ظَلعِک «۴»، و كثرة القالة فيک. فقال عمرو: قد كنت عاملًا لعمر بن الخطاب ففارقنى و هو عنّى راضٍ. فقال عثمان: و أنا و اللَّه لو أخذتک بما أخذک به عمر لاستقمت، و لكنّى لنتُ لک فاجترأت علىَّ.

فخرج عمرو من عند عثمان و هو محتقدٌ عليه، يأتى عليّا مرّة فيؤلّبه على عثمان، و يأتى الزبير مرّة فيؤلّبه على عثمان، و يأتى طلحة مرّة فيؤلّبه على عثمان، و يعترض الحاجّ فيخبرهم بما أحدث عثمان.

---

(۱). الاستيعاب: ۲/ ۴۳۵ [القسم الثالث/ ۱۱۸۷ رقم ۱۹۳۱]، شرح ابن أبى الحديد: ۲/ ۱۱۲ [۶/ ۳۲۰ خطبة ۸۳]. (المؤلف)

(۲). نكأ القرحة: قشرها قبل أن تبرأ. (المؤلف)

(۳). جربّان الجبّة- بضم الجيم و الراء و كسرهما و تشديد الباء: جيبها. (المؤلف)

(۴). أى على ما فيک من عيب و ميل. و الظلع- فى الاصل: غمز البعير فى مشيه. (المؤلف)

و لمّا قصد الثوّار إلى المدينة، أخرج لهم عثمان عليّا، فكلّمهم فرجعوا عنه، و خطب عثمان الناس فقال: إنَّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمرٌ، فلمّا تيقّنوا أنّه باطلٌ ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم. فناداه عمرو بن العاص من ناحية المسجد: اتَّق اللَّه يا عثمان فإنَّک قد ركبت نهابير «۱» و ركبناها معک، فتب إلى اللَّه نتب، فناداه عثمان فقال: و إنّک هناک يا ابن النابغة، قَمَلت و اللَّه جبّتک منذ تركتک من العمل. و فى لفظ البلاذرى فى الأنساب «۲»: يا ابن النابغة و إنّک ممّن تُؤلّب علىَّ الطغام، لأنّى عزلتک عن مصر.

فلمّا كان حصر عثمان الأوّل، خرج عمرو من المدينة حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها: السبع، فنزل بها، و كان يقول: أنا أبو عبد اللَّه إذا حككت قرحةً نكأتها، و اللَّه إن كنت لألقى الراعى فأحرِّضه عليه. و فى لفظ البلاذرى: و جعل يحرِّض الناس على عثمان حتى رعاة الغنم.

فبينما هو بقصره بفلسطين، إذ مرَّ به راكب من المدينة، فسأله عمرو عن عثمان، فقال: تركته محصوراً. قال عمرو: أنا أبو عبد اللَّه قد يضرط العير و المكواة فى النار، فلمّا بلغه مقتل عثمان، قال عمرو: أنا أبو عبد اللَّه، قتلته و أنا بوادى السباع، من يلى هذا الأمر من بعده؟ إن يله طلحة فهو فتى العرب سيباً، و إن يله ابن أبى طالب فلا أراه إلّا سيستنظف الحقَ «۳»، و هو أكره من يليه إلىَّ.

فلمّا بلغه أنَّ علياً قد بويع له، اشتدّ عليه و تربّص لينظر ما يصنع الناس، ثمَّ نمى إليه أنَّ معاوية بالشام يأبى أن يبايع عليّا، و أنّه يُعظِمُ قتل عثمان، و يحرِّضُ على الطلب بدمه، فاستشار ابنيه عبد اللَّه و محمداً فى الأمر، و قال: ما تريان؟ أمّا علىٌّ فلا

(۱). جمع نهبورة بالضم: المهلكة. (المؤلف)

(۲). أنساب الاشراف: ۲/ ۲۸۲ رقم ۳۶۰.

(۳). استنظف الشیءَ: أخذ کلّه. (المؤلف)

خیر عنده و هو رجلٌ یَدِلُ «۱» بسابقته، و هو غیرُ مشرکی فی شیء من أمره. فقال عبد اللّه بن عمرو: توفّی النبیّ صلی الله علیه و سلم و هو عنک راضٍ، و توفّی أبو بکر رضی الله عنه و هو عنک راضٍ، و توفّی عمر رضی الله عنه و هو عنک راضٍ، أری أن تکفَّ یدک و تجلسَ فی بیتک، حتی یجتمع الناس علی إمام فتبایعه. و قال محمد بن عمرو: أنت نابٌ من أنیابِ العرب، فلا أری أن یجتمع هذا الأمر و لیس لک فیه صوت و لا ذکر.

قال عمرو: أمّا أنت یا عبد اللّه فأمرتنی بالذی هو خیر لی فی آخرتی و أسلم فی دینی، و أمّا أنت یا محمد فأمرتنی بالذی أنبه لی فی دنیای و أشرّ لی فی آخرتی.

ثمَّ خرج عمرو بن العاص و معه ابناه حتی قدم علی معاویة، فوجد أهل الشام یحضّون معاویة علی الطلب بدم عثمان، فقال عمرو بن العاص: أنتم علی الحقِّ، اطلبوا بدم الخلیفة المظلوم. و معاویة لا یلتفت إلی قول عمرو، فقال ابنا عمرو لعمرو: أ لا تری إلی معاویة لا یلتفت إلی قولک؟! انصرف إلی غیره، فدخل عمرو علی معاویة، فقال: و اللّه لعجب لک إنّی أرفدک بما أرفدک و أنت معرضٌ عنّی؟ أم و اللّه إن قاتلنا معک نطلب بدم الخلیفة، إنَّ فی النفس من ذلک ما فیها، حیث نقاتلُ من تعلمُ سابقته و فضله و قرابته، و لکنّا إنّما أردنا هذه الدنیا. فصالحه معاویة، و عطف علیه.

أنساب الأشراف للبلاذری (۵/ ۷۴، ۸۷)، تاریخ الطبری (۵/ ۱۰۸- ۱۱۱ و ۲۲۴)، کامل ابن الأثیر (۳/ ۶۸)، تذکرة السبط (ص ۴۹)، جمهرة رسائل العرب (۱/ ۳۸۸) «۲».

و کان بعد تلک المساومة المشؤومة یحرِّض الناس علی قتل الإمام أمیر المؤمنین،

(۱). أدلّ و تدلّل: انبسط و اجترأ. (المؤلف)

(۲). أنساب الاشراف: ۲/ ۲۸۲- ۲۸۶ رقم ۳۶۰ ۳۶۴، تاریخ الأُمم و الملوک: ۴/ ۳۵۶- ۳۶۱ حوادث سنة ۳۵ ه، و ص ۵۶۰ حوادث سنة ۳۶ ه، الکامل فی التاریخ: ۲/ ۳۵۸ حوادث سنة ۳۶ ه، تذکرة الخواص: ص ۸۶- ۸۷.

كما فعله على عثمان حتى قتله، و افتخر به بقوله: أنا أبو عبد اللّه قتلته و أنا بوادى السباع. ثمّ جعل قميصه وسيلة النيل إلى الرتبة و الراتب، و قام بطلب دمه، قائلًا: إنَّ فى النفس من ذلک ما فيها.

و ممّن حثّهم على أمير المؤمنين و ألّبهم عليه حريثٌ مولى معاوية بن أبى سفيان. قال ابن عساكر فى تاريخه «۱» (۴/ ۱۱۳): قال معاوية لحريث: اتَّق عليّا ثمَّ ضع رمحک حيث شئت. فقال له عمرو بن العاص: إنَّک و اللّه يا حريث لو كنت قرشيّا لأحبّ معاوية أن تقتل عليّا، و لكن كره أن يكون لک حظّها! فإن رأيت منه فرصة فاقتحم عليه.

و لمّا قُتل أمير المؤمنين عليه السلام استبشر بذلک، و بشّره به سفيان بن عبد شمس بن أبى وقّاص. قال ابن عساكر فى تاريخه «۲» (۶/ ۱۸۱): لمّا طُعن أمير المؤمنين علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه، ذهب سفيان يبشّر معاوية و عمرو بن العاص بقتله، فكتب معاوية إلى عمرو و هو يقول:

وَقَتْکَ و أسبابُ المنونِ كثيرةٌ — منيّةُ شيخٍ من لؤىٍّ بنِ غالبِ

فيا عمرو مهلًا إنّما أنت عمُّهُ — و صاحبُه دون الرجالِ الأقاربِ

نجوتَ و قد بلَّ المرادىُّ سيفَهُ — من ابن أبى شيخِ الأباطحِ طالبِ

و يضربُنى بالسيفِ آخرُ مثلُهُ — فكانت عليه تلک ضربة لازبِ

و أنت تناغى كلَّ يوم و ليلةٍ — بمصرک بيضاً كالظِباء الشوازبِ«۳»

هذه نفسيّة الرجل و تمام حقيقته اللائحة على تجارته البائرة، و صفقته الخاسرة، و بضاعته المزجاة من الدين المبطّن بالإلحاد و المكتنف بالنفاق، و لو لم يكن

---

(۱). تاريخ مدينة دمشق: ۴/ ۳۳۰، و فى مختصر تاريخ دمشق: ۶/ ۲۷۵.

(۲). المصدر السابق: ۷/ ۳۷۶، تهذيب تاريخ دمشق: ۶/ ۱۸۳ ترجمة سفيان بن عبد شمس.

(۳). الشوازب: المضمّرات.

كذلک لما اقتنع بتلک المساومة، و هو يعرف الثمن و المثمن، و يعلم سابقة أمير المؤمنين، و فضله، و قرابته، و يقول: إن يَلِهِ ابن أبى طالب فلا أراه إلّا سيستنظف الحقَّ. و مع ذلک يظهر بغضه و عداءه بقوله: و هو أكره من يليه إلىَّ، و يعترف بالحقِّ و يتحيّز إلى خلافه، و يعرف الموضع الصالح للخلافة، ثمَّ يميل مع الهوى و يقول: إنّما أردنا هذه الدنيا. فيبيع دينه لمعاوية بثمن بخس- مصر و كورها- و يؤلّب الناس على الإمام الطاهر بنصِّ الكتاب العزيز، و يُسَرُّ بقتله. و لقد صارح بكلِّ ذلک صراحة لا تقبل التأويل، و هى مستفادةٌ من نصوصه و نصوص الصحابة الأوّلين، و بها عُرف فى التاريخ الصحيح، كما سمعت من دون أىِّ استنباط أو تحوير، فلا بارک اللَّه فى صفقة يمينه، و لا غار له بخير.

حديث شجاعته:

لم نعهد لابن النابغة موقفاً مشهوداً فى المغازى و الحروب، سواءٌ فى ذلک العهد الجاهلىّ و دور النبوّة. و أمّا وقعة صفِّين فلم يُؤثر عنه سوى مخزاة سوأته مع أمير

المؤمنين و فراره من الأشتر، و قد بقى عليه عار الأولى مدى الحقب و الأعوام، و جرى بها المثل، و غنّى بها أهل الحجاز، و جاء فى شعر عتبة بن أبى سفيان:

سوى عمروٍ وَقَتْهُ خصيتاهُ نجا و لقلبِهِ منهُ وجيبُ«١»

و فى شعر معاوية بن أبى سفيان يذكر عمراً و موقفه، كما يأتى:

فقد لاقى أبا حسنٍ عليّا فآب الوائلىُّ مآب خازى

فلو لم يُبدِ عورتَهُ لَلاقى به ليثاً يذلِّلُ كلَّ غازى

و فى شعر الحارث بن نصر السهمىِّ:

---

(١). سيأتى أنّ البيت من قصيدة للوليد بن عقبة قالها فى عمرو بن العاص بعد فراره أمام أمير المؤمنين (ع)، كما ذكر ذلک نصر بن مزاحم فى وقعة صفّين: ص ۴۱۸.

فقولا لعمروٍ و ابنِ أرطاةَ أبْصِرا سبيلَكما لا تَلْقيا الليثَ ثانيهْ

و لا تحمدا إلّا الحيا و خصاكما هما كانتا للنفس و اللّهِ واقيهْ

و فی شعر الأمیر أبی فراس:

و لا خیرَ فی دفعِ الردی بمذلّةٍ کما ردّها یوماً بسوأته عمرو

و فی شعر الزاهی البغدادی:

و صدَّ عن عمروٍ و بُسْرٍ کَرَماً إذ لقیا بالسوأتین من شخصْ

و قال آخر:

و لا خیرَ فی صَوْن الحیاة بِذِلّةٍ کما صانَها یوماً بذلّتِهِ عمرو

و قال عبد الباقی الفاروقی العمری:

و لیلةالهریرِ قد تکشّفتْ عن سوأةِ ابنِ العاصِ لمّا غُلبا

فحاد عنهُ مُغْضِباً حیدرةٌ و عفَّ و العفوُ شِعارُ النُّجَبَا

و لو یشأ رکّبَ فیهِ زَجّةً ترکیبَ مزجیٍّ کمعدی کربا

و كان قد تكرّر منه هذا العمل المخزى كما سيأتى، و لو كان للرجل شىءٌ من البسالة لَجَبَهَ مُعيِّريه بتعداد مشاهده، و سَلَقَهم بلسانٍ حديد، و هو ذلک الصلِف المُفَوّه، و فيما أُمِّر من الحروب كان الزحف للجيش الباسل دونه، فلم يسطُ أمامه، و إنّما كان رئيّا فى أمرهم يدير وجه الحيلة فيه، كما أنّه كان فى صفِّين كذلک، لم يبارح سرادق معاوية، و طفق يبديه دهاءه إلّا فى موقفين سيوافيک تفصيلهما، و لذلک كلّه اشتهر بالدهاء دون الشجاعة.

قال البيهقى فى المحاسن و المساوئ «١» (١/ ٣٩): قال عمرو بن العاص لابنه عبد اللَّه يوم صفّين: تبيّنْ لى هل ترى علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه؟ قال عبد اللَّه: فنظرت

---

(١). المحاسن و المساوئ: ص ٥۴.

إليه فرأيته، فقلت: يا أبه ها هو ذاک على بغلة شهباء، عليه قباءٌ أبيض و قلنسوةٌ بيضاء. قال: فاسترجع و قال: و اللَّه ما هذا بيوم ذات السلاسل و لا بيوم اليرموک و لا بيوم أجنادين، وددت أنَّ بينى و بين موقفى بُعد المشرقين.

هذا هو الذى عرفه منه معاصروه، و ستقف على أحاديثهم، نعم جاء ابن عبد البرّ بعد لأىٍ من عمر الدهر، فتهجّس فى الاستيعاب «١» فعدّه من فرسان قريش و أبطالهم فى الجاهليّة، مذكوراً بذلک فيهم. و لعلّ ابن منير «٢» المولود بعد ابن عبد البرّ بعشر سنين وقف على كلامه فى الاستيعاب و حكمه ببطولة الرجل، فقال فى قصيدته التتريّة:

و أقول إن أخطا معا ... ويةٌ فما أخطا القَدَرْ

هذا و لم يَغْدُرْ معا ... ويةٌ و لا عمروٌ مَكَرْ

بطلٌ بسوأتهِ يقاتلُ ... لا بصارمِهِ الذكَرْ

فإليک ما يُؤثر فى مواقفه، حتى ترى عيَّه عن القُحوم إلى الفوارس فى مضمار النضال، و الدنوّ من نقع الحومة، و تقف على حقيقته من هذه الناحية أيضاً، و تعرف قيمة كلام ابن حجر فى الإصابة (٣/ ٢): من أنَّ النبىّ صلى الله عليه و سلم كان يقرِّبه و يدنيه، لمعرفته و شجاعته. و لا نسائله متى قرّبه و أدناه.

أمير المؤمنين و عمرو فى معترک القتال بصفّين

كان عمرو بن العاص عدوّا للحرث بن النضر الخثعمى، و كان من أصحاب علىٍّ عليه السلام، و كان علىٌّ قد تهيّبته فرسان الشام، و ملأ قلوبهم بشجاعته، و امتنع كلٌ

---

(١). الاستيعاب: القسم الثالث/ ١١٨٨ رقم ١٩٣١.

(٢). أحد شعراء الغدير فى القرن السادس، تأتى هناك [فى الجزء الرابع] قصيدته التترية، و ترجمته. (المؤلف)

منهم من الإقدام عليه، و كان عمرو ما جلس مجلساً إلّا ذكر فيه الحرث بن النضر الخثعمىّ و عابه، فقال الحرث:

ليس عمروٌ بتاركٍ ذكره الحربَ	مدى الدهر أو يلاقى عليّا
واضعَ السيفِ فوقَ مَنْكِبِهِ الأى	-منِ لا يحسِبُ الفوارسَ شيّا
ليت عمراً يلقاهُ فى حومةِ النَقْ	-عِ و قد أمستِ السيوفُ عِصِيّا
حيث يدعو البراز حاميةُ القومِ	إذا كان بالبرازِ مليّا
فوق شُهْبٍ مثلِ السَحُوق «١» من النَخ	-لِ ينادى المبارزين إليّا
ثمَّ يا عمرو تستريحُ من الفخر	و تلقى به فتىً هاشميّا
فالقَهُ إن أردت مَكرُمة الدهر	أو الموتَ كلّ ذاك عليّا

فشاعت هذه الأبيات حتى بلغت عمراً، فأقسم باللَّه لَيَلْقَيَنَّ عليّا و لو مات ألف موتة، فلمّا اختلطت الصفوف لقيه فحمل عليه برمحه، فتقدّم علىٌّ و هو مخترطٌ سيفاً، معتقلٌ رمحاً، فلمّا رَهَقَه هَمَزَ فرسه ليعلو عليه، فألقى عمرو نفسه عن فرسِهِ إلى الأرض شاغراً برجليه، كاشفاً عورته، فانصرف عنه علىٌّ لافتاً وجهه مستدبراً له، فعدَّ الناس ذلک من مكارم علىٍّ و سؤدده، و ضرب بها المثل.

كتاب صفّين لابن مزاحم «٢» (ص ٢٢٤)، شرح ابن أبى الحديد «٣» (٢/ ١١٠).

و قال ابن قتيبة فى الإمامة و السياسة «۴» (١/ ٩١): ذكروا أنَّ عمراً قال لمعاوية: أتجبن عن علىٍّ و تتّهمنى فى نصيحتى إليک؟ و اللَّه لأُبارِزَنَّ عليّا و لو متُّ ألف موتة فى أوّل لقائه، فبارزه عمرو فطعنه علىٌّ فصرعه، فاتّقاه بعورته، فانصرف عنه علىٌ

(۱). سحقت النخل: طالت. فهی سحوق- بالفتح- و الجمع سُحُق- بالضم. (المؤلف)

(۲). وقعة صفّین: ص ۴۲۳.

(۳). شرح نهج البلاغة: ۶/ ۳۱۳ خطبة ۸۳.

(۴). الإمامة و السیاسة: ۱/ ۹۵.

و ولّی بوجهه دونه، و کان علیّ رضی الله عنه لم ینظر قطُّ إلی عورة أحد حیاءً و تکرّماً و تنزّهاً عمّا لا یحلُّ و لا یجلُّ بمثله- کرّم اللَّه وجهه.

و قال المسعودی فی مروج الذهب «۱» (۲/ ۲۵): إنَّ معاویة أقسم علی عمرو لمّا أشار علیه بالبراز إلّا أن یبرز إلی علیٍّ، فلم یجد عمرو من ذلک بُدّا فبرز، فلمّا التقیا عرفه علیٌّ، و شال السیف لیضربه به، فکشف عمرو عن عورته و قال: مکرهٌ أخوک لا بطل. فحوّل علیٌّ وجهه و قال: «قبحت» و رجع عمرو إلی مصافّه.

اجتمع عند معاویة فی بعض لیالی صفّین عمرو بن العاص، و عتبة بن أبی سفیان، و الولید بن عقبة، و مروان بن الحکم، و عبد اللَّه بن عامر، و ابن طلحة الطلحات الخزاعی، فقال عتبة: إنَّ أمرنا و أمر علیٍّ بن أبی طالب لعجیب، ما فینا إلّا موتورٌ مجتاحٌ، أمّا أنا فقتل جدّی عتبة بن ربیعة، و أخی حنظلة، و شرک فی دم عمّی شیبة یوم بدر، و أمّا أنت یا ولید فقتل أباک صبراً، و أمّا أنت یا ابن عامر فصرع أباک و سلب عمّک، و أمّا أنت یا ابن طلحة فقتل أباک یوم الجمل، و أیتم إخوتک، و أمّا أنت یا مروان فکما قال الشاعر «۲».

و أفلتهنَّ علباءَ جریضاً و لو أدرکته صفر الوطاب«۳»

فقال معاویة: هذا الإقرار، فأیَّ غُیُر غیَّرت «۴»؟ قال مروان: و أیَّ غُیُر ترید؟ قال: أرید أن تشجُروه بالرماح. قال: و اللَّه یا معاویة ما أراک إلا هاذیاً أو هازئاً، و ما

(۱). مروج الذهب: ۲/ ۴۰۵.

(۲). البیت لامرئ القیس. (المؤلف)

(۳). أفلته: خلّصه و أطلقه. أفلت: تخلّص. علباء من علب اللحم: تغيّرت رائحته بعد اشتداده. الجريض: المشرف على الهلاک. الصفر- بالحركات الثلاث: الخالی. الوطب: سقاء اللبن، و الجمع و طاب. [قوله: صفر الوطاب: مثل يضرب لمن مات أو قتل. مجمع الأمثال: ۲/ ۲۲۲ رقم ۲۱۰۹]. (المؤلف)

(۴). فی شرح نهج البلاغة و وقعة صفّين: فأين الغُيُر؟

أرانا إلّا ثَقُلنا عليک. فقال ابن عقبة:

يقول لنا معاويةُ بنُ حرب أما فيكم لواترِكمْ طَلُوبُ

يشدُّ على أبی حسنٍ علیٍ بأسمرَ لاتُهجِّنهُ العَكوبُ«۱»

فيهتک مجمَع اللّباتِ منه و نقع القومِ مُطَّرِد يثوبُ

فقلتُ لهُ أ تلعبُ يا ابن هندٍ كأنَّک بيننا رجلٌ غريبُ

أ تُغرينا بحيّةِ بطنِ وادٍ إذا نهشَتْ فليس لها طبيبُ

و ما ضَبُعٌ يدِبُّ ببطن وادٍ أُتيح «۲» له بهِ أسدٌ مهيبُ

بأضعف حيلةً منّا إذا ما لقيناه و لقياه عجيبُ

دعا للقاهُ فی الهيجاءِ لاقٍ فأخطا نفسَه الأجلُ القريبُ

سوی عمرو وَقَتْهُ خصيتاهُ نجا و لقلبِهِ منه وجيبُ

كأنّ القومَ لمّا عاينوهُ خلالَ النقع ليس لهم قُلوبُ

لعمر أبی معاوية بنِ حربٍ و ما ظنّی ستلحقه العيوبُ

لقد ناداه فی الهيجا علیٌ فأسمعه و لكن لا يُجيبُ

فغضب عمرو، و قال: إن كان الوليد صادقاً فَلْيَلْقَ عليّا، أو فليقف حيث يسمع صوته، و قال عمرو:

يُذكّرنی الولید دعا علیٍ و بطن المرء یملؤه الوعیدُ

متی تذکُرْ مشاهده قریشٌ یَطِر من خوفه القلبُ الشدیدُ

فأمّا فی اللقاءِ فأین منهُ معاویةُ بن حرب و الولیدُ

و عیّرنی الولیدُ لقاء لیثٍ إذا ما زار «۳» هابتْهُ الأُسودُ

---

(۱). هجّنه الأمر: قبّحه و عابه. العَکوب- بالفتح: الغبار. (المؤلف)

(۲). تاح تیحاً و توحاً: قدر و تهیّأ. رجل متیح: أی لا یزال یقع فی بلیّة. (المؤلف)

(۳). من الزئیر: صوت الاسد. (المؤلف)

لقیتُ و لست أجهلُهُ علیّا و قد بلّت من العَلَقِ اللُبودُ«۱»

فأطعنُهُ و یطعنُنی خلاساً«۲» و ما ذا بعد طعنتهِ أُریدُ

فرُمها أنت یا ابن أبی مُعَیْطٍ و أنت الفارسُ البطلُ النَجیدُ«۳»

و أقسم لو سمعت ندا علیٍ لطارَ القلبُ و انتفخ الوریدُ

و لو لاقیتَهُ شُقَّتْ جیوبٌ علیکَ و لُطّمتْ فیک الخدودُ«۴»

و فی روایة سبط ابن الجوزی «۵»: ثمَّ التفت الولید إلی عمرو بن العاص و قال: إن لم تصدّقونی فسلوا. أراد تبکیت عمرو.

قال هشام بن محمد: و معنی هذا الکلام: أنَّ علیّا خرج یوماً من أیام صفّین، فرأی عمرو بن العاص فی جانب العسکر و لم یعرفه، فطعنه فوقع، فبدت عورته، فاستقبل علیّا فأعرض عنه، ثمَّ عرفه

فقال: «یا ابن النابغة أنت طلیق دبرک أیّام عمرک»

و كان قد تكرّر منه هذا الفعل.

رواية ابن عبّاس:

روى نصر «۶» بإسناده عن ابن عبّاس قال: تعرّض عمرو بن العاص لعليّ يوماً من أيّام صفّين، و ظنَّ أنَّه يطمع منه فى غرّة- أى: فى غفلة- فيصيبه، فحمل عليه عليٌّ عليه السلام فلمّا كاد أن يخالطه أذرى- أى: ألقى- نفسه عن فرسه، و رفع ثوبه، و شغر «۷»

---

(۱). اللبد- بالكسر: الشعر المجتمع بين كتفى الأسد. ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج، الجمع: لبود و ألباد. (المؤلف)

(۲). يقال: الرجلان يتخالسان: أى يروم كلّ منهما قتل صاحبه. (المؤلف)

(۳). النجيد: الشجاع الماضى فيما يعجز غيره. (المؤلف)

(۴). كتاب صفّين: ص ۲۲۲ [ص ۴۱۷- ۴۱۸]، شرح ابن أبى الحديد: ۲/ ۱۱۰ [۶/ ۳۱۴- ۳۱۵ خطبة ۸۳]، تذكرة السبط: ص ۵۱ [ص ۸۹- ۹۰]. (المؤلف)

(۵). تذكرة الخواص: ص ۹۰.

(۶). وقعة صفّين: ص ۴۰۷- ۴۰۸.

(۷). شغر الكلب: رفع إحدى رجليه فبال. (المؤلف)

برجله فبدت عورته، فصرف عليه السلام وجهه عنه، و قام معفّراً بالتراب، هارباً على رجليه، معتصماً بصفوفه، فقال أهل العراق: يا أمير المؤمنين أفلت الرجل. فقال: «أ تدرون من هو؟». قالوا: لا. قال: «إنَّه عمرو بن العاص، تلقّانى بسوأته فذكّرنى بالرَحِم،- لفظ ابن كثير- فصرفت وجهى عنه».

و رجع عمرو إلى معاوية فقال: ما صنعت يا أبا عبد اللَّه؟ فقال: لقينى عليٌّ فصرعنى. قال: احمد اللَّه و عورتک- و فى لفظ ابن كثير: احمد اللَّه و احمد استک- و اللَّه إنّى لأظنّک لو عرفته لما اقتحمت عليه. و قال معاوية فى ذلک:

ألا للَّه من هفواتِ عمروٍ يعاتبُنى على تركى برازى

فقد لاقى أبا حسنٍ عليّا فآب الوائليُّ مآب خازى

فلو لم يُبدِ عورتَهُ للاقی | به ليثاً يُذلّل كلَّ غازی
له كفٌّ كأنَّ براحتيها | منايا القوم يخطفُ خطفَ بازی
فإن تكن المنيّةُ أخطأتهُ | فقد غنّی بها أهل الحجازِ

فغضب عمرو و قال: ما أشدّ تعظيمک عليّا فی كسری هذا- و فی لفظ ابن أبی الحديد: ما أشدَّ تغبيطک أبا تراب فی أمری «۱»- هل أنا إلّا رجل لقيه ابن عمِّه فصرعه؟! أ فَتُری السماء قاطرةً لذلک دماً؟! قال: لا، و لكنَّها مُعقبة لک خزياً.

كتاب صفّين «۲» (ص ۲۱۶)، شرح ابن أبی الحديد «۳» (۲/ ۲۸۷)، تاريخ ابن كثير «۴» (۷/ ۲۶۳).

---

(۱). فی لفظ نصر: ما أشدّ تغبيطک عليّا فی أمری، و فی لفظ ابن أبی الحديد: ما أشدّ تعظيمک أبا تراب فی أمری.

(۲). وقعة صفّين: ص ۴۰۶- ۴۰۸.

(۳). شرح نهج البلاغة: ۸/ ۶۰- ۶۱ خطبة ۱۲۴.

(۴). البداية و النهاية: ۷/ ۲۹۲ حوادث سنة ۳۷ ه.

معاوية و عمرو

استأذن عمرو بن العاص علی معاوية بن أبی سيان، فلمّا دخل عليه استضحک معاوية، فقال عمرو: ما أضحکک يا أمير المؤمنين؟ أدام اللَّه سرورک. قال: ذكرتُ ابن أبی طالب و قد غَشِيَکَ بسيفه فاتّقيته و ولّيتَ. فقال: أ تشمتُ بی يا معاوية؟ و أعجب من هذا يوم دعاک إلی البراز، فالتمع لونک، و أطّتْ «۱» أضالعک، و انتفخ منخرُک، و اللَّه لو بارزته لأوجعَ قذالک «۲»، و أيتم عيالک، و بزّک سلطانک، و أنشأ عمرو يقول:

معاویَ لا تَشمَتْ بفارس بُهمةٍ | لقی فارساً لا تعتريه الفوارسُ
معاویَ إنْ أبصرتَ فی الخيلِ مُقبلًا | أبا حسنٍ يهوی دَهَتْکَ الوساوسُ
و أيقنتَ أنَّ الموتَ حقٌّ و أنَّهُ | لنفسِک إنْ لم تمضِ فی الركض حابسُ

فإنَّکَ لو لاقیتَهُ کنت بومةً«۳» أُتیحَ لها صقرٌ من الجوِّ رایسُ«۴»

و ما ذا بقاءُ القومِ بعد اختباطِهِ؟ و إنَّ امراً یلقی علیّا لآیسُ

دعاکَ فصمّت دونه الأُذنُ هارباً فنفسُکَ قد ضاقت علیها الأمالسُ«۵»

و أیقنت أنَّ الموتَ أقربُ موعدٍ و أنَّ الذی ناداک فیها الدهارسُ«۶»

و تشمتُ بی أن نالنی حدُّ رمحِهِ و عضّضنی نابٌ من الحربِ ناهسُ«۷»

أبی اللَّهُ إلّا أنَّهُ لیثُ غابةٍ أبو أشبُلٍ تُهدی إلیه الفرائس

---

(۱). أطّ [الأطیط]: صوت الإبل: حنّت. (المؤلف)

(۲). القذال: بین الأُذنین من مؤخر الرأس، و الجمع قُذل، و أقذلة. (المؤلف)

(۳). البوم و البومة: طائر یسکن الخراب. یضرب به المثل فی الشؤم. (المؤلف)

(۴). من راس یریس: مشی متبختراً. یقال راس القوم: اعتلی علیهم و غلبهم. (المؤلف)

(۵). الأمالس و الامالیس، جمع إملیس: الفلاة التی لیس فیها نبات. (المؤلف)

(۶). الدهرس: الشدّة و البلیّة. (المؤلف)

(۷). نهس اللحم نهساً- بفتح العین و کسره-: أخذه و نتفه و مدّه بالفم. (المؤلف)

و أیُّ امرئٍ لاقاه لم یُلْفَ شِلْوُه بمعترکٍ تسفی علیه الروامسُ«۱»

فإن کنتَ فی شکٍّ فأرهجْ عَجاجَهُ و إلّا فتلک التُرّهاتُ البسابسُ«۲»

فقال معاوية: مهلًا يا أبا عبد اللّه؟ و لا كلّ هذا. قال: أنت استدعيته.

و فی لفظ ابن قتيبة فی عيون الأخبار (۱/ ۱۶۹): رأی عمرو بن العاص معاوية يوماً يضحک، فقال له: مِمَّ تضحک يا أمير المؤمنين؟ أضحک اللّه سنّک. قال: أضحک من حضور ذهنک عند إبدائک سوأتک يوم ابن أبی طالب، أما و اللّه لقد وافقته منّاناً كريماً، و لو شاء أن يقتلک لقتلک.

قال عمرو: يا أمير المؤمنين، أما و اللّه إنّی لعن يمينک، حين دعاک إلی البراز فاحْوَلّتْ عيناک، و ربا سَحرُک «۳»، و بدا منک ما أكره ذكره لک، فمن نفسک فاضحک أو دَع.

و فی لفظ البيهقی فی المحاسن و المساوئ «۴» (۱/ ۳۸): دخل عمرو بن العاص علی معاوية و عنده ناسٌ، فلمّا رآه مقبلًا استضحک، فقال: يا أمير المؤمنين أضحک اللّه سنّک و أدام سرورک و أقرَّ عينک، ما كلُّ ما أری يوجب الضحک.

فقال معاوية: خطر ببالی يوم صفّين يوم بارزت أهل العراق، فحمل عليک علیُّ بن أبی طالب رضی الله عنه فلمّا غَشِيَک طرحت نفسک عن دابّتک و أبديت عورتک، كيف حضرک ذهنک فی تلک الحال؟ أما و اللّه لقد وافقت هاشميّا منافيّا، و لو شاء أن يقتلک لقتلک.

---

(۱). الرمس: الستر و التغطية. و يقال لما يحثی علی القبر من التراب: رمس. (المؤلف)

(۲). كتاب صفّين: ص ۲۵۳ [ص ۴۷۳]، أمالی الشيخ: ص ۸۴، [ص ۱۳۴ ح ۲۱۷] تذكرة السبط: ص ۵۲ [ص ۹۱]. (المؤلف)

(۳). ربا ربواً: انتفخ. السَحر- بفتح السين و ضمّه-: الرئة. (المؤلف)

(۴). المحاسن و المساوئ: ص ۵۳.

فقال عمرو: يا معاوية إن كان أضحكک شأنی فمن نفسک فاضحک، أما و اللّه لو بدا له من صفحتک مثل الذی بدا له من صفحتی لأوجع قذالک، و أيتم عيالک، و أنهب مالک، و عزل سلطانک، غير أنّک تحرّزت منه بالرجال فی أيديها العوالی، أما إنّی قد رأيتک يوم دعاک إلی البراز فاحولّت عيناک، و أزبد شدقاک، و تنشّر منخراک، و عرق جبينک، و بدا من أسفلک ما أكره ذكره!. فقال معاوية: حسبک حيث بلغت لم نرد كلّ هذا.

و فی لفظ الواقدی: قال معاوية يوماً لعمرو بن العاص: يا أبا عبد اللّه لا أراک إلّا و يغلبنی الضحک. قال: بما ذا؟ قال: أذكر يوم حمل عليک أبو تراب فی صفّين، فأذريت نفسک فرَقاً من شبا سنانه، و كشفت سوأتک له. فقال عمرو: أنا منک أشدُّ ضحكاً؛ إنّی لأذكر يوم دعاک إلی البراز فانتفخ سَحرک، و ربا لسانک فی فمک، و عصب ريقک، و ارتعدت فرائصک، و بدا منک ما

أكره ذكره لک. فقال معاوية: لم يكن هذا كلّه، و كيف يكون؟ و دونى عكٌّ و الأشعريّون. قال: إنَّک لَتعلم أنَّ الذى وصفتُ دون ما أصابک، و قد نزل ذلک بک و دونک عک و الأشعريّون، فكيف كانت حالک لو جمعكما مأقط الحرب؟ قال: يا أبا عبد اللَّه خض بنا الهزل إلى الجدّ؛ إنَّ الجبن و الفرار من عليٍّ لا عار على أحد فيهما. شرح ابن أبى الحديد «۱» (۲/ ۱۱۱).

قال نصر فى كتابه «۲» (ص ۲۲۹): و كان معاوية لم يزل يشمت عمراً، و يذكر يومه المعهود و يضحک، و عمرو يعتذر بشدّة موقفه بين يدى أمير المؤمنين، فشمت به معاوية يوماً و قال: لقد أنصفتكم إذ لقيت سعيد بن قيس و فررتم، و إنَّک لجبان، فغضب عمرو ثمَّ قال: و اللَّه لو كان عليّا ما قحمتَ عليه، يا معاوية فهلّا برزت إلى عليٍّ إذ دعاک إن كنت شجاعاً كما تزعم؟ و قال عمرو فى ذلک:

---

(۱). شرح نهج البلاغة: ۶/ ۳۱۷ خطبة ۸۳.

(۲). وقعة صفّين: ص ۴۳۲.

تسير إلى ابن ذى يزنٍ سعيدٍ — و تترک فى العجاجةِ من دعاكا

فهل لک فى أبى حسن علىٍ — لعلّ اللَّه يُمكنُ من قفاكا

دعاک إلى النزال فلم تُجبهُ — و لو نازلتَهُ تَربت يداكا

و كنت أصمَّ إذ ناداک عنهُ — و كان سكوتُه عنه مناكا

فآب الكبشُ قد طحنتْ رحاه — بنجدتِهِ و لم تطحن رحاكا

فما أنصفت صحبک يا ابن هندٍ — أتفرقه و تغضبُ من كفاكا

فلا و اللَّه ما أضمرتَ خيراً — و لا أظهرتَ لى إلّا هواكا

أشار عمرو بن العاص فى هذه الأبيات إلى ما رواه نصر فى كتاب صفّين «۱» (ص ۱۴۰) و غيره من المؤرخين: من أنَّ عليّا عليه السلام- قام يوم صفّين بين الصفَّين، ثمَّ نادى: «يا معاوية». يكرِّرها فقال معاوية: اسألوه ما شأنه؟ قال: «أحبُّ أن يظهر لى فأكلّمه كلمة واحدة» فبرز معاوية و معه عمرو بن العاص، فلمّا قارباه لم يلتفت إلى عمرو، و قال لمعاوية: «ويحک علام يقتتل

الناس بينى و بينک، و يضرب بعضهم بعضاً؟ ابرز إلىَّ، فأيّنا قتل صاحبه فالأمر له». فالتفت معاوية إلى عمرو، فقال: ما ترى يا أبا عبد اللَّه فيما هاهنا، أُبارزه؟! فقال عمرو: لقد أنصفک الرجل! و اعلم أنّه إن نكلتَ عنه لم تزل سبّة عليک و على عقبک ما بقى عربىٌّ. فقال معاوية: يا عمرو ليس مثلى يخدع عن نفسه، و اللَّه ما بارز ابن أبى طالب رجلًا قطُّ إلّا سقى الأرض من دمه. ثمَّ انصرف معاوية راجعاً حتى انتهى إلى آخر الصفوف، و عمرو معه.

خرج علىٌّ عليه السلام ذات يوم فى صفّين منقطعاً من خيله و معه الأشتر، يتسايران رويداً يطلبان التلَّ ليقفا عليه، و علىٌّ يقول:

إنّى علىٌّ فسلوا لتخبروا ثمَّ ابرزوا إلى الوغى أو ادبروا

سيفى حسامٌ و سِنانى أزهرُ منّا النبىُّ الطيِّبُ المطهَّرُ

---

(١). وقعة صفّين: ص ٢٧۴.

و حمزةُ الخيرِ و منّا جعفرُ له جناحٌ فى الجنانِ أخضرُ

ذا أسدُ اللَّه و فيه مفخَرُ هذا بهذا و ابن هند محجرُ

مذبذبٌ مطَّردٌ مؤخَّرُ

إذ برز له بُسر بن أرطاة مقنَّعاً فى الحديد لا يُعرف، فناداه: أبرز إلىَّ أبا حسن! فانحدر إليه على تُؤدة «١» غير مكترثٍ به، حتى إذا قاربه طعنه و هو دارعٌ، فألقاه على الأرض، و منع الدرع السنان أن يصل إليه، فاتّقاه بُسر بعورته، و قصد أن يكشفها يستدفع بأسه، فانصرف عنه عليه السلام مستدبراً له، فعرفه الأشتر حين سقط، فقال: يا أمير المؤمنين هذا بُسر بن أرطاة، هذا عدوّ اللَّه و عدوّک. فقال: «دعه عليه لعنة اللَّه، أبعد أن فعلها؟» فحمل ابن عمّ لِبُسر شابّ على علىٍّ و هو يقول:

أرديتَ بُسراً و الغلام ثائره أرديتَ شيخاً غاب عنه ناصره

و كلّنا حامٍ لِبُسرٍ واترهْ

فحمل عليه الأشتر و هو يقول:

أ كلَّ يوم رجلُ شيخ شاغره و عورةٌ تحت العَجاج ظاهره

تُبرزها طعنة كفٍّ واتره عمروٌ و بُسر رُميا بالفاقره

فطعنه الأشتر فكسر صلبه، و قام بُسر من طعنة علىٍّ، و ولّت خيله، و ناداه علىٌّ: يا بسر معاوية كان أحقَّ بهذا منک. فرجع بُسر إلى معاوية، فقال له معاوية: ارفع طرفک قد أدال «۲» اللَّه عمراً منک. فقال فى ذلک الحارث بن نضر السهمى «۳»:

---

(۱). أى تأنٍّ و تمهّل. (المؤلف)

(۲). أدال الشىء: جعله متداولا. يقال أدال اللَّه زيداً من عمرو، أى نزع الدولة من عمرو و حوّلها إلى زيد. (المؤلف)

(۳). فى وقعة صفّين: النضر بن الحارث.

أفى كلِّ يوم فارسٌ تندبونه له عورةٌ تحتَ العجاجةِ باديهْ

يكفُّ بها عنه علىٌّ سِنانَهُ و يضحکُ منها فى الخلاءِ معاويهْ

بدتْ أمسِ من عمروٍ فقنّع رأسَهُ و عورةُ بُسر مثلُها حَذْوَ حاذيهْ

فقولا لعمرو و ابن أرطاةَ أبصِرا سبيلکما لا تَلقيا الليثَ ثانيهْ

و لا تحمدا إلّا الحيا و خُصاکُما هما كانتا للنفس و اللَّه واقيهْ

فلولاهما لم تَنْجُوَا من سنانِه و تلک بما فيها عن العَوْدِ ناهيهْ

متى تلقيا الخيل المشيجةَ صيحةً«۱» و فيها علىٌّ فاتركا الخيلَ ناحيهْ

و كونا بعيداً حيث لا تبلغ القنا و نار الوغى إنَّ التجارب كافيهْ

و إن كان منه بعدُ فى النفس حاجةٌ فعودوا إلى ما شئتما هى ما هيهْ

كتاب صفّين «۲» (ص ۲۴۶)، الاستيعاب «۳» (۱/ ۶۷)، شرح ابن أبى الحديد «۴» (۲/ ۳۰۰)، مطالب السؤول (ص ۴۳)، تاريخ ابن كثير «۵» (۴/ ۲۰)، نور الأبصار «۶» (ص ۹۵).

ينبئنا التاريخ أنَّ عمراً ليس بأوّل رجل كشف عن سوأته من بأس أمير المؤمنين، و إنّما قلّد طلحة بن أبى طلحة؛ فإنَّه لمّا حمل عليه أمير المؤمنين يوم أحد و رأى أنَّه مقتولٌ لا محالة، استقبله بعورته و كشف عنها. راجع تاريخ ابن كثير (۴/ ۲۰) و ذكره الحلبى فى سيرته «۷» (۲/ ۲۴۷) ثمَّ قال: وقع لسيِّدنا علىّ- كرّم اللَّه وجهه- مثل ذلک فى يوم صفِّين مرّتين: الأولى: حمل على بُسر بن أرطاة، و الثانية: حمل على

---

(۱). فى وقعة صفّين: المشيحة صبحة.

(۲). وقعة صفّين: ص ۴۶۱.

(۳). الاستيعاب: القسم الأوّل/ ۱۶۵ رقم ۱۷۴.

(۴). شرح نهج البلاغة: ۸/ ۹۵ خطبة ۱۲۴.

(۵). البداية و النهاية: ۴/ ۲۳ حوادث سنة ۳ ه.

(۶). نور الأبصار: ص ۱۹۲- ۱۹۳.

(۷). السيرة الحلبيّة: ۲/ ۲۲۳.

عمرو بن العاص، فلمّا رأى أنَّه مقتولٌ كشف عن عورته، فانصرف عنه علىٌّ- كرّم اللَّه وجهه.

الأشتر و عمرو بن العاص

فی معترک القتال بصفّین

إن معاویة دعا یوماً بصفّین مروان بن الحکم، فقال: إنَّ الأشتر قد غمّنی و أقلقنی، فاخرج بهذه الخیل فی یحصب و الکلاعیّین، فالقه، فقاتل بها. فقال مروان: أُدع لها عمراً فإنَّه شعارک دون دثارک. قال: و أنت نفسی دون وریدی. قال: لو کنت کذلک ألحقتنی به فی العطاء، أو ألحقته بی فی الحرمان، و لکنّک أعطیته ما فی یدک، و منّیته ما فی ید غیرک، فإن غَلبتَ طاب له المقام، و إن غُلبتَ خفَّ علیه الهرب. فقال معاویة: سیُغنی اللَّه عنک. قال: أمّا إلی الیوم فلم یغنِ.

فدعا معاویة عمراً و أمره بالخروج إلی الأشتر. فقال: أما إنّی لا أقول لک ما قال مروان. قال: فکیف تقول؟ و قد قدّمتک و أخّرته، و أدخلتک و أخرجته. قال: أما و اللَّه إن کنتَ فعلتَ لقد قدّمتنی کافیاً، و أدخلتنی ناصحاً، و قد أکثر القوم علیک فی أمر مصر و إن کان لا یرضیهم إلّا أخذها فخذها. ثمَّ قام فخرج فی تلک الخیل، فلقیه الأشتر أمام القوم و هو یقول:

یا لیت شعری کیف لی بعمرِو	ذاک الذی أوجبتُ فیه نَذری
ذاک الذی أطلبُهُ بوِتْرِی	ذاک الذی فیه شفاءُ صدری
ذاک الذی إن ألقَهُ بعُمری	تغلی به عند اللقاءِ قِدری
أجعله فیه طعام النسر	أو لا فربّی عاذری بعذری

فلما سمع عمرو هذا الرجز و عرف أنَّه الأشتر، فشل و جبن، و استحیا أن یرجع، و أقبل نحو الصوت، و قال:

یا لیت شعری کیف لی بمالکِ	کم جاهلٍ خیّبتُه و حارکِ«۱»
و فارسٍ قتلتُهُ و فاتکِ	و مُقدمٍ آبَ بوجهٍ حالکِ«۲»

ما زلت دهری عرضة المهالکِ

فغشیه الأشتر بالرمح فزاغ عنه عمرو فلم یصنع الرمح شیئاً، و لوی عمرو عنان فرسه، و جعل یده علی وجهه، و جعل یرجع راکضاً نحو عسکره، فنادی غلامٌ من یحصب: یا عمرو علیک العفا ما هبّت الصبا!.

کتاب صفّین «۳» (ص ۲۳۳)، شرح ابن أبی الحدید «۴» (۲/ ۲۹۵).

ینبئک صدر هذا الحدیث عن نفسیّات أولئک المناضلین عن معاویة، الدّعاة إلی إمامته، و یعرب عن غایات تلک الفئة الباغیة بنصّ النبیّ الأطهر، إماماً و مأموماً فی تلک الحرب الزبون، فما ینبغی لی أن أکتب عن إمام یکون مثل عمرو بن العاص شعاره، و مثل مروان بن الحکم نفسه؟ و ما یحقُّ لک أن تعتقد فی مأموم هذه محاوراته فی معترک القتال مع إمامه المفترضة علیه طاعته- إن صحّت الأحلام- و مشاغبته دون الرتبة و الراتب؟!

ابن عبّاس و عمرو:

حجَّ عمرو بن العاص و قام بالموسم، فأطری معاویة و بنی أمیّة و تناول بنی هاشم، ثمَّ ذکر مشاهده بصفّین، فقال ابن عبّاس: یا عمرو إنَّک بعتَ دینک من معاویة، فأعطیته ما فی یدک و منّاک ما فی ید غیره، فکان الذی أخذ منک فوق الذی

---

(۱). حَرَکَ: امتنع من الحق الذی علیه. غلام حرک: خفیف ذکی. (المؤلف)

(۲). حلک: اشتد سواده، فهو حالک و حلک. (المؤلف)

(۳). وقعة صفّین: ص ۴۴۰.

(۴). شرح نهج البلاغة: ۸/ ۸۰ خطبة ۱۲۴.

أعطاک، و کان الذی أخذت منه دون ما أعطیته، و کلٌّ راض بما أخذ و أعطی، فلمّا صارت مصر فی یدک تتبعک فیها بالعزل و التنقّص، حتی لو أنَّ نفسک فی یدک لألقیتها إلیه، و ذکرت یومک مع أبی موسی فلا أراک فخرت إلّا بالغدر، و لا منّیت إلّا بالفجور و الغشّ، و ذکرت مشاهدک بصفّین فو اللَّه ما ثَقُلَتْ علینا وطأتُکَ، و لقد کشفتَ فیها عورتک، و لا نَکَتنا فیها حربک، و لقد کنت فیها طویل اللسان، قصیر السنان، آخر الحرب إذا أقبلت، و أوّلها إذا أدبرت، لک یدان: یدٌ لا تبسطها إلی خیر، و یدٌ لا تقبضها من شرّ، و وجهان: وجهٌ مؤنسٌ و وجهٌ موحشٌ، و لعمری إنَّ من باع دینه بدنیا غیره لحریٌّ أن یطول حزنه علی ما باع و اشتری، لک بیانٌ و فیک خطل، و لک رأیٌ و فیک نکد، و لک قدرٌ و فیک حسد، فأصغر عیب فیک أعظم عیب غیرک.

فقال عمرو: أما و اللَّه ما فی قریش أحدٌ أثقل وطأةً علیَّ منک، و لا لأحد من قریش قدر عندی مثل قدرک.

البیان و التبیین «۱» (۲/ ۲۳۹)، العقد الفرید «۲» (۲/ ۱۳۶)، شرح ابن أبی الحدید «۳» (۱/ ۱۹۶) نقلًا عن البلاذری.

ابن عبّاس و عمرو فی حفلة أخری:

روى المدائنى قال: وفد عبد اللَّه بن عبّاس على معاوية مرّة و عنده ابنه يزيد، و زياد بن سميّة، و عتبة بن أبى سفيان، و مروان بن الحكم، و عمرو بن العاص، و المغيرة ابن شعبة، و سعيد بن العاص، و عبد الرحمن بن أمِّ الحكم، فقال عمرو بن العاص: هذا و اللَّه يا أمير المؤمنين نجوم أوّل الشرِّ و أُفول آخر الخير، و فى حسمه قطع مادّته، فبادره بالحملة، و انتهز منه الفرصة، و اردع بالتنكيل به غيره، و شرِّد به من خلفه.

---

(١). البيان و التبيين: ٢/ ٢٠۶.

(٢). العقد الفريد: ٣/ ٢٠۴.

(٣). شرح نهج البلاغة: ٢/ ٢۴٧ خطبة ٣۵.

فقال ابن عبّاس: يا ابن النابغة ضلَّ و اللَّه عقلك، و سفه حلمك، و نطقَ الشيطانُ على لسانك، هلّا تولّيت ذلك بنفسك يوم صفِّين حين دُعيت نَزالِ «١»، و تكافح الأبطال، و كثر الجراح، و تقصّفت «٢» الرماح، و برزت إلى أمير المؤمنين مصاولًا، فانكفأ نحوك بالسيف حاملًا، فلمّا رأيت الكواثر من الموت، أعددت حيلة السلامة قبل لقائه، و الانكفاء عنه بعد إجابة دعائه، فمنحته رجاء النجاة عورتك، و كشفت له خوف بأسه سوأتك، حَذَراً أنْ يصطلمك بسطوته، أو يلتهمَك «٣» بحملته ثمَّ أشرتَ على معاوية كالناصح له بمبارزته، و حسّنت له التعرّض لمكافحته، رجاء أن تكتفى مؤونته، و تعدم صورته، فعلِمَ غِلَّ صدرك، و ما انحنت عليه من النفاق أضلعك، و عرف مقرَّ سهمك فى غرضِك، فاكفف غربَ لسانك، و اقمع عوراء لفظك، فإنَّك بين أسدٍ خادر، و بحر زاخر، إن تبرّزت للأسد افترسك، و إن عُمت فى البحر قمسك- أى: غمسك و أغرقك. شرح ابن أبى الحديد «۴» (٢/ ١٠۵)، جمهرة الخطب «۵» (٢/ ٩٣).

عبد اللَّه المرقال و عمرو:

كان فى نفس معاوية من يوم صفِّين إحنٌ على هاشم بن عتبة بن أبى وقّاص المرقال و ولده عبد اللَّه، فلمّا استعمل معاوية زياداً على العراق كتب إليه:

أمّا بعد: فانظر عبد اللَّه بن هاشم، فشُدَّ يده إلى عنقه، ثمَّ ابعث به إلىَّ، فحمله زياد من البصرة مقيَّداً مغلولًا إلى دمشق، و قد كان زياد طرقه بالليل فى منزله

---

(١). نَزالِ: اسم فعل بمعنى: إنزل: أى حين قال الأبطال بعضهم لبعض: انزل. (المؤلف)

(٢). تقصّفت: تكسّرت. (المؤلف)

(۳). التهم الشیء: ابتلعه بمرّة. (المؤلف)

(۴). شرح نهج البلاغة: ۶/ ۲۹۸ خطبة ۸۳.

(۵). جمهرة خطب العرب: ۲/ ۱۰۲ رقم ۹۵، ۹۶.

ص: ۲۴۸

بالبصرة، فأُدخل إلی معاویة و عنده عمرو بن العاص، فقال معاویة لعمرو بن العاص: هل تعرف هذا؟ قال: لا. قال: هذا الذی یقول أبوه یوم صفِّین:

إنّی شریتُ النفسَ لمّا اعتلّا و أکثر اللوم و ما أقلّا

أعورُ یبغی أهلَهُ مَحَلّا قد عالج الحیاة حتی ملّا

لا بدَّ أن یَفُلَّ أو یُفلّا أسُلُّهمْ بذی الکعوب سلّا

لا خیر عندی فی کریمٍ ولّی فقال عمرو متمثِّلًا:

و قد ینبتُ المرعی علی دِمَنِ الثری و تبقی حزازاتُ النفوس کماهیا

و إنه لهو، دونک یا أمیر المؤمنین الضبَّ المضبَ «۱»، فاشخب أوداجه علی أسباجه- أثباجه- و لا ترجعه إلی أهل العراق فإنَّهم أهل فتنة و نفاق، و له مع ذلک هویً یردیه و بطانةٌ تغویه، فوالذی نفسی بیده لئن أفلت من حبائلک لَیُجَهِّزَنَّ إلیک جیشاً تکثر صواهله لشرٍّ یوم لک.

فقال عبد اللَّه و هو المقیَّد: یا ابن الأبتر هلّا کانت هذه الحماسة عندک یوم صفِّین؟ و نحن ندعوک إلی البراز، و أنت تلوذ بشمائل الخیل کالأَمَة السوداء و النعجة القوداء، أما إنَّه إن قتلنی قتل رجلًا کریم المخبرة، حمید المقدرة، لیس بالحبس المنکوس، و لا الثَلِب «۲» المرکوس «۳». فقال عمرو: دع کیت و کیت، فقد وقعت بین لحیی لهذم «۴» فَروس للأعداء، یسعطک إسعاط «۵» الکودن «۶» الملجَم.

(۱). من أضبّ یضبّ: أی صاح و تکلّم، و غاض و حقد. (المؤلف)

(۲). الثلب: المعيب المهان. (المؤلف)

(۳). المركوس: الضعيف. (المؤلف)

(۴). اللهذم: الحادّ القاطع من السيوف و الأسنّة و الأنياب. (المؤلف)

(۵). الإسعاط: إدخال الدواء فى الأنف. يقال: أسعطه الرمح: أى طعنه به فى أنفه. (المؤلف)

(۶). الكودن: البرذون الهجين، الفيل. الجمع كوادن. (المؤلف)

ص: ۲۴۹

قال عبد اللَّه: أكثر إكثارک، فإنّى أعلَمُکَ بَطِراً فى الرخاء، جباناً فى اللقاء، عيّابة عند كفاح الأعداء، ترى أن تقى مهجتک بأن تبدى سوأتک، أنسيت صفّين و أنت تدعى إلى النزال؟ فتحيد عن القتال، خوفاً أن يغمرک رجال لهم أبدان شداد، و أسنّة حداد، ينهبون السرح، و يذلّون العزيز. فقال عمرو: لقد علم معاوية أنّى شهدت تلک المواطن، فكنت فيها كمدرة الشوک، و لقد رأيت أباک فى بعض تلک المواطن تخفق أحشاؤه، و تنقّ أمعاؤه. قال: أما و اللَّه لو لقيک أبى فى ذلک المقام، لارتعدت منه فرائصک، و لم تسلم منه مهجتک، و لكنَّه قاتل غيرک، فقُتل دونک. فقال معاوية: ألا تسكت؟! لا أمَّ لک. فقال: يا ابن هند أ تقول لى هذا؟ و اللَّه لئن شئت لأُعرقنَّ جبينک، و لأُقيمنّک و بين عينيک و سمٌ يلين له خدعاک، أ بأكثر من الموت تخوّفنى؟ فقال معاوية: أ وَ تكفّ يا ابن أخى؟ و أمر بإطلاق عبد اللَّه، فقال عمرو لمعاوية:

أمرتُکَ أمراً حازماً فعصيتَنى ... و كان من التوفيق قتلُ ابن هاشمِ

أليس أبوهُ يا معاويةُ الذى ... أعانَ عليّا يوم حزِّ الغلاصمِ«۱»

فلم ينثنى حتى جرت من دمائنا ... بصفّين أمثالُ البحور الخضارمِ«۲»

و هذا ابنه و المرءُ يُشبه شيخَهُ«۳» ... و يوشک أن تقرع به سنَّ نادمِ

فقال عبد اللَّه يُجيبه:

معاوِيَ إنَّ المرءَ عَمْراً أبت لهُ ... ضغينةُ صدرٍ غِشُّها غير نائمِ

يرى لک قتلى يا ابن هندٍ و إنّما ... يرى ما يرى عمرو ملوک الأعاجمِ

على أنَّهم لا يقتلُون أسيرَهم ... إذا كان منهُ بيعةٌ للمسالمِ

(۱). جمع غلصمة: اللحم بين الرأس و العنق. يعنى: أيام الحرب. (المؤلف)

(۲). الخضرم- بالكسر-: البحر العظيم الماء. (المؤلف)

(۳). فى كامل المبرّد: عيصه، يعنى: أصله. (المؤلف)

و قد كان منّا يوم صفّين نقرةٌ عليک جناها هاشمٌ و ابن هاشمِ

قضى ما انقضى منها و ليس الذى مضى و لا ما جرى إلّا كأضغاث حالمِ

فإن تعفُ عنّى تعفُ عن ذى قرابةٍ و إن تَرَ قَتلى تَسْتَحِلَّ محارمى

فقال معاوية:

أرى العفو عن عليا قريش وسيلةً إلى اللَّه فى اليوم العصيب القُماطر«۱»

و لست أرى قتل العداة ابن هاشم بإدراک ثارى فى لؤىٍّ و عامرِ

بل العفو عنه بعد ما بان جُرْمُهُ و زلّت به إحدى الجدود العواثرِ

فكان أبوه يوم صفّين جمرةً علينا فأردته رماحُ النهابر«۲»

كتاب صفّين لابن مزاحم «۳» (ص ۱۸۲)، كامل المبرّد «۴» (۱/ ۱۸۱)، مروج الذهب «۵» (۲/ ۵۷- ۵۹)، شرح ابن أبى الحديد «۶» (۲/ ۱۷۶).

لعلَّ الباحث لا يخفى عليه أنَّ كلَّ سوأة و عورة ذُكر بها المترجَم له فى التاريخ الصحيح، و ما يعزى إليه و عُرِف به من المساوئ فى طيّات تلكم الكلمات الصادقة المذكورة، من الوضاعة، و الغواية، و الغدر، و المكر، و الحيلة، و الخدعة، و الخيانة، و الفجور، و نقض العهد، و كذب القول، و خلف الوعد، و قطع الإلّ، و الحقد، و الوقاحة، و الحسد، و الرياء، و الشحّ، و البذاء، و السفه، و الوغادة، و الجور،

---

(١). القماطر- بالضم-: الشديد. (المؤلف)

(٢). النهابر و النهابير: المهالک. و الواحدة: نهبرة، نهبور، نهبورة. (المؤلف)

(٣). وقعة صفّين: ص ٣۴٨.

(۴). الكامل فى اللغة و الأدب: ١/ ٢١٩.

(۵). مروج الذهب: ٣/ ١٧ ٢٠.

(۶). شرح نهج البلاغة: ٨/ ٣٠ ٣١ خطبة ١٢۴.

و الظلم، و المِراء، و الدناءة، و اللؤم، و المَلَق، و الجلافة، و البخل، و الطمع، و اللّدد، و عدم الغيرة على حليلته، إلى غير ذلک من المعاير النفسيّة و أضداد مكارم الأخلاق، ليست هذه كلّها إلّا من علائم النفاق، و من رشحات عدم الإسلام المستقرِّ، و انتفاء الإيمان باللَّه و بما جاء به النبىُّ الأقدس؛ إذ الإسلام الصحيح هو المصلح الوحيد للبشر، و مهذِّب النفس بمكارم الأخلاق، و مجتمع الفضائل، و أساس كلِّ فضل و فضيلة، و أصل كلِّ محمدة و مكرمة، و به يتأتّى الصلاح فى النفوس مهما سرى الإيمان من عاصمة مملكة البدن- القلب- إلى سائر الأعضاء و الجوارح و احتلّها و استقرّ بها.

و ذلک أنَّ مَثَل الإيمان فى المملكة البدنيّة الجامعة لشتات آحاد الجوارح و الأعضاء كمثل دستور الحكومات فى الممالک الجامعة لأفراد الأشخاص، فكما أنَّ القوانين المقرَّرة فى الحكومات و الدول مبثوثة فى الأفراد، و كلُّ فرد من المجتمع له تكليفٌ يخصُّ به، و واجبٌ يحقُّ عليه أن يقوم به، و حدٌّ محدودٌ يجب عليه رعايته، و بصلاح الأفراد و قيام كلِّ فرد منهم بواجبه يتمُّ صلاح المجتمع، و يحصل التقدّم و الرقىُّ فى الحكومات، كذلک الإيمان فى المملكة البدنيّة فإنَّه قوانين مبثوثة فى الأعضاء و الجوارح العاملة فيها، و لكلّ منها بنصِّ الذكر الحكيم تكليفٌ يخصُّ به، و حدٌّ معيَّنٌ فى السنّة يجب عليه رعايته و التحفّظ به، و أخذ كلِّ بما وجب عليه هو إيمانه و به يحصل صلاحه، فواجب القلب غير فريضة اللسان، و فريضته غير واجب الأُذن، و واجبها غير ما كلّف به البصر، و فرضه غير واجب اليدين و واجبهما غير تكليف الرجلين و هكذا و هكذا، و إنَّ السمع و البصر و الفؤاد كلُّ أولئک كان عنه مسؤولًا، و هذا البيان يُستفاد من

قول النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فيما أخرجه الحافظ ابن ماجة فى سننه «۱» (۱/ ۳۵): «الإيمان معرفةٌ بالقلب، و قولٌ باللسان، و عملٌ بالأركان» «۲».

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «الإيمان بضع و سبعون شعبة، فأفضلها لا إله إلّا اللّه، و أدناها

---

(۱). سنن ابن ماجة ۱/ ۲۵ ح ۶۵.

(۲). و بهذا اللفظ يروى عن أمير المؤمنين كما فى نهج البلاغة [ص ۵۰۸ حكمة ۲۲۷]. (المؤلف)

إماطة الأذى عن الطريق، و الحياء شعبة من الإيمان» «۳».

و من هنا يقبل الإيمان ضعفاً و قوّةً، و زيادةً و نقصاً، و يتّصف الإنسان فى آن واحد بطرفى السلب و الإيجاب باعتبارين، فيثبت له الإيمان من جهة و ينفى عنه بأخرى، و من هنا يعلم معنى

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «لا يزنى الزانى حين يزنى و هو مؤمن، و لا يسرق السارق حين يسرق و هو مؤمن، و لا يشرب الخمر حين يشربها و هو مؤمنٌ» «۴».

فلا يتأتّى صلاح المملكة البدنيَّة إلّا بالسلم العامّ و قيام جميع أجزائها بواجبها، و امتثال كلِّ فرد منها فيما فُرض عليه، و لا يكمل الإيمان إلّا بتحقّق شُعَبه.

و كما أنَّ انتفاء الإيمان عن كلِّ عضو و جارحة مكلّفة يكشف عن ضعف إيمان القلب و تضعضع حكومة الإسلام فيه، اذ هو أميرالبدن و لا ترد الجوارح و لا تصدر إلّا عن رأيه و أمره، كذلك الصفات النفسيّة؛ فإنَّ منها ما هو الكاشف عن قوّة الإيمان القلبى و ضعفه كما

ورد فى النبوىّ الشريف، فيما أخرجه الحافظ المنذرى فى الترغيب و الترهيب «۵» (۳/ ۱۷۱): «إنَّ المرء لَيَكون مؤمناً و إنَّ فى خلقه شيئاً فيُنقص ذلك من إيمانه».

و منها ما يلازم النفاق و لا يفارقه و لا يجتمع مع شىء من الإيمان و إن صلّى صاحبه و صام، و به عُرِّف المنافق فى القرآن العزيز.

---

(۳). أخرجه البخارى [صحيح البخارى: ۱/ ۱۲ ح ۹ و فيه: الإيمان بضع و ستون]، مسلم [صحيح مسلم: ۱/ ۹۲ ح ۵۷ كتاب

الإیمان]، أبو داود [سنن أبی داود: ۴/ ۲۱۹ ح ۴۶۷۶]، الترمذی [سنن الترمذی: ۵/ ۱۲ ح ۲۶۱۴]، النسائی [السنن الکبری ۶/ ۵۳۲ ح ۱۱۷۳۶]، ابن ماجة [سنن ابن ماجة: ۱/ ۲۲ ح ۵۷]. (المؤلف)

(۴). أخرجه مسلم [صحیح مسلم ۱/ ۱۰۸ ح ۱۰۰ کتاب الإیمان] و غیره. (المؤلف)

(۵). الترغیب و الترهیب: ۳/ ۴۱۱ ح ۳۶.

ص: ۲۵۳

فإلیک ما ورد عن النبیِّ الأقدس فی کثیر من الصفات المذکورة المعزوّة إلی المترجَم له، حتی تکون علی بصیرة من الأمر، فلا یغرّنّک تقلّب الذین طغوا فی البلاد و أکثروا فیها الفساد.

-۱

«آیة المنافق ثلاثٌ: إذا حدّث کذب. و إذا وعد أخلف. و إذا ائتُمن خان».

أخرجه: البخاری و مسلم، و فی روایة مسلم: «و إن صام و صلّی و زعم أنَّه مسلم» «۱».

-۲

«أربع من کنَّ فیه کان منافقاً خالصاً، و من کانت فیه خصلةٌ منهنَّ کانت فیه خصلة من النفاق حتی یدعها: إذا ائتُمن خان، و إذا حدّث کذب، و إذا عاهد غدر، و إذا خاصم فجر».

أخرجه: البخاری، و مسلم، أبو داود، الترمذی، النسائی «۲».

-۳

«لا إیمان لمن لا أمانة له، و لا دین لمن لا عهد له».

أخرجه: أحمد، البزّار، الطبرانی، ابن حبّان، أبو یعلی، البیهقی «۳».

-۴

«المسلم من سلم المسلمون من یده و لسانه».

متّفق علیه.

-۵

«الكذب مجانبٌ للإيمان». ابن عدیّ، و البیهقی «۴».

-۶

«المكر و الخديعة فی النار». الديلمی «۵»، القضاعی.

---

(۱). صحيح البخاری: ۱/ ۲۱ ح ۳۳، صحيح مسلم: ۱/ ۱۱۱ ح ۱۰۷ كتاب الإيمان.

(۲). صحيح البخاری: ۱/ ۲۱ ح ۳۴، صحيح مسلم: ۱/ ۱۱۰ ح ۱۰۶ كتاب الإيمان، سنن أبی داود: ۴/ ۲۲۱ ح ۴۶۸۸، سنن الترمذی: ۵/ ۲۰ ح ۲۶۳۲، السنن الكبری للنسائی: ۶/ ۵۳۵ ح ۱۱۷۵۱.

(۳). مسند أحمد بن حنبل: ۳/ ۵۹۴ ح ۱۱۹۷۵، المعجم الكبير: ۱۰/ ۲۲۷ ح ۱۰۵۵۳، صحيح ابن حبّان: ۱/ ۴۲۲ ح ۱۹۴، مسند أبی يعلی: ۵/ ۲۴۷ ح ۲۸۶۳، السنن الكبری للبيهقی: ۶/ ۲۸۸.

(۴). الكامل فی ضعفاء الرجال: ۱/ ۲۹، شعب الإيمان: ۴/ ۲۰۶ ح ۴۸۰۴.

(۵). الفردوس: ۴/ ۲۱۷ ح ۶۶۵۸.

-۷

«المؤمن ليس بحقود». الغزالی، ابن الديبع «۱».

-۸

«لا إيمان لمن لا حياء له». ابن حبّان، ابن الديبع «۲».

-۹

«الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبرُ العسل». الديلمی، ابن الديبع «۳».

-۱۰

«الغيرة من الإيمان و البذاء من النفاق». الديلمى، القضاعى، ابن الديبع «۴».

-۱۱

«اليسير من الرياء شركٌ، و من عادى أولياء اللّه فقد بارز اللّه بالمحاربة». ابن ماجة، الحاكم، البيهقى «۵».

-۱۲

«من أرضى سلطاناً بما يسخط به ربّه خرج من دين اللّه». الحاكم «۶».

-۱۳

«الحياء من الإيمان».

البخارى، مسلم، أبو داود، الترمذى، النسائى، ابن ماجة «۷».

-۱۴

«سبابُ المسلم فسوق، و قتاله كفر».

البخارى، مسلم، الترمذى، النسائى، ابن ماجة «۸».

-۱۵

«لا يجتمع فى جوفِ عبدٍ الإيمان و الحسد». ابن حبّان، البيهقى «۹».

---

(۱). إحياء علوم الدين: ۳/ ۱۷۳، تمييز الطيب من الخبيث: ص ۱۹۸ ح ۱۵۱۰.

(۲). تمييز الطيّب من الخبيث: ص ۲۰۹ ح ۱۵۸۶.

(۳). تمييز الطيّب من الخبيث: ص ۷۹ ح ۵۲۸.

(۴). الفردوس: ۳/ ۱۱۷ ح ۴۳۲۶، تمييز الطيّب من الخبيث: ص ۱۲۷ ح ۹۱۲.

(۵). سنن ابن ماجة: ۲/ ۱۳۲۱ ح ۳۹۸۹، المستدرک على الصحيحين: ۱/ ۴۴ ح ۴، شعب الإيمان: ۵/ ۳۲۸ ح ۶۸۱۲.

(۶). المستدرک علی الصحیحین: ۴/ ۱۱۶ ح ۷۰۷۱.

(۷). صحیح البخاری: ۱/ ۱۷ ح ۲۴، صحیح مسلم: ۱/ ۹۳ ح ۵۹ کتاب الإیمان، سنن أبی داود: ۴/ ۲۱۹ ح ۴۶۷۶، سنن الترمذی: ۴/ ۳۲۱ ح ۲۰۰۹، السنن الکبری للنسائی: ۶/ ۵۳۷ ح ۱۱۷۶۴، سنن ابن ماجة: ۲/ ۱۴۰۰ ح ۴۱۸۴.

(۸). صحیح البخاری: ۱/ ۲۷ ح ۴۸، صحیح مسلم: ۱/ ۱۱۴ ح ۱۱۶ کتاب الإیمان، السنن الکبری للنسائی: ۲/ ۳۱۳ ح ۳۵۷۰، سنن ابن ماجة: ۱/ ۲۷ ح ۶۹.

(۹). صحیح ابن حبان: ۱۰/ ۴۶۶ ح ۴۶۰۶، شعب الإیمان: ۵/ ۲۶۷ ح ۶۶۰۹.

ص: ۲۵۵

-۱۶

«الشحُّ و العجزُ و البذاءُ من النفاق». الطبرانی، أبو الشیخ «۱».

-۱۷

«لا یجتمع شحٌّ و إیمانٌ فی قلب عبدٍ أبداً». النسائی، ابن حبّان، الحاکم «۲».

-۱۸

«خصلتان لا یجتمعان فی مؤمن: البخلُ، و سوءُ الخلق». البخاری، الترمذی و غیرهما «۳».

-۱۹

«المؤمن غرٌّ کریم، و الفاجر خبٌ «۴» لئیم». أبو داود، الترمذی، أحمد «۵».

-۲۰

«إنَّ الرجل لا یکون مؤمناً حتی یکون قلبُهُ مع لسانه سواءً، و یکون لسانهُ مع قلبه سواء، و لا یخالف قوله عمله». الأصبهانی «۶».

-۲۱

«الحیاء و الإیمان قُرناء جمیعاً، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر». الحاکم، الطبرانی «۷».

-٢٢

«إنَّ اللّه إذا أراد أن يُهلک عبداً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلّا مقيتاً ممقتاً نُزعت منه الأمانة، فإذا نُزعت منه الأمانة لم تلقهُ إلّا خائناً مخوناً، فإذا لم تلقهُ إلّا خائناً مخوناً نُزعت منه الرحمة، فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقهُ إلّا رجيماً مُلعناً، فإذا لم تلقه إلّا رجيماً مُلعناً نُزعت منه ربقة الإسلام» ابن ماجة، و المنذرى «٨».

---

(١). المعجم الكبير: ١٩/ ٣٠ ح ۶٣.

(٢). السنن الكبرى: ٣/ ١٠ ح ۴٣١٩، صحيح ابن حبّان: ٨/ ۴٣ ح ٣٢٥١، المستدرک على الصحيحين: ٢/ ٨٢ ح ٢٣٩٥.

(٣). سنن الترمذى: ۴/ ٣٠٢ ح ١٩۶٢.

(۴). الخبّ: الخداع. (المؤلف)

(۵). سنن أبى داود: ۴/ ٢۵١ ح ۴٧٩٠، سنن الترمذى: ۴/ ٣٠٣ ح ١٩۶۴، مسند أحمد بن حنبل: ٣/ ١٠٣ ح ٨٨٧۴.

(۶). الترغيب و الترهيب: ٣/ ٢٣۶ ح ٩، نقلًا عن الاصبهانى.

(٧). المستدرک على الصحيحين: ١/ ٧٣ ح ۵٨، المعجم الصغير: ١/ ٢٢٣ و فيه بلفظ: الحياء و الإيمان مقرونان لا يفترقان إلّا جميعاً.

(٨). سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣۴٧ ح ۴٠۵۴، الترغيب و الترهيب: ٣/ ۴٠٠ ح ١۴.

ص: ٢۵۶

وفاته:

توفّى ليلة الفطر سنة (۴٣) على ما هو الأصح عند المؤرِّخين، و قيل غير ذلک، و عاش نحو تسعين سنة، و قال العجلى عاش تسعاً و تسعين سنة. قال اليعقوبى فى تاريخه «١» (٢/ ١٩٨): لمّا حضرت عمراً الوفاة قال لابنه: لودَّ أبوک أنَّه كان مات فى غزاة ذات السلاسل؛ إنّى قد دخلت فى أمور لا أدرى ما حجّتى عند اللّه فيها. ثمَّ نظر إلى ماله فرأى كثرته، فقال: يا ليته كان بعراً، يا ليتنى متُّ قبل هذا اليوم بثلاثين سنة، أصلحت لمعاوية دنياه و أفسدت دينى، آثرت دنياى و تركت آخرتى، عَمِى علىَّ رشدى حتى حضرنى أجلى، كأنّى بمعاوية قد حوى مالى و أساء فيكم خلافتى.

قال ابن عبد البرّ فى الاستيعاب «٢» (٢/ ۴٣۶): دخل ابن عبّاس على عمرو بن العاص فى مرضه فسلّم عليه، و قال: كيف أصبحت يا أبا عبد اللّه؟ قال: أصبحت و قد أصلحت من دنياى قليلًا، و أفسدت من دينى كثيراً، فلو كان الذى أصلحت هو الذى

أفسدت، و الذى أفسدت هو الذى أصلحت لفُزت، و لو كان ينفعنى أن أطلب طلبت، و لو كان ينجينى أن أهرب هربت، فصرت كالمنخنق بين السماء و الأرض، لا أرقى بيدين و لا أهبط برجلين، فعظنى بعظة أنتفع بها يا ابن أخى.

فقال له ابن عبّاس: هيهات يا أبا عبد اللَّه صار ابن أخيک أخاک، و لا تشاء أن تبكى إلّا بكيت، كيف يؤمن برحيل من هو مقيمٌ؟ فقال عمرو: و على حينها «٣» حين ابن بضع و ثمانين سنة تقنطنى من رحمة ربّى؟ اللهمَّ إنَّ ابن عبّاس يقنطنى من رحمتک، فخذ منّى حتى ترضى. قال ابن عبّاس: هيهات يا أبا عبد اللَّه أخذت جديداً و تعطى خَلَقاً! فقال عمرو: مالى و لک يا ابن عبّاس؟ ما أرسلت كلمة إلّا أرسلت نقيضها.

قال عبد الرحمن بن شماسة: لمّا حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى، فقال له

---

(١). تاريخ اليعقوبى: ٢/ ٢٢٢.

(٢). الاستيعاب: القسم الثالث/ ١١٨٩ رقم ١٩٣١.

(٣). يعنى حين الوفاة. (المؤلف)

ابنه عبد اللَّه: لِمَ تبكى أ جزعاً من الموت؟ قال: لا و اللَّه و لكن لما بعده. فقال له: قد كنت على خير. فجعل يُذَكّرُه صحبة رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم و فتوحه الشام، فقال له عمرو: تركت أفضل من ذلک: شهادة أن لا إله إلّا اللَّه. إنّى كنت على ثلاثة أطباق ليس منها طبقٌ إلّا عرفت نفسى فيه، كنت أوّل شىء كافراً فكنت أشدَّ الناس على رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم، فلو متُّ يومئذ وجبت لى النار. فلمّا بايعتُ رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم كنت أشدَّ الناس حياءً منه فما ملأت عينى من رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم حياءً منه، فلو متُّ يومئذ قال الناس: هنيئاً لعمرو أسلم و كان على خير، و مات على خير أحواله، فترجى له الجنّة. ثمَّ بُليت بعد ذلک بالسلطان و أشياء فلا أدرى أ علىَّ أم لى؟! فإذا متُّ فلا تبكينَّ علىَّ باكيةٌ، و لا يتبعنى مادح و لا نار، و شدّوا علىّ إزارى فإنّى مخاصم، و شنّوا علىَّ التراب [شنّا] «١»، فإنَّ جنبى الأيمن ليس بأحقّ بالتراب من جنبى الأيسر.

فائدة:

يوجد اسم والد المترجَم له فى كثير من كلمات الأصحاب العاصى بالياء، و كذا ورد فى شعر أمير المؤمنين:

لأُوردنَّ العاصىَ ابن العاصى سبعين ألفاً عاقدى النواصى

و فی رجز الأشتر:

ویحک یا ابن العاصی تنحَّ فی القواصی

و یُذکر بالیاء فی کتب غیر واحد من الحفّاظ، و قال الحافظ النووی فی تهذیب الأسماء و اللغات «۲» (۲/ ۳۰): و علیه الجمهور و هو الفصیح عند أهل العربیّة. ثمَّ قال: و یقع فی کثیر من کتب الحدیث و الفقه أو أکثرها بحذف الیاء و هی لغة، و قد قُری فی السبع نحوه کالکبیر المتعال، و الداع.

---

(۱). ما بین المعقوفین أثبتناه من المصدر.

(۲). تهذیب الأسماء و اللغات: ۲/ ۳۰ رقم ۱۸.

۵- محمد الحمیری

بحقِّ محمدٍ قولوا بحقٍ فإنَّ الإفک من شِیَم اللئامِ

أبعدَ محمدٍ بأبی و أمّی رسول اللّه ذی الشرف التهامی

ألیس علیٌّ أفضلَ خلقِ ربِّی و أشرفَ عند تحصیل الأنامِ

ولایتُهُ هی الإیمانُ حقّا فذَرْنی من أباطیلِ الکلامِ

و طاعةُ ربِّنا فیها و فیها شفاءٌ للقلوبِ مِن السقامِ

علیٌّ إمامُنا بأبی و أمّی أبو الحسنِ المطهَّرُ من حرامِ

إمامُ هدیً أتاهُ اللّه عِلماً به عُرِفَ الحلالُ من الحرامِ

و لو أنّی قَتلْتُ النفسَ حُبّا له ما کان فیها من أثامِ

یحِلُّ النارَ قومٌ أبغضوهُ و إن صلّوا و صاموا ألفَ عامِ

و لا و اللّه لا تزکو صلاةٌ بغیر ولایةِ العدلِ الإمامِ

أمیرَ المؤمنین بک اعتمادی و بالغُرِّ المیامینِ اعتصامی

فهذا القولُ لی دینٌ و هذا إلی لقیاکَ یا ربّی کلامی

برئت من الذی عادی علیّا و حاربه من اولادِ الطغامِ

تناسوا نصبَهُ فی یوم خمٍ من الباری و من خیر الأنامِ

برغم الأنفِ من یشنأ کلامی علیٌّ فضلُهُ کالبحر طامی

و أبرأُ من أُناسٍ أخّروهُ و کان هو المقدَّمَ بالمقامِ

ص: ۲۶۰

علیٌّ هزّم الأبطالَ لمّا رأوا فی کفِّهِ بَرْقَ الحُسامِ

ما یتبع الشعر

هذه القصیدة رواها شیخ الإسلام الحمّوئی فی الباب الثامن و الستّین من فرائد السمطین «۱»، بإسناده عن الحافظ الکبیر أبی عبد اللّه محمد بن أحمد بن علیّ بن أحمد بن محمد بن إبراهیم النطنزی، مصنِّف کتاب الخصائص العلویّة علی سائر البریّة، قال: أنبأنا أبو الفضل جعفر بن عبد الواحد بن محمد بن محمود الثقفی بقراءتی علیه، قال: أنبأنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الرحیم، قال: أنبأنا أبو الشیخ، قال: حدّثنا محمد بن أحمد بن معدان، حدّثنا محمد بن زکریّا، حدّثنا عبد اللّه بن الضحّاک، حدّثنا هشام بن محمد، عن أبیه، قال:

اجتمع الطرمّاح الطائی، و هشام المرادی، و محمد بن عبد اللّه الحمیری عند معاویة بن أبی سفیان، فأخرج بدرةً فوضعها بین یدیه، و قال: یا معشر شعراء العرب قولوا قولکم فی علیٍّ بن أبی طالب، و لا تقولوا إلّا الحقَّ، و أنا نفیٌّ من صخر بن حرب إن أعطیت هذه البدرة إلّا من قال الحقَّ فی علیّ.

فقام الطرمّاح و تكلّم فى علىّ و وقع فيه، فقال له معاوية: اجلس فقد عرف اللَّه نيّتک، و رأى مكانک. ثمّ قام هشام المرادى فقال أيضاً و وقع فيه، فقال له معاوية: اجلس مع صاحبک فقد عرف اللَّه مكانكما. فقال عمرو بن العاص لمحمد بن عبد اللَّه الحميرى و كان خاصّا به: تكلّم و لا تقل إلّا الحقَّ، ثمَّ قال: يا معاوية قد آليتَ أن لا تعطى هذه البدرةَ إلّا من قال الحقَّ فى علىّ. قال: نعم، أنا نفيٌّ من صخر بن حرب إن أعطيتُها منهم إلّا من قال الحقَّ فى علىّ. فقام محمد بن عبد اللَّه فتكلّم ثمّ قال: بحقّ محمد قولوا بحقّ... القصيدة.

فقال معاوية: أنت أصدقهم قولًا، فخذ هذه البدرة.

---

(١). فرائد السمطين: ١/ ٣٧٥ ح ٣٠٥.

و رواها شيخنا الفقيه الكبير عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبى القاسم بن محمد الطبرى الآملى، فى الجزء الأوّل من بشارة المصطفى لشيعة المرتضى «١»، قال: أخبرنا الشيخ أبو عبد اللَّه أحمد بن محمد بن شهريار الخازن بمشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فى شوال سنة اثنتى عشرة و خمسمائة، قال: حدّثنى الشيخ أبو عبد اللَّه محمد بن محسن الخزاعى، قال: حدّثنا أبو الطيِّب علىّ بن محمد بن بنان، قال: حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد السكرى من كتابه، قال: حدّثنا أبو العبّاس أحمد بن محمد بن مسروق ببغداد من كتابه، قال: حدّثنا محمد بن دينار الضبِّى، قال: حدّثنا عبد اللَّه بن الضحّاک... إلى آخر السند و المتن.

و ذكرها صاحب رياض العلماء «٢» فى ترجمة الشريف المرتضى نقلًا عن شيخ الإسلام الحمّوئى.

الشاعر

محمد بن عبد اللَّه الحميرى زميل عمرو بن العاص، أحسبه ابن القاضى عبد اللَّه ابن محمد الحميرى الذى قلّده معاوية بن أبى سفيان ديوان الخاتم، و كان قاضياً كما ذكره الجهشيارى فى كتاب الوزراء و الكتّاب «٣» (ص ١٥) قال: كان معاوية أوّل من اتّخذ ديوان الخاتم، و كان سبب ذلک: أنّه كتب لعمرو بن الزبير بمائة ألف درهم إلى زياد و هو عامله على العراق، ففضّ عمرو الكتاب و جعلها مائتى ألف درهم، فلمّا رفع زياد حسابه قال معاوية: ما كتبت له إلّا بمائة ألف. و كتب إلى زياد بذلک و أمره أن يأخذ المائة ألف منه، فحبسه بها فاتّخذ معاوية ديوان الخاتم و قلّده عبد اللَّه بن محمد الحميرى و كان قاضياً... انتهى.

---

(١). بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: ص ١٠- ١١.

(٢). رياض العلماء: ۴/ ۵۹.

(۳). الوزراء و الكتّاب: ص ۲۴.

ص: ۲۶۲

و يُحتمل قويّا أن يكون صاحب الشعر هو القاضى عبد اللّه نفسه، و وقع الاشتباه بتقديم الوالد على الولد.

و أمّا ديوان الخاتم فقد اخترعه معاوية، قال ابن الطقطقى فى الآداب السلطانية «۱» (ص ۷۸): و ممّا اخترع معاوية من أمور الملک ديوان الخاتم، و هذا ديوانٌ معتبرٌ من أكابر الدواوين، لم تزل السنّة جارية به إلى أواسط دولة بنى العبّاس فأُسقط، و معناه: أن يكون ديوانٌ و به نوّابٌ، فإذا صدر توقيعٌ من الخليفة بأمر من الأمور أُحضر التوقيع إلى ذلک الديوان، و أُثبتت نسخته فيه، و حُزم بخيط و خُتم بشمع، كما يُفعل فى هذا الزمان بكتب القضاة. و خُتم بختم صاحب ذلک الديوان.

---

(۱). الآداب السلطانية: ص ۱۰۷.

ص: ۲۶۳

شعراء الغدير فى القرن الثانى

ص: ۲۶۵

۶- أبو المستهلّ الكميت

المولود (۶۰)

المتوفّى (۱۲۶)

نفى عن عينکَ الأرقُ الهجوعا — و همٌّ يمترى منها الدموعا

دخيلٌ فى الفؤادِ يهيجُ سُقماً — و حزناً كان من جَذَلٍ «۱» منوعا

و توكافُ «۲» الدموع على اكتئابٍ — أحلَّ الدهر موجَعَهُ الضلوعا

ترقرق أسحماً دَرَراً و سكباً — يشبّه سحّها غرباً هَموعا«۳»

لفقدانِ الخضارمِ من قريشٍ — و خيرِ الشافعين معاً شفيعا

لدى الرحمن يصدعُ بالمثانى — و كان له أبو حسنٍ قَريعا«۴»

حَطوطاً فی مسرّته و مولی إلی مرضاة خالقِهِ سریعا

و أصفاه النبیُّ علی اختیارٍ بما أعیا الرفوض له المذیعا

و یوم الدوحِ دَوحِ غدیرِ خمٍ أبان له الولایةَ لو أُطیعا

و لکنَّ الرجالَ تبایعوها فلم أرَ مثلها خَطَراً مبیعا

---

(۱). الجذل: الفرح. (المؤلف)

(۲). وکَفَ الدمع: سال.

(۳). رقرقت العین: أجرت دمعها. الأسحم: السحاب. یقال أسحمت السماء: صبّت ماءها. السحّ: الصبّ. الغرب: الدلو العظیمة. الهموع: السیّال. (المؤلف)

(۴). القریع: السیِّد. الرئیس. (المؤلف)

فلم أبلغْ بها لعناً و لکنْ أساءَ بذاک أوّلُهم صنیعا

فصار بذاک أقربَهم لعدلٍ إلی جور و أحفظهم مضیعا

أضاعوا أمرَ قائدِهم فضلّوا و أقومهم لدی الحدثانِ ریعا

تناسَوا حقّه و بَغَوا علیه بلا تِرةٍ و کان لهم قریعا

فقل لبنی أمیّة حیثُ حَلُّوا و إن خفتَ المُهنّد و القطیعا

ألا أُفٍّ لدهرٍ کنتُ فیه هدانا طائعاً لکمُ مُطیعا

أجاع اللَّه من أشبعتموهُ و أشبع من بجورکُمُ أُجیعا

و يلعنُ فَذَّ أمّته جهاراً إذا ساسَ البريّة و الخليعا

بمرضيِّ السياسةِ هاشميٍ يكون حَياً «۱» لأمّته ربيعا

و ليثاً فی المشاهد غير نكْس لتقويمِ البريّةِ مستطيعا

يُقيم أمورها و يذبُّ عنها و يترک جدبَها أبداً مَريعا

ما يتبع الشعر

هذه من غرر قصائد الكميت- الهاشميّات- المقدَّرة بخمسمائة و ثمانية و سبعين بيتاً كما نصَّ به صاحب الحدائق الورديّة «۲»، غير أنَّه عاثت فی طبعها يد النشر الأمينة علی ودائع العلم، فنقّصت منها شيئاً كثيراً لا يُستهان به مثل ما اجترحت فی طبع ديوان حسّان و الفرزدق و أبی نؤاس و غيرها كما مرّ (ص ۴۱)، و قد آنَ لِيَدِ التنقيب أن تميط الستار عن تلكم الجنايات المخبّأة، فالمطبوع منها فی ليدن سنة (۱۹۰۴) يتضمّن (۵۳۶) بيتاً. و المشروحة بقلم الاستاذ محمد شاكر الخياط (۵۶۰) بيتاً. و المشروحة بقلم الاستاذ الرافعی (۴۵۸) بيتاً علی هذا الترتيب.

من لقلبٍ متيَّمٍ مُستهامِ غيرَ ما صبوةٍ و لا أحلامِ

---

(۱). الحَيَا: المطر.

(۲). الحدائق الورديّة: ۲/ ۲۰۰.

طبع ليدن و الخيّاط (۱۰۳) بيتاً، و مشروحة الرافعی (۱۰۲) [بيتاً].

طربتُ و ما شوقاً إلی البيضِ أطرَبُ و لا لعباً منّی و ذو الشيب يلعبُ

طبع ليدن و الخيّاط (۱۴۰) [بيتاً]، و مشروحة الرافعی (۱۳۸) [بيتاً].

أنّى و من أين آبَکَ الطربُ من حيثُ لا صبوةٌ و لا رِيَبُ

طبع ليدن (۱۳۳) [بيتاً]، مشروحة الخيّاط (۱۳۲) [بيتاً]، مشروحة الرافعى (۶۷) بيتاً.

ألا هل عمٍ فى رأيه متأمِّلُ و هل مدبرٌ بعد الإساءة مقبلُ

طبع ليدن و الخيّاط (۱۱۱) [بيتاً]، مشروحة الرافعى (۸۹) بيتاً.

طربت و هل بکَ من مطربِ و لمْ تتصابَ و لم تلعبِ

طبع ليدن و الخيّاط (۳۳) [بيتاً]، مشروحة الرافعى (۲۸) بيتاً.

نفى عن عينکَ الأرقُ الهجوعا و همٌّ يمترى منها الدموعا

طبع ليدن (۲۰) [بيتاً]، و مشروحة الخيّاط (۲۱) [بيتاً]، و الرافعى (۱۹) بيتاً.

سل الهمومَ لقلب غيرِ مَتبولِ و لا رهينٍ لدى بيضاءَ عُطبولِ«۱»

طبع ليدن و الخيّاط (۷) أبيات، و ذكر الرافعى منها (۵) أبيات.

أهوى عليّا أميرَ المؤمنين و لا أرضى بشتم أبى بكر و لا عمرا

طبع ليدن و الخيّاط (٧) أبيات، و حذف الرافعى منها بيتاً [واحداً].

---

(١). تبله الحب أو الدهر فهو متبول: أسقمه. العطبول: المرأة الجميلة، الفتيّة الطويلة العنق. (المؤلف)

ستّة أبيات فائيّة و قافيّة و نونيّة و لم يذكر الرافعى البيتين النونيّين، فلمّا كانت العينيّة التى أثبتناها من الهاشميّات نذكر أوّلًا ما يخصُّ بها، ثمَّ نورد ما يرجع إلى الهاشميّات جملة واحدة، و نردفه بما ورد فى بعض قصائدها غير العينيّة.

العينيّة من الهاشميات:

قال شيخنا المفيد فى رسالته فى معنى المولى «١»: الكميت ممّن استُشهد بشعره فى كتاب اللَّه، و أجمع أهل العلم على فصاحته و معرفته باللغة، و رئاسته فى النظم، و جلالته فى العرب، حيث يقول:

و يوم الدوح دَوحِ غديرِ خمٍ أبان له الولاية لو أُطيعا

أوجب له الإمامة بخبر الغدير، و وصفه بالرئاسة من جهة المولى، و ليس يجوز على الكميت مع جلالته فى اللغة و العربيّة وضع عبارة على معنىً لم توضع عليه قطُّ فى اللغة، و لا استعملها قبله أحدٌ من أهل العربيّة، و لا عرفها بشىء كما وصف أحدٌ منهم، لأنَّه لو جاز عليه جاز على غيره ممّن هو مثله و فوقه و دونه، حتى تفسد اللغة بأسرها، و لا يكون لنا طريقٌ إلى معرفة لغة العرب على الحقيقة، و ينغلق الباب فى ذلک. انتهى.

و روى الكراجكى فى كنز الفوائد «٢» (ص ١٥٤) بإسناده عن هنّاد «٣» بن السرىّ قال: رأيت أمير المؤمنين علىَّ بن أبى طالب فى المنام، فقال لى: يا هنّاد. قلت: لبّيک يا أمير المؤمنين، قال: أنشدنى قول الكميت:

---

(١). رسالة فى معنى المولى، المطبوع ضمن مصنّفات الشيخ المفيد: ٨/ ١٨.

(٢). كنز الفوائد: ١/ ٣٣٣.

(٣). يروى عنه البخارى و جمع كثير، وثّقه النسائى و غيره، و صدّقه أبو حاتم [الجرح و التعديل ٩/ ١١٩ رقم ٥٠١]، ولد (١٥٢)، و توفّى (٢٤٣)، راجع تهذيب التهذيب: ١١/ ٧١ [١١/ ٦٢- ٦٣ رقم ١٠٩]. (المؤلف)

و يوم الدوحِ دَوحِ غدير خُمّ أبان له الولاية لو أُطيعا

قال: فأنشدته، فقال لى: خذ إليک يا هنّاد؛ فقلت: هات يا سيِّدى. فقال عليه السلام:

و لم أرَ مثل ذاک اليوم يوماً و لم أرَ مثله حقّا أُضيعا

و قال الشيخ أبو الفتوح فى تفسيره «۱» (۲/ ۱۹۳): رُوى عن الكميت، قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام فى المنام فقال: أنشدنى قصيدتک العينيّة، فأنشدته حتى انتهيت إلى قولى فيها:

و يوم الدوح دَوح غدير خُمّ أبان له الولاية لو أُطيعا

فقال- صلوات اللَّه عليه-: صدقت. ثمّ أنشد عليه السلام:

و لم أرَ مثلَ ذاک اليومِ يوماً و لم أرَ مثله حقّا أُضيعا

و رواه السيِّد فى الدرجات الرفيعة «۲»، و العقيلى نقلًا عن منهاج الفاضلين للحموى، و مرآة الزمان لابن الجوزى، و رواه سبط ابن الجوزى الحنفىّ فى تذكرته «۳» (ص ۲۰) عن شيخه عمرو بن صافى الموصلى، عن بعض.

و قال المرزبانى فى معجم الشعراء «۴» (ص ۳۴۸): مذهب الكميت فى التشيّع و مدح أهل البيت عليهم السلام فى أيام بنى أميّة مشهور، و من قوله فيهم:

فقل لبنى أميّة حيث حَلُّوا و إن خفتَ المهنّدَ و القطيعا

أجاعَ اللَّهُ من أشبعتموهُ و أشبع من بجورِكُمُ أُجيعا

---

(۱). تفسير أبى الفتوح الرازى: ۴/ ۲۸۰.

(۲). الدرجات الرفيعة: ص ۵۷۹.

(۳). تذكرة الخواص: ص ۳۳- ۳۴.

(۴). معجم الشعراء: ص ۲۳۹.

ص: ۲۷۰

و يُروى: أنّ أبا جعفر محمد بن علىّ، الإمام الطاهر رضى الله عنه لمّا أنشده الكميت هذه القصيدة دعا له. انتهى.

و فى الصراط المستقيم للبياضى العاملى «۱»: أنّه روى ابن الكميت: أنَّه رأى النبىَّ صلى الله عليه و آله و سلم فى النوم فقال: أنشدنى قصيدة أبيک العينيّة، فلمّا وصل إلى قوله:

و يوم الدوح دَوح غدير خمِ أبان له الولاية لو أُطيعا

بكى بكاءً شديداً، و قال: صدق أبوک رحمه اللَّه، إى و اللَّه لم أرَ مثله حقّا أُضيعا.

الهاشميّات:

ذكرها له المسعودى فى مروج الذهب «۲» (۲/ ۱۹۴)، و قال أبو الفرج «۳» و السيِّد العبّاسى «۴»: قصائد الكميت الهاشميّات من جيِّد شعره و مختاره. و قال الآمدى «۵» و ابن عمر البغدادى «۶»: للكميت بن زيد فى أهل البيت الأشعار المشهورة، و هى أجود شعره. و قال السندوبى «۷»: كان الكميت من خيرة شعراء الدولة الأمويّة، و كان عالماً بلغات العرب و أيّامهم، و من خير شعره و أفضله الهاشميّات، و هى القصائد التى ذكر فيها آل بيت الرسول بالخير.

روى أبو الفرج فى الأغانى «۸» (۱۵/ ۱۲۴) بإسناده عن محمد بن علىّ النوفلى،

---

(۱). الصراط المستقيم: ۱/ ۳۱۰.

(۲). مروج الذهب: ۳/ ۲۵۳.

(۳). فى الأغانى: ۳/ ۱۱۳ [۱۷/ ۳]. (المؤلف)

(۴). فى معاهد التنصيص: ۲/ ۲۶ [۳/ ۹۴ رقم ۱۴۸]. (المؤلف)

(۵). فى المؤتلف و المختلف: ص ۱۷۰ [رقم ۵۷۲]. (المؤلف)

(۶). خزانة الأدب: ۱/ ۱۴۴. (المؤلف)

(۷). فى تعليقه على البيان و التبيين للجاحظ: ۱/ ۵۴. (المؤلف)

(۸). الأغانى: ۱۷/ ۳۰.

قال: سمعت أبى يقول: لمّا قال الكميت بن زيد الشعر، كان أوّل ما قال الهاشميّات فسترها، ثمَّ أتى الفرزدق بن غالب، فقال له: يا أبا فراس إنَّک شيخ مضر و شاعرها، و أنا ابن أخيک الكميت بن زيد الأسدى: فقال له: صدقت أنت ابن أخى، فما حاجتک؟ قال: نفث على لسانى فقلت شعراً، فأحببتُ أن أعرضه عليک، فإن كان حسناً أمرتنى بإذاعته، و إن كان قبيحاً أمرتنى بستره، و كنت أولى من ستره علىَّ.

فقال له الفرزدق: أمّا عقلک فحسنٌ، و إنّى لأرجو أن يكون شعرک على قدر عقلک، فأنشدنى ما قلت، فأنشده:

طربتُ و ما شوقاً إلى البيض أطربُ

قال: فقال لى: فيمَ تطرب يا ابن أخى؟ فقال:

و لا لعباً منّى و ذو الشيب يلعبُ

فقال: بلى يا ابن أخى فالعب فإنَّک فى أوان اللعب. فقال:

و لم يُلهِنى دارٌ و لا رسمُ منزلٍ و لم يتطرّبنى بنانٌ مخضَّبُ

فقال: مايطربک يا ابن أخى؟ فقال:

و لا السانحاتُ البارحاتُ عشيّةً أمرَّ سليمُ القَرنِ أم مرّ أعضَبُ

فقال: أجل لا تتطيّر. فقال:

و لكن إلى أهل الفضائل و التقى و خير بنى حوّاء و الخيرُ يُطلبُ

فقال: و مَن هؤلاء ويحک؟ قال:

إلى النفر البيض الذين بحبِّهم إلى اللّه فيما نابنى أتقرّبُ

قال: أرحنى ويحک من هؤلاء؟ قال:

بنى هاشم رهطِ النبىِّ فإنَّنى بهم و لهم أرضى مراراً و أغضبُ

خفضت لهم منّی جناحی مودّةً إلی کنف عطفاه أهلٌ و مرحبُ

و کنت لهم من هؤلاء و هؤلا محبّا علی أنّی أُذمُّ و أُغضبُ

و أُرمی و أرمی بالعداوة أهلها و إنّی لأوذی فیهمُ و أُؤنَّبُ

فقال له الفرزدق: یا ابن أخی، أذع ثمّ أذع، فأنت و اللّه أشعر من مضی و أشعر من بقی.

و رواه المسعودی فی مروجه «۱» (۲/ ۱۹۴) و العبّاسی فی المعاهد (۲/ ۲۶) «۲».

روی الکشّی فی رجاله «۳» (ص ۱۳۴) بإسناده عن أبی المسیح عبد اللّه بن مروان الجوانی قال: کان عندنا رجلٌ من عباد اللّه الصالحین، و کان راویة شعر الکمیت- یعنی الهاشمیّات- و کان یُسمع ذلک منه، و کان عالماً بها، فترکه خمساً و عشرین سنة لا یستحلُّ روایته و إنشاده، ثمَّ عاد فیه، فقیل له: أ لم تکن زهدت فیها و ترکتها؟! فقال: نعم، و لکنّی رأیت رؤیا دعتنی إلی العود لها. فقیل له: و ما رأیت؟. قال: رأیت کأنّ القیامة قد قامت، و کأنّما أنا فی المحشر، فدفعت إلیَّ مجلّة.

قال أبو محمد: فقلت لأبی المسیح: و ما المجلّة؟ قال: الصحیفة. قال: نشرتها فإذا فیها: بسم اللّه الرحمن الرحیم. أسماء من یدخل الجنّة من محبِّی علیّ بن أبی طالب. قال: فنظرت فی السطر الأوّل فإذا أسماء قوم لم أعرفهم، و نظرت فی السطر الثانی فإذا هو کذلک، و نظرت فی السطر الثالث و الرابع فإذا فیها: و الکمیت بن زید الأسدی. قال: فذلک دعانی إلی العود فیه.

قال البغدادی فی خزانة الأدب «۴» (۱/ ۸۷): بلغ خالد القسری خبر هذه

---

(۱). مروج الذهب: ۳/ ۲۵۳.

(۲). معاهد التنصیص: ۳/ ۹۴ ۹۵ رقم ۱۴۸.

(۳). رجال الکشّی: ۲/ ۴۶۸ رقم ۳۶۷.

(۴). خزانة الأدب: ۱/ ۱۸۰.

القصیدة- یعنی قصیدة الکمیت- المسماة بالمذهَّبة التی أوّلها: ألا حیِّیت عنّا یا مدینا...

فقال: و اللَّه لأقتلنَّه، ثمّ اشترى ثلاثين جارية فى نهاية الحسن، فروّاهن القصائد- الهاشميّات- للكميت، و دسّهنَّ مع نخّاس إلى هشام بن عبد الملک فاشتراهنَّ، فأنشدنه يوماً القصائد المذكورة، فكتب إلى خالد. و كان يومئذٍ عامله بالعراق: أن ابعث إلىَّ برأس الكميت. فأخذه خالدٌ و حبسه، فوجّه الكميت إلى امرأته و لبس ثيابها و تركها فى موضعه و هرب من الحبس، فلمّا علم خالدٌ، أراد أن يُنَكِّل بالمرأة، فاجتمعت بنو أسد إليه و قالوا: ما سبيلک على امرأة لنا خُدعت؟ فخافهم و خلّى سبيلها «۱».

قال الثعالبى فى ثمار القلوب «۲» (ص ۱۷۱): عهدى بالخوارزمى يقول: من روى حوليّات زهير، و اعتذارات النابغة، و أهاجى الحطيئة، و هاشميّات الكميت، و نقائض جرير و الفرزدق، و خمريّات أبى نواس، و زهديّات أبى العتاهية، و مراثى أبى تمّام، و مدائح البحترى، و تشبيهات ابن المعتزّ، و روضيّات الصنوبرى، و لطائف كشاجم، و قلائد المتنبى، و لم يتخرّج فى الشعر فلا أشبَّ اللَّه تعالى قرنه.

خمّس الهاشميّات غير واحد من الشعراء منهم: الشيخ ملّا عبّاس الزيورى البغدادىّ، و العلّامة الشيخ محمد السماوى، و السيِّد محمد صادق آل صدر الدين الكاظمى، و شرحها الاستاذ محمد محمود الرافعى المصرى و أحسن فيه و فى مقدِّمته و ترجمة الكميت، و أجاد، و قال: الهاشميّات هى من مختار الكلام، و من رائق الشعر و شيّقه، و جيِّد القول و طريفه، أحسن فيه كلَّ الإحسان، و أجاد كلَّ الإجادة. و شرحها الاستاذ محمد شاكر الخيّاط النابلسى.

الميميّة من الهاشميّات:

من لقلبٍ متيَّمٍ مُستهامِ غير ما صبوةٍ و لا أحلام

---

(۱). سيأتيک عن الأغانى تفصيل القصة إن شاء اللَّه تعالى. (المؤلف)

(۲). ثمار القلوب: ص ۲۱۶ رقم ۲۸۸.

قال صاعد مولى الكميت: دخلنا على أبى جعفر محمد بن علىّ عليهما السلام فأنشده الكميت قصيدته هذه، فقال: «اللهمَّ اغفر للكميت، اللهمَّ اغفر للكميت». الأغانى «۱» (۱۵/ ۱۲۳).

قال نصر بن مزاحم المنقرى: إنَّه رأى النبىَّ صلى الله عليه و آله و سلم فى النوم، و بين يديه رجلٌ ينشده:

من لِقَلْبٍ مُتيَّمٍ مُستهامِ غير ما صبوةٍ و لا أحلام

قال: فسألت عنه فقيل لی: هذا الكميت بن زيد الأسدی.

قال: فجعل النبیُّ صلی الله علیه و سلم یقول: جزاک اللَّه خیراً، و أثنی علیه. الأغانی «۲» (۱۵/ ۱۲۴)، المعاهد «۳» (۲/ ۲۷).

روی الكشّی فی رجاله «۴» (ص ۱۳۶) بإسناده عن زرارة، قال: دخل الكميت علی أبی جعفر علیه السلام و أنا عنده فأنشده:

من لقلبٍ متيَّمٍ مُستهامِ غير ما صبوةٍ و لا أحلام

فلمّا فرغ منها، قال للكميت: «لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما دمت تقول فينا».

و روی فی (ص ۱۳۵) بإسناده عن يونس بن يعقوب، قال: أنشد الكميت أبا عبد اللَّه علیه السلام شعره:

أخلص اللَّه فی هوای فما أغر ق نزعاً و ما تطيش سهامی

---

(۱). الأغانی: ۱۷/ ۲۷.

(۲). الأغانی: ۱۷/ ۲۹.

(۳). معاهد التنصيص: ۳/ ۹۵ رقم ۱۴۸.

(۴). رجال الكشّی: ۲/ ۴۶۷ رقم ۳۶۶ و ص ۴۶۱ رقم ۳۶۲.

فقال أبو عبد اللَّه علیه السلام: «لا تقل هكذا و لكن قل: قد أغرق نزعاً».

و رواه ابن شهرآشوب فی المناقب «۱»، و فی لفظه: فقلت: يا مولای أنت أشعر منّی بهذا المعنی. و روی الحديثين الطبرسی فی إعلام الوری «۲» (ص ۱۵۸).

قال المسعودی فی مروج الذهب «۳» (۲/ ۱۹۵): قدم الکمیت المدینة، فأتی أبا جعفر محمد بن علیّ بن الحسین بن علی فأذن له لیلًا و أنشده، فلمّا بلغ المیمیّة قوله:

و قتیلٌ بالطفِّ غودر منهم بین غوغاء أمّةٍ و طغامِ

بکی أبو جعفر ثمَّ قال: «یا کمیت لو کان عندنا مالٌ لأعطیناک، و لکن لک ما قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم لحسّان بن ثابت: لا زلت مؤیَّداً بروح القدس ما ذببتَ عنّا أهل البیت».

فخرج‌من عنده فأتی عبد اللَّه بن الحسن بن علیٍّ، فأنشده فقال: یا أبا المستهلّ إنَّ لی ضیعة أُعطیت فیها أربعة آلاف دینار، و هذا کتابها، و قد أشهدت لک بذلک شهوداً، و ناوله إیّاه. فقال: بأبی أنت و أمّی، إنّی کنت أقول الشعر فی غیرکم أرید بذلک الدنیا، و لا و اللَّه ما قلت فیکم إلّا للَّه، و ما کنت لآخذ علی شیء جعلته للَّه مالًا و لا ثمناً، فألحَّ عبد اللَّه علیه و أبی من إعفائه، فأخذ الکمیت الکتاب و مضی، فمکث أیّاماً، ثمّ جاء إلی عبد اللَّه فقال: بأبی أنت و أمّی یا ابن رسول اللَّه إنَّ لی حاجة. قال: و ما هی؟ و کلُّ حاجة لک مقضیَّة. قال: و کائنة ما کانت؟ قال: نعم. قال: هذا الکتاب تقبله و ترتجع الضیعة. و وضع الکتاب بین یدیه، فَقَبِلهُ عبد اللَّه.

و نهض عبد اللَّه بن معاویة بن عبد اللَّه بن جعفر بن أبی طالب، فأخذ ثوباً

---

(۱). مناقب آل أبی طالب: ۴/ ۲۲۴.

(۲). إعلام الوری: ص ۲۶۵.

(۳). مروج الذهب: ۳/ ۲۵۴.

جلداً، فدفعه إلی أربعة من غلمانه، ثمَّ جعل یدخل دور بنی هاشم، و یقول: یا بنی هاشم، هذا الکمیت قال فیکم الشعر حین صمت الناس عن فضلکم، و عرّض دمه لبنی أمیّة، فأثیبوه بما قدرتم. فیطرح الرجل فی الثوب ما قدر علیه من دنانیر و دراهم. و أعلم النساء بذلک، فکانت المرأة تبعث ما أمکنها، حتی إنَّها لَتَخلع الحُلیَّ عن جسدها، فاجتمع من الدنانیر و الدراهم ما قیمته مائة ألف درهم، فجاء بها إلی الکمیت فقال: یا أبا المستهلّ أتیناک بجهد المقلِّ، و نحن فی دولة عدوِّنا، و قد جمعنا هذا المال و فیه حلیُّ النساء کما تری، فاستعن به علی دهرک، فقال: بأبی أنت و أمی قد أکثرتم و أطیبتم، و ما أردت بمدحی إیّاکم إلّا اللَّه و رسوله، و لم أکُ لآخذَ لذلک ثمناً من الدنیا، فارده إلی أهله.

فجهد به عبد اللَّه أنْ يقبله بكلِّ حيلة فأبى، فقال: إن أبيت أن تقبل فإنّى رأيت أن تقول شيئاً تُغضب به بين الناس، لعلَّ فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما تحبّ. فابتدأ الكميت و قال قصيدته التى يذكر فيها مناقب قومه من مضر بن نزار بن معد، و ربيعة بن نزار، و أياد و أنمار ابنى نزار، و يكثر فيها من تفضيلهم، و يطنب فى وصفهم، و أنَّهم أفضل من قحطان، فغضب بها بين اليمانيّة و النزاريّة فيما ذكرناه، و هى قصيدته التى أوّلها:

ألا حُيّيت عنّا يا مَدِينا و هل ناسٌ تقول مسلّمينا

قال ابن شهرآشوب فى المناقب «۱» (۵/ ۱۲): بلغنا أنَّ الكميت أنشد الباقر عليه السلام:

من لقلبٍ مُتيَّمٍ مُستهام غير ما صبوةٍ و لا أحلام

فتوجّه الباقر عليه السلام إلى الكعبة فقال: «اللهمَّ ارحم الكميت و اغفر له- ثلاث مرّات- ثمّ قال: يا كميت هذه مائة ألف قد جمعتها لک من أهل بيتى».

---

(۱). مناقب آل أبى طالب: ۴/ ۱۲۳- ۲۱۴.

فقال الكميت: لا و اللَّه لا يعلم أحدٌ أنّى آخذ منها حتى يكون اللَّه الذى يكافئنى، و لكن تكرمنى بقميص من قُمُصِک، فأعطاه.

و ذكره العبّاسى فى المعاهد «۱» (۲/ ۲۷) و فيه: فأمر له أبو جعفر بمال و ثياب، فقال الكميت: و اللَّه ما أحببتكم للدنيا، و لو أردت الدنيا لأتيت من هى فى يديه، و لكنَّنى أحببتكم للآخرة، فأمّا الثياب التى أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها، و أمّا المال فلا أقبله، فردّه و قبل الثياب.

قال البغدادى فى خزانة الأدب «۲» (۱/ ۶۹): حكى صاعد مولى الكميت قال: دخلت مع الكميت على علىٍّ بن الحسين رضى الله عنه فقال: إنّى قد مدحتک بما أرجو أن يكون لى وسيلةً عند رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم ثمَّ أنشده قصيدته التى أوّلها:

مَن لقلبٍ مُتيَّمٍ مُستهامِ غير ما صَبوةٍ و لا أحلامِ

فلمّا أتى على آخرها، قال له: «ثوابک نعجز عنه، و لكن ما عجزنا عنه فإنَّ اللّه لا يعجز عن مكافأتک، اللّهمّ اغفر للكميت». ثمَّ قسّط له على نفسه و على أهله أربعمائة ألف درهم، و قال له: «خُذ يا أبا المستهلّ» فقال له: لو وصلتنى بدانق لكان شرفاً لى، و لكن إن أحببتَ أن تحسن إلىَّ فادفع إلىَّ بعض ثيابک التى تلى جسدک أتبرّک بها. فقام فنزع ثيابه و دفعها إليه كلّها، ثمَّ قال: «اللّهمّ إنَّ الكميت جادَ فى آل رسولک و ذريّة نبيِّک بنفسه حين ضنَّ الناس، و أظهر ما كتمه غيره من الحقّ، فَأَحيِه سعيداً، و أَمِتْه شهيداً، و أره الجزاء عاجلًا، و أجزل له جزيل المثوبة آجلًا، فإنّا قد عجزنا عن مكافأته». قال الكميت: ما زلت أعرف بركة دعائه.

قال محمد بن كناسة: لمّا أُنشد هشام بن عبد الملک قول الكميت:

---

(١). معاهد التنصيص: ٣/ ٩۶ رقم ١۴٨.

(٢). خزانة الأدب: ١/ ١۴۵.

فبهم صرتُ للبعيدِ ابنَ عمٍ و اتّهمتُ القريبَ أىَّ اتِّهامِ«١»

مُبدياً صفحتى على الموقف المع لم باللّهِ قوّتى و اعتصامى«٢»

قال: استقتل المرائى. الأغانى «٣» (١۵/ ١٢٧).

البائيّة من الهاشميّات:

طربتُ و ما شوقاً إلى البيض أطربُ و لا لعباً منّى و ذو الشيب يلعبُ

روى أبو الفرج فى الأغانى «۴» (١۵/ ١٢۴) بإسناده عن إبراهيم بن سعد الأسدى، قال: سمعت أبى يقول: رأيت رسول اللّه صلى الله عليه و سلم فى المنام فقال: من أىّ الناس أنت؟ قلت: من العرب. قال: أعلم، فمن أىِّ العرب؟ قلت: من بنى أسد. قال:

من أسد بن خزيمة؟. قلت: نعم. قال: أ هِلالىٌّ أنت؟ قلت: نعم. قال: أ تعرف الكميت بن زيد؟ قلت: يا رسول اللَّه عمّى و من قبيلتى. قال: أتحفظ من شعره؟ قلت: نعم. قال أنشدنى:

طربتُ و ما شوقاً إلى البيض أطربُ و لا لعباً منّى و ذو الشيب يلعبُ

قال: فأنشدته، حتى بلغت إلى قوله:

فما لىَ إلّا آلَ أحمدَ شيعةٌ و ما لىَ إلّا مَشْعبَ الحقِّ مَشْعبُ

فقال لى: إذا أصبحت فاقرأ عليه السلام، و قل له: قد غفر اللَّه لک بهذه القصيدة. و ذكره العبّاسى فى معاهد التنصيص «۵» (۲/ ۲۷) و غيره.

---

(۱). هو البيت الثمانون من القصيدة. (المؤلف)

(۲). هو البيت الخامس و الثمانون من القصيدة. (المؤلف)

(۳). الأغانى: ۱۷/ ۳۶.

(۴). الأغانى: ۱۷/ ۲۹.

(۵). معاهد التنصيص: ۳/ ۹۵ رقم ۱۴۸.

و فى الأغانى «۱» (۱۵/ ۱۲۴): عن دعبل بن على الخزاعى قال: رأيت النبىّ صلى الله عليه و سلم فى النوم، فقال لى: «ما لَکَ و للكميت بن زيد؟». فقلت: يا رسول اللَّه ما بينى و بينه إلّا كما بين الشعراء.

فقال: «لا تفعل، أليس هو القائل:

فلا زلتُ فيهم حيث يتّهموننى و لا زلتُ فى أشياعكم أتقلّبُ

فإنَّ اللَّه قد غفر له بهذا البيت». قال: فانتهيت عن الكميت بعدها.

هذا البيت من أبيات حرّفتها يد النشر المصريّة عن القصيدة بعد قوله:

و قالوا تُرابيٌّ هواهُ و رأيُهُ بذلک أُدعى فيهمُ و أُلَقَّبُ

قال السيوطى فى شرح شواهد المغنى «٢» (ص ١٣): أخرج ابن عساكر «٣» بإسناده عن محمد بن عقير «۴»: كانت بنو أسد تقول: فينا فضيلةٌ ليست فى العالم، ليس منزل منّا إلّا و فيه بركة وراثة الكميت، لأنّه رأى النبىَّ صلى الله عليه و سلم فى النوم فقال له: أنشدنى:

طربتُ و ما شوقاً إلى البيض أطربُ و لا لعباً منّى و ذو الشيب يلعبُ

فأنشده فقال له: بوركتَ، و بورک قومک.

و فى شرح الشواهد «۵» أيضاً (ص ١۴): أخرج ابن عساكر «۶»، عن أبى عكرمة الضبّى، عن أبيه قال: أدركت الناس بالكوفة، من لم يرو:

---

(١). الأغانى: ١٧/ ٢٨- ٢٩.

(٢). شرح شواهد المغنى: ١/ ٣٨ رقم ۶.

(٣). تاريخ مدينة دمشق: ١۴/ ۵٩٧.

(۴). فى غير شرح الشواهد: عقبة. (المؤلف)

(۵). شرح شواهد المغنى: ١/ ٣٩ رقم ۶.

طربت و ما شوقاً إلى البيض أطربُ و لا لعباً منّى و ذو الشيب يلعبُ

فليس بهاشمىّ. و رواه السيِّد فى الدرجات الرفيعة «۱»، و فيها: فليس بشيعىّ.

و قال السيوطى فى الشرح «۲» (ص ۱۴): أخرج ابن عساكر «۳»، عن محمد بن سهل، قال: قال الكميت: رأيت فى النوم و أنا مُختفٍ رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم، فقال: «مِمَّ خوفک؟» قلت: يا رسول اللَّه من بنى أميّة و أنشدته:

أ لم ترنى من حبِّ آل محمد أروح و أغدو خائفاً أترقّبُ«۴»

فقال: «اظهر، فإنَّ اللَّه قد أمّنک فى الدنيا و الآخرة».

و قال فى (ص ۱۴): أخرج ابن عساكر «۵»، عن الجاحظ قال: ما فتح للشيعة الحِجاج إلّا الكميت بقوله:

فإن هى لم تصلح لحىٍّ سواهُمُ فإنَّ ذوى القربى أحقُّ و أوجبُ

يقولون لم يورِثْ و لولا تراثُهُ لقد شركَتْ فيها بَكيلٌ و أرحبُ«۶»

و ذكر كلام الجاحظ الشيخ المفيد كما فى الفصول المختارة «۷» (۲/ ۸۴)، و لعلَّ الجاحظ لم يقف على مواقف احتجاج الشيعة بنفس هذه الحجّة و غيرها، المتكثرة منذ عهدهم المتقادم المتّصل بالعهد النبوىِّ. أو أنَّه يرمى بكلمته إلى إنكار سلف الشيعة فى الصدر الأوّل، لكن فضحه تاريخهم المجيد، و المأثورات فى فضلهم عن صاحب

---

(۱). الدرجات الرفيعة: ص ۵۶۷.

(۲). شرح شواهد المغنى: ۱/ ۳۸ رقم ۶.

(۳). تاريخ مدينة دمشق: ۱۴/ ۵۹۸، و فى مختصر تاريخ دمشق: ۲۱/ ۲۱۴.

(۴). هو البيت الخامس و السبعون من القصيدة. (المؤلف)

(۵). تاريخ مدينة دمشق: ۱۴/ ۵۹۹، و فى مختصر تاريخ دمشق: ۲۱/ ۲۱۵.

(۶). بَكِيل و أرحب: بطنان من قبيلة همْدان.

(۷). الفصول المختارة: ص ۲۳۲.

الرسالة و هلمَّ جرّا، و إنَّک تجد الاحتجاج بما ذكر و غيره فى كثير من شعر الصحابة و التابعين لهم بإحسان، و فى كلماتهم المنثورة، قبل أن تنعقد نطفة الكميت، كخزيمة بن ثابت ذى الشهادتين، و عبد اللَّه بن عبّاس، و الفضل بن عبّاس، و عمّار بن ياسر، و أبى ذرّ الغفارى، و قيس بن سعد الأنصارى، و ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب، و عبد اللَّه ابن أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب، و زفر بن زيد بن حذيفة، و النجاشى بن الحرث بن كعب، و جرير بن عبد اللَّه البجلى، و عبد الرحمن بن حنبل حليف بنى جُمع، و آخرين كثيرين.

و قد فتح لهم هذا الباب بمصراعيه أمير المؤمنين علىّ- صلوات اللَّه عليه- فى كتبه و خطبه الطافحة بذلک، المبثوثة فى طيّات الكتب و معاجم الخطب و الرسائل.

قال شيخنا المفيد كما فى الفصول «۱» (۲/ ۸۵): إنّما نظم الكميت معنى كلام أمير المؤمنين عليه السلام فى منثور كلامه فى الحجَّة على معاوية، فلم يزل آل محمد عليهم السلام بعد أمير المؤمنين يحتجّون بذلک، و متكلّمو الشيعة قبل الكميت و فى زمانه و بعده، و ذلک موجودٌ فى الأخبار المأثورة و الروايات المشهورة، و من بلغ إلى الحدِّ الذى بلغه الجاحظ فى البهت سقط كلامه.

اللاميّة من الهاشميّات:

ألا هل عمٍ فى رأيه مُتأمِّلُ و هل مدبرٌ بعد الإساءة مُقبلُ

روى أبو الفرج فى الأغانى «۲» (۱۵/ ۱۲۶) بالإسناد عن أبى بكر الحضرمى، قال: استأذنت للكميت على أبى جعفر محمد بن على عليهما السلام فى أيّام التشريق بمنى فأذن له، فقال له الكميت: جعلت فداک إنّى قلت فيكم شعراً أحبُّ أن أُنشدَكَهُ.

---

(۱). الفصول المختارة: ص ۲۳۳.

(۲). الأغانى: ۱۷/ ۳۳.

فقال: «يا كميت اذكر اللّه فى هذه الأيّام المعلومات، و فى هذه الأيّام المعدودات». فأعاد عليه الكميت القول، فرقَّ له أبو جعفر عليه السلام فقال: «هات». فأنشده قصيدته حتى بلغ:

يُصيبُ به الرامون عن قوسِ غيرهمْ فيا آخرٌ أسدى له الغىَّ أوّلُ

فرفع أبو جعفر عليه السلام يديه إلى السماء و قال: «اللّهمَّ اغفر للكميت».

و عن محمد بن سهل- صاحب الكميت- قال: دخلت مع الكميت على أبى عبد اللّه الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقال له: جعلت فداک ألا أنشدک؟

قال: «إنّها أيّامٌ عظامٌ». قال: إنَّها فيكم. قال: «هات». و بعث أبو عبد اللّه عليه السلام إلى بعض أهله فقرب، فأنشده فكثر البكاء، حتى أتى على هذا البيت:

يُصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخرٌ أسدى له الغىَّ أوّلُ

فرفع أبو عبد اللّه عليه السلام يديه، فقال: «اللّهمَّ اغفر للكميت ما قدّم و ما أخّر، و ما أسرَّ و ما أعلن، و أعطه حتى يرضى». الأغانى «۱» (۱۵/ ۱۲۳)، المعاهد «۲» (۲/ ۲۷).

و رواه البغدادى فى خزانة الأدب «۳» (۱/ ۷۰) و فيه بعد قوله: فكثر البكاء و ارتفعت الأصوات، فلمّا مرَّ على قوله فى الحسين رضى الله عنه:

كأنَّ حسيناً و البهاليلُ حولَهُ لأسيافهم ما يختلى المتبتّلُ

و غاب نبيُّ اللَّه عنهم و فقده على الناس رزءٌ ما هناک مُجلّلُ

فلم أرَ مخذولًا لأجلِ مصيبةٍ و أوجب منه نصرةً حين يخذلُ

---

(۱). الاغانى: ۱۷/ ۲۶.

(۲). معاهد التنصيص: ۳/ ۹۶ رقم ۱۴۸.

(۳). خزانة الأدب: ۱/ ۱۴۵.

فرفع «۱» جعفر الصادق رضى الله عنه يديه و قال: «اللهمَّ اغفر للكميت ما قدّم و أخّر، و ما أسرَّ و أعلن، و أعطه حتى يرضى». ثمّ أعطاه ألف دينار و كسوة، فقال له الكميت: و اللَّه ما أحببتكم للدنيا و لو أردتها لأتيتُ من هى فى يديه، و لكنَّنى أحببتكم للآخرة، فأمّا الثياب التى أصابت أجسادكم فإنّى أقبلها لبركتها، و أمّا المال فلا أقبله.

روى أبو الفرج فى الأغانى «۲» (۱۵/ ۱۱۹) عن علىّ بن محمد بن سليمان، عن أبيه، قال: كان هشام بن عبد الملک قد اتّهم خالد بن عبد اللَّه، و كان يُقال: إنَّه يريد خلعک، فوجد بباب هشام يوماً رقعةً فيها شعرٌ، فدخل بها على هشام فقرئت عليه:

تألّقَ برقٌ عندنا و تقابَلَتْ أثافٍ لِقدْرِ الحَربِ أخشى اقتبالها

فدونَک قِدرَ الحربِ و هى مُقِرَّةٌ لكفّيک و اجعل دون قِدرٍ جعالها

و لن تنتهى أو يبلغَ الأمرُ حدّهُ فَنلْها برسْلٍ قبل أن لا تنالها

فتجْشَمَ منها ما جَشَمْتَ مِنَ التى بسوراء هرّت نحو حالکَ حالها

تلافَ أمورَ الناس قبل تفاقُمٍ بعَقدَةِ حَزْمٍ لا يُخاف انحلالها

فما أبرمَ الأقوامُ يوماً لحيلةٍ من الأمر إلّا قلَّدوک احتيالها

و قد تُخبِرُ الحربُ العوانُ بسرّها و إن لم يَبُحْ مَن لا يريدُ سؤالها

فأمر هشام أن يجتمع له من بحضرته من الرواة فَجُمِعوا، فأمر بالأبيات فقرئت عليهم، فقال: شعر من تشبه هذه الأبيات؟ فأجمعوا جميعاً من ساعتهم أنَّه كلام الكميت بن زيد الأسدى. فقال هشام: نعم هذا الكميت ينذرنى بخالد بن عبد اللّه.

ثمَّ كتب إلى خالد يخبره، و كتب إليه بالأبيات، و خالد يومئذ بواسط، فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمره بأخذ الكميت و حبسه، و قال لأصحابه: إنَّ هذا يمدح بنى هاشم و يهجو بنى أميّة، فأتونى من شعر هذا بشىء، فأُتى بقصيدته اللاميّة التى أوّلها:

---

(١). كذا فى المصدر بالفاء.

(٢). الأغانى: ١٧/ ١٨.

ألا هل عمٍ فى رأيهِ متأمِّلُ و هل مدبرٌ بعد الإساءة مقبلُ

فكتبها و أدرجها فى كتاب إلى هشام، يقول: هذا شعر الكميت، فإن كان قد صدق فى هذا فقد صدق فى ذاک. فلمّا قرئت على هشام اغتاظ، فلمّا سمع قوله:

فيا ساسةً هاتوا لنا من جوابكم ففيكم لعمرى ذو أفانين مقولُ

اشتدَّ غيظه، فكتب إلى خالد يأمره أن يقطع يدى الكميت و رجليه، و يضرب عنقه، و يهدم داره، و يصلبه على ترابها. فلمّا قرأ خالد الكتاب كره أن يستفسد عشيرته، و أعلن الأمر رجاء أن يتخلّص الكميت، فقال: كتب إلىَّ أمير المؤمنين و إنّى لأكره أن استفسد عشيرته، و سمّاه، فعرف عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد ما أراد، فأخرج غلاماً له مولّداً ظريفاً، فأعطاه بغلة له شقراء فارهة من بغال الخليفة، و قال: إن أنت وردت الكوفة فأنذرت الكميت لعلّه أن يتخلّص من الحبس فأنت حرٌّ لوجه اللّه، و البغلة لک، و لک علىَّ بعد ذلک إكرامک و الإحسان إليک.

فركب البغلة فسار بقيّة يومه و ليلته من واسط إلى الكوفة فصبّحها، فدخل الحبس متنكّراً، فخبّر الكميت بالقصّة، فأرسل الى امرأته و هى ابنة عمّه يأمرها أن تجيئه و معها ثياب من لباسها و خفّان، ففعلت. فقال: ألبسينى لبسة النساء، ففعلت. ثمّ قالت له: أقبل فأقبل، و أدبر فأدبر، فقالت: ما أدرى إلّا يبساً فى منكبيک، اذهب فى حفظ اللّه. فمرَّ بالسجّان فظنَّ أنَّه المرأة فلم يعرض له، فنجا و أنشأ يقول:

خرجت خروجَ القِدحِ قِدحِ ابن مقبلِ على الرغم من تلک النوابح و المُشْلى«۱»

علىَّ ثيابُ الغانياتِ و تحتَها عزيمةُ أمرٍ أشبهت سَلَّةَ النصْلِ

و ورد كتاب خالد إلى والى الكوفة يأمره فيه بما كتب به إليه هشام، فأرسل

---

(۱). النوابح: كلاب الصيد، كنّى بها عمّن يتعقبه. و المشلى: من أشلى، يشلى، إذا أغرى الكلب و دعاه إلى الصيد.

إلى الكميت ليؤتى به من الحبس فَيُنفِذ فيه أمر خالد، فدنا من باب البيت «۱»، فكلّمتهم المرأة و خبّرتهم أنَّها فى البيت، و أنَّ الكميت قد خرج. فكتب بذلک إلى خالد فأجابه: حرّة كريمة افتدت ابن عمِّها بنفسها. و أمر بتخليتها، فبلغ الخبر الأعور الكلبىبالشام، فقال قصيدته التى يرمى فيها امرأة الكميت بأهل الحبس و يقول:

أسودينا و أحمرينا

فهاج الكميت ذلک حتى قال:

أ لا حيّيت عنّا يا مدينا و هل ناسٌ تقول مسلّمينا

و هى ثلاثمائة بيت.

و قال فی (ص ۱۱۴) «۲»: إنَّ خالد بن عبد اللَّه القسری روّی جاریةً حسناء قصائد الکمیت- الهاشمیّات- و أعدّها لیهدیها إلی هشام، و کتب إلیه بأخبار الکمیت و هجائه بنی أمیّة، و أنفذ إلیه قصیدته التی یقول فیها:

فیا ربّ هل إلّا بک النصرُ یُبتغی و یا ربّ هل إلّا علیک المعوَّلُ

و هی طویلة یرثی فیها زید بن علیّ و ابنه الحسین بن زید، و یمدح بنی هاشم، فلمّا قرأها أکبرها، و عظمت علیه و استنکرها، و کتب إلی خالد یقسم علیه أن یقطع لسان الکمیت و یده. فلم یشعر الکمیت إلّا و الخیل محدقة بداره، فأُخذ و حُبس فی المحبس، و کان أبان بن الولید عاملًا علی واسط، و کان الکمیت صدیقه، فبعث إلیه بغلام علی بغل و قال له: أنت حرٌّ... إلی آخر ما یأتی إن شاء اللَّه تعالی.

و للکمیت فی حدیث الغدیر من قصیدة قوله:

---

(۱). المقصود بالبیت هنا السجن.

(۲). الأغانی: ۱۷/ ۶.

علیٌّ أمیرُ المؤمنینَ و حقُّهُ من اللَّهِ مفروضٌ علی کلِّ مسلمِ

و أنَّ رسول اللَّهِ أوصی بحقِّهِ و أشرکه فی کلِّ حقٍّ مقسَّمِ

و زوّجهُ صدّیقةً لم یکنْ لها مُعادلةٌ غیرُ البتولة مریمِ

و ردّم أبوابَ الذین بنی لهمْ بیوتاً سوی أبوابه لم یُرَدِّمِ

و أوجبَ یوماً بالغدیر ولایةً علی کلِّ برٍّ من فصیحٍ و أعجمِ

الشاعر

أبو المستهلّ الكميت بن زيد بن خنيس بن مخالد «۲» بن وهيب بن عمرو بن سُبيع ابن مالک بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار.

قال أبو الفرج: شاعر مقدَّم عالمٌ بلغات العرب، خبير بأيّامها، من شعراء مضر و ألسنتها، و المتعصِّبين على القحطانيّة، المقارنين المقارعين لشعرائهم، العلماء بالمثالب و الأيّام، المفاخرين بها، و كان فى أيّام بنى أميّة، و لم يدرک الدولة العبّاسيّة و مات قبلها، و كان معروفاً بالتشيّع لبنى هاشم، مشهوراً بذلک.

سئل معاذ الهرّاء: من أشعر الناس؟ قال: أ من الجاهليِّين أم من الإسلاميِّين؟ قالوا: بل من الجاهليِّين. قال: امرؤ القيس، و زهير، و عبيد بن الأبرص. قالوا: فمن الإسلاميِّين؟. قال: الفرزدق، و جرير، و الأخطل، و الراعى.

قال: فقيل له: يا أبا محمد ما رأيناک ذكرت الكميت فيمن ذكرت. قال: ذاک أشعر الأوّلين و الآخرين «۳».

---

(۱). تفسير أبى الفتوح: ۴/ ۲۸۰.

(۲). و قيل: مخالد بن ذويبة بن قيس بن عمرو. (المؤلف)

(۳). الأغانى: ۱۵/ ۱۱۵ و ۱۲۷ [۱۷/ ۳، ۳۵]. (المؤلف)

و قد مرَّ (ص ۱۶۸) قول الفرزدق له: أنت و اللَّه أشعر من مضى و أشعرمن بقى. و كان مبلغ شعره حين مات خمسة آلاف و مائتين و تسعة و ثمانين بيتاً على ما فى الأغانى «۱» و المعاهد «۲» (۲/ ۳۱)، أو أكثر من خمسة آلاف قصيدة كما فى كشف الظنون «۳»، نقلًا عن عيون الأخبار لابن شاكر (۱/ ۳۹۷) و قد جمع شعره الأصمعى و زاد فيه ابن السكّيت، و رواه جماعة، عن أبى محمد عبد اللَّه بن يحيى المعروف بابن كناسة الأسدى المتوفّى (۲۰۷)، و رواه ابن كناسة، عن الجزّى، و أبى الموصل، و أبى صدقة الأسديِّين، و ألّف كتاباً أسماه سرقات الكميت من القرآن و غيره «۴».

و رواه ابن السكّيت عن أستاذه نصران، و قال نصران: قرأت شعر الكميت على أبى حفص عمر بن بكير، و عمل شعره السكّرى أبو سعيد الحسن بن الحسين المتوفّى (۲۷۵)، كما فى فهرست ابن النديم «۵» (ص ۱۰۷ و ۲۲۵) و صاحب شعره محمد بن أنس، كما فى تاريخ ابن عساكر «۶» (۴/ ۴۲۹).

و حكى ياقوت فى معجم الأدباء «۷» (۱/ ۴۱۰) عن ابن النجّار، عن أبى عبد اللَّه أحمد بن الحسن الكوفى النسّابة، أنّه قال: قال ابن عبدة النسّاب: ما عرف النسّاب أنساب العرب على حقيقة حتى قال الكميت النزاريّات فأظهر بها علماً كثيراً، و لقد

نظرت فی شعره فما رأیت أحداً أعلم منه بالعرب و أیّامها، فلمّا سمعت هذا جمعت شعره، فکان عونی علی التصنیف لأیّام العرب.

---

(۱). الأغانی: ۱۷/ ۳۱.

(۲). معاهد التنصیص: ۳/ ۹۵ رقم ۱۴۸.

(۳). کشف الظنون: ۱/ ۸۰۸.

(۴). التعبیر بالسرقة لا یخلو من مسامحة، فإنّها لیست إلّا أخذاً بالمعنی، أو تضمیناً لکلم من القرآن، و حسب الکمیت- و أیّ شاعر- أن یقتصّ أثر الکتاب الکریم. (المؤلف)

(۵). الفهرست: ص ۷۸ و ۱۷۹.

(۶). تاریخ مدینة دمشق: ۱۴/ ۶۰۳.

(۷). معجم الأدباء: ۳/ ۸.

و قال بعضهم: کان فی الکمیت عشر خصال لم تکن فی شاعر: کان خطیب أسد، فقیه الشیعة، حافظ القرآن العظیم، ثَبْتَ الجَنان، کاتباً حسن الخطّ، نسّابة جدلًا، و هو أوّل من ناظر «۱» فی التشیّع، رامیاً لم یکن فی أسد أرمی منه، فارساً شجاعاً، سخیّا دَیِّناً. خزانة الأدب «۲» (۱/ ۶۹)، شرح الشواهد «۳» (ص ۱۳).

و لم تزل عصبیّته للعدنانیّة و مهاجاته شعراء الیمن متصلةً، و المناقضة بینه و بینهم شائعة فی حیاته، و فی إثرها ناقض دعبل و ابن عُیینة قصیدته المذهَّبة بعد وفاته، و أجابهما أبو الزلفاء البصری مولی بنی هاشم، و کان بینه و بین حکیم الأعور الکلبی مفاخرة و مناظرة تامّة.

فائدة:

حکیم الأعور المذکور، أحد الشعراء المنقطعین إلی بنی أمیّة بدمشق، ثمَّ انتقل إلی الکوفة.

جاء رجلٌ إلی عبد اللَّه بن جعفر، فقال له: یا ابن رسول اللَّه هذا حکیم الأعور ینشد الناس هجاءکم بالکوفة.

فقال: هل حفظت شیئاً؟.

قال: نعم و أنشد:

صَلَبْنا لكم زيداً على جذع نخلةٍ و لم نرَ مهديّا على الجذع يُصلَبُ

و قِستمْ بعثمانٍ عليّا سَفاهةً و عثمانُ خيرٌ من عليٍّ و أطيبُ

فرفع عبد اللّه يديه إلى السماء و هما تنتفضان رعدة، فقال: اللّهمّ إن كان كاذباً

---

(۱). مرّ فساد هذه النسبة الى المترجم له: ص ۱۹۱. (المؤلف)

(۲). خزانة الأدب: ۱/ ۱۴۴.

(۳). شرح شواهد المغنى: ۱/ ۳۸ رقم ۶.

فسلّط عليه كلباً، فخرج حكيم من الكوفة فأدلج «۱»، فافترسه الأسد. معجم الأدباء «۲» (۴/ ۱۳۲)

الكميت و حياته المذهبية

يجد الباحث فى خلال السِيَر و زُبُر الحديث، شواهد واضحة على أنَّ الرجل لم يتّخذ شاعريّته و ما كان يتظاهر به من التهالک فى ولاء أهل البيت عليهم السلام وسيلةً لما يقتضيه النهمة، و موجبات الشره من التلمّظ بما يستفيده من الصِّلات و الجوائز، أو تحرّى مُسانحات و جرايات، أو الحصول على رتبةٍ أو راتب، أنّى و آل رسول اللّه كما يقول عنهم دعبل الخزاعى:

أرى فيْأهم فى غيرهم مُتَقَسَّماً و أيدِيَهُمْ من فيئهم صَفِراتِ

و هم- سلام اللّه عليهم- فضلًا عن شيعتهم:

مشرّدون نفوا عن عُقرِ دارِهمُ كأنّهم قد جَنوا ما ليس يُغتَفرُ

و قد انهالت الدنيا- قضّها بقضيضها- على أضدادهم يوم ذاک من طغمة الأمويّين، و لو كان المتطلّب يطلب شيئاً من حطام الدنيا، أو حصولًا على مرتبة، أو زلفةً تربى به، لطلبها من أولئک المتغلّبين على عرش الخلافة الإسلاميّة.

فرجلٌ يلوى بوجههِ عنهم إلى أُناس مضطهدين مقهورين، و يقاسى من جرّاء ذلک الخوف و الاختفاء، تتقاذف به المفاوز و الحزون، مفترعاً ربوة طوراً، و مسفّا إلى الأحضّة تارة، و وراءه الطلب الحثيث، و بمطلع الأكمة النطع و السيف، ليس من الممكن أن يكون ما يتحرّاه إلّا خاصّة فى من يتولّاهم، لا توجد عند غيرهم، و هذا هو شأن الكميت مع أئمّة الدين عليهم السلام، فقد كان يعتقد فيهم أنّهم وسائله إلى المولى

---

(١). أدلج القوم: ساروا الليل كلّه، أو فى آخره. (المؤلف)

(٢). معجم الأدباء: ١٠/ ٢۴٨.

سبحانه، و واسطة نجاحه فى عقباه، و أنَّ مودّتهم أجر الرسالة الكبرى.

روى الشيخ الأكبر الصفّار فى بصائر الدرجات «١» بإسناده عن جابر، قال: دخلت على الباقر عليه السلام فشكوت إليه الحاجة فقال: «ما عندنا درهمٌ»، فدخل الكميت فقال: جعلت فداک أنشدک؟ فقال: انشد، فأنشده قصيدة. فقال: «يا غلام أخرِج من ذلک البيت بَدرةً فادفعها إلى الكميت». فقال: جعلت فداک، أُنشدک أخرى؟ فأنشده. فقال: «يا غلام أخرج بدرةً فادفعها إليه». فقال: جعلت فداک، أُنشدک أخرى؟ فأنشده. فقال: «يا غلام أخرج بدرةً فادفعها إليه» فقال جعلت فداک، و اللَّه ما أحبّكم لعَرَض الدنيا، و ما أردت بذلک إلّا صلة رسول اللَّه و ما أوجب اللَّه علىَّ من الحقِّ، فدعا له الباقر عليه السلام فقال: «يا غلام رُدّها إلى مكانها». فقلت: جعلت فداک، قلت لى: ليس عندى درهم، و أمرت للكميت بثلاثين ألفاً! «٢».

فقال: «ادخل ذلک البيت»، فدخلت فلم أجد شيئاً، فقال: «ما سترنا عنكم أكثر ممّا أظهرنا». الحديث.

قال صاعد: دخلنا مع الكميت على فاطمة بنت الحسين عليه السلام، فقالت: هذا شاعرنا أهل البيت. و جاءت بقَدَحٍ فيه سَويقٌ، فحرّكته بيدها، و سقت الكميت فشربه، ثمَّ أمرت له بثلاثين ديناراً و مركب، فهملت عيناه و قال: لا و اللَّه لا أقبلها؛ إنّى لم أحبّكم للدنيا. الأغانى «٣» (١۵/ ١٢٣).

و للكميت فى ردِّه الصلات الطائلة على سروات المجد من بنى هاشم، مكرمةٌ و محمدةٌ عظيمةٌ، أبقت له ذكرى خالدة، و كلٌّ من تلكم المواقف شاهد صدق على خالص ولائه و قوّة إيمانه، و صفاء نيّته، و حسن عقيدته، و رسوخ دينه، و إباء نفسه،

---

(١). بصائر الدرجات: ص ٣٧۶ ح ۵.

(۲). فی مناقب ابن شهرآشوب: ۵/ ۷ [۴/ ۲۰۳]: خمسین ألف درهم. (المؤلف)

(۳). الأغانی: ۱۷/ ۲۷.

ص: ۲۹۱

و علوِّ همّته، و ثباته فی مبدئه العلویِّ المقدَّس، و صدق مقاله للإمام السجّاد زین العابدین علیه السلام: إنّی قد مدحتک أن یکون لی وسیلة عند رسول اللَّه.

و یعرب عن ذلک کلّه صریح قوله للإمام الباقر محمد بن علیّ علیهما السلام: و اللَّه ما أحبّکم لعَرَض الدنیا، و ما أردت بذلک إلّا صلة رسول اللَّه و ما أوجب اللَّه علیَّ من الحقِّ. و قوله الآخر له علیه السلام: لا و اللَّه لا یعلم أحدٌ أنّی آخذٌ منها حتی یکون اللَّه الذی یکافئنی. و قوله للإمامین الصادقین علیهما السلام: و اللَّه ما أحببتکم للدنیا، و لو أردتها لأتیت من هی فی یدیه، و لکنّی أحببتکم للآخرة. و قوله لعبد اللَّه بن الحسن ابن علیّ علیهما السلام: و اللَّه ما قلت فیکم إلّا للَّه، و ما کنت لآخذ علی شیء جعلته للَّه مالًا و لا ثمناً. و قوله لعبد اللَّه الجعفری: ما أردت بمدحی إیّاکم إلّا اللَّه و رسوله، و لم أک لآخذ لذلک ثمناً من الدنیا، و قوله لفاطمة بنت الإمام السبط: و اللَّه إنّی لم أحبّکم للدنیا. و هذا شأن الشیعة سلفاً و خلفاً، و شیمة کلِّ شیعیٍّ صمیم، و أدب کلّ متضلّع بالنزعات العلویّة، و روح کلِّ علویٍّ جعفریٍّ، و هذا شعار التشیّع لیس إلّا، و بمثل هذا فلیعمل العاملون.

و کان أئمّة الدین و رجالات بنی هاشم یلحّون فی أخذ الکمیت صلاتهم، و قبوله عطایاهم، مع إکبارهم محلّه من ولائه، و اعتنائهم البالغ بشأنه، و الاحتفاء و التبجیل له، و الاعتذار منه بمثل

قول الإمام السجّاد- صلوات اللَّه علیه- له: «ثوابک نعجز عنه، و لکن ما عجزنا عنه فإنَّ اللَّه لا یعجز عن مکافأتک».

و هو مع ذلک کلّه کان علی قدمٍ و ساق من إبائه و استعفائه، إظهاراً لولائه المحض لآل اللَّه، و قد مرّ أنّه ردَّ علی الإمام السجّاد علیه السلام أربعمائة ألف درهم، و طلب من ثیابه التی تلی جسده لیتبرّک بها، و ردّ علی الإمام الباقر مائة ألف مرّة و خمسین ألفاً أخری، و طلب قمیصاً من قُمُصه و ردَّ علی الإمام الصادق ألف دینار و کسوة، و استدعی منه أن یکرمه بالثوب الذی مسَّ جلده. و ردَّ علی عبد اللَّه بن الحسن ضیعته التی أعطی له کتابها،

ص: ۲۹۲

و کانت تسوی بأربعة «۱» آلاف دینار، و ردَّ علی عبد اللَّه الجعفری ما جمع له من بنی هاشم ما کان یقدَّر بمائة ألف درهم.

فکل من هذه خُبرٌ یصدِّق الخبر؛ بأنَّ مدح الکمیت عترة نبیِّه الطاهر و ولاءه لهم، و تهالکه بکلّه فی حبِّهم، و بذله النفس و النفیس دونهم، و نیله من مناوئیهم، و نصبه العداء لمخالفیهم، لم یکن إلّا للَّه و لرسوله فحسب، و ما کان له غرضٌ من حطام

الدنيا و زخرفها، و لا مرمىً من الثواب العاجل دون الآجل، و كلٌّ واقف على شعره يراه كالباحث بظلفه عن حتفه، و يجده مستقتلًا بلسانه، قد عرّض لبنى أميّة دمه، مستقبلًا صوارمهم، كما نصَّ عليه

الإمام زين العابدين عليه السلام، و قال: «اللّهمّ إنَّ الكميت جاد فى آل رسولک و ذريّة نبيِّک نفسه حين ضنَّ الناس، و أظهر ما كتمه غيره».

و قال عبد اللّه الجعفرى لبنى هاشم: هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم، و عرّض دمه لبنى أميّة.

و خالد القسرى لمّا أراد قتله رأى فى شعره غنىً و كفاية عن أىِّ حيلة و سعاية عليه، فاشترى جاريةً و علَّمها الهاشميّات و بعثها إلى هشام بن عبد الملک، و هو لمّا سمعها منها، قال: استقتل المرائى. و كتب إلى خالد بقتله و قطع لسانه و يده.

فكان الكميت منذ غضاضة من شبيبته التى نظم فيها الهاشميّات خائفاً يترقّب طيلة عمره، مختفياً فى زوايا الخمول، إلى أن أقام بقريضه الحجّة، و أوضح به المحجّة، و أظهر به الحقَّ، و أتمَّ به البرهنة، و بلغ ضالّته المنشودة من بثِّ الدعاية إلى العترة الطاهرة، فلمّا دوّخ صيت شعره الأقطار، و قرّطت به الآذان، و دارت على الألسن، استجاز الإمام أبا جعفر الباقر عليه السلام أن يمدح بنى أميّة صوناً لدمه فأجاز له.

رواه أبو الفرج فى الأغانى «٢» (١٥/ ١٢٦) بإسناده عن ورد بن زيد أخى الكميت قال: أرسلنى

---

(١). الظاهر أنّه قدّس سرّه ضمّن «تسوى» معنى «تقدّر» فعدّاه بالباء.

(٢). الأغانى: ١٧/ ٣٣، ٣٥.

الكميت إلى أبى جعفر عليه السلام فقلت له: إنَّ الكميت أرسلنى إليک و قد صنع بنفسه ما صنع، فتأذن له أن يمدح بنى أميّة؟

قال: نعم. هو فى حلٍّ، فليقل ما شاء، فنظم قصيدته الرائية التى يقول فيها:

فالآن صرتُ إلى أميّ ... ة و الأمور إلى المصائر

و دخل على أبى جعفر عليه السلام فقال له: «يا كميت أنت القائل:

فالآن صرتُ إلى أميّ ة و الأمور إلى المصائر؟«

قال: نعم. قد قلت، و لا و اللّه ما أردت به «۱» إلّا الدنيا، و لقد عرفت فضلكم، قال: «أمّا إن قلت ذلک، إنَّ التقيّة لَتَحِلّ».

و روى الكشّى فى رجاله «۲» (ص ۱۳۵) بإسناده عن درست بن أبى منصور، قال: كنت عند أبى الحسن موسى عليه السلام و عنده الكميت بن زيد، فقال للكميت: «أنت الذى تقول:

فالآن صرتُ إلى أميّ ة و الأمور إلى المصائر«

قال: قد قلت ذلک فو اللّه ما رجعت عن إيمانى، و إنّى لكم لمُوالٍ، و لعدوّكم لقالٍ، و لكنّى قلته على التقيّة.

قال: أما لئن قلت ذلک، إنَّ التقيّة تجوز فى شرب الخمر.

لفت نظر:

أحسب أنَّ الإمام المذكور فى حديث الكشّى هو أبو عبد اللّه الصادق عليه السلام، و لا يتمُّ ما فيه من أبى الحسن موسى عليه السلام؛ إذ الكميت توفّى بلا اختلاف أجده سنة (۱۲۶)

---

(۱). أى أراد بقوله: صرت، مصير الدنيا إليهم لا الخلافة. (المؤلف)

(۲). رجال الكشّى: ۲/ ۴۶۵ رقم ۳۶۴.

قبل ولادة أبى الحسن موسى بسنتين أو ثلاث. كما لا يتمُّ القول باتّحاده مع حديث أبى الفرج المروىّ عن الإمام أبى جعفر، إذ درست بن أبى منصور لا يروى عنه عليه السلام، و ليس من تلک الطبقة.

الكميت و دعاء الأئمّة له

من الواضح أنَّ أدعية ذوى النفوس القدسيّة، و الألسنة الناطقة بالمشيئة الإلهيّة المعبِّرة عن اللَّه، من الذين يوحى إليهم ربّهم، و لا يتكلّمون إلّا بإذنه، و ما ينطقون عن الهوى، و لا يشفعون إلّا لمن ارتضى، ليست مجرّد شفاعة لأىِّ أحد، و مسألة خيرٍ من المولى لكلِّ إنسان كائناً من كان، بل فيها إيعاز بأنَّ المدعوَّ له من رجال الدين، و حلفاء الخير و الصلاح، و دعاة الأمّة إليهما، و ممّن قيّضه المولى للدعوة إليه، و الأخذ بناصر الهدى، رغماً على أباطيل الحياة و أهوائها الضالَّة، إلى فضائل لا تُحصى على اختلاف المدعوِّ لهم فيها.

و قلّما دُعى لأحدٍ مثلما دُعى للكميت، و قد أكثر النبىُّ الأعظم و الأئمّة من أولاده- صلوات اللَّه عليه و عليهم- دعاءهم له، فاسترحم له النبىُّ صلى الله عليه و آله و سلم مرّة كما مرّ فى حديث البياضى، و استجزى له بالخير، و أثنى عليه أخرى كما فى منام نصر بن مزاحم، و قال له ثالثة: «بوركت و بورک قومک» كما فى حديث السيوطى،

و دعا له الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام بقوله: «اللهمَّ أحيه سعيداً و أمْتهُ شهيداً، و أرِهِ الجزاء عاجلًا، و أجزل له جزيل المثوبة آجلًا».

و دعا له أبو جعفر الباقر عليه السلام فى مواقف شتّى فى مثل أيام التشريق بمنى و غيرها، متوجِّهاً إلى الكعبة بالاسترحام و الاستغفار له غير مرّة،

و بقوله: «لا تزال مؤيّداً بروح القدس»

تارةً أخرى، و من دعائه عليه السلام له فى أيّام البيض ما

رواه الشيخ الأقدم أبو القاسم الخزّاز القمّى فى كفاية الأثر فى النصوص على الأئمّة الاثنى عشر «١» بإسناده عن الكميت، أنَّه قال: دخلت على

---

(١). كفاية الأثر: ص ٢۴٨.

سيِّدى أبى جعفر محمد بن علىّ الباقر، فقلت: يا ابن رسول اللَّه إنّى قد قلت فيكم أبياتاً، أ فتأذن لى فى إنشادها؟ فقال: « [إنّها] «١» أيّام البيض». قلت: فهو فيكم خاصّة. قال: «هات». فأنشأت أقول:

أضحكنى الدهرُ و أبكانى و الدهرُ ذو صرفٍ و ألوانِ

لتسعةٍ بالطفِّ قد غُودروا صاروا جميعاً رَهْنَ أكفانِ

فبكى عليه السلام، و بكى أبو عبد اللّه عليه السلام، و سمعت جارية تبكى من وراء الخباء، فلمّا بلغت إلى قولى:

و ستّةٌ لا يُتجارى بهم بنو عقيلٍ خيرُ فرسانِ

ثمَّ علىٌّ الخيرِ مولاهُمُ ذكرهمُ هَيّجَ أحزانى

فبكى، ثمَّ قال عليه السلام: «ما من رجل ذكرَنا أو ذُكرنا عنده يخرج من عينيه ماءٌ و لو مثل جناح البعوضة إلّا بنى اللّه له بيتاً فى الجنّة، و جعل‌ذلک الدمع حجاباً بينه و بين النار». فلمّا بلغت إلى قولى:

من كان مسروراً بما مسّكمْ أو شامتاً يوماً من الآنِ

فقد ذللتم بعد عزّ فما أدفع ضيماً حين يغشانى

أخذ بيدى ثمَّ قال: «اللّهمَّ اغفر للكميت ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر».

فلمّا بلغت إلى قولى:

متى يقوم الحقّ فيكم متى يقومُ مهديُّكمُ الثانى

قال: «سريعاً إن شاء اللّه سريعاً». ثمَّ قال: «يا أبا المستهلّ إنَّ قائمنا هو التاسع من ولد الحسين، لأنَّ الأئمّة بعد رسول اللّه اثنا عشر، الثانى عشر هو القائم».

---

(١). ما بين المعقوفين أثبتناه من المصدر.

قلت: يا سيِّدى فمن هؤلاء الاثنا عشر؟ قال: «أوّلهم علىٌّ بن أبى طالب، و بعده الحسن و الحسين، و بعد الحسين علىّ بن الحسين، و بعده أنا، ثمَّ بعدى هذا، و وضع يده على كتف جعفر». قلت: فمَن بعد هذا؟

قال: «ابنه موسى، و بعد موسى ابنه علىّ، و بعد علىّ ابنه محمد، و بعد محمد ابنه علىّ، و بعد علىّ ابنه الحسن، و هو أبو القائم الذى يخرج فيملأ الدنيا قسطاً و عدلًا كما ملئت ظلماً و جوراً، و يشفى صدور شيعتنا». قلت: فمتى يخرج يا ابن رسول اللَّه؟ قال: «لقد سُئل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم عن ذلک فقال: إنَّما مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلّا بغتة».

و ناهيک به فضلًا دعاء الإمام الصادق عليه السلام له فى مواقفه المشهودة فى أشرف الأيّام رافعاً يديه قائلًا:

«اللّهمَّ اغفر للكميت ما قدّم و أخّر، و ما أسرَّ و أعلن، و أعطه حتى يرضى».

و ينمُّ عن إجابة تلک الأدعية الصالحة، الصادرة من النفوس الطاهرة بالألسنة الصادقة، أمر النبىِّ صلى الله عليه و آله و سلم أبا إبراهيم سعد الأسدى فى منامه بقراءة سلامه عليه، و إنبائه بأنَّ اللَّه قد غفر له. و كذلک نهيه صلى الله عليه و آله و سلم دعبل الخزاعى فى الطيف عن معارضة الكميت، و قوله له: إنَّ اللَّه قد غفر له. و كان بنو أسد- قبيلة الكميت- يحسّون بركة دعاء النبىِّ له و لهم بقوله: «بوركت و بورک قومک». و يشاهدون آثار الإجابة فيهم، و يجدون فى أنفسهم نفحاتها، و كانوا يقولون: إنَّ فينا فضيلةً ليست فى العالم، ليس منّا إلّا و فيه بركة وراثة الكميت «١».

و من تلک الأدعية المستجابة التى شوهدت آثارها، و أبقت للكميت فضيلة مع الأبد، ما رواه شيخنا قطب الدين الراوندى فى الخرائج و الجرائح «٢»: أنَّ محمد بن علىّ الباقر عليه السلام دعا للكميت لمّا أراد أعداء آل محمد أخذه و هلاكه و كان متوارياً، فخرج فى

---

(١). مرّ الحديث: ص ١٩٠. (المؤلف)

(٢). الخرائج و الجرائح: ٢/ ٩٤١.

ظلمة الليل هارباً، و قد أقعدوا على كلِّ طريق جماعة ليأخذوه إذا ما خرج فى خفية، فلمّا وصل الكميت إلى الفضاء و أراد أن يسلک طريقاً جاء أسدٌ يمنعه من أن يسرى منها، فسلک جانباً آخر فمنعه منه أيضاً، كأنَّه أشار إلى الكميت أن يسلک خلفه، و مضى الأسد فى جانب الكميت، إلى أن أمِن و تخلّص من الأعداء.

و فى معاهد التنصيص «١» (٢/ ٢٨): قال المستهلّ: أقام الكميت مدّة متوارياً، حتى إذا أيقن أنَّ الطلب خفَّ عنه خرج ليلًا فى جماعة من بنى أسد على خوف و وجل، و فيمن معه صاعد غلامه، و أخذ الطريق على القطقطانة، و كان عالماً بالنجوم مهتدياً بها، فلمّا صار سحيراً صاح بنا: هوِّموا «٢» يا فتيان. فهوّمنا، و قام فصلّى. قال المستهلّ: فرأينا شخصاً، فتضعضعت له. فقال: ما لک؟ قلت: أرى شخصاً مقبلًا. فنظر إليه، فقال: هذا ذئب قد جاء يستطعمكم، فجاء الذئب فربض ناحيةً، فأطعمناه يد جزور فتعرّقها، ثمَّ أهوينا له بإناء فيه ماء فشرب منه، فارتحلنا، و جعل الذئب يعوى، فقال الكميت: ماله ويله، أ لم نطعمه و نسقه؟! و

ما أعرفنى بما يريد، هو يدلّنا أنّا لسنا على الطريق! تيامنوا يا فتيان. فتيامنّا، فسكن عواؤه، فلم نزل نسير حتى جئنا الشام، فتوارى فى بنى أسد و بنى تميم.

و هذا جانب عظيم من نواحى مكرمات الكميت و فضائله، لو أُضيف إلى ما يظهر من كلماته المعربة عن نفسيّاته، و مواقفه الكاشفة عن خلائقه الكريمة، و ما قيل فيه و فى مآثره الجمّة يمثّله بين يدى القارئ بمظاهر روحيّاته، و نصب عينيه مجالى نفسيّاته، و أمثلة مكارم أخلاقه، و ما كان يحمله بين جنبيه من العلم، و الفقه، و الأدب، و الإباء، و الشمم، و الحماسة، و الهمّة، و اللباقة، و الفصاحة، و البلاغة، و الخلق الكامل، و قوّة القلب، و الدين الخالص، و التشيّع الصحيح، و الصلاح المحض، و الرشد و السداد، إلى فضائل تكسبه فوز النشأتين لا تُحصى.

---

(١). معاهد التنصيص: ٣/ ٩٨ رقم ١۴٨.

(٢). هَوّم تهويماً: نام قليلًا. (المؤلف)

الكميت و هشام بن عبد الملك

كان خالد بن عبد اللّه القسرى قد أُنشِدَ قصيدة الكميت التى يهجو فيها اليمن، و هى التى أوّلها:

ألا حُيّيتِ عنّا يا مَدِينا و هل ناسٌ تقولُ مسلّمينا

فقال: و اللّه لأقتلنّه. ثمَّ اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن، و تخيّرهنّ نهايةً فى الحسن و الكمال و الأدب، فروّاهنّ الهاشميّات، و دسّهنّ مع نخّاس إلى هشام بن عبد الملك فاشتراهنَّ جميعاً، فلمّا أنس بهنّ و استنطقهنَّ، رأى منهنَّ فصاحةً و أدباً، فاستقرأهنّ القرآن فقرأن، و استنشدهنَّ الشعر فأنشدن قصائد الكميت- الهاشميّات- فقال هشام: ويلكنَّ من قائل هذا الشعر؟ قلن: الكميت بن زيد الأسدى. قال: فى أىِّ بلد هو؟ قلن: بالعراق ثمَّ بالكوفة.

فكتب إلى خالد عامله فى العراق: ابعث إلىَّ برأس الكميت بن زيد. فلم يشعر الكميت إلّا و الخيل محدقةٌ بداره، فأُخذ و حبس فى الحبس.

و كان أبان بن الوليد عاملًا على واسط، و كان الكميت صديقه، فبعث إليه بغلام على بغل، و قال له: أنت حرٌّ إنْ لحقته و البغل لک. و كتب له:

أمّا بعد: فقد بلغنى ما صرتَ إليه و هو القتل، إلّا أن يدفع اللّه، و أرى لک أن تبعث إلى حُبّى- يعنى زوجة الكميت و كانت ممّن تتشيّع أيضاً- فإذا دخلت عليک، تنقّبت نقابها، و لبست ثيابها و خرجت، فإنّى أرجو الأوبة لک.

قال: فركب الغلام البغل، و سار بقيّة يومه و ليلته من واسط إلى الكوفة فصبّحها، فدخل الحبس متنكّراً، و أخبر الكميت بالقصّة، فبعث إلى امرأته و قصَّ عليها القصّة، و قال لها: أى ابنة عمّ إنَّ الوالى لا يقدم عليکِ و لا يسلمکِ قومکِ، و لو خِفتُ عليکِ ما عَرّضْتُکِ له. فألبَستهُ ثيابها و إزارها و خمّرته، و قالت له: أقبل و أدبر،

ففعل، فقالت: ما أُنكر منک شيئاً إلّا يَبَساً فى كتفيک، فاخرج على اسم اللّه تعالى. و أخرجت معه جاريتين لها.

فخرج و على باب السجن أبو الوضّاح حبيب بن بُدير و معه فتيان من أسد فلم يُؤبه له، و مشى الفتيان بين يديه إلى سكّة شبيب بناحية الكناس، فمرَّ بمجلس من مجالس بنى تميم، فقال بعضهم: رجل و رب الكعبة، و أمر غلامه فأتبعه، فصاح به أبو الوضّاح يا كذا و كذا أراک تتبع هذه المرأة منذ اليوم، و أومأ إليه بنعله فولّى العبد مدبراً، و أدخله أبو الوضّاح منزله.

و لمّا طال على السجّان الأمر نادى الكميت فلم يجبه، فدخل ليعرف خبره، فصاحت به المرأة: وراءک، لا أمَّ لک. فشقَّ ثوبه و مضى صارخاً إلى باب خالد، فأخبر الخبر، فأحضر المرأة، فقال لها: يا عدوَّة اللّه احْتَلْت على أمير المؤمنين و أخرجتِ عدوَّ أمير المؤمنين، لأُنَكِلَنَّ بک، و لأصنعنَّ، و لأفعلنَّ. فاجتمعت بنو أسد عليه، و قالوا له: ما سبيلک على امرأة منّا خُدعت. فخافهم، فخلّى سبيلها.

و سقط غراب على الحائط و نعب، فقال الكميت لأبى الوضّاح: إنّى لمأخوذ، و إنَّ حائطک لساقطٌ. فقال: سبحان اللّه! هذا ما لا يكون إن شاء اللّه تعالى، و كان الكميت خبيراً بالزجر- الكهانة- فقال له: لا بدَّ أن تحوِّلنى. فخرج به إلى بنى علقمة- و كانوا يتشيّعون- فأقام فيهم، و لم يصبح حتى سقط الحائط الذى سقط عليه الغراب.

قال المستهلّ: و أقام الكميت مدّةً متوارياً، حتى إذا أيقن أنَّ الطلب خفَّ عنه، خرج ليلًا فى جماعة من بنى أسد و بنى تميم، و أرسل إلى أشراف قريش، و كان سيِّدهم يومئذ عنبسة بن سعيد بن العاص، فمشت رجالات قريش بعضها إلى بعض و أتوا عنبسة فقالوا: يا أبا خالد هذه مكرمة أتاک بها اللّه تعالى، هذا الكميت بن زيد لسان مضر، و كان أمير المؤمنين قد كتب فى قتله، فنجا حتى تخلّص إليک و إلينا. قال:

فمروه أن يعوذ بقبر معاوية بن هشام بدير حنيناء.

فمضى الكميت فضرب فسطاطه عند قبره، و مضى عنبسة فأتى مسلمة بن هشام، فقال: يا أبا شاكر مكرمة أتيتک بها تبلغ الثريّا إن اعتقدتَها، فإن علمتَ أنَّک تفى بها و إلّا كتمتها. قال: و ما هى؟ فأخبره الخبر، و قال: إنّه قد مدحكم عامّة و إيّاک خاصّة بما لم يُسمع بمثله، فقال: علىَّ خلاصه.

فدخل على أبيه هشام و هو عند أمّه فى غير وقت دخول، فقال له هشام: أ جئت لحاجة؟ قال: نعم. قال: هى مقضيّةٌ إلّا أن تكون الكميت. فقال: ما أُحبُّ أن تستثنى علىَّ فى حاجتى، و ما أنا و الكميت! فقالت أمّه: و اللَّه لَتَقْضِيَنَّ حاجته كائنةً ما كانت، قال: قد قضيتها و لو أحاطت بما بين قُطْرَيْها. قال: [هى الكميت] «١» يا أمير المؤمنين! و هو آمنٌ بأمان اللَّه و أمانى، و هو شاعر مضر، و قد قال فينا قولًا لم يُقل مثله. قال: قد أمّنته، و أجزت أمانک له، فاجلس له مجلساً يُنْشدک فيه ما قال فينا، فعقد مجلساً و عنده الأبرش الكلبى، فتكلّم بخطبة ارتجلها ما سُمع بمثلها قطُّ، و امتدحه بقصيدته الرائيَّة، و يقال: إنّه قالها ارتجالًا، و هى قوله:

قف بالديار وقوف زائر

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله:

ما ذا عليک من الوقو	ف بها و إنَّک غير صاغرْ
درجَتْ عليک الغاديا	تُ الرائحاتُ من الأعاصرْ

و يقول فيها:

فالآن صرت إلى أميّ	ة و الأمور إلى المصائرْ

---

(١). أثبتنا الزيادة من معاهد التنصيص.

فجعل هشام يغمز مسلمة بقضيب فى يده فيقول: اسمع، اسمع.

ثمّ استأذنه فى مرثيّة ابنه معاوية، فأذن له فيها، فأنشده قوله:

سأبكيک للدنيا و للدين إنّنى رأيت يد المعروف بعدک شَلّتِ

أدامت عليكم بالسلام تحيّةً ملائكةُ اللّه الكرامُ و صلّتِ

فبكى هشام بكاءً شديداً، فوثب الحاجب فسكّته.

ثمَّ جاء الكميت إلى منزله آمناً، فحشدت له المضريّة بالهدايا، و أمر له مسلمة بعشرين ألف درهم، و أمر له هشام بأربعين ألف درهم، و كتب إلى خالد بأمانه و أمان أهل بيته، و أنّه لا سلطان له عليهم. قال: و جمعت له بنو أميّة فيما بينها مالًا كثيراً، و لم يجمع من قصيدته تلک يومئذٍ إلّا ما حفظه الناس منها فأُلف، و سُئل عنها فقال: ما أحفظ منها شيئاً، إنّما هو كلام ارتجلته.

و فى رواية: إنّه لمّا أجاره مسلمة بن هشام و بلغ ذلک هشاماً، دعا به، و قال له: أ تُجير على أمير المؤمنين بغير أمره؟ فقال: كلّا و لكنّى انتظرت سكون غضبه. قال: احضرنيه الساعة فإنّه لا جوار لک. فقال مسلمة للكميت: يا أبا المستهلّ إنَّ أمير المؤمنين قد أمرنى بإحضارک. قال: أتسلمنى يا أبا شاكر؟ قال: كلّا، و لكنّى أحتال لک، ثمَّ قال له: إنَّ معاوية بن هشام مات قريباً، و قد جزع عليه جزعاً شديداً، فإذا كان من الليل فاضرب رواقک على قبره، و أنا أبعث إليک بنيه يكونون معک فى الرواق، فإذا دعا بک تقدّمتَ إليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابک، و يقولون: هذا استجار بقبر أبينا و نحن أحقُّ بإجارته.

فأصبح هشام على عادته متطلّعاً من قصره إلى القبر، فقال: ما هذا؟ فقالوا: لعلّه مستجيرٌ بالقبر. فقال: يُجار من كان إلّا الكميت، فإنّه لا جوار له. فقيل فإنَّه الكميت. فقال: يُحضر أعنف إحضار.

ص: ٣٠٢

فلمّا دُعى به ربط الصبيان ثيابهم بثيابه، فلمّا نظر هشام إليهم اغرورقت عيناه و استعبر، و هم يقولون: يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا و قد مات و مات حظّه من الدنيا، فاجعله هبةً له و لنا، و لا تفضحنا فى من استجار به.

فبكى هشام حتى انتحب، ثمَّ أقبل على الكميت فقال له: يا كميت أنت القائل:

و إلّا فقولوا غيرها تتعرّفوا نواصِيَها تُروى بنا و هى شُزَّب«١»

فقال: لا و اللّه، و لا أتان من أُتن الحجاز وحشيّة. فقال الكميت: الحمد للّه. قال هشام: نعم الحمد للّه، ما هذا؟

قال الكميت: مبتدئ الحمد و مبتدعه، الذى خصَّ بالحمد نفسه، و أمر به ملائكته، و جعله فاتحة كتابه، و منتهى شكره، و كلام أهل جنّته، أحمدُ حمدَ مَن علم يقيناً، و أبصر مستبيناً، و أشهد له بما شهد لنفسه، قائماً بالقسط وحده لا شريک له، و أشهد أنَّ

محمداً عبده العربی، و رسوله الأمّیّ، أرسله و الناس فی هفوات حیرة، و مُدلهمّات ظلمة، عند استمرار أبّهة الضلال، فبلّغ عن اللّه ما أُمر به، و نصح لأمّته، و جاهد فی سبیله، و عبد ربّه حتی أتاه الیقین صلی الله علیه و سلم. ثمّ تکلّم و اعتذر عن هجائه بنی أمیّة، و أنشد أبیاتاً من رائیّته فی مدحهم.

فقال له هشام: ویلک یا کمیت من زیَّن لک الغوایة، و دلّاک فی العمایة؟ قال: الذی أخرج أبانا من الجنّة، و أنساه العهد فلم یجد له عزماً. فقال له: إیهٍ یا کمیت أ لستَ القائل؟:

فیا مُوقِداً ناراً لغیرک ضوؤها و یا حاطباً فی غیر حبلِک تحطبُ

فقال: بل أنا القائل:

---

(۱). تروی: أی ترمی. تشازب القوم علی الأمر: أی کان لکلّ واحد منهم حظّ ینتظره. یقال: هم متشازبون. (المؤلف)

إلی آل بیتِ أبی مالکٍ مناخٌ هو الأرحب الأسهلُ

نَمُتُّ بأرحامِنا الداخلا ت من حیث لا یُنکر المدخَلُ

بمرّة و النضر و المالکی ن رهطٌ هم الأنبل الأنبلُ

وجدنا قریشاً قریشَ البطاحِ علی ما بنی الأوّلُ الأوّلُ

بهم أصلح اللّه بعد الفساد و حیص من الفتق ما رعبلوا«۱»

قال له: و أنت القائل:

لا کعبد الملیک أو کولیدٍ أو سلیمانَ بَعْدُ أو کهشامِ

من يمتْ لا يمت فقيداً و من يح یَ فلا ذو إلٍّ و لا ذو ذمامِ

ویلک یا کمیت جعلتنا ممّن لا یرقب فی مؤمن إلّا و لا ذمّة.

فقال: بل أنا القائل یا أمیر المؤمنین:

فالآن صرتُ إلی أمیّ ة و الأمورُ إلی المصائرْ

و الآن صرتُ بها إلی الم صیب کمهتدٍ بالأمس حائرْ

فقال: إیه فأنت القائل:

فقل لبنی أمیّة حیث حلّوا و إن خفتَ المهنَّدَ و القطیعا

أجاع اللَّهُ من أشبعتموهُ و أشبع من بجورِکمُ أُجیعا

بمرضیٍّ السیاسة هاشمیٍ یکون حیاً لأمّته ربیعا

فقال: لا تثریب یا أمیر المؤمنین إنْ رأیت أن تمحو عنّی قولی الکاذب. قال: بما ذا؟ قال: بقولی الصادق:

أورَثَتْهُ الحصانُ أمُّ هِشامٍ حَسَباً ثاقباً و وجهاً نضیرا

---

(۱). حاص حیصاً: عدل و حاد. رعبلوا: مزّقوا. (المؤلف)

و تعاطى به ابن عائشة البد رَ فأمسى له رقيباً نظيراً

و كساه أبو الخلائف مروا نُ سناءَ المكارمِ المأثورا

لم تَجهّمْ «۱» له البِطاحُ و لكنْ وجدْتها له مَعاناً «۲» و دورا

و كان هشام متّكئاً فاستوى جالساً، و قال: هكذا فليكن الشعر. يقولها لسالم ابن عبد اللّه بن عمر و كان إلى جانبه.

ثمَّ قال: قد رضيت عنک يا كميت! فقبّل يده و قال: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تزيد فى تشريفى فلا تجعل لخالد علىَّ إمارة. قال: قد فعلت، و كتب بذلک. و أمر له بأربعين ألف درهم و ثلاثين ثوباً هشاميّة، و كتب إلى خالد: أن يخلّى سبيل امرأته، و يعطيها عشرين ألف درهم و ثلاثين ثوباً. ففعل ذلک. الأغانى «۳» (۱۵/ ۱۱۵- ۱۱۹)، العقد الفريد «۴» (۱/ ۱۸۹).

كان هشام بن عبد الملک مشغوفاً بجارية له يقال لها صدوف مدنيّة، اشتُريت له بمال جزيل، فعتب عليها ذات يوم فى شىء و هجرها، و حلف أن لا يبدأها بكلام، فدخل عليه الكميت و هو مغمومٌ بذلک، فقال: مالى أراک مغموماً يا أمير المؤمنين لا غمّک اللّه؟ فأخبره هشام بالقصّة، فأطرق الكميت ساعةً، ثمَّ أنشأ يقول:

أعتبتَ أمْ عتبتْ عليک صدوفُ و عتابُ مثلِکَ مثلَها تشريفُ

لا تقعُدَنَّ تلوم نفسک دائباً فيها و أنت بحبِّها مشغوفُ

إنَّ الصريمةَ لا يقوم بثقلها إلّا القوىُّ بها و أنت ضعيفُ

فقال هشام: صدقتَ و اللّه، و نهض من مجلسه فدخل إليها، و نهضت إليه

---

(۱). تجهّم له: استقبله بوجهٍ عبوس كريه. (المؤلف)

(۲). المَعان بفتح الميم: المنزل يقال: هم منک بمعان أى: بحيث تراهم بعينک. (المؤلف)

(۳). الأغانى: ۱۷/ ۱۲- ۱۷.

(۴). العقد الفريد: ۱/ ۲۵۷.

ص: ۳۰۵

فاعتنقته، و انصرف الكميت، فبعث إليه هشام بألف دينار، و بعثت إليه بمثلها. الأغانى «۱» (۱۵/ ۱۲۲)

الكميت و يزيد بن عبد الملک

حدّث حُبيش بن الكميت قال: وفد الكميت على يزيد بن عبد الملک، فدخل عليه يوماً و قد اشتُريت له سلّامة القس، فأُدخلت‌إليه و الكميت حاضرٌ، فقال له: يا أبا المستهلّ هذه جاريةٌ تُباع، أ فترى أن نبتاعها؟ فقال: إى و اللَّه يا أمير المؤمنين و ما أرى أنَّ لها مثيلًا فلا تفوتنّک. قال: فصفها لى فى شعر حتى أقبل رأيک. فقال الكميت:

هى شمس النهار فى الحسن إلّا أنَّها فُضِّلت بفتک الطرافِ

غضّةٌ بضّةٌ رخيمٌ لعوبٌ وعثةُ المتنِ ثُخْنَةُ الأطرافِ«۲»

زانها دَلُّها و ثغرٌ نقىٌ و حديثٌ مرتّلٌ غير جافى

خُلِقَتْ فوق مُنية المتمنّى فاقبلِ النصحَ يا ابن عبد منافِ

قال: فضحک يزيد، و قال: قد قبلنا نصحک يا أبا المستهلّ. فأمر له بجائزة سنيّة. الأغانى «۳» (۱۵/ ۱۲۲)

و للكميت مع خالد بن عبد اللَّه القسرى أخبارٌ عند قدومه الكوفة، منها: أنَّه مرَّ يوماً و قد تحدّث الناس بعزله عن العراق، فلمّا جاز تمثّل الكميت، و قال:

أراها و إن كانت تُحَبُّ كأنّها سحابةُ صيفٍ عن قليل تَقَشّعُ

---

(۱). الأغانى: ۱۷/ ۲۴.

(۲). الغضّ: الطرىّ الناعم. يقال: شباب غضّ، أى ناضر. البضّة: رقيقة الجلد، ناعمة فى السمن. الرخيم، من رخمت الجارية: صارت سهلة المنطق، فهى رخيمة و رخيم. الوعث: الهزال. ثخن: غلظ. (المؤلف)

(۳). الأغانى: ۱۷/ ۲۵.

ص: ۳۰۶

فسمعه خالد فرجع، و قال: أما و اللّه لا تنقشع حتى يغشاک منها شؤبوب بَرَد، ثمَّ أمر به فجرِّد و ضُرب مائة سوط، ثمَّ خلّى عنه و مضى. رواه ابن حبيب. الأغانى «۱» (۱۵/ ۱۱۹)

و من مُلَح الكميت: أنَّ الفرزدق مرَّ به و هو ينشد، و الكميت يومئذ صبىّ، فقال له الفرزدق: أ يسرُّک أنّى أبوک؟. فقال: لا، و لكن يسرُّنى أن تكون أمّى! فَحَصِرَ الفرزدق فأقبل على جلسائه، و قال: ما مرَّ بى مثل هذا قطُّ. الأغانى «۲» (۱۵/ ۱۲۳)

ولادته و شهادته:

وُلد الكميت فى سنة ستِّين- عام شهادة الإمام السبط الشهيد صلوات اللّه عليه- و عاش عيشة مرضيّة سعيداً فى دنياه، باذلًا كلّه فى سبيل ما اختاره له ربّه، داعياً إلى سنن الهدى، حتى أُتيحت له الشهادة ببركة دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام له بها، و بعين اللّه ما هُريق من دمه الطاهر، و ذلک بالكوفة فى خلافة مروان بن محمد سنة (۱۲۶).

و كان سبب موته ما حكاه حجر بن عبد الجبّار قال: خرجت الجعفريّة «۳» على خالد القسرى و هو يخطب على المنبر و لا يعلم بهم، فخرجوا فى التبابين «۴» ينادون: لبّيک جعفر، لبّيک جعفر، و عرف خالد خبرهم و هو يخطب، فدهش بهم، فلم يعلم ما يقول فزعاً فقال: اطعمونى ماءً! ثمَّ خرج الناس إليهم فأُخذوا، فجعل يجىء بهم إلى المسجد، و يُؤخذ طنٌّ قصب فيُطلى بالنفط، و يُقال للرجل منهم: احتضنه. و يُضرب حتى يفعل. ثمَّ يحرق، فحرقهم جميعاً، فلمّا عزل خالدٌ عن العراق و وليه

---

(۱). الأغانى: ۱۷/ ۱۷.

(۲). الأغانى: ۱۷/ ۲۶.

(۳). هم: المغيرة بن سعيد و بيان و أصحابهما الستّة، و كانوا يسمّون: الوصفاء. (المؤلف)

(۴). التبابين: جمع تُبّان، و هو سراويل صغير مقدار شبر يستر العورة فقط.

ص: ۳۰۷

يوسف بن عمر دخل عليه الكميت، و قد مدحه بعد قتله زيد بن علىّ، فأنشده قوله فيه:

خرجت لهم تمشی البراح و لم تکن كمن حصنه فيه الرتاج المضبَّبُ

و ما خالدٌ يستطعم الماء فاغراً بعدلک و الداعی إلی الموت ينعبُ

قال: و الجند قيامٌ علی رأس يوسف بن عمر- و هم ثمانية- فتعصّبوا لخالد، فوضعوا نعال سيوفهم فی بطن الكميت، فوجؤوه بها و قالوا: أ تنشد الأمير و لم تستأمره؟ فلم يزل ينزف الدم حتی مات. الأغانی «۱» (۱۵/ ۱۲۱)

و حدّث المستهل «۲» بن الكميت قال: حضرت أبی عند الموت و هو يجود بنفسه، و أُغمی عليه ثمَّ أفاق، ففتح عينيه ثمَّ قال: اللّهمَّ آل محمد، اللّهمَّ آل محمد، اللّهمّ آل محمد- ثلاثاً-. ثمّ قال: يا بُنیَّ وددت أنّی لم أكن هجوت نساء بنی كلب بهذا البيت و هو:

مع العُضروطِ و العُسفاء أَلْقَوْا برادعَهُنَّ غير مُحصَّنينا«۳»

فعمّتهنَّ قذفاً بالفجور، و اللَّه ما خرجت ليلًا قطُّ إلّا خشيت أن أُرمی بنجوم السماء لذلک.

ثمّ قال: يا بنیَّ إنّه بلغنی فی الروايات أنّه يُحفر بظهر الكوفة خندقٌ، و يُخرج فيه الموتی من قبورهم، و يُنبشون منها فيُحوَّلون إلی قبور غير قبورهم؛ فلا تدفنّی فی الظهر، و لكن إذا متُّ فامض بی إلی موضع يقال له مكران، فادفنّی فيه، فدفن فی ذلک الموضع، و كان أوّل من دُفن فيه، و هو مقبرةُ بنی أسد إلی الساعة. الأغانی «۴» (۱۵/ ۱۳۰)، المعاهد «۵» (۲/ ۱۳۱).

---

(۱). الأغانی: ۱۷/ ۲۲.

(۲). كان المستهل من الشعراء المعروفين و له ديوان، كما فی فهرست ابن النديم: ص ۲۳۳. (المؤلف)

(۳). العضروط: الخادم علی طعام بطنه. و العسيف: الأجير.

(۴). الأغانی: ۱۷/ ۴۳.

(۵). معاهد التنصيص: ۳/ ۱۰۶ رقم ۱۴۸.

٧- السيّد الحميرى

المتوفّى (١٧٣)

- ١ -

يا بائعَ الدين بدنياهُ ليس بهذا أمَرَ اللّهُ

من أين أبغضتَ عليَّ الوصىَ و أحمدٌ قد كان يرضاهُ

من الذى أحمدُ من بينهم يوم غدير الخُمِّ ناداهُ

أقامَهُ من بين أصحابِه و هم حواليهِ فسماهُ

هذا عليُّ بن أبى طالبٍ مولىً لمن قد كنتُ مولاهُ

فوالِ من والاهُ يا ذا العلا و عادِ من قد كان عاداهُ

- ٢ -

هلّا وقفتَ على المكانِ المُعشِبِ بين الطُّوَيْلعِ فاللّوى من كَبْكَبِ

و يقول فيها:

و بخُمٍّ اذ قال الإلهُ بعزمهِ قم يا محمدُ فى البريّةِ فاخطُبِ

و انصبْ أبا حسنٍ لقومک إنّه هادٍ و ما بلّغتَ إنْ لم تَنْصِبِ

فدعاهُ ثمَّ دعاهُمُ فأقامَهُ لهُمُ فبينَ مصدِّقٍ و مكذِّبِ

جعل الولايةَ بعده لمُهذَّبٍ ما كان يجعلُها لغيرِ مهذَّبِ

و له مناقبُ لا تُرامُ متى يُرِدْ ساعٍ تناول بعضها بتذبذبِ

إنّا نَدين بحبِّ آلِ محمدٍ ديناً و من يُحببهمُ يستوجبِ

منّا المودّة و الولاء و من يُرِدْ بدلًا بآل محمدٍ لا يُحببِ

و متى يَمُت يَرِدِ الجحيمَ و لا يَرِدْ حوضَ الرسولِ و إن يَرِدْهُ يُضرَبِ

ضربَ الُمحاذِرِ أنْ تعرَّ رِكابهُ بالسوط سالفة البعير الأجربِ

و كأنَّ قلبى حين يَذكرُ أحمداً و وصىَّ أحمدٍ نيطَ من ذى مخلبِ

بذُرى القوادم من جَناح مصعّدٍ فى الجوِّ أو بذُرى جناحٍ مصوبِ

حتى يكادَ من النزاع إليهما يَفرى الحجابَ عن الضلوع القُلَّبِ

هبةٌ و ما يهب الإله لعبده يزدد و مهما لا يَهبْ لا يُوهَبِ

يمحو و يُثبتُ ما يشاءُ و عنده علمُ الكتابِ و علمُ ما لم يُكتبِ

هذه القصيدة ذات (۱۱۲) بيتاً تسمّى بالمذهَّبة، شرحها سيِّد الطائفة الشريف المرتضى «۱»، علم الهدى، و طبعت بمصر (۱۳۱۳)، و قال فى شرح قوله:

و انصبْ أبا حسنٍ لقومِکَ إنَّهُ هادٍ و ما بَلّغتَ إنْ لم تَنصبِ

هذا اللفظ- يعنى النصب- لا يليق إلّا بالإمامة و الخلافة دون المحبّة و النصرة، و قوله: جعل الولاية بعده لمهذَّب صريحٌ فى الإمامة؛ لأنَّ الإمامة هى التى جُعلت له بعده، و المحبّة و النصرة حاصلتان فى الحال و غير مختصّتين بعد الوفاة.

و شرحها أيضاً الحافظ النسّابة الأشرف ابن الأغرّ المعروف بتاج العُلى الحسينى المتوفّى (۶۱۰).

---

(۱). طبع فى القاهرة سنة (۱۳۱۳ ه) مع مسار الشيعة للشيخ المفيد، و طبع وحده فى بيروت سنة (۱۹۷۰ م) من منشورات دار الكتاب الجديد و تحقيق محمد الخطيب تحقيقاً أخرج الكتاب عن طابعه الشيعى! و طبع فى قم سنة (۱۴۱۰ ه) ضمن سلسلة رسائل الشريف المرتضى/ المجموعة الرابعة: ص ۱۳۲. (الطباطبائى)

- ۳-

خف يا محمدُ فالقَ الإصباح — و أزِل فساد الدينِ بالإصلاحِ

أ تسُبُّ صِنْوَ محمدٍ و وصيّه — ترجو بذاک الفوزَ بالإنجاحِ

هيهاتَ قد بعدا عليک و قرّبا — منک العذابَ و قابضَ الأرواحِ

أوصى النبىُّ له بخيرِ وصيّةٍ — يومَ الغديرِ بأبْيَنِ الإفصاحِ

مَن كنتُ مولاهُ فهذا و اعلموا — مولاهُ قولَ إشاعةٍ و صُراحِ

قاضى الديونِ و مرشدٌ لكُمُ كما — قد كنتُ أرشُد من هدىً و فلاحِ

أغويتَ أمِّى و هى جِدُّ ضعيفةٍ — فَجَرَت بقاعِ الغىِّ جَرْىَ جِماحِ

بالشتم للعَلَمِ الإمامِ و من لهُ — إرثُ النبىِّ بأوْكدِ الإيضاحِ

إنّى أخافُ عليكما سَخَطَ الذى — أرسى الجبالَ بسبسبٍ صَحْصَاحِ

أبوىَّ فاتّقيا الإله و أذْعِنا — للحقِ«۱»

هذه الأبيات رواها المرزبانى «۲»، كتبها السيِّد إلى والديه يدعوهما إلى التشيّع و ولاء أمير المؤمنين، و ينهاهما عن سبّه، و كانا إباضيّين.

- ۴-

إذا أنا لم أحفظ وَصَاةَ محمدٍ — و لا عهده يومَ الغدير المؤكّدا

فإنّی کمن یشری الضلالة بالهدی تنصّر من بعد الهدی أو تهوّدا

و ما لی و تیماً أو عَدِیّا و إنّما أولو نعمتی فی اللّهِ من آلِ أحمدا

تتِمُّ صلاتی بالصلاةِ علیهمُ و لیستْ صلاتی بعد أن أتشهّدا

بکاملةٍ إن لم أُصلِّ علیهمُ و أدعُ لهم ربّا کریماً ممجَّدا

---

(۱). هکذا وجدناه بیاضا فی الأصل [و فی الطبعة التی بین أیدینا توجد هذه العبارة مکان البیاض: تعتصما بحبل نجاح]. (المؤلف)

(۲). أخبار السیِّد الحمیری: ص ۱۵۵.

بذلتُ لهم وُدّی و نصحی و نصرتی مدی الدهر ما سُمِّیتُ یا صاحِ سَیِّدا

و إنَّ امرأً یُلحی علی صدقِ ودِّهم أحقُّ و أولی فیهمُ أن یُفنَّدا

فإن شئتَ فاختر عاجلَ الغمِّ ضلّةً و إلّا فأمسِک کی تُصانَ و تُحمدا

هذه القصیدة یوجد منها (۲۵) بیتاً. روی أبو الفرج فی الأغانی «۱» (۷/ ۲۶۲):

إنَّ أبا الخلّال العتکی دخل علی عقبة بن سَلْم، و السیِّد عنده و قد أمر له بجائزة، و کان أبو الخلّال شیخ العشیرة و کبیرها، فقال له: أیّها الأمیر أ تعطی هذه العطایا رجلًا ما یفتر من سبِّ أبی بکر و عمر؟ فقال له عقبة: ما علمتُ ذاک، و ما أعطیته إلّا علی العِشرة و المودّة القدیمة، و ما یوجبه حقُّه و جواره مع ما هو علیه من موالاة قوم یلزمنا حقّهم و رعایتهم. فقال له أبو الخلّال: فَمُرْهُ إن کان صادقاً أن یمدح أبا بکر و عمر حتی نعرف براءته ممّا یُنسب إلیه من الرفض. فقال: قد سمعک فإن شاء فعل. فقال السیِّد:

إذا أنا لم أحفظ وَصَاة محمد و لا عهده يومَ الغدير المؤكّدا

إلى آخر الأبيات، ثمَّ نهض مغضباً.

فقام أبو الخلّال إلى عقبة فقال: أعذنى من شرِّهِ أعاذک اللَّه من السوء أيُّها الأمير، قال: قد فعلتُ على أن لا تَعرِضَ له بعدها.

-۵-

قد أطلتم فى العذلِ و التنقيدِ بهوى السيِّد الإمامِ السديدِ

يقول فيها:

يوم قام النبىُّ فى ظلِّ دَوحٍ و الورى فى وَديقةٍ صيخودِ«۲»

---

(۱). الأغانى: ۷/ ۲۸۲.

(۲). الوديقة: شدّة الحرّ. و الصّيخود: شديدُ الحرّ، يقال: يوم صيخود و صخدان. (المؤلف)

رافعاً كفّه بيمنى يديه بائحاً باسمه بصوتٍ مديدِ

أيُّها المسلمون هذا خليلى و وزيرى و وارثى و عقيدى

و ابنُ عمّى ألا فمن كنتُ مولاهُ فهذا مولاهُ فارعَوا عهودى

و علىٌّ منّى بمنزل هارونَ بن عمرانَ من أخيه الودودِ

-٦-

أجدَّ بآل فاطمةَ البُكورُ فدمعُ العينِ مُنْهَلٌّ غزيرُ

يقول فيها:

لقد سمعوا مقالتهُ بخُمٍ غداةَ يضمُّهمُ و هو الغديرُ

فمن أولى بكمْ منكمْ فقالوا مقالةَ واحدٍ و هُمُ الكثيرُ

جميعاً أنت مولانا و أولى بنا منّا و أنت لنا نذيرُ

فإنَّ وليّكم بعدى علىٌّ و مولاكم هو الهادى الوزيرُ

وزيرى فى الحياة و عند موتى و من بعدى الخليفةُ و الأميرُ

فوالى اللَّهُ من والاهُ منكمْ و قابله لدى الموتِ السرورُ

و عادى اللَّهُ من عاداهُ منكم و حلَّ به لدى الموت الثبورُ

-٧-

ألا الحمد للَّهِ حمداً كثيرا ولىِّ المَحامدِ ربّا غفورا

هدانى إليه فوحّدتُهُ و أخلصتُ توحيدَهُ المستنيرا

و يقول فيها:

لذلک ما اختاره ربُّهُ لخير الأنام وَصيّا ظهيرا

فقام بخُمٍّ بحيثُ الغديرُ و حطَّ الرحالَ و عافَ المسيرا

و قُمَّ له الدوحُ ثمَّ ارتقى على منبرٍ كان رحلًا و كورا

ص: ۳۱۴

و نادى ضحىً باجتماع الحجيجِ فجاءوا إليه صغيراً كبيرا

فقال و فى كفِّه حيدرٌ يُليحُ إليه مُبيناً مُشيرا

ألا إنَّ من أنا مولىً لهُ فمولاه هذا قَضاً لن يجورا

فهل أنا بلّغتُ قالوا نعم فقال اشهدوا غُيَّباً أو حضورا

يبلّغ حاضرُكمْ غائباً و أُشهد ربِّى السميعَ البصيرا

فقوموا بأمر مَليکِ السما يبايعْهُ كلٌّ عليه أميرا

فقاموا لبيعته صافقينَ أكفّا فأوجس منهم نكيرا

فقال إلهىَ والِ الولىَ و عادِ العدوَّ له و الكفورا

و كن خاذلًا للأُلى يخذلون و كن للأُلى ينصرون نصيرا

فكيف ترى دعوة المصطفى مجاباً بها أو هباءً نثيرا

أُحبّک يا ثانىَ المصطفى و من أشهدَ الناسَ فيه الغديرا

و أشْهدُ أنَّ النبىَّ الأمينَ بلّغ فيک نداءً جهيرا

و أنَّ الذين تعادَوا عليک سيُصلَون ناراً و ساءت مصيرا

-٨-

قف بالديار و حَيِّهنَّ ديارا و اسقِ الرسومَ المَدمعَ المِدرارا

كانت تحِلُّ بها النوارُ و زينبٌ فرعى إلهى زينباً و نَوارا

قل للذى عادى وصىَّ محمدٍ و أبان لى من لفظه إنكارا

يقول فيها:

من خاصفٌ نعلَ النبىِّ محمدٍ يُرضى بذاک الواحدَ الغفّارا

فيقول فيهِ معلناً خيرُ الورى جهراً و ما ناجى به إسرارا

هذا وصيّى فيكمُ و خليفتى لا تجهلوهُ فترجعوا كفّارا

و له بيوم الدوحِ أعظمُ خطبةٍ أدّى بها وحىَ الإلهِ جَهارا

ص: ٣١٥

-٩-

بلغ سوّار بن عبد اللَّه العَنْبَرىّ قاضى البصرة قول شاعرنا السيِّد الحميرى فى حديث الطائر المشوىِّ المتّفق عليه:

لمّا أتى بالخبرِ الأنبلِ فى طائرٍ أُهدى إلى المرسَلِ

فى خبرٍ جاء أبانٌ بهِ عن أنسٍ فى الزمن الأوّلِ

هذا و قيسُ الحَبْرُ يرويه عنْ سفينةٍ ذى القُلّب الحُوَّلِ

سفينةٌ يمكن من رشده و أنسٌ خان و لم يَعدِلِ

فى ردِّه سيِّدَ كلِّ الورى مولاهمُ فى المُحْكم المنزلِ

فصدّه ذو العرش عن رشده و شانه بالبَرَصِ الأنكلِ

فقال سوّار: ما يدع هذا أحداً من الصحابة إلّا رماه بشعر يُظهر عواره، و أمر بحبسه، فاجتمع بنو هاشم و الشيعة، و قالوا له: و اللّه لئن لم تخرجه و إلّا كسرنا الحبس و أخرجناه، أ يمتدحک شاعرٌ فتثيبه و يمتدح أهل البيت شاعرٌ فتحبسه؟ فأطلقه على مضض، فقال يهجوه:

قولا لسوّارٍ أبى شملةٍ يا واحداً فى النَوک و العارِ

ما قلتُ فى الطيرِ خلافَ الذى رويتَهُ أنت بآثارِ

و خبرُ المسجد إذ خصّه محلّلًا من عَرْصَة الدارِ

إن جُنُباً كان و إن طاهراً فى كلِّ إعلانٍ و إسرارِ

و أخرج الباقين منه معاً بالوحى من إنزال جبّارِ

حَبَا عليّا و حسيناً معاً و الحسنَ الطُّهْرَ لأطهارِ

و فاطماً أهلَ الكساءِ الأُلى خُصّوا بإكرامٍ و إيثارِ

فمبغض اللّه يرى بغضَهمُ يصير للخزى و للنارِ

عليه من ذى العرش فى فعلِهِ و سمٌ يراه العائبُ الزارى

و أنتَ يا سوّارُ رأسٌ لهمْ فی کلِّ خزیٍ طالب الثارِ

تعیبُ من آخاه خیرُ الوری من بین أطهارٍ و أخیارِ

و قال فی خُمٍّ له معلناً ما لم یُلقّوه بإنکارِ

من کنت مولاهُ فهذا له مولیً فکونوا غیر کفّارِ

فعوّلوا بعدی علیه و لا تبغُوا سَراب المَهْمَهِ الجاری«۱»

و قال یهجو سوّار القاضی بعد موته «۲»:

یا من غدا حاملًا جُثمان سوّارِ من داره ظاعناً منها إلی النارِ

لا قدّس اللّه روحاً کان هیکلَها لقد مضت بعظیمِ الخزی و العارِ

حتی هوت قعرَ بُرهوتٍ معذَّبةً و جسمُه فی کنیفٍ بین أقذارِ

لقد رأیتُ من الرحمن معجبةً فیه و أحکامُهُ تجری بمقدارِ

فاذهب علیکَ من الرحمن بَهلتُه«۳» یا شرَّ حیٍّ یراه الواحد الباری

یا مبغضاً لأمیر المؤمنین و قد قال النبیُّ له من دون إنکارِ

یومَ الغدیر و کلُّ الناس قد حضروا من کنت مولاهُ فی سرٍّ و إجهارِ

هذا أخی و وصیِّی فی الأمور و من یقوم فیکم مقامی عند تذکاری

یا ربِّ عادِ الذی عاداهُ من بشرٍ و أصْلِهِ فی جحیمٍ ذاتِ إسعارِ

و أنت لا شکَّ عادیتَ الإلهَ بهِ فیا جحیمُ ألا هُبِّی لِسوّارِ

لأمِّ عمروٍ باللوى مَرْبَعُ | طامسةٌ أعلامُها بلقعُ

تروع عنها الطيرَ وحشيّةً | و الوحشُ من خِيفته تفزعُ

---

(١). أعيان الشيعة: ٣/ ۴١۵.

(٢). الأغانى: ٧/ ٢٨٨ و ذكر منها خمسة أبيات.

(٣). البهلة: اللعنة.

رُقشٌ يخافُ الموت من نفثها | و السمُّ فى أنيابها مُنقَعُ

برسمِ دارٍ ما بها مؤنسٌ | إلّا صلالٌ فى الثرى وُقَّعُ

لمّا وقفتُ العيسَ فى رسمِها | و العينُ من عِرفانِه تدمعُ

ذكرتُ من قد كنتُ ألهو به | فبِتُّ و القلبُ شجٍ موجعُ

كأنَّ بالنار لِما شَفّنى | من حُب أروى كبدى تُلْذعُ

عجبتُ من قومٍ أتَوا أحمداً | بخُطّةٍ ليس لها موضعُ

قالوا له لو شئتَ أعلَمْتَنا | إلى منِ الغايةُ و المفزعُ

إذا تُوفِّيتَ و فارقتَنا | و فيهمُ فى المُلک من يطمعُ

فقال لو أعْلَمْتُكُمْ مَفزَعاً | كنتمْ عَسَيتُم فيه أنْ تصنعوا

صنيعَ أهل العِجْلِ إذ فارقوا | هارونَ فالتّرک له أوسعُ

و فى الذى قال بيانٌ لمن | كان إذا يعقلُ أو يسمعُ

ثمَّ أتتهُ بعد ذا عَزْمةٌ — من ربِّه ليس لها مَدفعُ

بلّغ و إلّا لم تكن مُبْلِغاً — و اللَّهُ منهم عاصمٌ يمنَعُ

فعندها قامَ النبيُّ الذى — كان بما يؤمرُ به يَصدعُ

يخطِبُ مأموراً و فى كفِّهِ — كفُّ علىٍّ ظاهرٌ تلمعُ

رافعها أكرم بكفِّ الذى — يرفع و الكفُّ التى ترفعُ

يقول و الأملاک من حوله — و اللَّه فيهم شاهدٌ يسمعُ

من كنت مولاه فهذا له — مولىً فلم يرضَوا و لم يقنعوا

فاتّهموهُ و حَنَتْ فيهمُ — على خلاف الصادق الأضلعُ

و ضلَّ قومٌ غاظهم فعلُهُ — كأنَّما آنافهم تُجدعُ

حتى إذا وارَوْهُ فى لَحدِهِ — و انصرفوا عن دفنه ضيّعوا

ما قال بالأمس و أوصى به — و اشتروا الضرَّ بما ينفعُ

القصيدة (۵۴) بيتاً

ص: ۳۱۸

ما يتبع الشعر

عن فضيل الرسّان قال: دخلت على جعفر بن محمد عليه السلام أُعزّيه عن عمِّه زيد، ثمَّ قلت: ألا أنشدک شعر السيِّد؟ فقال: «أنشد»، فأنشدته قصيدة يقول فيها:

فالناسُ يومَ البعث راياتهمْ — خمسٌ فمنها هالکٌ أربعُ

قائدها العجلُ و فِرعَونهمْ — و سامرىُّ الأمّة المفْظعُ

و مارقٌ من دينه مخرَجٌ — أسودُ عبدٌ لُكَع أوكعُ

و رايةٌ قائدها وجهه كأنَّه الشمس إذا تطلعُ

فسمعت نحيباً من وراء الستور، فقال: «من قائل هذا الشعر؟». فقلت: السيِّد. فقال: «رحمه اللَّه». فقلت: جعلت فداک، إنّی رأيته يشرب الخمر. فقال: «رحمه اللَّه فما ذنبٌ على اللَّه أن يغفره لآل علیّ، إنَّ محبَّ علیٍّ لا تزلُّ له قدمٌ إلّا تثبت له أخرى». الأغانی «۱» (۷/ ۲۵۱).

و رواه أيضاً فی الأغانی «۲» (۷/ ۲۴۱) و فيه: فسألنی لمن هی؟ فأخبرته أنَّها للسيِّد، و سألنی عنه فعرّفته وفاته «۳». فقال: «رحمه اللَّه». قلت: إنّی رأيته يشرب النبيذ فی الرستاق. قال: «أ تعنی الخمر؟». قلت: نعم. قال: «و ما خطرُ ذنبٍ عند اللَّه أن يغفره لُمحبِّ علیٍّ عليه السلام؟».

و روى الحافظ المرزبانی فی أخبار السيِّد «۴»، عن فُضيل، قال: دخلت على أبی عبد اللَّه عليه السلام بعد قتل زيد، فجعل يبكی و يقول: «رحم اللَّه زيداً إنّه لَلعالم الصدوق،

---

(۱). الأغانی: ۷/ ۲۷۲.

(۲). الأغانی: ۷/ ۲۶۱.

(۳). هذه الكلمة دخيلة لا تتمُّ. إذ الحميری توفّی بعد وفاة الإمام الصادق عليه السّلام بسنين. و لا توجد هی فی رواية المرزبانی و الكشّی. (المؤلف)

(۴). أخبار السيِّد الحميری: ص ۱۵۹.

و لو ملک أمراً لعرف أين يضعه».

فقلت: أنشدک شعر السيِّد؟ فقال: «أمهل قليلًا». و أمر بستور فسدلت، و فتحت أبوابٌ غير الأولى، ثمَّ قال: «هات ما عندک». فأنشدته:

لأُمّ عمرو باللّوى مربعُ طامسةٌ أعلامُها بلقعُ

و ذكر (۱۳) بيتاً.

فسمعت نحيباً من وراء الستور و نساء يبكين، فجعل يقول: «شكراً لک يا إسماعيل قولک». فقلت له: يا مولاى إنّه‌يشرب نبيذ الرساتيق. فقال: «يلحق مثله التوبة، و لا يكبُرُ على اللَّه أن يغفر الذنوب لمحبّنا و مادحنا».

و رواه الكشّى فى رجاله «۵» (ص ۱۸۴) بتغيير يسير فى بعض ألفاظه.

و روى أبو الفرج فى الأغانى «۶» (۷/ ۲۵۱) عن زيد بن موسى بن جعفر عليهما السلام أنّه قال: رأيت رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم فى النوم، و قدّامه رجلٌ جالس عليه ثياب بيض، فنظرت إليه فلم أعرفه، إذ التفت إليه رسول اللَّه فقال: يا سيِّد أنشدنى قولک:

لأُمِّ عمرو باللّوى مربعُ طامسةٌ أعلامُها بلقعُ

فأنشده إيّاها كلَّها ما غادر منها بيتاً واحداً، فحفظتُها عنه كلّها فى النوم. قال أبو إسماعيل: و كان زيد بن موسى لحّانة ردىء الإنشاد، فكان إذا أنشد هذه القصيدة لم يتتعتع فيها و لم يلحن، و هذا الحديث رواه الحافظ المرزبانى فى أخبار السيِّد «۷».

و فى الأغانى «۸» (۷/ ۲۷۹) عن أبى داود المسترقّ عن السيِّد: أنّه رأى النبىّ صلى الله عليه و سلم

---

(۵). رجال الكشّى: ۲/ ۵۷۰ رقم ۵۰۵.

(۶). الأغانى: ۷/ ۲۷۱.

(۷). أخبار السيِّد الحميرى: ص ۱۶۱.

(۸). الأغانى: ۷/ ۲۹۵.

فى النوم فاستنشده فأنشد قوله:

لأُمّ عمرو باللّوى مربعُ طامسةٌ أعلامها بَلْقَعُ

حتى انتهى إلى قوله:

قالوا له لو شئت أعلمتنا إلى مَنِ الغاية و المفزعُ

فقال: حسبک. ثمَّ نفض يده و قال: قد و اللَّه أَعْلَمْتُهمْ.

و قال الشريف الرضى فى خصائص الأئمّة «١»: حُكى أنَّ زيد بن موسى بن جعفر بن محمد عليهم السلام رأى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم فى المنام كأنّه جالسٌ مع أمير المؤمنين عليه السلام فى موضعٍ عالٍ شبيه بالمُسَنّاة و عليها مَراقٍ، فإذا منشد ينشد قصيدة السيِّد بن محمد الحميرى هذه، و أوّلها:

لأُمِّ عمرو باللّوى مَرْبَعُ طامستٌ أعلامها بلقعُ

حتى انتهى إلى قوله:

قالوا له لو شئتَ أعلمتنا إلى من الغايةُ و المفزعُ

قال: فنظر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم إلى أمير المؤمنين عليه السلام و تبسّم و قال: أ وَ لَمْ أُعلِمهم؟ أ وَ لَم أُعلِمْهم؟ أ وَ لَم أُعلِمْهم؟ ثمَّ قال لزيد: إنَّک تعيش بعدد كلِّ مرقاة رَقَيتَها سنةً واحدة.

قال: فعددت المراقى و كانت نيّفاً و تسعين مرقاة، فعاش زيد نيّفاً و تسعين سنة، و هو الملقّب بزيد النار.

قال العلّامة المجلسى فى بحار الأنوار «٢» (١١/ ١٥٠): وجدت فى بعض تأليفات

---

(١). خصائص الأئمة: ص ۴۴- ۴۵، خصائص أمير المؤمنين: ص ٩- ١١.

(٢). بحار الأنوار: ۴٧/ ٣٢٨- ٣٣٣.

أصحابنا أنَّه روى بإسناده عن سهل بن ذبيان، قال: دخلت على الإمام علىٍّ بن موسى الرضا عليه السلام فى بعض الأيّام قبل أن يدخل عليه أحدٌ من الناس، فقال لى: «مرحباً بک يا ابن ذبيان، الساعة أراد رسولنا أن يأتيک لتحضر عندنا». فقلت: لما ذا يا ابن رسول اللَّه؟ فقال: «لمنام رأيتُهُ البارحة، و قد أزعجنى و أرّقنى». فقلت: خيراً يكون إن شاء اللَّه تعالى. فقال: «يا ابن ذبيان، رأيت كأنّى قد نُصِب لى سُلَّمٌ فيه مائة مرقاة فصعدت إلى أعلاه». فقلت: يا مولاى، أُهنِّيک بطول العمر، و ربما تعيش مائة سنة. فقال عليه السلام: «ما شاء اللَّه كان».

ثمَّ قال: «يا ابن ذبيان، فلمّا صعدت إلى أعلى السلّم رأيت كأنّى دخلت فى قبّة خضراء يُرى ظاهرها من باطنها، و رأيت جدّى رسول اللَّه جالساً و إلى يمينه و شماله غلامان حَسَنان يشرق النور من وجههما، و رأيت امرأة بهيّة الخلقة، و رأيت بين يديه شخصاً بهىَّ الخلقة جالساً عنده، و رأيت رجلًا واقفاً بين يديه و هو يقرأ:

لأُمِّ عمرو باللوى مربع طامسةٌ أعلامها بَلْقَعُ

فلمّا رآنى النبىُّ قال لى: مرحباً بک يا ولدى يا علىَّ بن موسى الرضا، سلِّم على أبيک علىّ. فسلّمت عليه، ثمَّ قال لى: سلِّم على أمِّک فاطمة الزهراء عليها السلام، فسلّمت عليها، فقال لى: فسلّم على أبويک الحسن و الحسين. فسلّمت عليهما، ثمّ قال لى: و سلّم على شاعرنا و مادحنا فى دار الدنيا السيِّد إسماعيل الحميرى. فسلّمت عليه و جلست، فالتفت النبىُّ إلى السيِّد إسماعيل، و قال له: عُد إلى ما كنّا فيه من إنشاد القصيدة، فأنشد يقول:

لأمِّ عمرو باللوى مربعُ طامسةٌ أعلامها بَلْقَعُ

فبكى النبىُّ صلى الله عليه و آله و سلم، فلمّا بلغ إلى قوله:

و وجهه كالشمس إذ تطلعُ

بكى النبىُّ و فاطمة و من معه، و لمّا بلغ إلى قوله:

قالوا له لو شئتَ أعْلَمتَنا إلى منِ الغايةُ و المفزعُ

رفع النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم يديه، و قال: إلهى أنت الشاهد علىَّ و عليهم أنّى أعلَمتهم أنَّ الغاية و المفزع علىُّ بن أبى طالب، و أشار بيده إليه و هو جالسٌ بين يديه.

قال علىُّ بن موسى الرضا: فلمّا فرغ السيِّد إسماعيل الحميرى من إنشاد القصيدة التفتَ النبىُّ إلىَّ و قال لى: يا علىّ بن موسى احفظ هذه القصيدة و مُرْ شيعتنا بحِفظها و أعلِمْهم أنَّ من حفظها و أدمَن قراءتها ضَمِنْتُ له الجنّة على اللّه تعالى.

قال الرضا: و لم يزل يكرِّرها علىَّ حتى حفظتها منه، و القصيدة هذه. ثمَّ ذكرها برمّتها».

قال الأمينى: هذا المنام ذكره القاضى الشهيد المرعشى فى مجالس المؤمنين «١» (ص ۴۳۶) نقلًا عن رجال الكشّى، و لم يوجد فى المطبوع منه. و لعلّ القاضى وقف على أصل النسخة الكاملة و وجده فيه، و نقله الشيخ أبو علىّ فى رجاله منتهى المقال «٢» (ص ١۴٣) عن عيون الأخبار لشيخنا الصدوق، و تبعه الشيخ المعاصر فى تنقيح المقال «٣» (١/ ۵٩). و السيِّد الأمين فى أعيان الشيعة (١٣/ ١٧٠)، و لم نجده فى نسخ العيون المخطوطة و المطبوعة.

و رواه شيخنا المولى محمد قاسم الهزارجريبى فى شرح القصيدة، و السيِّد الزنوزى فى الروضة الأولى من كتابه الضخم الفخم رياض الجنّة، و السيِّد محمد مهدى فى آخر كتابه رياض المصائب «۴».

---

(١). مجالس المؤمنين: ٢/ ۵٠٨- ۵٠٩.

(٢). منتهى المقال: ص ١٢٢.

(٣). تنقيح المقال: ١/ ١۴٣.

(۴). رياض المصائب: ص ۴٧۵- ۴٧٩.

شروح القصيدة:

شرح هذه العينيّة جمعٌ من أعلام الطائفة منهم:

١- الشيخ حسين بن جمال الدين الخوانسارى: المتوفّى (١٠٩٩).

٢- ميرزا على خان الگلپايگانى تلميذ العلّامة المجلسى.

٣- المولى محمد قاسم الهزارجريبى: المتوفّى بعد سنة (١١١٢) و قد صنّف فيها كتابه التحفة الأحمديّة، و يوجد هذا الشرح فى النجف الأشرف.

٤- بهاء الدين محمد بن تاج الدين الحسن الأصبهانى، الشهير بالفاضل الهندى المولود (١٠٦٢) و المتوفّى (١١٣٥).

٥- الحاج المولى محمد حسين القزوينى: المتوفّى فى القرن الثانى عشر.

٦- الحاج المولى صالح بن محمد البرغانى.

٧- الحاج ميرزا محمد رضا القراجة داغى التبريزى، فرغ منه سنة (١٢٨٩) و طبع فى تبريز سنة (١٣٠١).

٨- السيِّد محمد عبّاس ابن السيّد على أكبر الموسوى: المتوفّى (١٣٠٦)، أحد شعراء الغدير فى القرن الرابع عشر، يأتى هناك شعره و ترجمته.

٩- الحاج المولى حسن ابن الحاج محمد إبراهيم ابن الحاج محتشم الأَرْدَكانى: المتوفّى (١٣١٥).

١٠- الشيخ بخش على اليزدى الحائرىّ: المتوفى (١٣٢٠).

١١- ميرزا فضل علىّ ابن المولى عبد الكريم الإيروانى التبريزى: المتوفّى سنة نيّف و (١٣٣٠) مؤلّف حدائق العارفين «١».

١٢- الشيخ علىّ بن على رضا الخوئى: المتوفّى (١٣٥٠).

١٣- السيِّد أنور حسين الهندى: المتوفّى (١٣٥٠).

١٤- السيّد على أكبر ابن السيِّد رضىّ الرضوى القمّى: المولود سنة (١٣١٧).

---

(١). فى الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٦/ ٢٨٩ رقم ١٥٥٤: أنّه توفّى سنة ١٣٣٧.

١٥- الحاج المولى علىّ التبريزى مؤلّف وقائع الأيّام المطبوع «١».

و خمّسها جمعٌ من العلماء و الأدباء منهم: شيخنا الحُرّ العاملى صاحب الوسائل و حفيده الشيخ عبد الغنى العاملى نزيل البصرة و المتوفّى بها، و مطلع تخميسه:

جوىً به كأس الأسى أجرَعُ صِرْفاً و أجفانى حَيَاً «٢» تَدْمَعُ

فاسمع حديثاً بالأسى مسمعُ لأُمِّ عمروٍ باللّوى مربعُ

و منهم: الشيخ حسن بن مُجلّى الخطّى، و أوّل تخميسه:

لا تنكروا إنْ جِيرَتى أزمعوا هَجْراً و حبلَ الوصل قد قطّعوا

كم دِمنةٍ خاويةٍ تجزعُ لأُمِّ عمروٍ باللّوى مربعُ

كانت بأهلِ الوُدّ إنسيّةً تزهو بزَهرِ الروض موشيّةً

فأصبحت بالرغم منسيّةً تروع عنها الطير وحشيّةً

و منهم: سيِّدنا السيِّد علىّ النقى النقوى الهندى، الآتى شعره و ترجمته فى القرن الرابع عشر، و مستهلُّ تخميسه:

أ تنطوى فوق الأسى الأضلعُ صبراً و ترقا منِّىَ الأدمعُ؟

و ذاک حيث الظعن قد أزمعوا لأُمِّ عمروٍ باللّوى مربعُ

قد ذاكرَتهُ السُحْبُ وسْميّةً و لاعبَتْهُ الريحُ شرقيّةً

لأَرْسُمٍ أصبحنَ منسيّةً تروع عنها الطير وحشيّةً

و من غديريّات السيِّد الحميرى:

-١١-

هبَّ علىَّ بالمَلامِ و العَذَلْ و قال كم تذكرُ بالشعر الأُوَلْ

(۱). هذه الشروح وقفت على بعضها، و نقلت جملة منها عن الذريعة لشيخنا الرازى. (المؤلف)

(۲). الحيا: المطر.

كُفَّ عن الشرِّ فقلت لا تقل و لا تخل أكفُّ عن خير العملْ

إنّى أُحبُّ حيدراً مُناصِحاً لمن قفا مُواثِباً لمن نَكَلْ

أُحبُّ من آمن باللّه و لم يُشركْ به طَرفة عينٍ فى الأزَلْ

و من غدا نفسَ الرسول المصطفى صلّى عليهِ اللّهُ عند المُبْتَهلْ

و ثانىَ النبىِّ فى يوم الكِسا إذ طهّرَ اللّهُ به منِ اشتملْ

و قال خلّفْتُ لكمْ كتابَهُ و عترتى و كلُّ هذين ثَقَلْ

فليت شعرى كيف تُخلفوننى فى ذا و ذا إذا أردتُ المرتحلْ؟

و جاء من مكّةَ و الحجيجُ قدْ صاحبَهُ من كلِّ سَهْلٍ و جَبَلْ

حتى إذا صار بخُمٍّ جاءَهُ جبريلُ بالتبليغِ فيهم فنزلْ

و قُمَّ ذاک الدوحُ فاستوى على رَحْلٍ و نادى بعلىٍّ فارتحلْ

و قال هذا فيكمُ خليفتى و من عليه فى الأمور المتّكلْ

نحن كهاتين و أومأ باصبَعٍ من كفِّه عن إصبَعٍ لم تنفصِلْ

لا تبتغوا بالطّهر عنهُ بَدَلًا فليس فيكم لعلىٍّ مِن بَدلْ

ثمَّ أدارَ كفّهُ لكفِّهِ يرفعُها منه إلى أعلى مَحَلْ

فقال بايعوا له و سلّموا ال -أمرَ إليه و اسلموا من الزللْ

أ لست مولاكم فذا مولىً لكم و اللَّهُ شاهدٌ بذا عزَّ و جلْ

يا ربِّ والِ من يوالى حيدراً و عادِ من عاداهُ و اخذُلْ من خَذَلْ

يا شاهدى بلّغتُ ما أنزلهُ إلىَّ جبريلُ و عنهُ لم أحُلْ

فبايَعُوا و هنَّئوا و بَخْبَخوا و الصدرُ مطوىٌّ لهُ على دَغلْ

فقل لمن ينقِمُ منه ما رأى؟ و قل لمن يَعدِلُ عنه لِمْ عدلْ؟

-١٢-

أعلِمانى أىَّ برهانٍ جَلِى فتقولان بتفضيل على؟

بعد ما قام خطيباً مُعْلِناً يوم خُمٍّ باجتماعِ المحفلِ

ص: ٣٢۶

أحمدُ الخير و نادى جاهراً بمقالٍ منه لم يفْتَعِلِ

قال إنَّ اللَّه قد أخبَرنى فى معاريضِ الكتابِ المُنْزَلِ

إنَّه أكملَ ديناً قيِّماً بعلىٍّ بعد أن لم يَكْمُلِ

و هو مولاكمْ فويلٌ للذى يتولّى غيرَ مولاه الولى

و هو سيفى و لسانى و يدى و نصيرى أبداً لم يَزَلِ

و هو صنوى و صفيِّى و الذى حُبُّهُ فى الحشر خيرُ العملِ

نوره نوری و نوری نوره — و هو بی متّصِلٌ لم یُفْصَلِ

و هو فیکم من مقامی بَدَلٌ — وَیْلُ من بَدَّلَ عهدَ البدلِ

قولُهُ قولی فمَنْ یأمرهُ — فلیُطعْهُ فیهِ و لَیمتثلِ

إنَّما مولاکُمُ بعدی إذا — حان موتی و دنا مُرتحلی

ابن عمّی و وصیِّی و أخی — و مُجیبی فی الرعیل الأوَّلِ

و هو بابٌ لعلومی فسقوا — ماءَ صبر بنقیع الحنظلِ

قطّبوا فی وجههِ و ائتمروا — بینهم فیهِ بأمرٍ مُعْضِلِ

-۱۳-

أشهدُ باللَّهِ و آلائهِ — و المرءُ عمّا قاله یُسألُ

أنَّ علیَّ بنَ أبی طالبٍ — خلیفةُ اللَّه الذی یَعدِلُ

و أنَّه قد کان من أحمدٍ — کمِثلِ هارونَ و لا مرسَلُ

لکن وصیٌّ خازنٌ عندهُ — عِلمٌ من اللَّه به یعملُ

قد قام یوم الدوحِ خیرُ الوری — بوجههِ للناس یستقبلُ

و قال من قد کنت مولیً له — فذا لهُ مولیً لکم موئلُ

لکنْ تواصوا بعلیِّ الهدی — أن لا یُوالوه و أن یخذلوا

-۱۴-

قام النبیُّ یوم خُمٍّ خاطباً — بجانب الدوحاتِ أو حیالها

فقال منْ كنت له مولیً فذا — مولاه ربِّی اشهدْ مراراً قالَها

قالوا سمعنا و أطعنا کلُّنا — و أسرعوا بالألسنِ اشتغالها

و جاءه مشیخَةٌ یقدمهمْ — شیخٌ یُهنّی حیدراً مثالها

قال له بخٍ بخٍ من مثلُکا — أصبحتَ مولی المؤمنین یا لَها

یا عجباً و للزمان عجبٌ — تلقی ذوو الفکرِ به ضلالَها

إنَّ رجالًا بایَعَتْهُ إنَّما — بایعتِ اللّهَ، فما بدا لها؟

و کیف لم تشهد رجالٌ عندما — استَشْهَدَ فی خطبتهِ رجالَها؟

و ناشد الشیخَ فقال إنَّنی — کَبُرتُ حتی لم أجد أمثالَها

فقال و الکاذبُ یُرمی بالتی — لیس توارِی عِمّة تنالها

أشار فی الأبیات الأخیرة إلی ما مرّ (۱/ ۱۶۶- ۱۸۵ و ۱۹۱- ۱۹۵) من حدیث مناشدة أمیر المؤمنین علیه السلام فی الرحبة بحدیث الغدیر لمّا نُوزعَ فی خلافته، و کتمان أنس ابن مالک شهادته له، و إصابة دعوته علیه السلام علیه.

- ۱۵ -

لمن طَللٌ کالوشم لم یتکلّمِ — وَ نُؤیٌ و آثارٌ کترقیش معجمِ؟

ألا أیُّها العانی الذی لیس فی الأذی — و لا اللوم عندی فی علیٍّ بمحجمِ

ستأتیک منّی فی علیٍّ مقالةٌ — تسوؤک فاستأخرْ لها أو تقدّمِ

علیٌّ له عندی علی من یَعیبُه — من الناس نصرٌ بالیدینِ و بالفمِ

متى ما يُرِدْ عندى مُعاديه عيبَهُ يجدْ ناصراً من دونِهِ غيرَ مفحَمِ

علىٌّ أحبُّ الناس إلّا محمداً إلىَّ فدعنى من ملامِک أو لُمِ

علىٌّ وصىُّ المصطفى و ابنُ عمِّهِ و أوّلُ من صلَّى و وحّد فاعلمِ

علىٌّ هو الهادى الإمام الذى به أنارَ لنا من ديننا كلَّ مظلِمِ

علىٌّ ولىُّ الحوض و الذائد الذى يُذبِّب عن أرجائه كلَّ مجرمِ

علىٌّ قسيمُ النار من قولِهِ لها ذَرى ذا و هذا فاشربى منه و اطعَمى

خذى بالشوى ممّن يُصيبُکِ منهمُ و لا تَقربى من كان حزبى فتظلِمى

علىٌّ غداً يُدعى فيكسوه ربُّهُ و يُدنيه حقّا من رفيقٍ مكرَّمِ

فإن كنتَ منه يوم يُدنيه راغماً و تُبدى الرضا عنه من الآن فارغمِ

فإنّک تلقاه لدى الحوض قائماً مع المصطفى الهادى النبىِّ المعظَّمِ

يُجيزانِ من والاهُما فى حياتِهِ إلى الروحِ و الظلِّ الظَّليل المُكمَّمِ

علىٌّ أميرُ المؤمنين و حقُّهُ من اللَّه مفروضٌ على كلِّ مسلمِ

لأنَّ رسول اللَّه أوصى بحقِّه و أشركَهُ فى كلِّ فىءٍ و مَغنمِ

و زوجته صِدِّيقةٌ لم يكن لها مُقارِنةٌ غير البتولةِ مريمِ

و كان كهارونَ بن عمرانَ عندَهُ من المصطفى موسى النجيبِ المكلَّمِ

و أوجب يوماً بالغدير ولاءَهُ على كلِّ بَرٍّ من فصيحٍ و أعجمِ

لدى دَوحِ خُمٍّ آخذاً بيمينه ينادى مبيناً باسمه لم يُجَمْجِمِ

أما و الذى يهوى إلى ركن بيته بِشُعْثِ النواصى كلُّ وجناءَ عَيْهمِ«۱»

يُوافينَ بالركبانِ من كلِّ بلدةٍ لقد ضلَّ يوم الدوح من لم يُسلِّمِ

و أوصى إليه يوم ولّى بأمره و ميراث علم من عُرى الدين محكَمِ

القصيدة يوجد منها (۴۲) بيتاً

قال الحافظ المرزبانى فى أخبار السيِّد «۲»: إنَّ السيِّد الحميرى كتب بهذه القصيدة إلى عبد اللَّه بن إباض رأس الإباضية، لمّا بلغه أنَّه يعيبُ على علىّ عليه السلام و يتهدّد السيِّد بذكره عند المنصور بما يوجب قتله، فلمّا وصلت إلى ابن‌إباض امتعض منها جدّا، و أجلب فى أصحابه و سعى به إلى الفقهاء و القرّاء، فاجتمعوا و صاروا إلى المنصور و هو بدجلة البصرة، فرفعوا قصّته فأحضرهم، و أحضر السيِّد فسألهم عن

---

(۱). ناقة عَيْهم: أى سريعة.

(۲). أخبار السيِّد الحميرى: ص ۱۷۲- ۱۷۳.

دعواهم، فقالوا: إنَّه يشتم السلف، و يقول بالرجعة، و لا يرى لک و لا لأهلک إمامة. فقال لهم: دعونى أنا و اقصدوا لما فى أنفسكم.

ثمَّ أقبل على السيِّد فقال: ما تقول فيما يقولون؟ فقال: ما أشتم أحداً، و أنّى لأترحّم على أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم، و هذا ابن إباض قل له يترحّم على علىٍّ و عثمان و طلحة و الزبير.

فقال له: ترحّم على هؤلاء. فَتَلَوّى- تثاقل- ساعة فخذفه المنصور بعُود كان بين يديه، و أمر بحبسه فمات فى الحبس، و أمر بمن كان معه فضُربوا بالمقارع، و أمر للسيِّد بخمسة آلاف درهم.

-۱۶-

يا لقَومى للنبىِّ المصطفى و لما قد نالَ من خيرِ الأُممْ

جحَدوا ما قالهُ فی صنوِه يومَ خُمٍّ بين دوحٍ مُنتظمْ

أيُّها الناس فمن كنتُ لهُ والياً يوجب حقّی فی القِدمْ

فعلیٌّ هو مولاهُ لمنْ كنتُ مولاهُ قضاءً قد حُتِمْ

أ فلا ينفُذُ فيهم حكمُه عجباً يولعُ فی القلب الضرَمْ

-١٧-

ألا إنَّ الوصيّةَ دون شک لخيرِ الخلقِ من سامٍ و حامِ

و قال محمدٌ بغدير خُمٍ عن الرحمن يَنْطِقُ باعتزامِ

يصيحُ و قد أشار إليه فيكمْ إشارةَ غيرِ مُصغٍ للكلامِ

ألا من كنت مولاهُ فهذا أخی مولاه فاستمعوا كلامی

فقال الشيخُ يقدِمُهمْ إليه و قد حُصِدت يداه من الزحامِ

ينادی أنت مولای و مولی ال أنام فَلِمْ عصی مولی الأنامِ؟

و قد ورِث النبیَّ رِداهُ يوماً و بُردتَه و لائِكةَ اللجامِ

ص: ٣٣٠

-١٨-

علی آل الرسول و أقربيه سلامٌ كلّما سجع الحمامُ

أ ليسوا فی السماء هُمُ نجومٌ و هم أعلام عزٍّ لا يُرامُ

فيا من قد تحيّرَ فی ضلالٍ أميرُ المؤمنين هو الإمامُ

رسولُ اللّه يومَ غدير خُمٍ أنافَ به و قد حَضَر الأنَامُ

تأتى القصيدة بتمامها فى ترجمته.

قال ابن المعتز فى طبقاته «١» (ص ٨): حَكَوا عن بعضهم أنّه قال: رأيت حمّالًا عليه حِملٌ ثقيلٌ و قد جهده، فقلت: ما هذا؟ فقال: ميميّات السيِّد.

- ١٩ -

نفسى فداءُ رسول اللّه يوم أتى جبريلُ يأمر بالتبليغ إعلانا

إن لم تُبلّغْ فما بلّغتَ فانتصبَ النبىُّ مُمتَثِلًا أمراً لِمَنْ دانا

و قال للناس منْ مَولاكُمُ قبلًا يومَ الغدير فقالوا أنت مولانا

أنت الرسولُ و نحن الشاهدون على أن قد نَصَحْتَ و قد بيّنتَ تِبيانا

هذا وليُّكمُ بعدى أُمرتُ بهِ حَتْماً فكونوا له حِزباً و أعوانا

هذا أبرُّكُمُ برّا و أكثركمْ علماً و أوّلُكم باللّه إيمانا

هذا له قُربةٌ منّى و منزلةٌ كانت لهارون من موسى بنِ عمرانا

- ٢٠ -

أتى جبرئيلٌ و النبىُّ بضَحْوةٍ فقال أقم و الناس فى الوَخْد «٢» تُمْحَنُ

و بلّغْ و إلّا لم تُبلّغْ رسالةً فَحطَّ و حَطَّ الناسُ ثَمَّ و وطّنوا

على شجراتٍ فى الغديرِ تقادمتْ فقام على رَحلٍ ينادى و يُعلنُ

(۱). طبقات الشعراء: ص ۳۶.

(۲). الوَخْد: ضرب من سير الإبل.

و قال ألا من كنتُ مولاه منكُمُ فمولاهُ من بعدى علىٌّ فأذعِنوا

فقال شقىٌّ منهمُ لقرينِهِ و كم من شقىٍّ يستزلُّ و يفتِنُ

يمدُّ بِضَبْعَيهِ عليّا و إنَّهُ لما بالذى لم يُؤتَهُ لَمُزيِّنُ

كأن لم يكن فى قلبه ثقةٌ به فيا عجباً أنَّى و من أينَ يُؤمِنُ؟!

-۲۱-

منحتُ الهوى المحضَ منّى الوصيّا و لا أمنحُ الوُدَّ إلّا عليَّا

دعانى النبىُّ عليه السلام إلى حبِّهِ فأجبتُ النبيَّا

فعاديتُ فيه و واليتُهُ و كنتُ لمولاهُ فيه وليَّا

أقام بخُمٍّ بحيثُ الغديرُ فقال فأسمعَ صوتاً نَديَّا

ألا ذا إذا متُّ مولاكمُ فأفْهَمَهُ العُرْبَ و الأعجميَّا

-۲۲-

به وصّى النبىُّ غَداةَ خُمٍ جميعَ الناس لو حَفِظوا النبيَّا

و ناداهمُ أ لست لكم بمولى عبادَ اللّه فاستمعوا إليَّا

فقالوا أنتَ مولانا و أولى بنا منّا فضَمَّ له عليَّا

و قال لهم بصوتٍ جَهْوَرِيٍ و أسمَع صوتَه منْ كان حيَّا

فمن أنا كنتُ مولاهُ فإنّى جعلت له أبا حسنٍ وليَّا

فعادى اللّهُ من عاداهُ منكمْ و كان بمن تولّاه حفيَّا

-٢٣-

و قام محمدٌ بغدير خُمٍ فنادى مُعلِناً صَوتاً نَدِيَّا

لمن وافاهُ من عُربٍ و عُجْمٍ و حفُّوا حول دوحته حنيَّا

ألا مَن كنتُ مولاه فهذا له مولىً و كان به حفيَّا

ص: ٣٣٢

إلهى عادِ من عادى عليّا و كُن لِوليِّهِ ربِّى وليَّا«١»

الشاعر

أبو هاشم و أبو عامر إسماعيل بن محمد بن يزيد بن وداع الحميرى، الملقَّب بالسيِّد.

نسبه:

ذكر أبو الفرج الأصبهانى «٢» و كثيرٌ من المؤرِّخين أنَّه حفيد يزيد بن ربيعة مفرِّغ أو ابن مفرِّغ الحميرى الشاعر المشهور، الذى هجا زياداً و بنيه و نفاهم عن آل حرب، و حبسه عبيد اللَّه بن زياد لذلک و عذّبه ثم أطلقه معاوية. لكنَّ المرزبانى نسبه إلى يزيد بن وداع، و قال فى كتاب أخبار الحميرى «٣»): أمّه من حُدّان «۴»، تزوّج بها أبوه لأنَّه كان نازلًا فيهم، و أمُّ هذه المرأة بنت يزيد بن ربيعة بن مفرِّغ الحميرى الشاعر المعروف، و ليس ليزيد بن مفرِّغ عقبٌ من وَلَد ذكر، و لقد غلط الأصمعىّ فى نسبة السيِّد إلى يزيد بن مفرِّغ من جهة أبيه، لأنّه جدُّه من جهة أمّه. انتهى.

و ذكر المرزبانى له فى معجم الشعراء:

إنّى امرؤٌ حِمْيَرِىٌّ حين تَنسبُنى جدّى رَعينٌ و أخوالى ذوو يَزَنِ

ثمَّ الولاءُ الذى أرجو النجاة به يومَ القيامة للهادى أبى الحسنِ«۵»

يُكنّى بأبى هاشم، و قال شيخ الطائفة «۶»: بأبى عامر، و كان يلقَّب منذ صغر

---

(١). أعيان الشيعة: ٣/ ۴٣٠.

(٢). الأغانى: ٧/ ٢۴٨.

(٣). أخبار السيِّد الحميرى: ص ١٥١.

(۴). حُدّان- بضمّ المُهْمَلة- إحدى مَحالّ البصرة القديمة، يقال لها: بنو حدّان. سمّيت باسم قبيلة أبوها حدّان بن شمس بن عمرو بن الأزد. (المؤلف)

(۵). البيتان من أبيات له تأتى قصّتها. (المؤلف)

(۶). رجال الطوسى: ص ١۴٨ رقم ١٠٨.

سنِّه بالسيِّد، قال أبو عمرو الكشّى فى رجاله «١» (ص ١٨۶):

رُوى أنَّ أبا عبد اللَّه عليه السلام لقى السيِّد بن محمد الحميرى و قال: «سمّتک أمّک سيِّداً، وفِّقت فى ذلک، و أنت سيّد الشعراء». ثمّ أنشد السيّد فى ذلک:

و لقد عجبتُ لقائلٍ لی مرّةً علّامةٍ فَهْمٍ من الفقهاءِ

سماک قومک سیِّداً صدقوا به أنت الموفَّقُ سیِّدُ الشعراءِ

ما أنت حین تَخُصُّ آل محمدٍ بالمدح منک و شاعرٌ بسواءِ

مَدَحَ الملوکَ ذوی الغنی لعطائِهِمْ و المدحُ منک لهم بغیر عَطاءِ

فابشر فإنَّک فائزٌ فی حُبِّهم لو قد وردتَ علیهمُ بجزاءِ

ما یعدِلُ الدنیا جمیعاً کلّها من حوض أحمدَ شربةً من ماءِ

أبواه و قصّته معهما:

روی أبو الفرج فی الأغانی «۲» (۷/ ۲۳۰) بإسناده عن سلیمان بن أبی شیخ: أنَّ أبَوَی السیِّد کانا إباضیَّین «۳»، و کان منزلهما بالبصرة فی غرفة بنی ضَبَّة، و کان السیِّد یقول: طالما سُبَّ أمیر المؤمنین فی هذه الغرفة، فاذا سئل عن التشیّع من أین وقع له؟ قال: غاصت علیَّ الرحمة غوصاً. و روی عن السیِّد: أنَّ أبویه لمّا علما بمذهبه هَمّا بقتله، فأتی عُقبة بن سَلْم الهنائی فأخبره بذلک، فأجاره و بوّأه منزلًا وهبه له، فکان فیه حتی ماتا فورثهما.

و روی المرزبانی فی أخبار السیِّد «۴» بإسناده عن إسماعیل بن الساحر راویة

---

(۱). رجال الکشّی: ۲/ ۵۷۳ رقم ۵۰۷.

(۲). الأغانی: ۷/ ۲۴۹.

(۳). الإباضیة، بکسر الهمزة: أصحاب عبد اللَّه بن إباض الذی خرج فی أیام مروان بن محمد، و هم قوم من الحَرُوریة زعموا أنَّ مخالفهم کافر، و کفّروا علیّا أمیر المؤمنین علیه السّلام و أکثر الصحابة. (المؤلف)

(۴). أخبار السیِّد الحمیری: ص ۱۵۳.

السيِّد قال: كنت أتغدّى مع السيِّد فى منزله، فقال لى: طال و اللّه ما شتم أميرُ المؤمنين عليه السلام و لعن فى هذا البيت. قلت: و من فعل ذلک؟ قال: أبواى كانا إباضيَّين. قلت: فكيف صرت شيعيّا؟ قال: غاصت علىَّ الرحمة فاستنقذتنى.

روى المرزبانى «۱» أيضاً عن حردان الحفّار، عن أبيه و كان أصدق الناس أنَّه قال: شكا إلىَّ السيِّد أنَّ أمّه توقظه بالليل و تقول: إنّى أخاف أن تموت على مذهبک فتدخل النار؛ فقد لَهِجتَ بعلىٍّ و ولده فلا دنيا و لا آخرة. و لقد نغّصَتْ علىَّ مطعمى و مشربى، و قد تركت الدخول إليها، و قلت أنشد قصيدة منها:

إلى أهل بيتٍ ما لِمنْ كان مؤمناً ... من الناسِ عنهمْ فى الولايةِ مذهبُ

و كم من شقيقٍ لامنى فى هَواهمُ ... و عاذلةٍ هبّتْ بليلٍ تؤنِّبُ

تقول و لم تقصد و تعتب ضلّةً ... و آفةُ أخلاقِ النساءِ التعتّبُ

و فارقت جيراناً و أهلَ مودّةٍ ... و من أنت منه حينَ تدعى و تُنسبُ

فأنت غريبٌ فيهمُ متباعدٌ ... كأنَّک ممّا يتَّقونکَ أجربُ

تَعيبُهمُ فى دينهمْ و هُمُ بما ... تدينُ به أزرى عليک و أعيبُ

فقلتُ دعينى لن أُحبِّر مِدحةً ... لغيرهمُ ما حجَّ للّهِ أركُبُ

أ تَنْهَيْنَنى عن حبِّ آل محمدٍ ... و حبُّهمُ ممّا به أتقرَّبُ

و حبّهمُ مثلُ الصلاة و إنَّه ... على الناس من بعد الصلاة لأوجبُ«۲»

و قال المرزبانى «۳»: أخبرنى محمد بن عبيد اللّه البصرى عن محمد بن زكريّا الغلابى، قال: حدّثتنى العبّاسة بنت السيِّد قالت: قال لى أبى: كنت و أنا صبىٌّ أسمع أَبَوىَّ يَثلبانِ أمير المؤمنين عليه السلام فأخرجُ عنهما و أبقى جائعاً، و أُوثر ذلک على الرجوع

---

(۱). أخبار السيّد الحميرى: ص ۱۵۴.

(۲). فى بعض النسخ: من بعض الصلاة لأوجبُ. و حقّ المقام أن يقول: من قبلِ الصلاة. (المؤلف)

(۳). أخبار السيِّد الحميرى: ص ۱۵۴.

إليهما، فأبيت فى المساجد جائعاً لحبّى فراقهما و بغضى إيّاهما، حتى إذا أجهدنى الجوع رجعتُ فأكلتُ ثمَّ خرجتُ، فلمّا كَبُرتُ قليلًا و عقلت و بدأت أقول الشعر قلت لأبوىَّ: إنَّ لى عليكما حقّا يصغُر عند حقِّكما علىَّ، فجنِّبانى إذا حضرتُكما ذِكر أمير المؤمنين عليه السلام بسوء، فإنَّ ذلک يزعجنى و أكرهُ عقوقكما بمقابلتكما، فتماديا فى غيِّهما فانتقلت عنهما، و كتبت إليهما شعراً و هو:

خفْ يا محمدُ فالقَ الإصباحِ — و أزل فساد الدين بالإصلاحِ

أ تسبُّ صنوَ محمدٍ و وصيَّهُ — ترجو بذلک فوزة الإنجاحِ؟

هيهات قد بَعُدا عليک و قرّبا — منک العذاب و قابضَ الأرواحِ

أوصى النبىُّ له بخيرِ وصيّةٍ — يومَ الغديرِ بِأَبْيَنِ الإفصاحِ

إلى آخر الأبيات المذكورة فى غديريّاته. فتواعدنى بالقتل، فأتيت الأمير عُقبة ابن سَلْم فأخبرته خبرى، فقال لى: لا تقربْهما، و أعدَّ لى منزلًا أمرَ لى فيه بما أحتاج إليه، و أجرى علىَّ جراية تَفْضُل على مؤونتى.

و قال «۱»: كان أبواه يُبغضان عليّا عليه السلام فسمعهما يسبّانِهِ بعد صلاةِ الفجر! فقال:

لعن اللَّهُ والدىَّ جميعاً — ثمَّ أصلاهما عذابَ الجحيمِ

حَكما غَدوةً كما صلّيا الفج — رَ بِلَعْنِ الوصىِّ بابِ العلومِ

لعنا خيرَ من مشى فوق ظهر ال — أرضِ أو طاف مُحرِماً بالحَطيمِ

كَفَرا عند شَتْمِ آل رسول ال — لّهِ نسلِ المُهذَّبِ المعصومِ

و الوصىِّ الذى به تثبتُ الأر — ضُ و لولاه دُكدِكَتْ كالرميمِ

و كذا آلُهُ أولو العلمِ و الفه — مِ هداةٌ إلى الصراط القويمِ

خلفاء الإله فى الخَلْقِ بالعد — ل و بالقسط عند ظُلْم الظلومِ

(۱). أخبار السيّد الحميرى: ص ۱۷۶.

صلوات الإله تَتْرى عليهمْ مُقْرَناتٍ بالرحبِ و التسليمِ

و رواها ابن شاكر فى الفوات «۱» (۱/ ۱۹).

عظمته و المؤلّفون فى أخباره:

لم تفتأ الشيعة تبجّل كلَّ مُتهالک فى ولاء أئمّة أهل البيت، و تقدّر له مكانة عظيمة، و تُكْبر منه ما أكبره اللَّه سبحانه و رسوله من منصّة العظمة. أضف إلى ذلک ما كان بمرأى منهم و مسمع فى حقّ السيِّد خاصّة من تكريم أئمّة الحقّ- صلوات اللَّه عليهم- مثواه، و تقريبهم لمحلّه منهم، و إزلافهم إيَّاه، و تقديرهم لسعيه المشكور فى الإشادة بذكرهم و الذبِّ عنهم، و البثِّ لفضائلهم، و تظاهره بموالاتهم، و إكثاره من مدائحهم، مع ردِّه الصلات تجاه هاتيک العقود الذهبيّة؛ لأنَّ ما كان يصدر منه من تلكم المظاهر لم تكن إلّا تزلّفاً منه إلى المولى سبحانه، و أداءً لأجر الرسالة، و صلةً للصادع بها صلى الله عليه و آله و سلم، و لقد كاشف فى ذلک كلّه أبويه الناصبيَّين الخارجيَّين، فكان معجزة وقته فى التلفّع بهذه المآثر كلّها، و التظاهر بهذا المظهر الطاهر، و منبته ذلک المنبت الخبيث، فما كان الشيعىُّ يومذاک و هلمّ جرّا يجد من واجبه الدينىِّ إلّا إكباره و خفض الجناح عند عظمته.

قال ابن عبد ربّه فى العقد الفريد «۲» (۲/ ۲۸۹): السيِّد الحميرى و هو رأس الشيعة، و كانت الشيعة من تعظيمها له تلقى له وسادة بمسجد الكوفة.

و فى حديث شيخ الطائفة الآتى: قال جعفر بن عفّان الطائى للسيِّد: يا أبا هاشم أنت الرأس و نحن الأذناب.

و ليس ذلک ببدعٍ من الشيعة بعد ما أزلفه الإمام الصادق عليه السلام و أراه من دلائل الإمامة ما أبقى له مكرمة خالدة حفظها له التاريخ كحديث انقلاب الخمر لبناً، و القبر،

(۱). فوات الوفيات: ۱/ ۱۸۸ رقم ۷۲.

(۲). العقد الفريد: ۴/ ۱۴۴.

و إطلاق لسانه فی مرضه و غیرها، و استفاض الحدیث بترحُّمه علیه السلام علیه و الدعاء له و الشکر لمساعیه، و بلغهم

قوله علیه السلام لعُذّاله فیه: «لو زَلّت له قدمٌ فقد ثبتت الأخری».

و قد أخبره بالجنّة.

و کان یستنشد الإمام علیه السلام شعره و یحتفل به، و قد أنشده إیّاه فُضیل الرسّان و أبو هارون المکفوف، و السیِّد نفسه.

روی أبو الفرج عن علیّ بن إسماعیل التمیمی عن أبیه قال: کنت عند أبی عبد اللّه جعفر بن محمد علیه السلام إذ استأذن آذنه للسیِّد فأمره بإیصاله، و أقعد حُرَمَه خلف ستر، و دخل فسلّم و جلس، فاستنشده فأنشد قوله:

أُمرر علی جَدَثِ الحسی ... ن فقل لأعظُمِه الزکیَّه

یا أعْظُماً لا زلتِ من ... وَطْفَاءَ «۱» ساکبةٍ رَوِیَّه

فإذا مَررتَ بقبرِهِ ... فأطِلْ به وَقْفَ المطیَّه

و ابْکِ المطهَّرَ للمطهَّ ... رِ و المطهَّرةِ النقیَّه

کبُکاءِ مُعْولةٍ أَتَتْ ... یوماً لواحدها المنیَّه«۲»

قال: فرأیت دموع جعفر بن محمد تتحدّرُ علی خدَّیه، و ارتفع الصراخ و البکاء من داره، حتی أمره بالإمساک، فأمسک. قال: فحدّثت أبی بذلک لمّا انصرفت، فقال لی: ویلی علی الکیسانیِّ الفاعل ابن الفاعل یقول:

فإذا مررت بقبرِهِ ... فأطِلْ به وَقْفَ المَطیَّه

فقلت: یا أبت و ما ذا یصنع؟ قال: أولا ینحر؟! أولا یقتُل نفسه؟! فثکلته أمّه. الأغانی «۳» (۷/ ۲۴۰).

---

(۱). وطف المطر: انهمر. یقال: سحابة وطفاء؛ أی مسترخیة لکثرة مائها. (المؤلف)

(۲). یوجد من القصیدة (۲۳) بیتاً. (المؤلف)

(۳). الأغانی: ۷/ ۲۶۰.

ص: ۳۳۸

و هذه القصیدة أنشدها أبو هارون المکفوف الإمامَ الصادق علیه السلام.

روی شیخنا ابن قولویه فی الکامل (ص ۱۰۴- ۱۰۶ باب ۳۳) عن أبی هارون، قال: قال أبو عبد اللّه علیه السلام: «یا أبا هارون أنشدنی فی الحسین علیه السلام».

قال: فأنشدته فبکی. فقال: «أنشدنی کما تنشدون» یعنی بالرقّة. قال: فأنشدته:

أُمرُرْ علی جَدَثِ الحسی ن فقل لأَعظُمِهِ الزکیَّه

[قال: فبکی] «۱» ثمّ قال: «زدنی». قال: فأنشدته القصیدة الأخری. و فی لفظه الآخر: فأنشدته:

یا مریمُ قومی اندُبی مولاکِ و علی الحسین فأسعدی ببکاکِ

قال: فبکی و سمعت البکاء من خلف الستر. الحدیث.

و رواه شیخنا الصدوق فی ثواب الأعمال «۲».

و هناک منامات صادقة تنمُّ عن تزلُّف السیِّد عند النبیِّ الأعظم صلی الله علیه و آله و سلم مرّت جملة منها (ص ۲۲۱- ۲۲۴)، و روی أبو الفرج عن إبراهیم بن هاشم العبدی أنّه قال: رأیت النبیَّ صلی الله علیه و سلم و بین یدیه السیِّد الشاعر و هو ینشد:

أجَدَّ بآلِ فاطمةَ البُکُورُ فدمعُ العین مُنْهمرٌ غزیرُ

حتی أنشده إیّاها علی آخرها و هو یسمع قال: فحدَّثت هذا الحدیث رجلًا جمعتنی و إیّاه طوس عند قبر علیّ بن موسی الرضا، فقال لی: و اللّه لقد کنت علی خلاف، فرأیت النبیَّ صلی الله علیه و سلم فی المنام و بین یدیه رجلٌ ینشد:

(۱). الزيادة من المصدر.

(۲). ثواب الأعمال: ص ۸۳.

أجدَّ بآل فاطمةَ البُكُورُ فدمعُ العين مُنْهمرٌ غزيرُ

إلى آخر القصيدة.

فاستيقظت من نومى، و قد رسخ فى قلبى من حبِّ علىِّ بن أبى طالب رضى الله عنه ما كنت أعتقده. الأغانى «۱» (۷/ ۲۴۶)

هذه مكرمةٌ للسيِّد تشفُّ عن عظمة محلّه، و حسن عقيدته، و خلوص نيّته، و سلامة مذهبه، و طهارة ضميره، و صدق موقفه. و مهما عرف أعلام الأمّة مسيس حاجة المجتمع إلى سرد تاريخ مثل السيِّد من رجالات الفضيلة سلفاً و خلفاً، أفرد جمعٌ منهم تآليف فى أخبار السيِّد و شعره، فمنهم:

۱- أبو أحمد عبد العزيز الجلودى الأزدى البصرى: المتوفّى (۳۳۲).

۲- الشيخ صالح بن محمد الصرمى، شيخ أبى الحسن الجندى.

۳- أبو بكر محمد بن يحيى الكاتب الصولى: المتوفّى (۳۳۵).

۴- أبو بشر أحمد بن إبراهيم العمّى البصرى، ذكر له شيخ الطائفة فى فهرسته (ص ۳۰) كتاب أخبار السيِّد و شعره، و فى معجم الأدباء (۲/ ۲۲۶): كتاب أخبار السيِّد، و يظهر من رجال النجاشى (ص ۷۰) و معالم العلماء أنّه ألّف كتاباً فى أخباره و كتاباً فى شعره.

۵- أبو عبد اللَّه أحمد بن عبد الواحد، المعروف بابن عبدون شيخ النجاشى.

۶- أبو عبيد اللَّه محمد بن عمران المرزبانى: المتوفّى (۳۷۸)، له كتاب أخبار السيِّد، وقفنا على بعض أجزائه، و هو جزء من كتابه أخبار الشعراء المشهورين المكثرين فى عشرة آلاف ورقة كما فى فهرست ابن النديم «۲».

۷- أبو عبد اللَّه أحمد بن محمد بن عيّاش الجوهرى: المتوفّى (۴۰۱).

(۱). الأغانی: ۷/ ۲۶۶.

(۲). الفهرست: ص ۱۴۶.

ص: ۳۴۰

۸- إسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان النخعی.

۹- المستشرق الفرنسوی برییه دی مینار، جمع أخباره فی مائة صحیفة، طبعت فی پاریس.

فهرست النجاشی (ص ۵۳، ۶۳، ۶۴، ۷۰، ۱۴۱، ۱۷۱)، فهرست ابن الندیم (ص ۲۱۵)، فهرست شیخ الطائفة (ص ۳۰)، معالم العلماء (ص ۱۶)، الأعلام (۱/ ۱۱۲) «۱».

الثناء علی أدبه و شعره:

کان السیّد فی مقدَّمی المکثرین المجیدین و أحد الشعراء الثلاثة الذین عُدّوا أکثر الناس شعراً فی الجاهلیّة و الإسلام، و هم: السیِّد، و بشّار، و أبو العتاهیة.

قال أبو الفرج «۲»: لا یُعلَم أنَّ أحداً قدر علی تحصیل شعر أحد منهم أجمع. و قال المرزبانی «۳»: لم یُسمَع أن أحداً عمل شعراً جیِّداً و أکثر غیر السیِّد، و روی عن عبد اللَّه بن إسحاق الهاشمی قال: جمعت للسیِّد ألفی قصیدة و ظننت أنَّه ما بقی علیَّ شیءٌ، فکنت لا أزال أری من ینشدنی ما لیس عندی، فکتبت حتی ضجرت ثمَّ ترکت.

و قال: سُئل أبو عبیدة من أشعرُ المولَّدین؟ قال: السیِّد و بشّار. و نقل عن الحسین بن الضحّاک أنَّه قال: ذاکرنی مروان بن أبی حفصة أمر السیِّد بعد موته، و أنا أحفظ الناس لشعر بشّار و السیِّد، فأنشدته قصیدته المذهَّبة التی أوّلها «۴»:

(۱). رجال النجاشی: ص ۱۹۹ رقم ۵۲۸، ص ۸۷ رقم ۲۱۱، ص ۸۵ رقم ۲۰۷، ص ۹۶ رقم ۲۳۹، ص ۷۳ رقم ۱۷۷، ص ۲۴۴ رقم ۶۴۰، فهرست ابن الندیم: ص ۱۴۶، معالم العلماء: ص ۱۸ رقم ۸۱، ص ۱۱۸ رقم ۷۸۶، الأعلام: ۵/ ۲۱۴.

(۲). الأغانی: ۷/ ۲۴۹.

(۳). أخبار السیِّد الحمیری: ص ۱۵۲، ۱۵۳.

(۴). مرّ أول القصیدة: ص ۲۱۳، و البیتان هما البیت الخامس عشر و السادس عشر منها. (المؤلف)

أين التطرُّب بالولاء و بالهوى أ إلى الكواذب من بروق الخلَّبِ

أ إلى أميّة أم إلى شِيَع التى جاءت على الجملِ الخِدَبِّ الشوقَبِ

حتى أتى على آخرها، فقال لى مروان: ما سمعت قطُّ شعراً أكثر معانى و ألخص منه و عدّد ما فيه من الفصاحة. و كان يقول لكلِّ بيت منها: سبحان اللَّه، ما أعجب هذا الكلام. و روى عن التوَّزى أنَّه قال: لو أنَّ شعراً يستحقُّ أن لا يُنشَد إلّا فى المساجد لحسنه لكان هذا، و لو خطب به خاطبٌ على المنبر فى يوم الجمعة لأتى حَسَناً و لحاز أجراً.

و قال أبو الفرج «۱»: كان شاعراً متقدّماً مطبوعاً، و له طرازٌ من الشعر و مذهبٌ قلَّما يُلحقُ فيه أو يُقارَبُه. و روى عن لَبطة بن الفرزدق قال: تذاكرنا الشعراء عند أبى فقال: إنَّ هاهنا لرجلين لو أخذا فى معنى الناس لما كنّا معهما فى شىء. فسألناه من هما؟ فقال: السيِّد الحميرى و عمران بن حطّان السدوسى، و لكنَّ اللَّه قد شغل كلَّ واحد منهما بالقول فى مذهبه «۲». الأغانى «۳» (۷/ ۲۳۱)

و عن التوَّزى: قال: رأى الأصمعى جزءً فيه من شعر السيِّد، فقال: لمن هذا؟ فسترته عنه لعلمى بما عنده فيه، فأقسم علىَّ أن أخبره فأخبرته، فقال: أنشدنى قصيدةً منه، فأنشدته قصيدةً ثمَّ أخرى و هو يستزيدنى، ثمَّ قال: قبّحه اللَّه ما أسلكه لطريق الفحول لو لا مذهبه! و لولا ما فى شعره ما قدّمت عليه أحداً من طبقته. و فى لفظه الآخر: لما تقدّمه من طبقته أحدٌ. و عن أبى عبيدة أنَّه قال: أشعر المُحدَثينَ السيِّد

---

(۱). الأغانى: ۷/ ۲۴۹- ۲۵۲.

(۲). كذا فى الأغانى و هو بعيد؛ لأنّ الفرزدق توفى سنة (۱۱۰ ه)، فى حين أنَّ ولادة السيِّد الحميرى كانت فى سنة (۱۰۵ ه)، أى أنَّ عمره يومذاك كان خمس سنوات فقط!. و من المستبعد أن يقول الإنسان الشعر المحكم فى هذه السنّ المبكّرة، فضلًا عن أن يكون له رأى و عقيدة و يزاحم فحول الشعراء.

(۳). الأغانى: ۷/ ۲۴۹، ۲۵۱.

الحميرى و بشّار. الأغانى «۱» (۷/ ۲۳۲، ۲۳۶)

وقف السيِّد على بشّار و هو ينشد الشعر فأقبل عليه و قال:

أيُّها المادحُ العبادَ ليُعطى — إنَّ للَّهِ ما بأيدى العبادِ

فاسأل اللَّهَ ما طلبت إليهمْ — و ارجُ نفع المنزِّل العوَّادِ

لا تقل فى الجوادِ ما ليس فيهِ — و تسمِّى البخيلَ باسم الجوادِ

قال بشّار: من هذا؟ فعُرِّفَهُ. فقال: لو لا أنَّ هذا الرجل قد شُغل عنّا بمدح بنى هاشم لشغَلَنا، و لو شاركَنا فى مذهبنا لأَتْعَبَنا.
الأغانى «٢» (٧/ ٢٣٧)

و عن غانم الورّاق قال: خرجت إلى بادية البصرة، فصرت إلى عمرو بن تميم، فجلسوا إلىّ فأنشدتهم للسيِّد:

أ تعرف رسماً بالسويَّينِ قد دَثَرْ — عَفَتْهُ أهاضيبُ السحائب و المطرْ

و جرّتْ به الأذيالَ رِيحانِ خِلْفَةً — صَبَاً و دَبُورٌ بالعَشِيّاتِ و البُكَرْ

منازلُ قد كانت تكون بجوِّها — هضيم الحشا ريّا الشوى سحرها النظرْ

قَطُوف الخُطا خَمْصانةٌ بَخْتَريّةٌ — كأنَّ مُحيّاها سنا دارةِ القمرْ

رَمَتنى ببُعدٍ بعدَ قربٍ بها النوى — فبانت و لمّا أقضِ من عندها الوَطَرْ

و لمّا رأتنى خَشْيَةَ البينِ مُوجَعاً — أُكفكِفُ منِّى أدمُعاً فيضها دَررْ

أشارت بأطرافٍ إلىَّ و دمعُها — كنَظْمِ جُمانٍ خانه السلكُ فانتثرْ

و قد كنتُ ممّا أحدثَ البينُ حاذراً — فلم يُغنِ عنّى منه خوفىَ و الحذرْ

قال: فجعلوا يُمرِّقون «٣» لإنشادى و يطربون و قالوا: لمن هذا؟ فأعلمتهُم.

(۱). الأغانی: ۷/ ۲۵۲، ۲۵۵.

(۲). الأغانی: ۷/ ۲۵۶.

(۳). التمریق: الغناء، و قیل: هو رفع الصوت به.

فقالوا: هو و اللَّه أحد المطبوعین، لا و اللَّه ما بقی فی هذا الزمان مثله. الأغانی «۱» (۷/ ۲۳۸)

عن الزبیر بن بکّار قال: سمعت عمّی یقول: لو أنَّ قصیدة السیِّد التی یقول فیها:

إنَّ یوم التطهیر یومٌ عظیمٌ خُصَّ بالفضل فیه أهلُ الکساءِ

قُرِئت علی منبر ما کان فیها بأس، و لو أنَّ شعره کلّه کان مثله لرویناه و ما عِبناه.

و روی عن الحسین بن ثابت قال: قَدِم علینا رجلٌ بدویٌّ و کان أروی الناس لجریر، فکان ینشدنی الشیء من شعره، فأُنشد فی معناه للسیِّد حتی أکثرت، فقال لی: ویحک من هذا؟ هو و اللَّه أشعر من صاحبنا. الأغانی «۲» (۷/ ۲۳۹)

و یروی عن إسحاق بن محمد قال: سمعت العُتْبیَ «۳» یقول: لیس فی عصرنا هذا أحسن مذهباً فی شعره و لا أنقی ألفاظاً من السیِّد، ثمَّ قال لبعض من حضر: أنشدنا قصیدته اللامیَّة التی أنشدتناها الیوم؛ فأنشده قولَه:

هل عند من أحببتَ تَنویلُ أم لا فإنَّ اللوم تضلیلُ

أم فی الحشا منک جویً باطنٌ لیس تُداویهِ الأباطیلُ

عَلِقْتَ یا مغرورُ خدّاعةً بالوعد منها لک تَخْییلُ

ریّا رداح النوم خمصانة کأنّها أدماءُ عُطبُولُ

یشفیک منها حین تخلو بها ضَمٌّ إلی النحر و تقبیلُ

(۱). الأغانی: ۷/ ۲۵۷.

(۲). الأغانی: ۷/ ۲۵۸، ۲۵۹.

(۳). أبو عبد الرحمن محمد بن عبید اللّه الأموی الشاعر البصری: المتوفّی (۲۲۸) ینسب الی جدِّهِ عتبة ابن أبی سفیان. (المؤلف)

و ذَوقُ ریقٍ طیِّبٍ طعمُهُ — کأنّهُ بالمسکِ معلولُ

فی نسوةٍ مثلِ المَها خُرَّدٍ — تضِیق عنهنَّ الخلاخیلُ

یقول فیها:

أُقسمُ باللّه و آلائهِ — و المرءُ عمّا قال مسؤولُ

إنَّ علیَّ بنَ أبی طالبٍ — علی التقی و البِرِّ مجبولُ«۱»

فقال العُتْبیّ: أحسن و اللّه ما شاء، هذا و اللّه الشعرُ الذی یهجمُ علی القلب بلا حجاب. الأغانی «۲» (۷/ ۲۴۷)

و قبل هذه کلّها حسْبُهُ ثناءً علیه

قول الإمام الصادق علیه السلام: «أنت سیِّد الشعراء»

فینمُّ عن مکانته الرفیعة فی الأدب، یقصُرُ الوصف عن استکناهها، و لا یُدرِک البیانُ مداها. فکان یُعدُّ من شعرائه علیه السلام و ولده الطاهر الکاظم، کما فی نور الأبصار للشبلنجی «۳».

إکثاره فی آل اللّه:

كان السيِّد بعيد المَنْزَعة، ولعاً بإعادة السهم إلى النزعَة، و قد أشفَّ و فاق كثيرين من الشعراء بالجدِّ و الاجتهاد فى الدعاية إلى مبدئه القويم، و الإكثار فى مدح العترة الطاهرة، و ساد الشعراء ببذل النفس و النفيس فى تقوية روح الإيمان فى المجتمع و إحياء ميِّت القلوب ببثِّ فضائل آل اللَّه، و نشر مثالب مناوئيهم و مساوئ أعدائهم قائلًا:

أيا ربِّ إنّى لم أُرِدْ بالذى به مدحتُ عليّا غيرَ وجهِک فارحَمِ

---

(١). تأتى بقية القصيدة فى ذكر أخبار المترجم له و مُلَحِهِ. (المؤلف)

(٢). الأغانى: ٧/ ٢٦٧.

(٣). نور الأبصار: ص ٢٩۴.

و صدّق بشعره رؤياه التى رواها عنه أبو الفرج و المرزبانى فى أخباره؛ أنَّه قال: رأيت النبىَّ صلى الله عليه و سلم فى النوم و كأنَّه فى حديقة سَبخَة فيها نخلٌ طوال، و إلى جانبها أرضٌ كأنَّها الكافور ليس فيها شىءٌ، فقال: أ تدرى لمن هذا النخل؟ قلت: لا يا رسول اللَّه. قال: لامرئ القيس بن حجر، فاقلعها و اغرسها فى هذه الأرض، ففعلت. و أتيت ابن سيرين فَقَصَصْتُ رؤياى عليه. فقال: أ تقول الشعر؟ قلت: لا. قال: أما إنَّک ستقول شعراً مثل شعر امرئ القيس، إلّا أنَّک تقوله فى قوم بَرَرَةٍ أطهار.

و كان كما قال أبو الفرج: لا يخلو شعره من مدح بنى هاشم أو ذمٍّ غيرهم ممّن هو عنده ضدٌّ لهم. و روى عن الموصلىّ عن عمِّه قال: جمعت للسيِّد فى بنى هاشم ألفين و ثلاثمائة قصيدة؛ فخِلتُ أن قد استوعبتُ شعره، حتى جلس إلىَّ يوماً رجلٌ ذو أطمار رثّة، فسمعنى أنشد شيئاً من شعره، فأنشدنى به ثلاث قصائد لم تكن عندى. فقلت فى نفسى: لو كان هذا يعلم ما عندى كلّه ثمّ أنشدنى بعده ما ليس عندى لكان عجباً، فكيف و هو لا يعلم و إنّما أنشد ما حضره! و عرفتُ حينئذ أنَّ شعره ليس ممّا يُدرک، و لا يمكن جمعه كلّه. الأغانى «١» (٧/ ٢٣۶، ٢٣٧).

قال أبو الفرج: كان السيّد يأتى الأعمش سليمان بن مهران الكوفى: المتوفّى (١۴٨)، فيكتب عنه فضائل علىٍّ أمير المؤمنين- سلام اللَّه عليه- و يخرج من عنده و يقول فى تلک المعانى شعراً. فخرج ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة و قد حمله على فرس و خلع عليه؛ فوقف بالكُناسة ثمَّ قال: يا معشر الكوفيِّين من جاءنى منكم بفضيلة لعلىِّ بن أبى طالب لم أقل فيها شعراً أعطيته فرسى هذا و ما علىّ. فجعلوا يحدِّثونه و ينشدهم، حتى أتاه رجلٌ منهم، و قال: إنَّ أمير المؤمنين علىَّ بن أبى طالب- سلام اللَّه عليه- عزم على الركوب فلبس ثيابه و أراد لُبسَ الخُفِّ فلبِس أحدَ خُفّيه، ثمّ أهوى إلى الآخر ليأخذه، فانقضَّ عقابٌ من السماء، فحلّقَ به، ثمَّ ألقاه فسقط منه

(۱). الأغانی: ۷/ ۲۵۷، ۲۵۶.

أسود و انساب فدخل جُحراً، فلبس علیٌّ علیه السلام الخفّ. قال: و لم یکن قال فی ذلک شیئاً، ففکّر هُنیهة ثمَّ قال:

ألا یا قومِ للعَجَب العُجابِ — لخُفِّ أبی الحسین و للحُبابِ

عدوٌّ من عِداة الجنِّ وغدٌ — بعیدٌ فی المرادةِ من صوابِ

أتی خفّا له و انساب فیهِ — لِیَنْهشَ رِجلَهُ منه بنابِ

لِیَنْهشَ خیرَ من رکبَ المطایا — أمیر المؤمنین أبا ترابِ

فخرَّ من السماء له عُقابٌ — من العِقبان أو شِبهُ العقابِ

فطار به فحلّقَ ثمَّ أهْوی — به للأرض من دون السحابِ

فصکَّ بخُفِّه و انسابَ منه — و ولّی هارباً حَذَرَ الحِصابِ

إلی جُحرٍ له فانساب فیهِ — بعیدِ القَعْر لم یُرتَجْ بابِ

کریهُ الوجه أسودُ ذو بَصیصٍ — حدیدُ النابِ أزرقُ ذو لُعابِ

یهلُّ له الجریُّ إذا رآهُ — حثیثُ الشدِّ محذورُ الوَثابِ

تأخّر حَیْنُهُ و لقد رماهُ — فأخطاهُ بأحجارٍ صِلابِ

و دوفِعَ عن أبی حسن علیٍ — نقیعُ سِمَامِهِ بعد انسیابِ«۱»

قال المرزبانی: ثمَّ حرّک فرسه و ثناها، و أعطی ما کان معه من المال و الفرس للذی روی له الخبر، و قال: إنِّی لم أکن قلت فی هذا شیئاً. و ذکر المرزبانی من تشبیبها أحد عشر بیتاً لم یروِ أبو الفرج منه إلّا مستهلّها:

صبوتُ إلی سلیمی و الربابِ — و ما لأخی المشیب و لِلتصابی

قال أبو الفرج: أما العقاب الذى انقضَّ على خُفِّ علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه فحدّثنى بخبره أحمد بن محمد بن سعيد الهمدانىّ، قال: حدّثنى جعفر بن علىٍّ بن نُجَيح قال: حدّثنا أبو عبد الرحمن المسعودى عن أبى داود الطَهَوى، عن أبى الزِّغْل المرادى

---

(١). الأغانى: ٧/ ٢٥٧ [٧/ ٢٧٧]، أخبار السيّد للمرزبانى [ص ١٧١]. (المؤلف)

ص: ٣٤٧

قال: قام علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه فتطهّر للصلاة، ثمَّ نزع خُفّه فانساب فيه أفعى، فلمّا عاد ليَلبَسه انقضّت عقابٌ فأخذته، فحلّقت به ثمَّ ألقته فخرج الأفعى منه.

و قد رُوى مثل هذا لرسول اللَّه صلى الله عليه و سلم.

و قال ابن المعتز فى طبقاته «١» (ص ٧): كان السيِّد أحذق الناس بسوق الأحاديث و الأخبار و المناقب فى الشعر، لم يترك لعلىٍّ بن أبى طالب فضيلةً معروفةً إلّا نقلها إلى الشعر. و كان يُملُّه الحضور فى مُحتَشَدٍ لا يُذكر فيه آل محمد- صلوات اللَّه عليهم- و لم يأنس بحفلة تخلو عن ذكرهم.

و روى أبو الفرج عن الحسن بن علىٍّ بن حرب بن أبى الأسود الدؤلى قال: كنّا جلوساً عند أبى عمرو بن العلاء فتذاكرنا السيِّد، فجاء فجلس، و خُضنا فى ذكر الزرع و النخلِ ساعة فنهض. فقلنا: يا أبا هاشم ممَّ القيام؟ فقال:

إنّى لأكرَهُ أن أُطيل بمجلسٍ ... لا ذِكْرَ فيه لفضل آلِ محمدِ

لا ذِكْرَ فيه لأحمدٍ و وصيِّهِ ... و بَنِيه ذلک مجلسٌ نَطِفٌ رَدى«٢»

إنَّ الذى ينساهُمُ فى مجلسٍ ... حتى يُفارقَهُ لَغيرُ مسدَّدِ

و كان إذا استُنْشِدَ شيئاً من شعره لم يبدأ بشىء إلّا بقوله:

أجدَّ بآل فاطمة البُكورُ فدمع العين منهمرٌ غزيرُ

الأغانى «۳» (۷/ ۲۴۶- ۲۶۶)

رواة شعره و حفّاظُه:

۱- أبو داود سليمان بن سفيان المسترق الكوفى المنشد: المتوفّى سنة (۲۳۰)

---

(۱). طبقات الشعراء: ص ۳۲.

(۲). النطف: النجس. (المؤلف)

(۳). الأغانى: ۷/ ۲۸۶.

ص: ۳۴۸

عن (۷۰) عاماً، كان راوية شعره كما فى الأغانى «۱»، و فهرست الكشّى «۲» (ص ۲۰۵).

۲- إسماعيل بن الساحر: كان راويته كما فى الأغانى «۳» فى غير موضع.

۳- أبو عبيدة معمر بن المثنّى: المتوفّى (۲۰۹)، كان يروى شعره كما فى الأغانى «۴»، و لسان الميزان «۵» (۱/ ۴۳۷).

۴- السِّدْرى: كان راويته كما فى طبقات ابن المعتز «۶» (ص ۷).

۵- محمد بن زكريّا الغلابى الجوهرى البصرى: المتوفّى (۲۹۸)، كان يحفظ شعر السيِّد و يقرؤه على العبّاسة بنت السيِّد، و يصحِّحه عليها كما فى أخبار السيِّد «۷» للمرزبانى.

۶- جعفر بن سليمان الضبعىّ البصرىّ: المتوفّى (۱۷۸)، كان ينشد شعر السيِّد كثيراً، فمن أنكره عليه لم يحدِّثه كما فى الأغانى «۸»، و لسان الميزان «۹» (۱/ ۴۳۷).

۷- يزيد بن محمد بن عمر بن مذعور التميمىّ، كان يروى للسيِّد و يعاشرُهُ كما فى أخبار السيِّد «۱۰» للمرزبانى، و قال أبو الفرج «۱۱»: كان يحفظ شعر السيِّد و ينشده لأبى بُجَير الأسدى.

(۱). الأغانی: ۷/ ۲۶۶.

(۲). رجال الکشّی: ۲/ ۶۰۸ رقم ۵۷۷.

(۳). الأغانی: ۷/ ۲۴۹.

(۴). الأغانی: ۷/ ۲۵۵.

(۵). لسان المیزان: ۱/ ۴۸۸ رقم ۱۳۵۹.

(۶). طبقات الشعراء: ص ۳۳.

(۷). أخبار السیّد الحمیری: ص ۱۵۷.

(۸). الأغانی: ۷/ ۲۵۶.

(۹). لسان المیزان: ۱/ ۴۸۸ رقم ۱۳۵۹.

(۱۰). أخبار السیّد الحمیری: ص ۱۵۶. و فیه: یزید بن محمد بن عمران.

(۱۱). الأغانی: ۷/ ۲۹۲.

ص: ۳۴۹

۸- فضیل بن الزبیر الرسّان الکوفیّ، کان ینشد شعر السیِّد، و قد أنشده للإمام الصادق علیه السلام و قد مرَّ بعض حدیثه.

۹- الحسین بن الضحّاک، قال المرزبانی «۱»: کان أحفظ الناس لشعره.

۱۰- الحسین بن ثابت، کان یروی کثیراً من شعره.

۱۱- العبّاسة بنت السیِّد، کانت حافظة لشعر أبیها، و کانت الرواة یقرؤون علیها شعر السیِّد و تصحِّحه لهم، کما ذکره المرزبانی فی أخبار السیِّد «۲».

و کانت للسیِّد کریمتان أُخریان تحفظان شعره، و فی بعض المعاجم کانت کلّ واحدة تحفظ ثلاثمائة قصیدة. و قال ابن المعتزّ فی طبقات الشعراء «۳» (ص ۸): حُکی عن السدریّ أنَّه قال: کان له أربع بنات، و أنّه کان حفَّظَ کلَّ واحدة منهنَّ أربعمائة قصیدة من شعره.

۱۲- عبد اللّه بن إسحاق الهاشمیّ، جمع شعره کما مرَّ عن المرزبانی «۴».

۱۳- عمُّ الموصلی، جمع شعره فی بنی هاشم کما مرَّ عن الأغانی «۵».

۱۴- الحافظ أبو الحسن الدارقطنی علیّ بن عمر: المتوفّی (۳۸۵) کان یحفظ دیوان السیِّد کما فی تاریخَی الخطیب البغدادی (۱۲/ ۳۵)، و ابن خلّکان «۶» (۱/ ۳۵۹)، و تذکرة الحفّاظ «۷» (۳/ ۲۰۰).

---

(۱). أخبار السیّد الحمیری: ص ۱۵۲.

(۲). أخبار السیّد الحمیری: ص ۱۵۷.

(۳). طبقات الشعراء: ص ۳۶.

(۴). أخبار السیّد الحمیری: ص ۱۵۳.

(۵). الأغانی: ۷/ ۲۵۶.

(۶). وفیات الأعیان: ۳/ ۲۹۷ رقم ۴۳۴.

(۷). تذکرة الحفّاظ: ۳/ ۹۹۲ رقم ۹۲۵.

ص: ۳۵۰

مذهبه و کلمات الأعلام حوله

عاش السیِّد ردحاً من الزمن علی الکیسانیّة «۱»، یقول بإمامة محمد بن الحنفیَّة و غیبته، و له فی ذلک شعر، ثمَّ أدرکته سعادة ببرکة الإمام الصادق علیه السلام و شاهد منه حُجَجَه القویّة و عرف الحقَّ، و نبذَ ما کان علیه من سفاسف الکیسانیّة عندما نزل الإمام علیه السلام الکوفة عند مُنصَرفه من عند المنصور أو ملاقاته إیّاه فی الحجِّ.

و لعبد اللّه بن المعتز المتوفّی (۲۹۶)، و شیخ الأمّة الصدوق المتوفّی (۳۸۱)، و الحافظ المرزبانی المتوفّی (۳۸۴)، و شیخنا المفید المتوفّی (۴۱۳)، و أبی عمرو الکشّی، و السروی المتوفّی (۵۸۸)، و الإربلی المتوفّی (۶۹۲) و غیرهم حول مذهبه کلمات ضافیة یکتفی بواحدة منها فی إثبات الحقِّ فضلًا عن جمیعها، فإلیک نصوصها.

۱- کلمة ابن المعتز: قال فی طبقات الشعراء «۲» (ص ۷): حدّثنی محمد بن عبد اللّه قال: قال السدری راویة السیِّد: کان السیِّد أوَّل زمانه کیسانیّا یقول برجعة محمد ابن الحنفیّة، و أنشدنی فی ذلک:

حتى متى و إلى متى و متى المدى يا ابن الوصيِّ و أنت حيٌّ ترزقُ

و القصيدة مشهورةٌ. و حدّثنى محمد بن عبد اللّه قال: قال السِّدرىّ: ما زال السيِّد يقول بذلک حتى لقى الصادق عليه السلام بمكّة أيّام الحجِّ، فناظره و ألزمه الحجّة، فرجع عن ذلک، فذلک قوله فى تركه تلک المقالة و رجوعه عمّا كان عليه، و يذكر الصادق:

---

(١). هم أصحاب المختار بن أبى عُبيد، يقال فى تسميتهم بذلک: إنَّ المختار كان يلقّب بكَيْسان، مأخوذاً ممّا

رواه الكشّى فى رجاله: ص ٨۴ [١/ ٣۴١ رقم ٢٠١] من قول أمير المؤمنين عليه السّلام له: يا كيّس يا كيّس

و قيل: إنَّ كيسان اسم صاحب شرطته، و يكنّى بأبى عَمْرة كما فى رجال الكشّى [١/ ٣۴٢ رقم ٢٠۴] و الفِصَل لابن حزم [۴/ ٩۴]. و قيل: إنَّ كيسان هو مولى أمير المؤمنين، و هو الذى حمل المختار على الطلب بدم الحسين السبط عليه السّلام و دَلَّ على قَتَلَتِهِ، و كان صاحب سرّه و الغالب على أمره كما ذكره الكشّى. (المؤلف)

(٢). طبقات الشعراء: ص ٣٣.

تجعفرتُ باسم اللّه و اللّهُ أكبرُ و أيقنتُ أنّ اللّه يعفو و يغفرُ

و يثبت مهما شاء ربِّى بأمره و يمحو و يقضى فى الأمور و يقدرُ

٢- كلمة الصدوق: قال فى كمال الدين «١» (ص ٢٠): فلم يزل السيِّد ضالّا فى أمر الغيبة يعتقدها فى محمد بن الحنفيّة؛ حتى لقى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام و رأى منه علامات الإمامة و شاهد منه دلالات الوصيّة، فسأله عن الغَيبة فذكر له أنَّها حقٌّ، و لكنّها تقع بالثانى عشر من الأئمّة عليهم السلام و أخبره بموت محمد بن الحنفيّة، و أنَّ أباه محمد ابن علىٍّ بن الحسين بن علىٍّ عليهم السلام شاهد دفنه، فرجع السيِّد عن مقالته و استغفر من اعتقاده، و رجع إلى الحقِّ عند اتِّضاحه له و دان بالإمامة.

حدّثنا عبد الواحد بن محمد العطّار رضى الله عنه قال: حدّثنا علىٌّ بن محمد بن قتيبة النيسابورى قال: حدّثنا حمدان بن سليمان عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عن حيّان السرّاج قال: سمعت السيِّد بن محمد الحميرى يقول: كنت أقول بالغلو، و اعتقد غيبة محمد بن علىٍّ الملقّب بابن الحنفيّة قد ضللتُ فى ذلک زماناً، فمنَّ اللَّه علىَّ بالصادق جعفر بن محمد عليهما السلام و أنقذنى به من النار، و هدانى إلى سواء الصراط، فسألته بعد ما صحَّ عندى بالدلائل التى شاهدتها «٢» منه أنّه حجّة اللَّه علىَّ و على جميع أهل زمانه، و أنّه الإمام الذى فرض اللَّه طاعته، و أوجب الاقتداء به فقلت له: يا ابن رسول اللَّه قد رُوى لنا أخبار عن آبائک عليهم السلام فى الغَيبة و صحّة كونها فأخبرنى بمن تقع؟ فقال عليه السلام: «إنَّ الغيبة ستقع بالسادس من ولدى، و هو الثانى عشر من الأئمّة الهداة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، أوّلهم أمير المؤمنين علىُّ بن أبى طالب، و آخرهم القائم بالحقِّ بقيّة اللَّه فى الأرض و صاحب الزمان. و اللَّه لو بقى فى غيبته ما بقى نوحٌ فى قومه، لم يخرج من الدنيا حتى يظهر، فيملأ الارض قسطاً و عدلًا كما مُلئت جوراً و ظلماً».

---

(١). كمال الدين: ص ٣٣.

(٢). ستقف على بعض تِلكُم الدلائل. (المؤلف)

قال السيّد: فلمّا سمعت ذلک من مولاى الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام تُبت إلى اللَّه تعالى ذكره على يديه، و قلت قصيدتى التى أوّلها:

و لمّا رأيتُ الناسَ فى الدينِ قد غَوَوْا — تجعفرتُ باسم اللَّه فيمن تجعفروا

و ناديتُ باسمِ اللَّهِ و اللَّهُ أكبرُ — و أيقنتُ أنَّ اللَّه يعفو و يغفرُ

و دِنتُ بدينٍ غير ما كنتُ دائناً — به و نهانى سيّدُ الناس جعفرُ

فقلتفهبنى قد تهوّدتُ بُرهةً — و إلّا فدينى دين من يتنصّرُ

و إنّى إلى الرحمن من ذاک تائبٌ — و إنّىَ قد أسلمتُ و اللَّهُ أكبرُ

فلستُ بغالٍ ما حَييتُ و راجعٍ — إلى ما عليهِ كنت أُخفى و أُضمِرُ

و لا قائلًا حىٌّ برضوى محمدٌ«١» — و إن عاب جُهّالٌ مقالى فأكثروا

و لكنَّه ممّا مضى لسبيلهِ — على أفضل الحالات يُقفى و يخبرُ

مع الطيّبين الطاهرين الأُلى لهم من المصطفى فرعٌ زكىٌّ و عنصرُ

إلى آخر القصيدة و هى طويلةٌ. و قلت بعد ذلک قصيدة أخرى:

أ يا راكباً نحو المدينة جَسرةً عُذافِرَةً يُطوى بها كلُّ سَبسبِ«۲»

إذا ما هداک اللَّه عاينتَ جعفراً فقل لوليِّ اللَّه و ابن المهذَّبِ

ألا يا أمينَ اللَّه و ابن أمينهِ أتوبُ إلى الرحمن ثمَّ تأوُّبى

إليک من الأمر الذى كنت مُطنباً أحارب فيهِ جاهداً كلَّ معربِ

و ما كان قولى فى ابن خولة مُبطِناً معانَدَةً منّى لنسلِ المُطيَّبِ

و لكن رُوينا عن وصيِّ محمدٍ و ما كان فيما قال بالمتكذِّبِ

بأنّ وليَّ الأمر يُفقدُ لا يُرى ستيراً «۳» كفعل الخائف المترقّبِ

فيقسم أموال الفقيد كأنَّما تعيّبه بين الصفيح المنصّبِ

---

(۱). فى لفظ ابن شهرآشوب: و لا قائلًا قولًا بكيسان بعدها. (المؤلف)

(۲). الجسرة: العظيمة من الإبل. و العُذافِرَةُ: الشديدة منها. (المؤلف)

(۳). فى لفظ المرزبانى و المفيد [فى الإرشاد: ۲/ ۲۰۷]: سنين. (المؤلف)

فيمكث حيناً ثمّ ينبَعُ نبعةً كنبعة جَدِّىٍّ من الأُفق كوكبِ«۱»

يسير بنصر اللَّه من بيت ربِّه | على سؤدد منه و أمرٍ مُسبَّبِ
يسير إلى أعدائه بلوائِهِ | فيقتُلُهمْ قتلًا كحرّانَ مغضبِ
فلمّا رُوى أنَّ ابن خولة غائبٌ | صَرَفنا إليهِ قولنا لم نكذِّبِ
و قلنا هو المهدىُّ و القائمُ الذى | يعيش به من عدلِهِ كلُّ مُجدِبِ«٢»
فإن قلت لا فالحقّ قولُكَ و الذى | أمرت فحتمٌ غير ما متعصّبِ
و أُشهِدُ ربِّى أنَّ قولَكَ حُجّةٌ | على الخلقِ طُرّا من مُطيعٍ و مُذْنبِ
بأنَّ وليَّ الأمر و القائمَ الذى | تَطَلّعُ نفسى نحوَه بتطرُّبِ
له غَيْبَةٌ لا بدَّ من أن يغيبها | فصلّى عليه اللَّهُ من متغيِّبِ
فَيَمْكثُ حيناً ثمَّ يَظهَرُ حينَه | فيملأ عدلًا كلَّ شرقٍ و مَغْربِ
بذاک أمين اللَّه سرّا و جهرةً | و لستُ و إن عوتبتُ فيه بمُعَتّبِ

و كان حيّان السرّاج الراوى لهذا الحديث من الكيسانيّة، و رواه الإربلى فى كشف الغُمَّة «٣».

٣- كلمة المرزبانى: قال فى أخبار السيِّد «۴»: كان السيّد ابن محمد رحمه الله بلاشک كيسانيّا، يذهب إلى أنَّ محمد بن الحنفيّة رضى الله عنه هو القائم المهدى و أنّه مقيمٌ فى جبال رضوى، و شعره فى ذلک يدلُّ على أنّه كان كما ذكرنا كيسانيّا، فمن قوله:

يا شِعْبَ رضوى ما لمن بک لا يُرى | و بنا إليه من الصبابة أولقُ«۵»

---

(١). و فى رواية المرزبانى: [] و يمكث حيناً ثم يُشرِق شخصه [] مضيئاً بنور العدل إشراق كوكبِ [] (المؤلف)

(٢). فى رواية الحافظ المرزبانى: يعيش بجدوى عدله كلُّ مجدِب. (المؤلف)

(٣). كشف الغمّة: ٢/ ٣٩٣.

(۴). أخبار السيّد الحميرى: ص ۱۶۴.

(۵). الأولق: الجنون أو مسّ منه. (المؤلف)

ص: ۳۵۴

حتى متى و إلى متى و كم المدى يا ابن الوصىّ و أنت حىٌّ تُرزقُ

إنّى لآمُلُ أن أراك و إنَّنى من أن أموتَ و لا أراك لأفْرقُ

غير أنَّه رحمه الله رجع عن ذلک و ذهب إلى إمامة الصادق عليه السلام و قال:

تجعفرتُ باسم اللَّه و اللَّه أكبرُ و أيقنتُ أنَّ اللَّه يعفو و يغفرُ

و من زعم أنَّ السيِّد أقام على الكيسانيّة فهو بذلک كاذبٌ عليه و طاعنٌ فيه. و من أوضح ما دلّ على بطلان ذلک دعاء الصادق له عليه السلام و ثناؤه عليه، فمن ذلک ما

أخبرنا به محمد بن يحيى قال: حدّثنا أبو العينا قال: حدّثنى علىٌّ بن الحسين بن علىّ ابن عمر بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب- صلوات اللَّه عليهم- قال: قيل لأبى عبد اللَّه عليه السلام و ذكر عنده السيِّد: بأنَّه ينال من الشراب. فقال عليه السلام: «إنَّ كان السيِّد زلّت به قدمٌ فقد ثبتت له أخرى».

و بإسناده عن عبّاد بن صهيب قال: كنت عند أبى عبد اللَّه جعفر بن محمد عليهما السلام فذكر السيِّد فدعا له فقال له: يا ابن رسول اللَّه أ تدعو له و هو يشرَب الخمر، و يشتم أبا بكر و عمر، و يوقن بالرجعة؟ فقال: «حدّثنى أبى عن أبيه علىّ بن الحسين أنَّ محبّى آل محمد صلى الله عليه و آله و سلم لا يموتون إلّا تائبين و إنّه قد تاب». ثمَّ رفع رأسه و أخرج من مصلّى عليه كتاباً من السيِّد يتوب فيه ممّا كان عليه «۱»، و فى آخر الكتاب:

أيا راكباً نحو المدينة جَسرةً عُذافرةً يُطوى بها كلُّ سَبسبِ

إلى آخر الأبيات كما مرّت.

و روى بإسناده عن خلف الحادى قال: قدم السيِّد من الأهواز بمال و رقيق

---

(١). فى الأغانى: ٧/ ٢٧٧ [٧/ ٢٩٧] أخرج كتاباً من السيِّد يُعرِّفه فيه: أنَّه قد تاب و يسأله الدعاء له. (المؤلف)

و كراع، فجئته مهنِّئاً له، فقال: إنَّ أبا بُجير «١» إماميٌّ و كان يُعيّرنى بمذهبى و يأمل منّى تحوّلًا إلى مذهبه فكتبت أقول له: قد انتقلت إليه، و قلت:

أيا راكباً نحو المدينة جَسرةً عُذافرةً يُطوى بها كلُّ سَبسبِ

و ذكر الأبيات إلى آخرها كما مرَّت.

ثمَّ قال: فقال له أبو بُجير يوماً: لو كان مذهبک الإمامة لقلت فيها شعراً. فأنشدته هذه القصيدة فسجد و قال: الحمد للَّه الذى لم يذهب حبّى لک باطلًا. ثمَّ أمر لى بما ترى.

و روى بإسناده عن خلف الحادى قال: قلت للسيّد: ما معنى قولک:

عجبتُ لكرِّ صروف الزمانِ و أمرِ أبى خالدٍ ذى البيانِ

و من ردِّه الأمرَ لا ينثنى إلى الطيّب الطهر نورِ الجنانِ

علىٍّ و ما كان من عمِّهِ بردّ الإمامةِ عطفَ العنانِ

و تحكيمه حجراً أسوداً و ما كان من نُطقه المُستبانِ

بتسليم عمٍّ بغير امتراءٍ إلى ابن أخٍ منطقاً باللسانِ

شهدتُ بذلک صدقاً كما شهدت بتصديق آى القُرانِ

علىٌ إمامىَ لا أمتَرى و خلّيت قولى بكانٍ و كانِ

قال لی: کان حدّثنی علیّ بن شجرة عن أبی بُجیر عن الصادق أبی عبد اللَّه علیه السلام: أنَّ أبا خالد الکابلی کان یقول بإمامة ابن الحنفیّة، فقدم من کابُل شاه إلی المدینة فسمع محمداً یخاطب علیّ بن الحسین فیقول: یا سیّدی، فقال أبو خالد: أ تخاطبُ ابن أخیک بما لا یخاطبک بمثله؟ فقال: إنَّه حاکمنی إلی الحجر الأسود و زعم أنَّه یُنطِقُه، فصرت معه إلیه فسمعت الحجر یقول: یا محمد سلّم الأمر إلی ابن أخیک فإنّه أحقُّ منک!.

---

(۱). هو أبو بُجیر عبد اللَّه بن النجاشی، الأسدی والی الأهواز للمنصور. (المؤلف)

فقلت شعری هذا. قال: و صار أبو خالد الکابلی إمامیّا. قال: فسألت بعض الإمامیّة عن هذا، فقال لی: لیس بإمامیٍّ من لا یعرف هذا. فقلت للسیِّد: فأنت علی هذا المذهب أو علی ما أعرف؟ فأنشدنی بیت عُقَیل بن عَلَفة:

خُذا جَنْبَ هَرْشَی «۱» أوقَفاه فإنّه — کلا جانبی هَرْشَی لهنَّ طریقُ

و ممّا رواه المرزبانی «۲») له فی مذهبه قوله:

صحَّ قولی بالإمامهْ — و تعجّلتُ السلامهْ

و أزالَ اللَّه عنّی — إذ تجعفرتُ الملامهْ

قلتُ من بعد حسینٍ — بعلیٍّ ذی العَلامهْ

أصبح السجّادُ للإ — سلام و الدین دَعامهْ

قد أرانی اللَّه أمراً — أسأل اللَّهَ تمامهْ

کی أُلاقیه به فی — وقتِ أهوالِ القیامهْ

۴- کلمة المفید: قال فی الفصول المختارة «۳») (ص ۹۳): و کان من الکیسانیّة أبو هاشم إسماعیل بن محمد الحمیری الشاعر رحمه الله و له فی مذهبهم أشعارٌ کثیرةٌ، ثمّ رجع عن القول بالکیسانیّة و تبرَّأ منه و دان بالحقِّ؛ لأنَّ أبا عبد اللَّه جعفر بن محمد

عليهما السلام دعاه إلى إمامته و أبان له عن فرض طاعته، فاستجاب له فقال بنظام الإمامة و فارق ما كان عليه من الضلالة، و له فى أيضاً ذلک شعر معروف.

و من بعض قوله فى إمامة محمد- رضوان اللَّه عليه- و مذهب الكيسانيَّة قوله:

ألا حيِّ مُقيماً شِعْبَ رَضوى و أهدِ لهُ بمَنزِلِه السلاما

---

(١). ثَنِيّة فى طريق مكة قريبة من الجُحفة و لها طريقان يفضيان إلى موضع واحد. (المؤلف)

(٢). أخبار السيّد الحميرى: ص ١٧۶.

(٣). الفصول المختارة: ص ٢۴١.

إلى أن قال: و له عند رجوعه إلى الحقِّ و فراقه الكيسانيّة:

تجعفرت باسمِ اللَّهِ و اللَّهُ أكبرُ و أيقنتُ أنَّ اللَّهَ يعفو و يغفرُ

و دِنْتُ بدينٍ غير ما كنت دائناً به و نهانى سيّدُ الناسِ جعفرُ

إلى آخر ما مرَّ باختلاف يسير.

و قال فى الإرشاد «١»: فصلٌ: و فيه- يعنى الإمام الصادق عليه السلام- يقول السيِّد إسماعيل بن محمد الحميرى رحمه الله و قد رجع عن قوله بمذهب الكيسانيّة، لمّا بلغه إنكار أبى عبد اللَّه عليه السلام مقاله، و دعاؤه له إلى القول بنظام الإمامة:

أيا راكباً نحو المدينة جَسرةً عُذافِرةً يُطوى بها كلُّ سبْسَبِ

و ذكر منها (۱۳) بيتاً ثمَّ قال: و فى هذا الشعر دليلٌ على رجوع السيِّد رحمه الله عن مذهب الكيسانيّة و قوله بإمامة الصادق عليه السلام، و وجوه الدعوة ظاهرة من الشيعة فى أيّام أبى عبد اللَّه إلى إمامته و القول بغيبة صاحب الزمان عليه السلام و أنّها إحدى علاماته، و هو صريحُ قول الإماميّة الاثنى عشريّة.

۵- كلمة ابن شهرآشوب:

روى فى المناقب «۲» (۲/ ۳۲۳) عن داود الرقّى قال: بلغ السيِّد الحميرى أنَّه ذُكِرَ عند الصادق عليه السلام فقال: «السيِّد كافر» فأتاه و سأل: يا سيِّدى، أنا كافرٌ مع شدّة حبِّى لكم و معاداتى الناس فيكم؟

قال: «و ما ينفعک ذاک و أنت كافر بحجّة الدهر و الزمان؟» ثمّ أخذ بيده و أدخله بيتاً، فإذا فى البيت قبرٌ فصلّى ركعتين، ثمَّ ضرب بيده على القبر فصار القبر قِطعاً، فخرج شخصٌ من قبره ينفض التراب عن رأسه و لحيته، فقال له الصادق: «من أنت؟» قال: أنا محمد بن علىّ المسمّى بابن الحنفيّة. فقال: «فمن أنا؟» فقال:

---

(۱). الإرشاد: ۲/ ۲۰۶.

(۲). مناقب آل أبى طالب: ۴/ ۲۶۶.

جعفر بن محمد، حجّة الدهر و الزمان «۱» فخرج السيِّد يقول:

تَجَعْفرتُ باسم اللَّهِ فى من تَجَعْفَرا و أيقنتُ أنَّ اللَّهَ يعفو و يغفرُ

الى آخر الأبيات.

و فى أخبار السيّد: أنَّه ناظره مؤمن الطاق فى ابن الحنفيّة فغلبه عليه فقال:

تركتُ ابن خَولةَ لا عن قِلىً و إنّى لَكَالْكَلِفِ الوامِقِ

و إنّى له حافظٌ فى المغيبِ أدينُ بما دان فى الصادقِ

هو الحَبرُ حَبرُ بنى هاشمٍ و نورٌ من المَلِکِ الرازقِ

به يُنعِشُ اللَّهُ جمعَ العبادِ و يجرى البلاغة فى الناطقِ

أتانىَ برهانه معلناً فَدِنْتُ و لم أكُ كالمائِقِ

كمن صدَّ بعد بيان الهدى إلى حَبْترٍ و أبى حامقِ

فقال الطائى: أحسنت، الآن أوتيت رُشْدَك، و بلغت أشُدَّك، و تبوَّأتَ من الخير موضعاً و من الجنّة مقعداً، و أنشأ السيِّد يقول:

تجعفرت باسم اللَّه و اللَّهُ أكبرُ و أيقنت أنَّ اللَّه يعفو يغفرُ«٢»

ذكر منها خمسة أبيات ثمَّ ذكر من بائيّته المذكورة ستّة أبيات فقال: و أنشد فيه- يعنى الصادق عليه السلام-:

امدَحْ أبا عبد الإل -ه فتى البريّة فى احتمالهْ

سبط النبى محمدٍ حبلٌ تفرّع من حبالهْ

تغشى العيونُ الناظراتُ إذا سَمَون إلى جلالهْ

---

(١). هذه من علامات الإمامة التى مرّ الإيعاز إليها فى كلمة الصدوق. (المؤلف)

(٢). مناقب آل أبى طالب: ۴/ ٢۶٧.

عَذْبُ الموارد بحرُهُ يروى الخلائقَ من سجالهْ

بحرٌ أطلَّ على البحو ... ر يمدُّهنَّ ندى بلالهْ«۱»

سَقَتِ العبادَ يمينُهُ ... و سقى البلادَ ندى شِمالهْ

يحكى السحاب يمينهُ ... و الوَدْقُ يخرجُ من خلالهْ

الأرض ميراثٌ له ... و الناس طُرّا فى عيالهْ

يا حجّةَ اللَّه الجليلِ ... و عينَهُ و زعيمَ آلهْ

و ابنَ الوصىِّ المصطفى ... و شبيهَ أحمدَ فى كمالِهْ

أنت ابنُ بنت محمدٍ ... حذواً خُلقتَ على مثالهْ

فضياءُ نورِک نورُهُ ... و ظِلال روحک من ظلالهْ

فيک الخلاص عن الردى ... و بک الهداية من ضَلالهْ

أُثنى و لستُ ببالغٍ ... عُشْر الفَريدة من خصالهْ

۶- الإربلى: قال فى كشف الغمّة «۲» (ص ۱۲۴): السيِّد الحميرى رحمه الله كان كيسانيّا يقول برجعة أبى القاسم محمد بن الحنفيّة، فلما عرّفه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام الحقَّ و القول بمذهب الإماميّة الاثنى عشريّة ترک ما كان عليه و رجع إلى الحقّ و قال به، و شعره رحمه الله فى مذهبه مشهور لا حاجة إلى ذكره لاشتهاره.

و ينبئک عن مذهبه الحقِّ الصحيح قوله:

على آل الرسول و أقربيه ... سلامٌ كلّما سجَعَ الحمامُ

أ ليسوا فى السماء هُمُ نجومٌ ... و همْ أعلام عزٍّ لا يُرامُ

فيا من قد تحيّر فى ضلالٍ ... أمير المؤمنين هو الإمامُ

رسول اللَّهِ يومَ غَديرِ خُمٍ ... أنافَ به و قد حضر الأنامُ

(١). كذا فى النسخة و أحسبه: نواله. (المؤلف)

(٢). كشف الغمّة: ٢/ ۴٠.

و ثانى أمره الحسنُ المرجّى — له بيتُ المشاعر و المقامُ

و ثالثهُ الحسينُ فليس يخفى — سنا بدرٍ إذا اختلط الظلامُ

و رابعُهم علىٌّ ذو المساعى — به للدين و الدنيا قِوامُ

و خامسُهمْ محمدٌ ارتضاهُ — له فى المأثُراتِ إذن مَقامُ

و جعفرُ سادسُ النجباء بدرٌ — ببهجتِهِ زها البدرُ التمامُ

و موسى سابعٌ و له مقامٌ — تقاصَرُ عن أدانيهِ الكرامُ

علىٌّ ثامنٌ و القبرُ منه — بأرضِ الطوسِ إن قَحَطوا رِهامُ«١»

و تاسعُهمْ طريدُ بنى البغايا — محمدٌ الزكىُّ له حُسامُ

و عاشرُهمْ علىٌّ و هو حصنٌ — يحِنُّ لفقده البلدُ الحرامُ

و حادى العَشْر مصباحُ المعالى — منيرُ الضوء الحسنُ الهمامُ

و ثانى العَشْر حان له القيامُ — محمدٌ الزكىُّ به اعتصامُ

أولئک فى الجِنان بهم مَساغى — و جيرتىَ الخوامس و السلامُ

نقد أو إصحار بالحقيقة:

قال الدكتور طه حسين المصرى فى ذكرى أبى العلاء «٢» (ص ٣٥٨): التناسخ معروف عند العرب منذ أواخر القرن الأول، و الشيعة تدين به و ببعض المذاهب التى تقرب منه كالحلول و الرجعة، و ليس بين أهل الأدب من يجهل ما كان من سخافات الحميرى و كثير فى ذلک. انتهى.

كنت لا أعجب لو كان هذا العزو المختلق صادراً ممّن تقدّم طه حسين من بسطاء الأعصُر الخرافيّة الذين قالوا و هم لا يشعرون، و جمعوا من غير تمييز، و ألّفوا لا عن تنقيب، و عزَوا من دون دراية. لكن عجبى كلّه من مثل هذا الذى يرى نفسه

---

(١). الرِّهْمة: المطر الخفيف الدائم و الجمع رهم و رهام. (المؤلف)

(٢). ذكرى أبى العلاء، المطبوع ضمن المجموعة الكاملة: ١٠/ ٢٩٣.

منقِّباً و يحسبه فذّا من أفذاذ هذا العصر الذهبىِّ، عصر النور، عصر البحث و التنقيب الذى مُنى بمثل هذا الدكتور و أمثاله من جمال مستنوقة «١» يُسرّون حَسْواً فى ارتغاء «٢» يريدون أن يفخِّذوا أمّةً كبيرةً تُعدُّ بالملايين عن الأمّة الإسلاميّة بنسبة الإلحاد إليهم من تناسخ و حلول فيلعن هؤلاء أولئک لاعتقادهم بكفرهم، و يغضب أولئک على هؤلاء عندما يقفون على مثل هذا الإفک الشائن، فيقع مالا تحمد مغبّته من شقِّ العصا و تفريق الكلمة، و ذلک مُنية من قيّض طه حسين لمثل هذه المعرّة و أثابه عليها.

أ لم يسائل هذا الرجل باحثٌ عن مصدر هاتين الفريَتين؟ هل قرأهما فى كتاب من كتب الشيعة؟ أم سمعهما من شيعىّ؟ أو بلغه الخبر عن عالم من علماء الإماميّة؟ و هؤلاء الشيعة و كتبهم منذ العصور المتقادمة حتى اليوم تحكم بكفر من يقول بالتناسخ و الحلول و تدين بالبراءة منه، فهلّا راجع الدكتور هاتيک الكتب قبل أن يرمى لا عن سَدَد؟ و تخطّ يمينه لا عن رَشَد؟ نعم سبقه فى نسبة التناسخ إلى السيِّد، ابن حزم الأندلسى فى الفِصَل «٣»، و قد عرفت ابن حزم و نزعاته فى الجزء الأوّل (ص ٣٢٣- ٣٣٩).

و أمّا القول بالرجعة فليس من سنخ القول بالتناسخ و الحلول، و قد نطق بها الكتاب و السنّة كما فُصِّل فى طيّات الكتب الكلاميّة و تضمّنته التآليف التى أفردها أعلام الإماميّة فيها، و قد عرف من وقف على أخبار السيِّد و شعره و حجاجه براءته من كلِّ ما نبذه به من سخافة، إن لم يكن الدكتور ممّن يرى أنَّ التهالک فى موالاة أهل

---

(١). مثل سائر [يضرب لمن يكون فى حديث ثم ينتقل إلى غيره و يخلطه به. انظر: المستقصى فى أمثال العرب: ١/ ١٥٨ رقم ٦٢٥]. (المؤلف)

(٢). مثل يضرب [لمن يريک أنَّه يُعينک، و إنّما يجرُّ النفع إلى نفسه. انظر: مجمع الأمثال: ٣/ ٥٢٥ رقم ٤٦٨٠]. (المؤلف)

(۳). الفصل فی الملل و الأهواء و النحل: ۴/ ۱۸۲.

ص: ۳۶۲

البیت و مودّتهم و مدحهم و الذبّ عنهم سخافة!.

حدیثه مع من لم یتشیّع:

لم یکن یری السیِّد لمناوئی العترة الطاهرة- صلوات اللَّه علیهم- حُرمةً و قدراً، و کان یشدّد النکیر علیهم فی کلِّ موقف و یلفظهم بألسنة حِداد بکلِّ حول و طول، و له فی ذلک أخبارٌ، منها:

۱- عن محمد بن سهل الحمیری عن أبیه قال «۱»: انحدر السیِّد الحمیری فی سفینة إلی الأهواز، فماراهُ رجلٌ فی تفضیل علیٍّ علیه السلام و باهله علی ذلک، فلمّا کان اللیل قام الرجل لیبول علی حرف السفینة، فدفعه السیِّد فغرّقه، فصاح الملّاحون: غرق و اللَّه الرجل. فقال السیّد: دعوه فإنّه باهلی «۲».

۲- إن السیِّد کان بالأهواز، فمرّت به امرأة من آل الزبیر تُزَفُّ إلی إسماعیل بن عبد اللَّه بن العبّاس، و سمع الجلبة فسأل عنها فأُخبر بها، فقال:

أتتْنا تُزَفُّ علی بغلةٍ و فوق رِحالتها قُبّه

زبیریّةٌ من بنات الذی أحلَّ الحرام من الکعبه«۳»

تُزَفُّ إلی ملکٍ ماجدٍ فلا اجتمعا و بها الوَجْبه

فدخلت فی طریقها إلی خَرِبةٍ للخلاء فنَهشَتْها أفعی فماتت، فکان السیِّد یقول: لحقتها دعوتی «۴».

۳- عن عبد اللَّه بن الحسین بن عبد اللَّه بن إسماعیل بن جعفر قال: خرج أهل

---

(۱). الأغانی: ۷/ ۲۷۲.

(۲). الظاهر: باهلنی. (المؤلف)

(۳). یعنی عبد اللَّه بن الزبیر، و قد تحَصّن بالبیت الحرام و قاتل به. (المؤلف)

(۴). الأغانی: ۷/ ۲۷۰.

ص: ۳۶۳

البصرة یستسقون، و خرج فیهم السیِّد و علیه ثیابُ خزٍّ و جُبّةٌ و مِطرفٌ و عمامةٌ فجعل یجرُّ مِطرفه و یقول:

اهبِط إلی الأرض فَخُذ جَلْمداً ثمَّ ارمهم یا مُزنُ بالجَلْمدِ

لا تَسقِهم من سَبَلٍ قطرةً فإنّهم حربُ بنی أحمدِ«۱»

۴- حدّثنی أبو سلیمان الناجی قال: جلس المهدیّ یوماً یعطی قریشاً صلاتٍ لهم و هو ولیُّ عهد، فبدأ ببنی هاشم ثمّ بسائر قریش، فجاء السیِّد فرفَع إلی الربیع- حاجب المنصور- رقعة مختومة و قال: إنَّ فیها نصیحة للأمیر فأوصِلها إلیه. فأوصلها، فإذا فیها:

قل لابن عبّاس سمیِّ محمدٍ لا تُعْطِیَنَّ بنی عَدِیٍّ دِرْهما

احْرِم بنی تَیْم بن مُرّةَ إنَّهمْ شرُّ البَرِیّة آخراً و مُقدَّما

إنْ تُعطِهم لا یشکروا لک نِعْمةً و یکافئوک بأن تُذَمَّ و تُشتَما

و إنِ ائتمنتهمُ أو استعمَلتهمْ خانُوک و اتّخذوا خراجک مَغنما

و لئن مَنَعْتَهُمُ لقد بدءوکمُ بالمنع إذ ملکوا و کانوا أظلما

منعوا تُراثَ محمدٍ أعمامَهُ و ابنیْه و ابنتَه عدیلةَ مریما

و تأمّروا من غیر أن یُستَخلَفوا و کفی بما فعلوا هنالک مأثَما

لم یشکروا لمحمدٍ إنعامَهُ أ فَیَشْکرون لغیرهِ إنْ أنعما

و اللَّهُ منَّ علیهمُ بمحمدٍ و هداهمُ وکسا الجُنوبَ و أطعما

ثمَّ انْبَروا لوصیِّه و ولیِّه بالمنکرات فجرّعوه العلقما

قال: فرمى بها إلى أبى عبيد اللَّه معاوية بن يسار الكاتب للمهدى ثمّ قال: اقطع العطاء. فقطعه، و انصرف الناس، و دخل السيِّد إليه، فلما رآه ضحک و قال: قد

---

(١). الأغانى: ٧/ ٢٧٠.

قبلنا نصيحتک يا إسماعيل. و لم يُعطِهم شيئاً «١».

۵- عن سُوَيد بن حمدان بن الحُصَين قال: كان السيِّد يختلف إلينا و يغشانا، فقام من عندنا ذات يوم، فخلفه رجلٌ و قال: لكم شرفٌ و قدرٌ عند السلطان، فلا تجالسوا هذا فإنّه مشهورٌ بشرب الخمر و شتم السلف. فبلغ ذلک السيِّد فكتب إليه:

وصَفْتُ لک الحوض يا ابنَ الحُصَين	على صفةِ الحارث الأعورِ«٢»
فإن تُسقَ منه غداً شَربةً	تَفُز من نصيبک بالأوفرِ
فما لىَ ذنبٌ سوى أنّنى	ذكرتُ الذى فرَّ عن خيبرِ
ذكرتُ امرأً فرَّ عن مرحبٍ	فرارَ الحمارِ من القَسْوَرِ
فأنكرَ ذاک جليسٌ لكم	زنيمٌ أخو خُلُقٍ أعورِ
لحانى بحبِّ إمامِ الهدى	و فاروقِ أمَّتنا الأكبرِ
سأحلِقُ لحيَتَهُ إنَّها	شهودٌ على الزور و المُنكَرِ

قال: فهجر و اللَّه مشايخنا جميعاً ذلک [الرجل] «٣» و لزموا محبّة السيِّد و مجالسته. الأغانى «۴» (٧/ ٢۵٠- ٢۵۴).

۶- عن معاذ بن سعيد الحميرى قال: شهد السيِّد إسماعيل بن محمد الحميرى رحمه الله عند سوّار القاضى بشهادة، فقال له: أ لست إسماعيل بن محمد الذى يُعرَفُ بالسيِّد؟ فقال: نعم. فقال له: كيف أقدَمْتَ على الشهادة عندى و أنا أعرف عداوتک للسلف؟ فقال السيِّد: قد أعاذنى اللَّه من عداوة أولياء اللَّه و إنّما هو شىء

---

(١). الأغانى: ٧/ ٢۶٣.

(۲). هو الحارث الأعور الهمدانی: المتوفّی سنة (۶۵) من مُقَدّمی أصحاب أمیر المؤمنین، یأتی ذکره [فی الجزء الحادی عشر] فی ترجمة والد شیخنا البهائی فی شعراء القرن العاشر. (المؤلف)

(۳). ما بین المعقوفین أثبتناه من المصدر.

(۴). الأغانی: ۷/ ۲۷۳- ۲۷۴.

لزمنی. ثمَّ نهض فقال له: قم یا رافضیّ، فو اللَّه ما شَهدتَ بحقّ. فخرج السیِّد رحمه الله و هو یقول:

أبوک ابن سارق عَنْزِ النبیِ و أنت ابن بنت أبی جَحْدَرِ

و نحن علی رَغمِکَ الرافضو ن لأهل الضلالة و المنکرِ

ثمّ عمل شعراً و کتبه فی رقعة و أمَر من ألقاها فی الرقاع بین یدی سَوّار.

قال: فأخذ الرقعة سوّار، فلما وقف علیها خرج إلی أبی جعفر المنصور و کان قد نزل الجسر الأکبر لیستعدیَ علی السیِّد، فسبقه السیِّد إلی المنصور فأنشأ قصیدته التی یقول فیها «۱»:

یا أمینَ اللَّه یا من صورُ یا خَیرَ الوُلاةِ

إنَّ سوّارَ بنَ عبدِ اللّ هِ من شرّ القضاةِ

نَعثلیٌ «۲» جملیٌ لکمُ غیرُ مواتی

جدّه سارقُ عَنزٍ فجرةً من فَجَراتِ

لرسولِ اللَّه و القا ذِفُهُ بالمُنْکراتِ«۳»

و الذی کان یُنادی من وراء الحُجُراتِ«۴»

یا هناةُ اخرج إلینا إنَّنا أهلُ هَناتِ

فاکفنیه لا کفاهُ اللّ هُ شرَّ الطارقاتِ

(۱). أوّلها: [] قم بنا يا صاحِ و اربَع [] فى المغانى الموحِشات [] (المؤلف)

(۲). قال الاستاذ العدوىّ فى تعليقه على الأغانى: ۷/ ۲۶۱: نعثل فى الاصل: اسم رجل يهودى من أهل المدينة، و قيل: نعثل رجل لحيانى (طويل اللحية) من أهل مصر. كان يُشَبَّهُ به عثمان رضى اللّه عنه إذا نِيلَ منه. (المؤلف)

(۳). أخذنا هذا البيت من الأغانى: ۷/ ۲۶۱ [۷/ ۲۸۱]، و الطبقات لابن المعتز: ص ۸ [ص ۳۴]. (المؤلف)

(۴). إشارة إلى نزول آية الحُجُرات فى بنى العنبر أجداد القاضى سوّار. (المؤلف)

سَنَّ فينا سُنَناً كا — نت مواريثَ الطغاةِ

فهجوناه و من يهجو — يُصِب بالفاقراتِ«۱»

قال: فضحک أبو جعفر المنصور و قال: نصبتک قاضياً فامدحه كما هجوته، فأنشد رحمه اللّه يقول:

إنّى امرؤٌ من حِميرٍ أُسرَتى — بحيث تحوى سَروها حِميرُ

آليتُ لا أمدَح ذا نائلٍ — له سناءٌ و له مفخرُ

إلّا مِن الغُرِّ بنى هاشمٍ — إنَّ لهم عندى يداً تُشكرُ

إنَّ لهم عندى يداً شكرها — حقٌّ و إن أنكرَها مُنكرُ

يا أحمدَ الخيرِ الذى إنّما — كان علينا رحمةً تُنشرُ

حمزة و الطيّار فى جَنّةٍ — فحيث ما شاء دعا جعفرُ

منهم و هادينا الذى نحن مِن — بعد عَمانا فيه نستبصرُ

لمّا دجا الدينُ و رقَّ الهدى و جارَ أهل الأرض و استكبروا

ذاک علیٌّ بن أبی طالبٍ ذاک الذی دانتْ له خیبرُ

دانت و ما دانت له عَنوةً حتی تدهدی عرشه الأکبرُ

و یوم سَلْعٍ إذ أتی عاتباً عمرو بن عبدٍ مُصلِتاً یخطُرُ

یخطُرُ بالسیف مُدِلّا کما یخطُر فَحلُ الصِّرْمةِ الدَّوسرُ«۲»

إذ جلَّل السیفَ علی رأسه أبیض عضباً حدُّه مُبتِرُ

فخرَّ کالجذع و أوداجهُ ینصبُّ منها حَلَبٌ أحمرُ

و کان أیضاً ممّا جری له مع سَوّار؛ ما حدّث به الحرث بن عبید اللّه الربیعی، قال: کنت جالساً فی مجلس المنصور و هو بالجسر الأکبر و سوّار عنده و السیِّد ینشده:

---

(۱). الفاقرة: الدّاهیة الشدیدة. هذا البیت أخذناه من طبقات ابن المعتز: ص ۷ [ص ۳۴]. (المؤلف)

(۲). الصِّرمة بالکسر: القطعة من الإبل. الدّوسر: الضخم الشدید. (المؤلف)

إنَّ الاله الذی لا شیء یشبهُهُ آتاکُمُ المُلْکَ للدنیا و للدینِ

آتاکمُ اللَّهُ مُلکاً لا زوال له حتی یُقادَ إلیکم صاحبُ الصینِ

و صاحب الهند ماخوذٌ برُمّته و صاحب الترک محبوسٌ علی هونِ

حتی أتی [علی] القصیدة و المنصور یضحک، فقال سوّار: هذا و اللّه یا أمیر المؤمنین یُعطیک بلسانه ما لیس فی قلبه، و اللّه إنَّ القوم الذین یدین بحبِّهم لَغیرُکم، و إنَّه لَیَنطوی فی عداوتکم.

فقال السيِّد: و اللَّه إنَّه لكاذب و إنَّنى فى مديحكم لصادقٌ، و لكنَّه حمله الحسد إذ رآک على هذه الحال، و إنَّ انقطاعى و مودّتى لكم أهل البيت لعِرقٌ لى فيها عن أبوىَّ، و إنَّ هذا و قومه لأعداؤكم فى الجاهليّة و الإسلام، و قد أنزل اللَّه على نبيِّه- عليه و آله السلام- فى أهل بيت هذا «١» (إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَکَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ) سورة الحجرات: (۴). فقال المنصور: صدقت. فقال سوّار: يا أمير المؤمنين إنّه يقول بالرجعة، و يتناول الشيخين بالسبِّ و الوقيعة فيهما. فقال السيّد: أمّا قوله: بأنّى أقول بالرجعة فإنَّ قولى فى ذلک على ما قال اللَّه تعالى: (وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ) سورة النمل: (۸۳).

و قد قال فى موضع آخر: (. .. وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً) سورة الكهف (۴۷)، فعلمت أنَّ هاهُنا حشرَين؛ أحدهما عامٌّ و الآخر خاصٌّ. و قال سبحانه (ربَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إِلى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ) سورة غافر (۱۱). و قال اللَّه تعالى: (فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ) سورة البقرة (۲۵۹). و قال اللَّه تعالى: (أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْياهُمْ) سورة البقرة (۲۴۳).

فهذا كتاب اللَّه،

و قد قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم: «يُحْشَرُ المتكبِّرون فى صُوَرِ

---

(١). راجع تفسير الخازن: ۴/ ۱۷۴ [۴/ ۱۶۵]. (المؤلف)

الذرِّ يومَ القيامة» «٢»،

و قال صلى الله عليه و آله و سلم: «لم يَجْرِ فى بنى إسرائيل شىءٌ إلّا و يكون فى أمّتى مثلُهُ حتى المسخُ و الخَسْف و القذف» «٣»،

و قال حذيفة: و اللَّه ما أبعد أن يمسخ اللَّه كثيراً من هذه الأمّة قردةً و خنازير «۴». فالرجعة التى نذهب إليها هى ما نطق به القرآن و جاءت به السنّة. و إنّنى لأعتقد أنَّ اللَّه تعالى يَرُدُّ هذا- يعنى سوّاراً- الى الدنيا كلباً أو قرداً أو خنزيراً أو ذرَّة، فإنّه و اللَّه متجبِّرٌ متكبِّرٌ كافرٌ.

قال: فضحک المنصور، و أنشد السيِّد يقول:

جاثيتُ سَوّاراً أبا شَمْلَةٍ عند الإمام الحاكم العادلِ

فقال قولًا خطأً كلّه عند الورى الحافى و الناعلِ

ما ذبَّ عمّا قلتُ من وَصْمَةٍ فی أهلِهِ بل لجَّ فی الباطلِ

و بان للمنصور صِدقی کما قد بان کذبُ الأَنْوَکِ الجاهلِ

یُبغضُ ذا العرشِ و من یصطفی من رُسْلِه بالنیِّر الفاضلِ

و یَشْنَأُ الحَبرَ الجوادَ الذی فُضِّلَ بالفضلِ علی الفاضلِ

و یعتدی بالحُکمِ فی مَعشَرٍ أدَّوا حقوق الرسلِ للراسلِ

فبیّنَ اللَّهُ تزاویقَه فصارَ مِثْلَ الهائمِ الهائلِ

قال: فقال المنصور: کُفَّ عنه. فقال السیِّد: یا أمیر المؤمنین، البادی أظلم، یکُفّ عنّی حتی أکُفَّ عنه. فقال المنصور لسوّار: تکلّم بکلام فیه نصفَةٌ، کُفَّ عنه حتی لا یهجوک. الفصول المختارة «۱» (۱/ ۶۱- ۶۴).

---

(۲). أخرجه الترمذی [۴/ ۵۶۵ ح ۲۴۹۲]، و النسائی، و المنذری فی الترغیب و الترهیب: ۳/ ۲۲۵ [۳/ ۵۶۷ ح ۳۰]، و ابن الدیبع فی تیسیر الوصول: ۴/ ۱۵۱ [۴/ ۱۸۲ ح ۵]. (المؤلف)

(۳). راجع سنن ابن ماجة: ۲/ ۵۰۳ [۲/ ۱۳۵۰ ح ۴۰۶۲]. (المؤلف)

(۴). راجع سنن ابن ماجة: ۲/ ۴۸۹ [۲/ ۱۳۳۳ ح ۴۰۲۰]، و الترغیب و الترهیب: ۳/ ۱۰۷ [۳/ ۱۱]. (المؤلف)

(۱). الفصول المختارة: ص ۵۹- ۶۳.

ص: ۳۶۹

و روی أبو الفرج للسیِّد مما أنشده المنصور فی سوّار القاضی قوله:

قل للإمام الذی یُنجی بطاعتِهِ یوم القیامة من بُحبوحة النارِ

لا تستعینَنْ جزاک اللَّه صالحةً یا خیر من دَبَّ فی حُکْمٍ بسوّارِ

لا تَسْتَعِنْ بخبیث الرأی ذی صَلَفٍ جمِّ العُیوبِ عظیمِ الکِبر جبّارِ

تُضحى الخصومُ لديهِ من تَجَبُّرِهِ لا يرفعون إليه لَحْظ أبصارِ

تيهاً و كبراً و لولا ما رفعتَ له من ضَبْعه كان عين الجائع العارى

فدخل سوّار، فلمّا رآه المنصور تبسّم و قال أما بلغک خبر إياس بن معاوية «۱» حيث قَبِل شهادة الفرزدق و استزاد فى الشهود؟ فما أحوجک للتعريض للسيِّد و لسانه؟ ثمّ أمر السيِّد بمصالحته و أَمَرهُ بأن يصير إليه معتذراً ففعل فلم يعذره، فقال:

أَتَيْتُ دَعِيَّ بنى العنبرِ أرومُ اعتذاراً فلم أُعْذَرِ

فقلتُ لنفسى و عاتبتُها على اللؤمِ فى فعلها: أقْصِرِى

أ يعتذرُ الحرُّ ممّا أتى إلى رجل من بَنى العَنْبَرِ

أبوک ابن سارقِ عَنْزِ النبىِ و أمُّکَ بنتُ أبى جَحْدَرِ

و نحنُ على رغْمِک الرافضو نَ لأهل الضلالةِ و المُنْكرِ

قال: و بلغ السيِّد أنّ سوّاراً قد أعدّ جماعة يشهدون عليه بسرقةٍ ليقطعه، فشكاه إلى أبى جعفر، فدعا بسوّار و قال له: قد عزلتک عن الحكم للسيِّد أو عليه، فما تعرّضَ له بسوء حتى مات «۲».

۷- عن إسماعيل بن الساحر قال: تلاحى رجلان من بنى عبد اللّه بن دارم فى

---

(۱). هو إياس بن معاوية بن قُرَّة المُزَنى البصرى، ولّاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة، تُوفّى سنة (۱۲۲)، و حديث قبوله شهادة الفرزدق يوجد فى الأغانى: ۱۱/ ۵۰ [۷/ ۲۷۵]، و ۱۹/ ۵۰ طبع بولاق. (المؤلف)

(۲). الأغانى: ۷/ ۲۸۱- ۲۸۲.

المفاضلة بعد رسول اللّه صلى الله عليه و سلم فرضيا بحكم أوّل من يطلع فطلع السيِّد، فقاما إليه و هما لا يعرفانه، فقال له مفضِّل علىّ بن أبى طالب عليه السلام منهما: إنّى و هذا اختلفنا فى خير الناس بعد رسول اللّه صلى الله عليه و سلم فقلت: علىّ

بن أبی طالب. فقطع السیِّد کلامه ثمّ قال: و أیّ شیء قال هذا الآخر ابن الزانیة؟! فضحک من حضر، و وجم الرجل، و لم یَحِر جواباً.

الأغانی «۱» (۷/ ۲۴۱)، و طبقات الشعراء لابن المعتز «۲» (ص ۷) عن محمد بن عبد اللّه السّدوسی عن السیِّد نفسه.

۸- فی کتاب الحیوان للجاحظ «۳» (۱/ ۹۱): شبّه السیِّد بن محمد الحمیری عائشة فی نصبها الحرب یوم الجمل لقتالِ بنیها بالهرّة حین تأکل أولادها، فقال:

جاءت مع الأشْقَیْنِ فی هَودَجٍ تُزْجی إلی البصرة أجنادَها

کأنّها فی فِعلها هِرَّةٌ تُرید أنْ تأکُلَ أولادَها

أخبارُه و مُلَحه:

روی أبو الفرج و غیره شطراً وافیاً من أخبار السیِّد و مُلَحه و نوادره، لو جمعت لأتی کتاباً، و نحن نضرب عن ذکر جمیعها صفحاً، و نقتصر منها بنبذة یسع لذکرها المجال.

۱- روی أبو الفرج فی الأغانی «۴» (۷/ ۲۵۰) بإسناده عن رجل قال: کنت أختلف إلی ابنَی قیس، و کانا یرویانِ عن الحسن «۵»؛ فلقینی السیِّد یوماً و أنا منصرفٌ

---

(۱). الأغانی: ۷/ ۲۶۱.

(۲). طبقات الشعراء: ص ۳۳.

(۳). کتاب الحیوان: ۱/ ۱۹۷.

(۴). الأغانی: ۷/ ۲۷۱.

(۵). هو أبو سعید الحسن بن أبی [الحسن] یَسَار البصری: المتوفّی (۱۱۰)، قال ابن أبی الحدید [فی شرح نهج البلاغة: ۴/ ۹۵ خطبة ۵۶]: کان ممّن قیل إنّه یبغض علیّا علیه السّلام و یذمّه. (المؤلف)

من عندهما، فقال: أرِنی ألواحک أکتُب فیها شیئاً و إلّا أخذتُها فمحوت ما فیها. فأعطیته ألواحی فکتب فیها:

لشربَةٌ من سَویقٍ عند مَسْغبةٍ و أکلَةٍ من ثریدٍ لحمُه واری

أشدُّ ممّا روی حُبّا إلیَّ بنو قیسٍ و ممّا روی صَلْتُ بنُ دینارِ

ممّا رواهُ فلانٌ عن فُلانِهمُ ذاک الذی کان یدعوهم إلی النارِ

۲- جلس السیِّد یوماً إلی قوم فجعل یُنشدُهم و هم یلغطُون. فقال:

قد ضیّع اللّه ما جمّعتُ من أدبٍ بین الحمیر و بین الشاءِ و البقرِ

لا یسمعون إلی قولٍ أجیء به و کیف تستمعُ الأنعامُ للبشرِ

أقول ما سکتوا إنسٌ فإن نَطَقوا قلتُ الضفادعُ بین الماء و الشجرِ«۱»

۳- اجتمع السیِّد فی طریقه بامرأة تمیمیّة إباضیّة، فأعجبها و قالت: أرید أن أتزوّج بک و نحن علی ظهر الطریق. قال: یکون کنکاح أمٍّ خارجة قبل حضور ولیٍّ و شهود، فاستضحکت و قالت: ننظر فی هذا، و علی ذلک فمن أنت؟ فقال:

إن تسألینی بقومی تسألی رجلًا فی ذرْوةِ العزِّ من أحیاءِ ذی یمنِ

حولی بها ذو کلاع فی منازلها و ذو رُعیْنٍ و هَمْدانٌ و ذو یَزَنِ

و الأزْدُ أزْدُ عُمانَ الأکرمونَ إذا عُدَّتْ مآثُرهمْ فی سالِف الزمنِ

بانت کریمتُهمْ عنّی فدارُهُمُ داری و فی الرحبِ من أوطانِهمْ وطنی

لی منزلانِ بلَحجٍ منزلٌ وَسَطٌ منها و لی منزلٌ للعزّ فی عدنِ

ثمّ الوَلاءُ الذی أرجو النجاة به من کبّة النار للهادی أبی حسنِ

فقالت: قد عرفناک و لا شیء أعجب من هذا: یمانٍ و تمیمیّة؛ و رافضیٌّ و إباضیّة، فکیف یجتمعان؟. فقال: بحُسن رأیک فیَّ تسخو نفسک، و لا یذکر أحدُنا

---

(۱). الأغانی: ۷/ ۲۷۳.

سَلَفاً و لا مذهباً. قالت: أ فلیس التزویج إذا عُلِم انکشف معه المستور، و ظهرت خفیّات الأمور؟ قال: أعرِضُ علیکِ أخری. قالت: ما هی؟ قال: المتعة التی لا یعلم بها أحدٌ. قالت: تلک أخت الزنا. قال: أعیذکِ باللَّهِ أن تکفری بالقرآن بعد الإیمان. قالت: فکیف؟ قال: قال اللَّه تعالی: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِیضَةً وَ لا جُناحَ عَلَیْکُمْ فِیما تَراضَیْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِیضَةِ) «۱».

فقالت: ألا تستخیر اللَّه و أقلِّدک إن کنت صاحب قیاس؟

قال: قد فعلت. فانصرَفَتْ معه و بات مُعرِّساً بها، و بلَغَ أهلها من الخوراج أمرها، فتوعّدوها بالقتل و قالوا: تزوّجتِ بکافر. فجحدَتْ ذلک و لم یعلموا بالمتعة. فکانت مدّة تختلف إلیه علی هذه السبیل من المتعة و تواصلهُ حتی افترقا «۲».

قول السیِّد فی صدر القصّة: یکون کنکاح أمّ خارجة: إیعازٌ إلی المَثل السائر: أسرعُ من نکاح أمِّ خارِجة، یُضرَبُ به فی السرعة. و أمُّ خارجة هی عَمْرَة بنت سعد ابن عبد اللَّه بن قدار بن ثعلبة، کان یأتیها الخاطب فیقول: خِطب. فتقول: نِکحْ فیقول: انزلی فتقول: أنِخْ.

قال المبرّد: ولَدتْ أمُّ خارجة للعرب فی نیّف و عشرین حیّا من آباء متفرقة، و کانت هی إحدی النساء اللّاتی إذا تزوّجت واحد الرجل فأصبحت عنده کان أمرُها إلیها إن شاءت أقامت و إن شاءت ذهبت، و علامة ارتضائها للزوج أن تعالج له طعاماً إذا أصبح «۳».

۴- قال علیُّ بن المغیرة: کنت مع السیِّد علی باب عقبة بن سَلم، و معنا ابنٌ لسلیمان بن علیٍّ ننتظره و قد أُسرِجَ له لیرکب، إذ قال ابن سلیمان بن علیّ یعرّض

---

(۱). النساء: ۲۴.

(۲). الأغانی: ۷/ ۲۸۳- ۲۸۵.

(۳). راجع مجمع الأمثال: ۲/ ۱۳۲ رقم ۱۸۷۱.

بالسیِّد: أشعر الناس و اللّه الذی یقول:

محمد خیر من یمشی علی قَدَمٍ و صاحباه و عثمانُ بنُ عفّانا

فوثب السیِّد و قال: أشعر و اللّه منه الذی یقول:

سائل قُریشاً إذا ما کنت ذا عَمَهٍ من کان أثبتَها فی الدین أوتادا؟

من کان أعلَمَها علماً و أحلمَها حلماً و أصدقها قولًا و میعادا؟

إن یُصدِقوک فلن یَعْدوا أبا حسنٍ إن أنت لم تلقَ للأبرار حُسّادا

ثمّ أقبل علی الهاشمیِّ فقال: یا فتی نِعمَ الخَلَفُ أنت لشرفِ سلفک، أراک تَهدِمُ شرفک، و تثلِبُ سلفک، و تسعی بالعداوة علی أهلک، و تفضِّل من لیس أصلُکَ من أصلِه علی من فضلکَ من فضلِهِ، و سأُخبر أمیرَ المؤمنین عنک بذا حتی یَضَعَک. فوثب الفتی خَجِلًا و لم ینتظر عُقبة بن سَلم. و کتب إلیه صاحبُ خبره بما جری عند الرَّکوبة حتی خرجت الجائزة للسیِّد «۱».

۵- روی أبو سلیمان الناجی: أنّ السیِّد قَدِمَ الأهواز و أبو بُجیر بن سِماک الأسدی یتولّاها و کان له صدیقاً، و کان لأبی بُجیر مولیً یقال له یزید بن مذعور یحفَظ شعر السیِّد و ینشده أبا بُجیر، و کان أبو بُجیر یتشیّع فذهب السیِّد إلی قومٍ من إخوانه بالأهواز فنزل بهم و شرب عندهم؛ فلمّا أمسی انصرف، فأخذه العَسَس «۲» فحُبِس. فکتب من غدهِ الأبیات و بعث بها إلی یزید بن مذعور. فدخل علی أبی بُجیر و قال: قد جنی علیک صاحب عَسَسِک ما لا قِوام لک به. قال: و ما ذلک؟ قال: اسمع هذه الأبیات کتبها السیِّد من الحبس، فأنشده یقول:

قفْ بالدیار و حیِّها یا مربعُ و اسأل و کیف یجیبُ من لا یَسمعُ

---

(۱). الأغانی: ۷/ ۲۸۵.

(۲). جمع العاس، من عسَّ عسّا: طاف بالليل يحرُسُ الناس. (المؤلف)

إنَّ الديار خَلَتْ و ليس بجوِّها إلّا الضوابحُ و الحَمامُ الوُقَّعُ

و لقد تكون بها أوانسُ كالدُّمى«۱» جُمْلٌ و عزّةُ و الربابُ و بَوْزَعُ

حُورٌ نواعمُ لا ترى فى مثلها أمثالهنَّ من الصيانة أربعُ

فَعَرِينَ بعد تألُّفٍ و تَجمُّعٍ و الدهر- صاح- مُشَتِّت ما تجمعُ

فاسلم فإنّک قد نزلتَ بمنزلٍ عند الأمير تضُرُّ فيه و تنفَعُ

تُؤتى هواک إذا نطقت بحاجةٍ فيه و تشفع عنده فَيُشَفِّعُ

قُلْ للأمير إذا ظفِرتَ بخلوةٍ منه و لم يکُ عنده من يَسْمعُ

هب لى الذى أحببته فى أحمدٍ و بنيهِ إنّک حاصدٌ ما تزرعُ

يختصُّ آلَ محمد بمحبةٍ فى الصدر قد طُوِيَتْ عليها الأضلُعُ«۲»

و يقول فيها:

قم يا ابن مذعور فأنشِد نکّسوا خُضُعَ الرقاب بأعينٍ لا تُرْفعُ

لو لا حِذار أبى بُجير أظهروا شنآنهم و تفرّقوا و تصدّعوا

لا تجزَعوا فلقد صبَرنا فاصبروا سبعين عاماً و الأُنوف تُجدَّعُ

إذ لا يزال يقوم کلَّ عَرُوبةٍ«۳» منکم بصاحبنا خطيبٌ مِصْقَعُ

مُسحنفِرٌ «۴» فى غيِّه متتابعٌ فى الشتم مثّله بخيلٌ يسجعُ

ليَسُرَّ مخلوقاً و يُسخِطَ خالقاً إنَّ الشقىَّ بکلِّ شرٍّ مُولَعُ

فلمّا سمعها أبو بُجير دعا صاحب عَسَسه فشتمه، و قال: جنيتَ علىَّ ما لا يَدَ لى به، اذهب صاغراً إلى الحبس و قل: أيُّكم أبو هاشم؟؛ فإذا أجابک فأخرِجه و احمله

---

(١). الدّمى جمع دُميَة: الصورة المُزَيّنة فيها حمرة كالدم. (المؤلف)

(٢). الأغانى: ٧/ ٢٨۶.

(٣). يوم الجمعة كان يُسمّى قديماً: يوم عَرُوبة و يوم العَرُوبة. و الأفصح عدم ادخال الألف و اللام. (المؤلف)

(۴). المسحَنْفر: المسرع.

على دابّتک و امشِ معه صاغراً حتى تأتيَنى به. ففعل، فأبى السيِّد و لم يُجبه إلى الخروج إلّا بعد أن يُطلِق له كلَّ من أُخذ معه، فرجع إلى أبى بُجير فأخبره، فقال: الحمد للَّه الذى لم يقل أخْرِجهم و أعطِ كلَّ واحد منهم مالًا. فما كنّا نقدر على خلافه، افعل ما أحبَّ برغم أنفک الآن، فمضى فخلّى سبيله و سبيل كلّ من كان معه ممّن أُخِذ فى تلک الليلة، و أُتى به إلى أبى بُجير: فتناوله بلسانه و قال: قَدِمتَ علينا فلم تأتِنا و أتيتَ بعض أصحابک الفُسّاق، و شَرِبت ما حُرِّم عليک حتى جرى ما جرى. فاعتذر من ذلک إليه، فأمَر له أبو بُجير بجائزةٍ سنيّة و حمله و أقام عنده مدّة «١».

-۶

قال أبو الفرج فى الأغانى «٢» (٧/ ٢٥٩): أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثنا حاتم بن قَبيصة قال: سمع السيِّد محدِّثاً يحدِّث: أنّ النبىَّ صلى الله عليه و سلم كان ساجداً فركب الحسن و الحسين على ظهره، فقال عمر رضى الله عنه: نِعْمَ المَطىُّ مطيُّكما.

فقال النبىُّ صلى الله عليه و سلم: «و نِعْمَ الراكبان هما». فانصرف السيِّد من فوره فقال فى ذلک:

أتى حَسنٌ و الحسينُ النبىَ و قد جلسا حَجْرةً يلْعبانِ

ففدّاهما ثمّ حيّاهما و كانا لديه بذاک المكانِ

فراحا و تحتهما عاتقاهُ فنعمَ المطيّةُ و الراكبانِ

وَلِيدانِ أمُّهما بَرّةٌ حَصانٌ مُطهّرةٌ للحَصَانِ

و شيخُهما ابنُ أبى طالبٍ فَنِعْمَ الوليدانِ و الوالدانِ

خليليَّ لا تُرْجيا و اعلما بأنّ الهدى غيرُ ما تزعمانِ

و أنّ عَمَى الشک بعد اليقينِ و ضعفَ البصيرةِ بعد العيانِ

ضلالٌ فلا تَلجَجَا فيهما فبئست لعَمرُكما الخصلتانِ

---

(١). الأغانى: ٧/ ٢٩١.

(٢). الأغانى: ٧/ ٢٧٨.

أ يُرجى علىٌّ إمام الهدى و عثمانُ ما أعنَدَ المرجيانِ

و يُرجى ابنُ حربٍ و أشياعُهُ و هُوجُ الخوارجِ بالنهروانِ

يكون إمامُهمْ فى المعاد خبيثَ الهوى مؤمنَ الشيصبانِ«١»

و ذكر ابن المعتز فى طبقاته «٢» (ص ٨) أبياتاً من دون ذكر الحديث و هى:

أتى حَسَناً و الحسينَ الرسولُ و قد برزا ضحوةً يلعبانِ

و ضمّهما و تفَدّاهما و كانا لديه بذاک المكانِ

و طأطأ تحتهما عاتِقَيهِ فَنِعْمَ المطيّةُ و الراكبانِ

و ذكر المرزبانى فى أخبار السيِّد ستّة أبيات منها، و لم يذكر الحديث و زاد:

جزى اللَّه عنّا بنى هاشمٍ بإنعامِ أحمدَ أعلى الجِنانِ

فكلّهمُ طيِّبٌ طاهرٌ كريمُ الشمائِلِ حُلو اللسانِ

قال الأمينى: هذه القصيدة تتضمّن أحاديث وردت فى الإمامين السبطين، و قد تَلفَت جملةٌ من أبياتها، فقوله:

أتى حسنٌ و الحسينُ النبىَ و قد جلسا حَجرةً يلعبانِ

إشارةٌ إلى ما

أخرجه الطبرانى «٣» و ابن عساكر فى تاريخه «۴» (۴/ ٣١۴) عن أبى أيّوب الأنصارى قال: دخلت على رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم و الحسن و الحسين يلعبان بين يديه و فى حجره فقلت: يا رسول اللَّه أ تحبّهما؟ فقال: «كيف لا أحبّهما، و هما ريحانتاى من الدنيا أشمّهما».

---

(١). الشيْصَبَان: اسم الشيطان. (المؤلف)

(٢). طبقات الشعراء: ص ٣۵.

(٣). المعجم الكبير: ۴/ ١۵۶ ح ٣٩٩٠.

(۴). تاريخ مدينة دمشق: ۵/ ٢٢، و فى ترجمة الإمام الحسين عليه السّلام- الطبعة المحقّقة-: رقم ۶١.

و عن جابر قال: دخلت على رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم و هو حامل الحسن و الحسين على ظهره، و هو يمشى بهما فقلت: نِعْمَ الجمل جملكما. فقال: «نعْمَ الراكبان هما». و فى لفظ: دخلت عليه و الحسن و الحسين على ظهره، و هو يمشى بهما

على أربع يقول صلى الله عليه و سلم: «نعْمَ الجملُ جملكما و نعْمَ العدلان أنتما». أخرجه ابن عساكر فى تاريخ الشام «۱» (۴/ ۲۰۷).

و قوله:

أتى حسناً و الحسينَ الرسولُ و قد برزوا ضحوةً يلعبان

و بعده من أبيات إشارة إلى ما

أخرجه الطبرانى «۲» عن يعلى بن مُرّة و سلمان قالا:

كنّا حول النبىّ صلى الله عليه و سلم فجاءت أمُّ أيمَن فقالت: يا رسول اللَّه، لقد ضلَّ الحسن و الحسين، و ذلک رأد النهار- يقول: ارتفاع النهار- فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم: «قوموا فاطلبوا ابنىَّ»، و أخذ كلُّ رجل تجاه وجهة، و أخذت نحو النبىِّ صلى الله عليه و سلم، فلم يزل حتى أتى سفح جبل، و إذا الحسن و الحسين يلتزق كلُّ واحد منهما صاحبه، و إذا شجاعٌ على ذَنَبِهِ يخرجُ من فيه شبه النار، فأسرعَ إليه رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم فالتفت مخاطباً لرسول اللَّه صلى الله عليه و سلم ثمّ انساب فدخل بعض الأجحرة، ثمّ أتاهما فأفرق بينهما و مسح وجوههما، و قال: «بأبى و أمّى أنتما ما أكرمكما على اللَّه!» ثمّ حمل أحدهما على عاتقه الأيمن و الآخر على عاتقه الأيسر، فقلت: طوبى لكما نِعْمَ المطيّة مطيّتكما، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم: «و نعْمَ الراكبان هما! و أبوهما خيرٌ منهما». الجامع الكبير للسيوطى كما فى ترتيبه «۳» (۷/ ۱۰۶).

و أخرج ابن عساكر فى تاريخه «۴» (۴/ ۳۱۷) عن عمر قال: رأيت الحسن و الحسين على عاتقَى

---

(۱). تاريخ مدينة دمشق: ۴/ ۵۱۲، و فى ترجمة الإمام الحسن عليه السّلام- الطبعة المحقّقة-: رقم ۱۵۸.

(۲). المعجم الكبير: ۳/ ۶۵ ح ۲۶۷۷.

(۳). كنز العمّال: ۱۳/ ۶۶۲ ح ۳۷۶۸۵.

(۴). تاريخ مدينة دمشق: ۵/ ۳۹، و فى ترجمة الإمام الحسين عليه السّلام- الطبعة المحقّقة-: رقم ۱۴۸.

النبیِّ، فقلت: نِعْمَ الفَرَسُ راحلتکما- و فی لفظ ابن شاهین فی السنّة: نِعْمَ الفَرَسُ تحتکما-. فقال النبیّ صلی الله علیه و سلم: «و نِعْمَ الفارسان هما».

۷- عن سلیمان بن أرقم‌قال: کنت مع السیِّد فمرَّ بقاصٍّ علی باب أبی سفیان بن العلاء و هو یقول: یوزَنُ رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم یوم القیامة فی کِفّة بأمّته أجمع فیرجَحُ بهم، ثمّ یُؤتی بفلان فیوزنُ بهم فیرجحُ، ثمّ یؤتی بفلان فیوزَنُ بهم فیرجَحُ، فأقبل علی أبی سفیان فقال: لعمری إنَّ رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم لیرجح علی أمّته فی الفضل، و الحدیث حقٌّ؛ و إنّما رجح الآخران الناس فی سیِّئاتهم؛ لأنّ من سنَّ سنّةً سیئةً فعُمِل بها بعده کان علیه وزرُها وَ وِزر من عمل بها «۱».

قال: فما أجابه أحدٌ، فمضی فلم یبق أحدٌ من القوم إلّا سبّه. الأغانی «۲» (۷/ ۲۷۱).

۸- عن محمد بن کُناسة قال: أهدی بعض ولاة الکوفة إلی السیِّد رداءاً عَدَنیّا، فکتب إلیه السیِّد، فقال:

و قد أتانا رداءٌ من هَدیّتکمْ فلا عَدِمتُکَ طولَ الدهر من والِ

هو الجمالُ جزاک اللَّهُ صالحةً لو أنَّه کان موصولًا بسربالِ

فبعث إلیه بخلعة تامّة و فرس جواد، و قال: یُقطَعُ عتاب أبی هاشم و استزادته إیّانا «۳».

۹- روی المرزبانی «۴» مسنداً عن الحرث بن عبید اللَّه بن الفضل قال: کنّا عند

---

(۱). أخرج حدیث: من سنَّ، ابن ماجة فی سننه: ۱/ ۹۰ [۱/ ۷۵ ح ۲۰۷]، و مسلم [فی صحیحه: ۵/ ۲۲۸ ح ۱۵ کتاب العلم]، و الترمذی [فی سننه: ۵/ ۴۲ ح ۲۶۷۵]، و النسائی [فی السنن الکبری: ۲/ ۴۰ ح ۲۳۳۵] و غیرهم [کأحمد فی مسنده: ۵/ ۴۸۳ ح ۱۸۱۷۸، و الهیثمی فی مجمع الزوائد: ۱/ ۱۶۸]. (المؤلف)

(۲). الأغانی: ۷/ ۲۹۰.

(۳). الأغانی: ۷/ ۲۹۰.

(۴). أخبار السیِّد الحمیری: ص ۱۵۸.

المنصور، فأمر بإحضار السیِّد فحضر. قال: أنشدنی مَدْحَک لنا فی قصیدتک المیمیّة التی أوّلها:

أ تعرفُ داراً عَفى رَسْمُها

و دع التشبيب. فأنشده و قال:

فَدَعْ ذا و قُلْ فی بنی هاشمٍ فإنّک باللَّهِ تستعصمُ

بنی هاشم حبُّکمُ قُربَةٌ و حبُّکمُ خیر ما یُعلَمُ

بکمْ فتَحَ اللَّهُ بابَ الهدی کذاک غداً بکمُ یَختِمُ

أُلامُ و ألقی الأذی فیکمُ ألا لائمی فیکمُ ألوَمُ

و ما لیَ ذنبٌ یعدّونهُ سوی أَنَّنی بکمُ مغْرَمُ

و إنّی لکمْ وامقٌ ناصحٌ و إنّی بحبِّکم مُعْصَمُ«۱»

فأصبحتُ عندهمُ مأثمی مآثرُ فرعون أوَ اعظمُ

فلا زلتُ عندکمُ مرتضی کما أنا عندهمُ مُتْهمُ

جعلت ثنائی و مدحی لکم علی رَغمِ أنفِ الذی یُرغَمُ

فقال له المنصور: أظنُّک أودَیتَ فی مدحنا کما أودی «۲» حسّان بن ثابت فی مدح رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم، و ما أعرف هاشمیّا إلّا و لک علیه حقٌّ. و السیِّد یشکره، و هو یکلّمه بکلام من وصفه ما سمعته یقول لأحد مثله.

۱۰- روی المرزبانی فی أخبار السیِّد «۳» بإسناده عن جعفر بن سلیمان، قال:

کنّا عند المنصور فدخل علیه السیِّد، فقال له: أنشدنی قصیدتک التی تقول فیها:

---

(۱). فی المصدر: بحبلکم بدلًا من بحبّکم.

(۲). أودی به العمر: أی ذهب به و طال، و المراد: أنّه کثیر المدح لبنی هاشم. و فی أخبار السیِّد: أوذیتَ... کما أُوذی.

(۳). أخبار السیِّد الحمیری: ص ۱۶۲.

ملَکَ ابنُ هندٍ و ابن أروى قبلَهُ مُلْکاً أمرَّ بحلّه الإبرامُ

[فأنشدها حتى بلغ إلى قوله:] «١»

و أضاف ذاک إلى يزيدٍ مُلْکَهُ إثمٌ عليه فى الورى و غَرامُ

أخزى الإله بنى أميّةَ إنّهمْ ظلموا العباد بما أتوهُ و حامُوا

نامت جدودُهمُ و أُسقِطَ نَجْمُهمْ و النجمُ يسقطُ و الجدودُ تنامُ

جَزَعَتْ أميّةُ من ولاية هاشمٍ و بَکَتْ و منهمْ قد بکى الإسلامُ

إن يجزعوا فلقد أتتهُمْ دَوْلةٌ و بها تدوم عليکمُ الأيّامُ

فَلَکمْ يکونُ بکلِّ شَهرٍ أشهرٌ و بکلِّ عامٍ واحدٍ أعوامُ

يا رهطَ أحمدَ إنَّ مَن أعطاکُمُ مُلکَ الورى و عطاؤه أقسامُ

ردَّ الوراثة و الخلافة فيکمُ و بنو أميّة صاغرون رِغامُ

لَمُتَمِّمٌ لکمُ الذى أعطاکُمُ و لکم لديه زيادةٌ و تمامُ

أنتم بنو عمِّ النبىِّ عليکمُ من ذى الجلال تحيّةٌ و سلامُ

و ورثتموهُ وَ کنتمُ أولى به إنَّ الولاء تحوزُهُ الأرحامُ

ما زلت أعرفُ فضلَکم و يُحبُّکمْ قلبى عليه و إنّنى لَغُلامُ

أُوذى و أُشتَمُ فيکمُ و يُصيبنى من ذى القرابة جفوةٌ و ملامُ

حتى بلغتُ مدى المشيب فأصبحتْ منّى القرونُ کأنّهنّ ثَغامُ«٢»

قال: فرأيت المنصور يلقمه من كلِّ شيء كان بين يديه و يقول: شكراً للّه و لک يا إسماعيل حبّک لأهل البيت- صلّى اللّه عليهم- و مدحک لهم، و جزاک عنّا خيراً. يا ربيع ادفع إلى إسماعيل فرساً و عبداً و جاريةً و ألف درهم، و اجعل الألف له فى كلّ شهر.

---

(١). أثبتنا الزيادة من المصدر.

(٢). الثَّغام: شجر أبيض الزهر، واحدته: ثغامة. يقال: صار الرأس ثاغماً، أى أبيض. (المؤلف)

ص: ٣٨١

١١- عن الجاحظ عن إسماعيل الساحر قال: كنت أسقى السيِّد الحميرى و أبا دُلامة، فسكر السيِّد، و غمّض عينيه حتى حسبناه نام، فجاءت بنتٌ لأبى دُلامة قبيحة الصورة، فضمّها إليه و رقّصها و هو يقول:

و لَمْ تُرضعْکِ مريمُ أمُّ عيسى و لم يَکفلْکِ لقمانُ الحکيمُ

ففتح السيِّد عينه و قال:

و لكن قد تضمّک أمّ سوءٍ إلى لبّاتها و أبٌ لئيمُ

لسان الميزان «١» (١/ ٤٣٨)

١٢- روى شيخ الطائفة، كما فى أمالى ولده «٢» (ص ١٢٤) بإسناده عن محمد بن جبلة الكوفى قال: اجتمع عندنا السيِّد بن محمد الحميرى و جعفر بن عفّان الطائى «٣»، فقال له السيِّد: ويحَک أ تقول فى آل محمد عليهم السلام شرّا:

ما بال بيتِكمُ يُخَرّب سقفُهُ و ثيابُكم من أرذل الأثوابِ

فقال جعفر: فما أنكرتَ من ذلک؟ فقال له السيِّد: إذا لم تُحسن المدح فاسكت. أ يُوصَفُ آل محمد بمثل هذا؟ و لكنّى أعذِرُک، هذا طبعک و علمک و منتهاک، و قد قلتُ أمحو عنهم عار مدحک:

أُقسِمُ باللَّه و آلائه و المرء عمّا قال مسؤولُ

إنَّ علیَّ بن أبی طالب علی التقی و البرِّ مجبولُ

و إنّه کان الإمامَ الذی له علی الأمّة تفضیلُ

---

(۱). لسان المیزان: ۱/ ۴۸۹ رقم ۱۳۵۹.

(۲). أمالی الطوسی: ص ۱۹۸ ح ۳۳۹.

(۳). أبو عبد اللَّه المکفوف من شعراء الکوفة، له فی أهل البیت مراثٍ استنشدها الإمام الصادق- صلوات اللَّه علیه-. (المؤلف)

یقول بالحقِّ و یعنی به و لا تُلَهّیه الأباطیلُ

کان إذا الحربُ مَرَتها القنا و أحجمت عنها البهالیلُ

یمشی إلی القِرن و فی کفِّه أبیض ماضی الحَدِّ مصقولُ

مشی العَفَرْنی «۱» بین أشباله أبرزَهُ لِلقَنَصِ «۲» الغِیلُ«۳»

ذاک الذی سَلّم فی لیلةٍ علیه میکالٌ و جبریلُ

میکالُ فی ألفٍ و جبریلُ فی ألفٍ و یتلوهُمُ سرافیلُ

لیلةَ بدرٍ مَدَداً أُنزلوا کأنّهمْ طیرٌ أبابیلُ

فسلّموا لمّا أتَوا حَذْوَهُ و ذاک إعظامٌ و تبجیلُ

كذا يُقال فيه يا جعفر، و شعرک يُقال مثله لأهل الخصاصة و الضعف. فقبّل جعفر رأسه، و قال: أنت و اللّه الرأس يا أبا هاشم و نحن الأذناب.

و هذا الحديث رواه أبو جعفر الطبرى فى الجزء الثانى من بشارة المصطفى «۴» عن الشيخ أبى علىّ ابن شيخ الطائفة عن أبيه بإسناده.

خلفاء عصره:

أدرک السيِّد عشراً من الخلفاء: خمسة من بنى أميّة و خمسة من بنى العبّاس، و هم:

۱- هشام بن عبد الملک: المتوفّى (۱۲۵) عن خلافة (۱۹) سنة و (۹) أشهر. وُلد السيِّد فى أوّل خلافته.

۲- الوليد بن يزيد بن عبد الملک: المقتول (۱۲۶).

۳- يزيد بن الوليد: المتوفّى (۱۲۶) عن مُلک ستّة أشهر.

---

(۱). يقال: أسد عَفَرْنى، أى شديد. (المؤلف)

(۲). قَنَص الطير قنصاً: صاده. و القَنَص- بفتح القاف و النون-: المصيدَة. (المؤلف)

(۳). الغيل: الأجمة. موضع الأسد، و الجمع أغيال و غيول. (المؤلف)

(۴). بشارة المصطفى: ص ۵۳.

۴- إبراهيم بن الوليد: المتوفّى (۱۲۷) عن مُلک ثلاثة أشهر.

۵- مروان بن محمد بن مروان بن الحكم: المقتول (۱۳۲) و به انقرضت دولتهم.

۶- السفّاح: أوّل من تسنّم المُلک من بنى العبّاس سنة (۱۳۲) توفِّى (۱۳۶) و للسيِّد فيه شعرٌ يوجد فى الأغانى «۱»، و فوات الوفيات «۲»، و شرح النهج لابن أبى الحديد «۳» (۲/ ۲۱۴)، و كانت جراية السيِّد منه كلّ سنة جاريةً و من يخدمها، و بدرة ۳ دراهم و حاملها، و فرساً و سائسها، و تختاً من صنوف الثياب و حامله.

۷- المنصور: المتوفّى (۱۵۸) و كان حسن الحال عنده يطلق لسانه بما أراد، و كانت جرايته للسيِّد كلّ شهر ألف درهم.

۸- المهدی بن المنصور: المتوفّی (۱۶۹) تورّع عنه السیِّد فی أوّل خلافته و هجاه، فأُخذ و اعتذَر، فرضی عنه فمدحه. مرّ بعض أخباره معه.

۹- الهادی بن المهدی: المتوفّی (۱۷۰).

۱۰- الرشید: المتوفّی (۱۹۳) بعد مُلک (۲۳) عاماً، مدحه السیِّد بقصیدتین، فأمر له ببدرتین ففرّقهما، فبلغ ذلک الرشید فقال: أحسب أبا هاشم تورّع عن قبول جوائزنا.

قال المرزبانی فی أخبار السیِّد «۴»: لمّا ولی الرشید رُفع إلیه فی السیِّد أنَّه رافضیٌّ فأحضره، فقال: إن کان الرافضیُّ هو الذی یحبُّ بنی هاشم و یقدّمهم علی سائر الخلق فما أعتذر منه و لا أزول عنه، و إن کان غیر ذلک فما أقول به ثمّ أنشد:

شجاک الحیُّ إذ بانوا فدمعُ العینِ هَتّانُ

کأنّی یومَ ردّوا العیس للرِّحلةِ نَشوانُ

---

(۱). الأغانی: ۷/ ۲۵۹.

(۲). فوات الوفیات: ۱/ ۱۹۲ رقم ۷۲.

(۳). شرح نهج البلاغة: ۷/ ۱۵۸ خطبة ۱۰۴.

(۴). أخبار السیِّد الحمیری: ص ۱۶۳.

و فوق العیس إذ ولَّوا بها حورٌ و غزلانُ

إذا ما قمْن فالأعجا ز فی التشبیهِ کُثبانُ

و ما جاوزَ للأعلی فأقمارٌ و أغصانُ

و منها:

علیٌّ و أبو ذرٍّ و مقداد و سلمانُ

و عبّاسٌ و عمّارٌ و عبد اللّه إخوانُ

دُعوا فاستودِعوا علماً فأدَّوهُ و ما خانوا

أدينُ اللّهَ ذا العزّةِ بالدين الذی دانوا

و عندی فیهِ إیضاحٌ عن الحقِّ و بُرهانُ

و ما یَجحدُ ما قد قل تُ فی السبطین إنسانُ

و إن أنکر ذو النصب فعندی فیهِ عِرفانُ

و إن عَدَّوهُ لی ذنباً و حال الوصل هجرانُ

فلا کان لهذا الذنبِ عند القوم غفرانُ

و کم عُدَّت إساءاتٌ لقومٍ و هی إحسانُ

و سرِّی فیه یا داعیَ دینِ اللّهِ إعلانُ

فحُبِّی لکَ إیمانٌ و مَیلی عنک کُفرانُ

فعدَّ القومُ ذا رفضاً فلا عَدُّوا و لا کانوا

قال: فألطف له الرشید و وصله جماعةٌ من بنی هاشم.

صفته فی خلقته:

کان السیِّد الحمیری أسمر، تامَّ القامة، أشنب «۱» ذا وَ فرَةٍ «۲»، جمیل الوجه،

---

(۱). الشنب: البیاض و البریق و التحدید فی الأسنان. (المؤلف)

(۲). الوَفرة: ما جاوز شحمة الأُذنين من الشعر. (المؤلف)

ص: ۳۸۵

رحيب الجبهة، عريض ما بين السالفتين، حسن الألفاظ، جميل الخطاب، إذا تحدّث فى مجلس قوم أعطى كلَّ رجل فى المجلس نصيبه من حديثه، و كان من أظرف الناس.

قال شيبان بن محمد الحرّانى- و كان يُلقّب بعُوضة [و صار] «۱» من سادات الأزد-: كان السيِّد جارى و كان أدلَم، و كان ينادم فتياناً من فتيان الحىِّ فيهم فتىً مثلُه أدلَم غليظ الأنف و الشفتين مُزنّج الخِلقة. و كان السيّد من أنتَنِ الناس إبطين، و كانا يتمازحان، فيقول له السيِّد: أنت زنجىُّ الأنف و الشفتين. و يقول الفتى للسيِّد: أنت زنجىُّ اللون و الإبطين. فقال السيِّد:

أعارَكَ يومَ بِعناهُ رَبَاحٌ«۲» مشافرَهُ و أنفک ذا القبيحا

و كانت حصّتى إبطَىَّ منه و لوناً حالكاً أمسى فضُوحا

فهل لک فى مُبادَلَتيک إبطى بأنفک تَحمدُ البيع الربيحا

فإنّک أقبحُ الفتيانِ أنفاً و إبطى أنتنُ الآباطِ ريحا

الأغانى «۳» (۷/ ۳۳۱)، أمالى ابن الشيخ «۴» (ص ۴۳).

ولادته و وفاته:

وُلِد سيِّد الشعراء الحميرى سنة (۱۰۵) بعُمان «۵»، و نشأ فى البصرة فى حضانة والديه الإباضيَّين، إلى أن عَقَل و شعر فهاجرهما، و اتّصل بالأمير عقبة بن سَلم و تزلّف لديه حتى مات والداهُ فورثهما كما مرّ (ص ۲۳۲- ۲۳۴)، ثمّ غادر البصرة إلى الكوفة و أخذ فيها الحديث عن الأعمش و عاش متردِّداً بينهما.

---

(۱). الزيادة من الأغانى.

(۲). من أسماء العبيد. (المؤلف)

(۳). الأغانى: ۷/ ۲۵۱، ۲۸۹.

(۴). أمالی الطوسی: ص ۶۲۷ ح ۱۲۹۳.

(۵). لسان المیزان: ۱/ ۴۳۸ [۱/ ۴۸۸ رقم ۱۳۵۹]. (المؤلف)

ص: ۳۸۶

و توفّی فی الرُّمَیلة ببغداد فی خلافة الرشید، و هذا هو المتسالم علیه، و کُفِّن بأکفان وجّهها الرشید بأخیه، و صلّی علیه أخوه علیّ بن المهدی «۱» و کبّر خمساً علی طریق الإمامیّة، و وقف علی قبره إلی أن سُطح بأمر من الرشید و دُفن فی جنینة «۲» ناحیة من الکرخ ممّا یلی قَطیعة الربیع «۳».

أمّا سنة وفاته فقد أرّخها المرزبانی «۴» بسنة (۱۷۳)، و نقلها القاضی المرعشی فی مجالسه «۵» عن خطِّ الکفعمی «۶». و قال ابن حجر «۷» بعد نقل التاریخ المذکور عن أبی الفرج: أرَّخه غیره سنة (۱۷۸) و أرَّخه ابن الجوزی «۸» سنة تسع.

روی المرزبانی «۹» بإسناده عن ابن أبی حردان قال: حضرت السیِّد ببغداد عند موته، فقال لغلام له: إذا متُّ فأتِ مجمع البصریِّین و أعلِمهم بموتی، و ما أظُنُّه یجیء منهم إلّا رجلٌ أو رجلان؛ ثمّ اذهب إلی مجمع الکوفیِّین فأعلمهم بموتی و أنشدهم:

یا أهل کوفانَ إنِّی وامقٌ لکمُ	مُذ کنت طفلًا إلی السبعین و الکِبَرِ
أهواکمُ و أُولیکمْ و أمدحُکمْ	حتماً علیَّ کمحتومٍ من القَدَرِ
لحبِّکم لوصیِّ المصطفی و کفی	بالمصطفی و به من سائر البشرِ
و السیِّدین أُولی الحسنی و نَجلِهُمُ	سَمِیُّ من جاء بالآیات و السورِ

---

(۱). فما فی مجالس المؤمنین و بعض المعاجم- صلّی علیه المهدی- فیه تصحیف؛ إذ المهدی توفّی (۱۶۹) قبل المترجم بسنین. (المؤلف)

(۲). الجنینة تصغیر جنّة، و هی الحدیقة و البستان. (المؤلف)

(۳). تنسب إلی الربیع بن یونس حاجب المنصور. (المؤلف)

(۴). أخبار السیِّد الحمیری: ص ۱۵۲.

(۵). مجالس المؤمنين: ۲/ ۵۱۷.

(۶). أحد شعراء الغدير فى القرن العاشر، تأتى هناک [فى الجزء الحادى عشر] ترجمته. (المؤلف)

(۷). لسان الميزان: ۱/ ۴۸۸ رقم ۱۳۵۹.

(۸). المنتظم: ۹/ ۳۹ رقم ۹۶۱.

(۹). أخبار السيِّد الحميرى: ص ۱۶۹- ۱۷۰.

هو الإمام الذى نرجو النجاةَ بهِ — من حرّ نارٍ على الأعداءِ مُسْتَعِرِ

كتبتُ شِعرى إليكمْ سائلًا لكمُ — إذ كنتُ أُنقَلُ من دارٍ إلى حُفَرِ

أن لا يَلينى سواكم أهل بَصرَتِنا — الجاحدون أو الحاوون للبِدَرِ

و لا السلاطين إنَّ الظلمَ حالَفَهمْ — فَعُرفُهمْ صائرٌ لا شکّ للنُكُرِ

و كفِّنونى بياضاً لا يخالطُهُ — شىء من الوشى أو من فاخر الحبِرِ

و لا يُشيِّعنى النُّصّابُ إنّهمُ — شرُّ البريّة من أُنثى و من ذَكَرِ

عسى الإلهُ يُنَجِّينى برحمتِهِ — و مَدحىَ الغُرُرَ الزاكين من سَقَرِ

فإنّهم ليسارعون إلىَّ و يُكبّرون «۱».

فلمّا مات فعل الغلام ذلک، فما أتى من البصريِّين إلّا ثلاثة معهم ثلاثة أكفان و عِطر، و أتى من الكوفيِّين خلقٌ عظيم معهم سبعون كفناً، و وجَّه الرشيد، بأخيه علىٍّ و بأكفان و طيب، فرُدَّت أكفان العامّة عليهم و كُفِّن فى أكفان الرشيد، و صلّى عليه علىُّ ابن المهدى و كبّر خمساً و وقف على قبره إلى أن سُطح و مضى، كلُّ ذلک بأمر الرشيد.

و روى مجىء الكوفيِّين بسبعين كفناً عن أبى العينا «۲» عن أبيه و زاد: فلمّا مات دفن بناحية الكرخ ممّا يلى قطيعة الربيع.

و فی حدیث موته له مکرمةٌ خالدةٌ تُذکر مدی الدهر، و تُقرأ فی صحیفة التاریخ مع الأبد. قال بشیر بن عمّار: حضرت وفاة السیِّد فی الرمیلة ببغداد، فوجّه رسولًا إلی صفِّ الجزّارین الکوفیِّین یُعلمهم بحاله و وفاته، فغلط الرسول فذهب إلی صفِّ السموسین (کذا) فشتموه و لعنوه، فعَلِم أنّه قد غلط، فعاد إلی الکوفیِّین یُعْلِمهم بحاله و وفاته فوافاه سبعون کفناً. قال: و حضرنا جمیعاً و إنّه لیتحسّر تحسّراً شدیداً و إنَّ وجهه لأسودُ کالقار و ما یتکلّم، إلی أن أفاق إفاقة و فتح عینیه فنظر إلی ناحیة القبلة

---

(۱). لعله: و یکثرون.

(۲). أبو عبد اللّه محمد بن القاسم بن خلّاد البصری: المتوفّی (۲۸۳). (المؤلف)

– جهة النجف الأشرف– ثمّ قال: یا أمیر المؤمنین، أ تفعل هذا بولیِّک؟ قالها ثلاث مرّات مرّةً بعد أخری.

قال: فَتَجلّی و اللّه فی جبینه عرقُ بیاض، فما زال یتّسع و یلبس وجهه حتی صار کلّه کالبدر، و توفِّی فأخذنا فی جهازه و دفنّاه فی الجنینة ببغداد، و ذلک فی خلافة الرشید. الأغانی «۱» (۷/ ۲۷۷).

و قال أبو سعید محمد بن رشید الهروی: إنَّ السیِّد اسودَّ وجهه عند الموت، فقال: هکذا یُفعل بأولیائکم یا أمیر المؤمنین؟ قال: فابیضَّ وجهه کأنّه القمر لیلة البدر، فأنشأ یقول:

أُحِبُّ الذی من مات من أهل وُدِّهِ ... تَلَقّاهُ بالبُشری لدی الموتِ یَضحکُ

و من مات یهوی غیره من عدوِّهِ ... فلیس له إلّا إلی النار مسلَکُ

أبا حسنٍ أفدیک نفسی و أُسرتی ... و ما لی و ما أصبحتُ فی الأرض أملِکُ

أبا حسنٍ إنّی بفضلک عارفٌ ... و إنّی بحبلٍ من هواک لممسِکُ

و أنت وصیُّ المصطفی و ابن عمِّهِ ... فإنّا نُعادی مُبغضیک و نترُکُ

و لاحٍ لَحانی فی علیٍّ و حزبِهِ ... فقلتُ: لحاک اللّه إنّک أعفَکُ

مُوالیکَ ناجٍ مؤمنٌ بَیِّنُ الهدی ... و قالیکَ معروفُ الضلالةِ مشرکُ

رجال الکشّی «۲» (ص ۱۸۵)، أمالی ابن الشیخ «۳» (ص ۳۱)، بشارة المصطفی «۴».

و قال الحسين بن عون: دخلت على السيِّد الحميرى عائداً فى علّته التى مات فيها، فوجدته يُساق به، و وجدت عنده جماعة من جيرانه و كانوا عثمانيّة، و كان

---

(١). الأغانى: ٧/ ٢٩٧.

(٢). رجال الكشّى: ٢/ ٥٧١ رقم ٥٠٦.

(٣). أمالى الطوسى: ص ٤٩ ح ٦٣.

(٤). بشارة المصطفى: ص ٧۶.

السيِّد جميل الصورة رحيب الجبهة عريض ما بين السالفَتين، فَبَدَت فى وجهه نُكتة سوداء مثل النقطة من المِداد، ثمّ لم تَزَلْ تزيد و تنمى حتى طَبّقتْ وجهه- يعنى اسوداداً- فاغتمَّ لذلک من حضره من الشيعة، فظهر من الناصبة سرورٌ و شماتةٌ، فلم يَلبَثْ بذلک إلّا قليلًا حتى بدتْ فى ذلک المكان من وجهه لمعة بيضاء، فلم تزل تزيد بياضاً و تنمى حتى أسفَر وجهه و أشرق، و افترّ السيِّد ضاحكاً، و أنشأ يقول:

كَذَبَ الزاعمون أنّ عليّا ... لن يُنَجِّى مُحبّه من هناتِ

قد و ربِّى دخلتُ جنّة عدنٍ ... و عَفا لى الإله عن سيّئاتى

فابشروا اليومَ أولياء علىٍ ... و تَوَلَّوا علىَّ حتى الممات

ثمّ من بعده تَولَّوا بنِيه ... واحداً بعد واحدٍ بالصفاتِ

ثمّ أتبعَ قوله هذا: أشهد أن لا إله إلّا اللَّه حقّا حقّا، و أشهد أنّ محمداً رسول اللَّه حقّا حقّا «١»، و أشهد أنّ عليّا أمير المؤمنين حقّا حقّا. أشهد أن لا إله إلّا اللَّه. ثمّ غمّض عينيه لنفسه فكأنّما كانت روحه ذبالة «٢» طفئت أو حصاة سقطت.

أمالى الشيخ «٣» (ص ۴٣)، مناقب السروى «۴» (٢/ ٢٠)، كشف الغمّة «۵» (ص ١٢۴).

تضلُّعُه فى العلم و التاريخ:

إنَّ من يقف على موارد حِجاج السيِّد الحميرى و المعانى التى طرقها فى شعره و محاوراته مع من عاصره من رجال الفريقين، جدّ عليم بما له من الخطوات الواسعة

و الشوط البعيد فى فهم مغازى الكتاب الكريم و فقه السنّة الشريفة، و أنَّ تهالكه فى

---

(١). فى لفظ السرَوى: صدقاً صدقاً. و أشهد أن عليّا وليُّ اللَّه رفقاً رفقاً. (المؤلف)

(٢). الذبالة: الفتيلة، و الجمع ذبال. (المؤلف)

(٣). أمالى الطوسى: ص ۶۲۷ ح ١٢٩٣.

(۴). مناقب آل أبى طالب: ٣/ ٢٥٨.

(۵). كشف الغمّة: ٢/ ۴٠.

ولاء أهل البيت عليهم السلام كان على بصيرة من أمره عن علم متدفّق و معرفة ناضجة لا كمَن يتلقّى المبدأ عن تقليد بحت و مدرک بسيط، و يغلب على فكره الجلبة و الصخب.

فمن نماذج علمه ما مرَّ (ص ٢٥٨) من حِجاجه مع القاضى سوّار فى مجلس المنصور حول القول بالرجعة و إفحامه إيّاه بالكتاب و السنّة. و ما مرّ (ص ٢۶۴).

قال المرزبانى فى أخبار السيِّد «١»: قيل: إنَّ السيِّد حجَّ أيام هشام فَلَقى الكميت فسلَّم عليه، و قال: أنت القائل:

و لا أقولُ إذا لم يُعطيا فدَكاً بنتَ الرسول و لا ميراثه كَفَرا

اللَّه يعلمُ ما ذا يأتيانِ به يومَ القيامة من عُذرٍ إذا حضرا

قال: نعم قلته تقيّة من بنى أميّة، و فى مضمون قولى شهادةٌ عليهما أنّهما أخذا ما كان فى يدها.

فقال السيِّد: لو لا إقامة الحُجّة لوسِعَنى السكوت، لقد ضَعُفتَ يا هذا عن الحقِّ. يقول رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم: «فاطمة بضعةٌ منّى يريبنى ما رابها، و إنَّ اللَّه يغضب لغضبها و يرضى لرضاها» فخالفت رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم. وهب لها فدكاً

بأمر اللَّه له، و شهد لها أمير المؤمنين و الحسن و الحسين و أمُّ أيمَن، بأنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم أقطَع فاطمة فَدَكاً فلم يحكما لها بذلک، و اللَّه تعالى يقول: (يَرِثُنى و يَرِثُ من آل يعقوب) «۲». و يقول: (و ورِثَ سليمانُ داودَ) «۳»). و هم يجعلون سبب مصير الخلافة إليهم الصلاة و شهادة المرأة لأبيها؛ أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم قال: «مروا فلاناً بالصلاة بالناس» فصُدِّقت المرأة لأبيها و لا تصدّق فاطمة و عليٌّ و الحسن و الحسين و أمُّ أيمن فى مثل فَدَک، و تُطالبُ مثل فاطمة بالبيِّنة على ما ادَّعت لأبيها، و تقول أنت مثل هذا القول.

---

(۱). أخبار السيِّد الحميرى: ص ۱۷۸.

(۲). مريم: ۶.

(۳). النمل: ۱۶.

و بعد: فما تقول فى رجل حَلَف بالطلاق أنّ الذى طلبت فاطمة عليها السلام هو حقٌّ، و أنّ عليّا و الحسن و الحسين و أمّ أيمن ما شهدوا إلّا بحقّ، ما تقول فى طلاقه؟ قال: ما عليه طلاق. قال: فإن حَلَف بالطلاق إنّهم قالوا غير الحقّ؟ قال: يقع الطلاق لأنّهم لم يقولوا إلّا الحقّ. قال: فانظر فى أمرک. فقال الكميت: أنا تائبٌ إلى اللَّه ممّا قلت، و أنت يا أبا هاشم أعلم و أفقه منّا.

و هو- مع تضلّعه فى علمَى الكتاب و السنّة و معرفته بالحجج الدينيّة و بصيرته بمناهج الحِجَاج فى المذهب و إقامة الحجّة على من يُضادُّه فى المبدإ- كان له يدٌ غير قصيرة فى التاريخ، و له كتاب تاريخ اليمن، ذكره له الصفدى فى الوافى بالوفيات (۱/ ۴۹).

و فى شعره الطافح بمعانى الكتاب و السنّة شهادة صادقة على إحاطته بما فيها من مرامٍ و إشارات و نصوص و تصريحات. و كلّما ازدادت الفضيلة قوّةً و البرهان وضوحاً، و كانت الحجّة بالغة كان اعتناؤه بسرد القريض فيها أكثر كحديث الغدير و المنزلة و التطهير و الراية و الطير و أمثالها، و منها: حديث العشيرة الوارد فى قوله تعالى: (و أَنْذِرْ عَشيرَتَکَ الأَقْرَبِينَ) «۱» فى بدء الدعوة النبويّة، فقد أشار إليه فى عدّة قصائد منها قوله:

بأبى أنت و أمّى	يا أمير المؤمنينا
بأبى أنت و أُمّى	و برهطى أجمعينا
و بأهلى و بمالى	و بناتى و البنينا
و فدتکَ النفسُ منّى	يا إمامَ المتّقينا

و أمينَ اللَّه و الوا رثَ علم الأوّلينا

و وصيَّ المصطفى أحمدَ خيرِ المرسلينا

---

(١). الشعراء: ٢١۴.

و وليَّ الحوضِ و الذا ئدَ عنه المُحدِثينا

أنت أولى الناس بالنا سِ و خيرُ الناس دينا

كنتَ فى الدنيا أخاه يوم يدعو الأقربينا

لِيُجيبوهُ إلى اللّ هِ فكانوا أربعينا

بين عمٍّ و ابن عمٍ حوله كانوا عرينا

فورثت العلمَ منه و الكتابَ المُستَبِينا

طِبْتَ كهلًا و غلاماً و رضيعاً و جَنِينا

و لدى الميثاق طيناً يوم كان الخلقُ طينا

كنت مأموناً وجيهاً عند ذى العرشِ مَكينا

فى حجاب النور حيّا طيِّباً للطاهرينا«١»

و قوله من قصيدة لم نقف على تمامها:

من فضلِهِ أنّهُ قد كان أوّل من صلّى و آمن بالرحمنِ إذ كفروا

سنين سبعاً و أيّاماً محرّمةً مع النبيِّ على خوفٍ و ما شعروا

و يومَ قالَ له جبريلُ قد علموا أنذِرْ عشيرتَکَ الأدنَيْنَ إن بَصرُوا

فقامَ يدعوهمُ من دون أمّتهِ فما تخلّفَ عنهُ منهمُ بَشَرُ

فمنهم آكلٌ فى مجلس جَذَعاً و شاربٌ مثل عُسٍ «۲» و هو مُحْتَضَرُ

فَصَدَّهم عن نواحى قَصْعةٍ شُبُعاً فيها من الحَبِّ صاعٌ فوقه الوَذَرُ«۳»

فقال يا قوم إنَّ اللَّهَ أرسلنى إليكمُ فأجيبوا اللَّهَ و ادَّكِروا

فأيُّكمْ يجتبى قولى و يؤمنُ بى أنّى نبىٌّ رسولٌ فانبرى غُدَرُ

فقال تبّا أ تدعونا لتَلفِتَنا عن ديننا ثمّ قام القومُ فاشتمروا

---

(۱). أعيان الشيعة: ۳/ ۴۲۷.

(۲). العُسُّ- بضم العين-: القدح أو الإناء الكبير، و الجمع عساس و أعساس. (المؤلف)

(۳). الوَذْرَةُ من اللحم: القطعة الصغيرة منه، و الجمع وذْر و وذَر. (المؤلف)

من الذى قال منهمْ و هو أحدثُهمْ سِنّا و خيرهم فى الذِّكْر إذ سُطِروا

آمنتُ باللَّه قد أُعطيتَ نافلةً لم يُعطَها أحدٌ جِنٌّ و لا بشرُ

و إنَّ ما قلتَهُ حقٌّ و إنّهمُ إن لم يُجيبوا فقد خانوا و قد خسروا

ففاز قِدْماً بها و اللَّه أكرَمهُ و كان سبّاقَ غاياتٍ إذا ابتدروا«۱»

و قوله من قصيدة لم توجد بتمامها:

علىٌّ عليهِ رُدَّتِ الشمسُ مرّةً	بِطَيْبَةَ يومَ الوحى بعدَ مغيبِ
و رُدَّت له أخرى ببابلَ بعدَ ما	عفت و تدلّت عينُها لغرُوبِ
و قيلَ لهُ أنْذِر عشيرتَکَ الأولى	و هم من شبابٍ أربعين و شِيبِ
فقال لهم إنّى رسولٌ إليكمُ	و لست أرانى عندكمْ بكَذوبِ
و قد جئتُكم من عند ربٍّ مُهيْمنٍ	جزيلِ العطايا للجزيلِ وَهوبِ
فأيُّكمُ يقفو مقالى فأمسَكوا	فقال: ألا من ناطقٍ فمجيبى
ففاز بها منهم علىٌّ و سادَهُمْ	و ما ذاک من عاداتهِ بغريبِ

حديث بدء الدعوة ص السنّة و التاريخ و الأدب

أخرجه غير واحد من الأئمّة و حفّاظ الحديث من الفريقين فى الصحاح و المسانيد، و مرَّ عليه آخرون منهم ممّن يُعتدّ بقوله و تفكيره مخبتين له من دون أىِّ غمزٍ فى الإسناد أو توقّف فى متنه.

و تلقّاه المؤرِّخون من الأمّة الإسلاميّة و غيرها بالقبول، و أُرسِل فى صحيفة التاريخ إرسال المُسَلَّم، و جاء منظوماً فى أسلاک الشعر و القريض، و سيوافيک فى شعر الناشئ الصغير المتوفّى (٣۶۵) و غيره.

---

(١). أعيان الشيعة: ٣/ ۴٢٣.

لفظ الحديث:

أخرج الطبرى فى تاريخه «١» (٢/ ٢١۶) عن ابن حميد قال: حدّثنا سلمة قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، عن عبد الغفّار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب، عن عبد اللَّه بن العبّاس، عن علىّ بن أبى طالب قال:

«لمّا نزلت هذه الآية على رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم: (وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ) دعانى رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم فقال: يا علىُّ، إنَّ اللَّه أمرنى أنْ أنذر عشيرتى الأقربين، فضِقْتُ بذلک ذَرعاً، و عرفت أنّى متى أُبادئهم بهذا الأمر أرَ منهم ما أكره، فَصَمَتُّ عليه حتى جاء جبريل فقال: يا محمد إنّک إلّا تفعلْ ما تُؤمرُ به يُعذِّبک ربُّک. فاصنع لنا صاعاً من طعام و اجعل عليه رِجْل شاة و املأ لنا عُسّا من لبن ثمّ اجمع لى بنى عبد المطّلب حتى أكلّمهم و أبلّغهم ما أُمِرت به.

ففعلتُ ما أمرنى به ثمّ دعوتهم له و هم يومئذٍ أربعون رجلًا يزيدون رجلًا أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب و حمزة و العبّاس و أبو لهب... فلمّا اجتمعوا إليه دعانى بالطعام الذى صنعت لهم فجئت به، فلمّا وضعته تناول رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم حِذْيَةً من اللحم فشقّها بأسنانه ثمّ ألقاها فى نواحى الصُّحفَة ثمّ قال: خذوا بسم اللَّه. فأكل القوم حتى ما لهم بشىء حاجة و ما أرى إلّا موضع أيديهم، و ايمُ اللَّه الذى نفس علىّ بيده و إن كان الرجل الواحد منهم لَيأكلُ ما قدّمتُ لجميعهم، ثمّ قال: اسقِ القوم. فجئتهم بذلک العُسِّ فشربوا حتى رووا منه جميعاً، و ايمُ اللَّه إن كان الرجل الواحد منهم لَيَشرَبُ مثله، فلمّا أراد رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم أن يكلّمهم بَدَرَهُ أبو لهب إلى الكلام، فقال: لَقِدْماً سحركم صاحبُكم. فتفرّق القوم و لم يكلّمهم رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم فقال: الغد يا علىُّ؛ إنَّ هذا الرجل سبقنى إلى ما قد سمعت من القول فتفرّق القوم قبل أن أُكلّمهم، فعُدْ لنا

---

(١). تاريخ الأُمم و الملوک: ٢/ ٣١٩.

من الطعام بمثل ما صنعت ثمّ اجمعهم إلىَّ.

قال: ففعلت ثمّ جمعتهم ثمّ دعانى بالطعام فقرَّبته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشىء حاجة. ثمّ قال: اسقهم، فجئتهم بذلک العُسّ فشربوا حتى روُوا منه جميعاً.

ثمّ تكلّم رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم فقال: يا بنى عبد المطّلب، إنّى و اللَّه ما أعلم شابّا فى العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إنّى قد جئتكم بخير الدنيا و الآخرة، و قد أمرنى اللَّه تعالى أن أدعوَكم إليه، فأيُّكم يوازرُنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيِّى و خليفتى فيكم؟

قال: فأحجم القوم عنها جميعاً و قلت- و إنّى لأحدثهم سنّا، و أرمصهم عيناً، و أعظمهم بطناً، و أحمشهم ساقاً-: أنا يا نبىَّ اللَّه أكون وزيرک عليه. فأخذ برقبتى ثمّ قال: إنَّ هذا أخى و وصيِّى و خليفتى فيكم فاسمعوا له و أطيعوا.

قال: فقام القوم يضحكون و يقولون لأبى طالب: قد أمرک أن تسمع لابنک و تطيع».

و بهذا اللفظ أخرجه أبو جعفر الإسكافى المتكلّم المعتزلى البغدادى: المتوفّى (٢٤٠) فى كتابه نقض العثمانيّة «١» و قال: إنّه رُوى فى الخبر الصحيح «٢»). و رواه الفقيه برهان الدين «٣» فى أنباء نجباء الأبناء (ص ۴۶- ۴۸)، و ابن الأثير فى الكامل

«۴» (۲/ ۲۴)، و أبو الفدا عماد الدين الدمشقى فى تاريخه (۱/ ۱۱۶)، و شهاب الدين الخفاجى فى شرح الشفا «۵» للقاضى عياض (۳/ ۳۷)- و بتر آخره- و قال: ذكر فى

---

(۱). راجع شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۳/ ۲۶۳ [۱۳/ ۲۴۴ خطبة ۲۳۸]. (المؤلف)

(۲). نقض العثمانية: ص ۳۰۳.

(۳). محمد بن محمد بن محمد بن ظفر المكّى المغربى المولود (۴۹۷) و المتوفّى (۵۶۵، ۵۶۷). (المؤلف)

(۴). الكامل فى التاريخ: ۱/ ۴۸۷.

(۵). نسيم الرياض: ۳/ ۳۵.

ص: ۳۹۶

دلائل البيهقى «۱» و غيره بسند صحيح، و الخازن علاء الدين البغدادى فى تفسيره «۲» (ص ۳۹۰)، و الحافظ السيوطى فى جمع الجوامع كما فى ترتيبه «۳» (۶/ ۳۹۲) نقلًا عن الطبرى و فى (ص ۳۹۷) عن الحفّاظ الستّة: ابن إسحاق، و ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و ابن مردويه، و أبى نعيم، و البيهقى، و ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة «۴» (۳/ ۲۵۴). و ذكره المؤرِّخ جرجى زيدان فى تاريخ التمدّن الإسلامى «۵» (۱/ ۳۱) و الأستاذ محمد حسين هيكل فى حياة محمد (ص ۱۰۴) من الطبعة الأولى.

و رجال السند كلّهم ثقاتٌ إلّا أبا مريم عبد الغفّار بن القاسم، فقد ضعّفه القوم و ليس ذلک إلّا لتشيّعه، فقد أثنى عليه ابن عقدة و أطراه و بالغ فى مدحه كما فى لسان الميزان «۶» (۴/ ۴۳)، و أسند إليه و روى عنه الحفّاظ المذكورون و هم أساتذة الحديث، و أئمّة الأثر، و المراجع فى الجرح و التعديل، و الرفض و الاحتجاج، و لم يقذِف أحدٌ منهم الحديث بضعف أو غمز لمكان أبى مريم فى إسناده، و احتجّوا به فى دلائل النبوّة و الخصائص النبويّة.

و صحّحه أبو جعفر الإسكافى و شهاب الدين الخفاجى كما سمعت، و حكى السيوطى فى جمع الجوامع كما فى ترتيبه «۷» (۶/ ۳۹۶) تصحيح ابن جرير الطبرى له. على أنّ الحديث ورد بسندٍ آخر رجاله كلّهم ثقات كما يأتى، أخرجه أحمد فى مسنده «۸» (۱/ ۱۱۱) بسند رجاله كلهم من رجال الصحاح بلا كلام و هم: شريک،

---

(۱). دلائل النبوّة: ۲/ ۱۷۸- ۱۸۰.

(۲). تفسير الخازن: ۳/ ۳۷۱.

(۳). کنز العمّال: ۱۳/ ۱۲۸ ح ۳۶۴۰۸، ص ۱۳۱ ح ۳۶۴۱۹.

(۴). شرح نهج البلاغة: ۱۳/ ۲۱۰ خطبة ۲۳۸.

(۵). مؤلّفات جرجی زیدان الکاملة- تاریخ التمدّن الإسلامی-: ۱۱/ ۴۵.

(۶). لسان المیزان: ۴/ ۵۱ رقم ۵۲۲۹.

(۷). کنز العمّال: ۱۳/ ۱۲۸ ح ۳۶۴۰۸.

(۸). مسند أحمد: ۱/ ۱۷۸ ح ۸۸۵.

ص: ۳۹۷

الأعمش، المنهال، عبّاد.

و لیس من العجیب ما هملج به ابن تیمیّة من الحکم بوضع الحدیث فهو ذلک المتعصِّب العنید، و إنَّ من عادته إنکار المسلّمات، و رفض الضروریات، و تحکّماته معروفةٌ، و عرف منه المنقِّبون أنّ مدار عدم صحّة الحدیث عنده هو تضمّنه فضائل العترة الطاهرة.

صورة أخری:

«جمع رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم أو: دعا رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم بنی عبد المطّلب فیهم رهطٌ کلُّهم یأکل الجَذَع و یشرب الفَرَق «۱»، قال: فصنع لهم مدّا من طعام فأکلوا حتی شَبِعوا قال: و بقی الطعام کما هو کأنّه لم یُمس، ثمّ دعا بغُمَر «۲» فشربوا حتی روُوا و بقی الشراب کأنّه لم یُمسّ. أو: لم یُشرب. ثمّ قال: یا بنی عبد المطّلب، إنّی بُعثت إلیکم خاصّة و إلی الناس عامّة و قد رأیتم من هذا الأمر ما رأیتم، فأیُّکم یبایعنی علی أن یکون أخی و صاحبی و وارثی؟ فلم یقُم إلیه أحدٌ، فقمتُ إلیه و کنتُ أصغر القوم، قال: فقال: إجلس. قال: ثمّ قال ثلاث مرّات، کلّ ذلک أقوم إلیه فیقول لی: إجلس. حتی کان فی الثالثة فضرب بیده علی یدی».

أخرجه الإمام أحمد فی مسنده «۳» (۱/ ۱۵۹) عن عفّان بن مسلم الثقة المترجَم له [فی] «۴» (۱/ ۸۶)، عن أبی عوانة الثقة المترجم له [فی] «۵» (۱/ ۷۸)، عن عثمان بن المغیرة الثقة، عن أبی صادق مسلم الکوفی الثقة، عن ربیعة بن ناجذ التابعیِّ الکوفی الثقة، عن علیٍّ أمیر المؤمنین.

---

(۱). الفَرَق: مکیال واسع یُکال به اللبن. (المؤلف)

(۲). الغُمَر: القدح.

(۳). مسند أحمد: ۱/ ۲۵۷ ح ۱۳۷۵.

(۴). ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(۵). ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق.

ص: ۳۹۸

و بهذا السند و المتن أخرجه الطبرى فى تاريخه «۱» (۱/ ۲۱۷)، و الحافظ النسائى فى الخصائص «۲» (ص ۱۸)، و صدر الحفّاظ الكنجى الشافعى فى الكفاية «۳» (ص ۸۹)، و ابن أبى الحديد فى شرح النهج «۴» (۳/ ۲۵۵)، و الحافظ السيوطى فى جمع الجوامع كما فى ترتيبه «۵» (۶/ ۴۰۸).

صورة ثالثة:

عن أمير المؤمنين قال: «لمّا نزلت هذه الآية: (وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ) دعا بنى عبد المطّلب و صنع لهم طعاماً ليس بالكثير فقال: كلوا باسم اللَّه من جوانبها فإنَّ البركة تنزل من ذروتها. و وضع يده أوّلَهم فأكلوا حتى شَبِعوا، ثمّ دعا بقدح فشرب أوّلهم ثمّ سقاهم فشربوا حتى روُوا، فقال أبو لهب: لَقِدْماً سحركم!.

و قال: يا بنى عبد المطّلب إنّى جئتكم بما لم يجئ به أحدٌ قطُّ، أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلّا اللَّه و إلى اللَّه و إلى كتابه. فنفروا و تفرَّقوا، ثمّ دعاهم الثانية على مثلها، فقال أبو لهب كما قال المرّة الأولى، فدعاهم ففعلوا مثل ذلک، ثمّ قال لهم و مدَّ يده: من يبايعنى على أن يكون أخى و صاحبى و وليّكم من بعدى؟ فمددت يدى و قلت: أنا أُبايعک، و أنا يومئذٍ أصغر القوم عظيم البطن، فبايعنى على ذلک. قال: و ذلک الطعام أنا صنعته».

أخرجه الحافظ ابن مردويه بإسناده، و نقله عنه السيوطى فى جمع الجوامع كما فى الكنز «۶» (۶/ ۴۰۱).

---

(۱). تاريخ الأُمم و الملوک: ۲/ ۳۲۱.

(۲). خصائص أمير المؤمنين: ص ۸۳ ح ۶۶، و فى السنن الكبرى: ۵/ ۱۲۵ ح ۸۴۵۱.

(۳). كفاية الطالب: ص ۲۰۶.

(۴). شرح نهج البلاغة: ۱۳/ ۲۱۰ خطبة ۲۳۸.

(۵). کنز العمّال: ۱۳/ ۱۷۴ ح ۳۶۵۲۰.

(۶). کنز العمّال: ۱۳/ ۱۴۹ ح ۳۶۴۶۵.

ص: ۳۹۹

صورة رابعة:

بعد ذکر صدر الحدیث:

«ثمّ قال رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم: یا بنی عبد المطّلب إنَّ اللَّه قد بعثنی إلی الخلق کافّة و بعثنی إلیکم خاصّة، فقال: (وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ) و أنا أدعوکم إلی کلمتین خفیفتین علی اللسان ثقیلتین فی المیزان: شهادة أن لا إله إلّا اللَّه، و أنّی رسول اللَّه. فمن یُجیبنی «۱» إلی هذا الأمر و یوازرنی یکن أخی و وزیری و وصیّی و وارثی و خلیفتی من بعدی. فلم یُجِبْه أحدٌ منهم، فقام علیٌّ و قال: أنا یا رسول اللَّه. قال: اجلس. ثمّ أعاد القول علی القوم ثانیاً فَصَمَتوا، فقام علیٌّ و قال: أنا یا رسول اللَّه. فقال: اجلس. ثمّ أعاد القول علی القوم ثالثاً فلم یُجبه أحدٌ منهم فقام علیٌّ فقال: أنا یا رسول اللَّه. فقال: اجلس فأنت أخی و وزیری و وصیّی و وارثی و خلیفتی من بعدی».

أخرج الحافظان ابن أبی حاتم و البغوی، و نقله عنهما ابن تیمیّة فی منهاج السنّة (۴/ ۸۰) و عنه الحلبی فی سیرته «۲» (۱/ ۳۰۴).

صورة خامسة:

مرَّ (ص ۱۰۷) فی حدیث قیس و معاویة فیما رواه التابعیُّ الکبیر أبو صادق الهلالی فی کتابه «۳» عن قیس: فجمع رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم جمیع بنی عبد المطّلب فیهم: أبو طالب و أبو لهب و هم یومئذٍ أربعون رجلًا فدعاهم رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم و خادمه علیٌّ علیه السلام و رسول اللَّه فی حِجر عمِّه أبی طالب.

فقال: «أیُّکم ینتَدِبُ أن یکون أخی و وزیری و وصیِّی و خلیفتی فی أمّتی و ولیَ

---

(۱). کذا فی منهاج السنّة بالرفع و إثبات الیاء، و حقّه الجزم و حذف الیاء لالتقاء الساکنین؛ لأنّه فعل الشرط الجازم.

(۲). السیرة الحلبیة: ۱/ ۲۸۶.

(۳). کتاب سلیم بن قیس: ۲/ ۷۷۹ ح ۲۶.

ص: ۴۰۰

كلِّ مؤمن بعدى؟ فسكتَ القوم حتى أعادها ثلاثاً، فقال علىٌّ: أنا يا رسول اللَّه صلّى اللَّه عليک، فوضع رأسه فى حِجره و تَفَل فى فيه، و قال: اللّهمّ املأ جوفه علماً و فهماً و حُكماً. ثمّ قال لأبى طالب: يا أبا طالب اسمع الآن لابنک و أطِع؛ فقد جعله اللَّه من نبيِّه بمنزلة هارون من موسى».

صورة سادسة:

أخرج أبو إسحاق الثعلبى المتوفّى (۴۲۷، ۴۳۷) المترجم له (۱/ ۱۰۹) فى تفسيره الكشف و البيان «۴»، عن الحسين بن محمد بن الحسين قال: حدَّثنا موسى بن محمد، حدّثنا الحسن بن علىٍّ بن شعيب «۵» العمرى، حدّثنا عبّاد بن يعقوب، حدّثنا علىّ بن هاشم عن صباح بن يحيى المُزَنى عن زكريا بن ميسرة عن أبى إسحاق عن البراء بن عازب قال:

«لمّا نزلت هذه الآية: (وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ)، جمع رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم بنى عبد المطّلب، و هم يومئذٍ أربعون رجلًا، الرجل منهم يأكل المُسِنَّة و يشرب العُسَّ، فأمر عليّا برِجْل شاة فأدَمَها ثمّ قال: ادنوا بسم اللَّه. فدنا القوم عشرةً عشرةً فأكلوا حتى صدروا، ثمّ دعا بقَعبٍ من لبنٍ فجرع منه جرعة، ثمّ قال لهم: اشربوا باسم اللَّه. فشربوا حتى رووا. فَبَدرهم أبو لهب فقال: هذا ما سَحَركم به الرجل!. فسكت يومئذٍ و لم يتكلّم. ثمّ دعاهم من الغد على مثل ذلک من الطعام و الشراب ثمّ أنذَرَهُم رسول اللَّه فقال: يا بنى عبد المطّلب إنّى أنا النذير إليكم من اللَّه عزّ و جلّ و البشير، فأسلِموا و أطيعونى تهتدوا. ثمّ قال: من يُؤاخينى و يوازرُنى و يكون وليّى و وصيّى بعدى و خليفتى فى أهلى يقضى دينى؟ فسكت القوم فأعادها ثلاثاً، كلُّ ذلک يسكت القوم و يقول علىٌّ: أنا. فقال فى المرّة الثالثة: أنت. فقام القوم و هم يقولون لأبى

---

(۴). الكشف و البيان: الورقة ۱۶۳ سورة الشعراء: آية ۲۱۴.

(۵). فى كفاية الكنجى: شبيب. (المؤلف)

طالب: أطع ابنک؛ فقد أُمِّر عليک».

و بهذا السند و المتن أخرجه صدر الحفّاظ الكنجى الشافعى فى الكفاية «۱» (ص ۸۹)، و جمال الدين الزرَندى فى نظم درر السمطين «۲» بتغيير يسير فى لفظه.

صورة سابعة:

أخرج أبو إسحاق الثعلبى فى الكشف و البيان «۳» عن أبى رافع و فيه: «ثمّ قال: إنَّ اللَّه تعالى أمَرنى أن أُنذِرَ عشيرتى الأقربين، و أنتم عشيرتى و رهطى، و إنَّ اللَّه لم يبعث نبيّا إلّا جعل له من أهله أخاً و وزيراً و وارثاً و وصيّاً و خليفةً فى أهله، فأيُّكم يقوم فيبايعنى على أنّه أخى و وزيرى و وصيِّى و يكون منّى بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبىّ بعدى؟ فسكت القوم

فقال: لَيَقومنَّ قائمُكم أو لَيَكونَنَّ فی غيركم ثمّ لَتَندَمُنَّ. ثمّ أعاد الكلام ثلاث مرّات، فقام علیٌّ فبايعه و أجابه ثمّ قال: ادنُ منّی. فدنا منه ففتح فاه و مجَّ فی فيه من ريقه و تَفَل بين كتفيه و ثدييه، فقال أبو لهب: فبئس ما حَبَوْتَ به ابن عمِّک أن أجابک فملأت فاه و وجهه بُزاقاً. فقال صلی الله عليه و سلم: ملأتهُ حكمةً و علماً».

و فی كتاب الشهيد الخالد الحسين بن علیّ، تأليف الاستاذ حسن أحمد لطفی، قال فی (ص ۹): إنَّ النبیَّ، علی ما رواه كثيرون، لمّا جمع أعمامهُ و أُسرتَه ليُنذِرَهم قال لهم: «فأيُّكم يوازرُنی علی هذا الأمر علی أن يكون أخی و وصيّی و خليفتی فيكم؟. فأحجم الجميع إلّا عليّا و كان أصغرهم. فقال: أنا يا نبیَّ اللَّه أكون وزيرک عليه.

فأخذ الرسول صلی الله عليه و آله و سلم برقبته ثمّ قال: هذا أخی و وصيّی و خليفتی فيكم فاسمعوا له و أطيعوا».

---

(۱). كفاية الطالب: ص ۲۰۴- ۲۰۵.

(۲). نظم درر السمطين: ص ۸۳.

(۳). الكشف و البيان: الورقة ۱۶۳ سورة الشعراء: آية ۲۱۴.

و فی كتاب محمد «۱» تأليف توفيق الحكيم (ص ۵۰): «ما أعلم إنساناً فی العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، قد جئتكم بخير الدنيا و الآخرة، و قد أمرنی ربِّی أن أدعوَكم إليه، فأيُّكم يُوازِرُنی علی هذا الأمر، و أن يكون أخی و وصيِّی و خليفتی فيكم؟» قريش: لا أحد، لا أحد. أعرابیٌّ: نعم لا أحد يُوازرک علی هذا حتی و لا كلب الحیِّ!. علیٌّ: «أنا يا رسول اللَّه عونُک، أنا حربٌ علی من حاربتَ».

و ذكر الحديث الصحافیّ القدير عبد المسيح الأنطاكیّ المصریّ «۲» فی تعليقه علی علويّته المباركة (ص ۷۶) و لفظ الحديث فيه: «فمن يُجيبنی إلی هذا الأمر و يوازرنی علی القيام به يكن أخی و وزيری و خليفتی من بعدی». فلم يُجِبه أحدٌ من بنی عبد المطّلب إلّا علیّ، و كان أحدثهم سنّا.

فقال: «أنا يا رسول اللَّه. فقال المصطفی: اجلس. ثمّ أعاد القول ثانياً فصمت القوم، و أجاب علیٌّ: أنا يا رسول اللَّه. فقال المصطفی: اجلس، ثمّ أعاد القول ثالثاً فلم يكن فی بنی عبد المطّلب من يُجيبه غير علیٍّ. فقال: أنا يا رسول اللَّه.

حينئذٍ قال المصطفی- عليه الصلاة و السلام-: اجلس فأنت أخی و وزيری و وصيِّی و وارثی و خليفتی من بعدی. فمضی القوم».

و نظم هذه الإثارة بقوله من قصيدته المذكورة:

و تلک بِعثَتُه الزهراءُ علیه صلا ... ةُ اللّه للخلْقِ عَربِیها و عَجمِیها

فصار یدعو إلیها من توسَّمَ فی ... ه الخیر سِرّا و خوفُ الشر یُخفیها

بذا ثلاثةَ أعوامٍ قضی و له ... قد دان بعض قریشٍ و اهتدَوا فیها

و بعدَها جاءَهُ جبریلُ یأمرُهُ ... بأن یُجاهِرَ بالإسلامِ مُجریها

و قال فاصدع بأمرِ اللّهِ إنکَ مب ... عوثٌ لتدعو إلیهِ الناسَ تَهدیها

---

(۱). کتاب محمد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: ص ۲۷.

(۲). أحد شعراء الغدیر فی القرن الرابع عشر، تأتی هناک ترجمته. (المؤلف)

أنْذِرْ عَشیرتَکَ الدنیا بشِرْعَتِک ال ... غرّا و أظهرْ لها أسنی معانیها

وَ مُذْ تُبَلِّغُ أمرَ اللّهِ هِمَّ به ... بهمّةٍ ما اعتدا الکفّارِ یَثنیها

و لم یَجِدْ عَضُداً کی یستعینَ به ... علی مُجاهرةٍ قد کان خاشیها

إلّا العلیَّ فناداهُ و أخبرَه ... ببغیةٍ حسبَ أمرِ اللّهِ باغیها

و قال هیِّئ لنا فی الحال مأدُبةً ... وَ لْیُتْقِنَنَّ لها الألوانَ طاهیها

فَرِجْلُ شاةٍ علی صاع الطعام و أع ... ساسٌ لها اللبنُ النوقیُّ یُملیها

و ادعُ الهواشمَ باسمی کی أُشافِهَها ... بأمرِ ربِّیَ باریّ و باریها

قام العلیُّ بأمرِ المصطفی و دعا ... إلی ولیمتِهِ أکرِمْ بداعیها

أبناءَ هاشم هم کانوا عشیرتَهُ ... و لم یکنْ فیهمُ إلّا مُلَبِّیها

و عَدُّهمْ كان عند الأربعين و همْ رجّالة العُرْبِ فى إحصاءِ مُحصيها

هذى عشيرة طه بل قرابتُهُ ال دنيا التى كان للإسلامِ راجيها

و إذ أتتْهُ تلقّاها على رَحِبٍ ببِشرِهِ و انثنى صفواً يُحيّيها

حتى إذا ما استوى فيها المقامُ لها مدَّ السِّماط و فيه ما يُشهِّيها

فأقبلتْ و رسول اللّه يخدمُها على الطعامِ و يُعنى كى يُهنِّيها

حتى إذا أكَلتْ ذاك الطعامَ و مِن ألبانِهِ سُقِيَتْ و اللّهُ كافيها

ظلَّ الطعامُ كما قد كان و هو و اى مُ اللّهِ ما كان يكفى مُستجيعيها

و تلك معجزةٌ للمصطفى و بها قام العلىُّ و عنه نحن نَروِيها

و ثَمَّة ابتدرَ القومَ الرسولُ بذک رى يُمْنِ بعثتهِ يُبدِى خَوافيها

و إذ أبو لَهَبٍ فى الحالِ قاطَعَه و موّه الحقّ بالتضليل تمويها

و قال يا ناس طه جاء يسحركم بذا الطعامِ احذروا الإضلال و التِّيها

هيّا انهضوا و دعوهُ أن يَغُشَّ نفو س الغيرِ فى هذه الدعوى و يُصبِيها

و هكذا ارْفَضَّ ذاک الاجتماعُ و أن فسَ الجَمْع داجى الكفر غاشيها

و عادَ طه إلى تِكرارِ دعوَتِهِ و كان حيدرةُ المِقْدامُ راعيها

حتى إذا اجتمعت للأكلِ ثانيةً على الخِوان انثنى طه يُفاهيها

فقال ما جاء قبلى قومَهُ أحَدٌ بمثلما جئت من نعماءَ أُسديها

لكمْ بها الخيرُ فى دنيا و آخِرةٍ إذا انضويتُمْ إلى زاهى مَغانِيها

فَمَنْ يوازرُنى منكم فذاکَ أخى و ذاکَ يُخلِفُنى فى رَعى نامِيها

فلم يَجِدْ من لبيبٍ راحَ مقتنعاً بصدْقِ بعثتِهِ أو راحَ راضيها

و كلّما ازدادَ تِبياناً لبعثتِهِ ال زهراءِ زادتْهُ تكذيباً و تَسْفيها

و ثَمَّ بو لَهَبٍ ناداهُ: ويْلَکَ لم يَجئْ فتىً قومه ما جِئْتَنا إيها

تَبَّتْ يداهُ فإنَّ الجهل توّهَهُ و الكفرَ فى دركات النار تتويها

و كرَّرَ المصطفى أقوالَهُ عَلَناً و قد توسَّعَ إنذاراً و تنبيها

فما رأى غيرَ ألبابٍ مُحَجَّرَةٍ هيهاتَ ليس يُلينُ النُّصحُ قاسِيها

و أنْفُساً عن كتاب اللّه مُعْرِضةً و الكفر قد كانَ و الإشراک مُعْمِيها

و أحْجَمَتْ كُلُّها عن فَيْضِ رحمتِهِ مع يُمْنِ دعوتِهِ فالكلُّ آبيها

إلّا العلىَّ فنادى دونها: فأنا نُعْماک يا هادىَ الأكوانِ باغيها

نادى أن اجلسْ ثلاثاً و هو يَعرِضُ دع واهُ على القومِ يَبغى مُسْتَجيبيها

حتى إذا باتَ مأيوساً و مُنزعجاً من الهواشم معيىً عن ترضِّيها

عنها تولّى إلى حيثُ العلىّ مُنَوِّ هاً بهِ بين ذاک الجَمْع تنويها

و كانَ ماسِكَهُ من طَوْقِ رَقَبَتِهِ يقول: هذا لها و اللّهُ يَحْميها

و قال هذا أخى ذا وارثى و خلى فتى على أمّتى يَحْمى مراعيها

و قال فرضٌ عليكمْ حُسْنُ طاعتِهِ بعدى و إمرتُه ويلٌ لعاصيها

فارْفضَّ جَمْعُهمُ و الهُزءُ آخِذُهُمْ إلى الغِوايةِ فى أدجى دياجيها

و هم يقولون أحكامُ الغلام عل ىٍّ يا أبا طالبٍ كن من مطيعيها

كذاک حيدرةٌ ماشى النبوّة مُذْ نادى بها المصطفى لَبّى مُناديها

و شارک المصطفى من يوم أن وَضَع الأ ساسَ حتى انتهتْ عُلْيا مَبانيها

ص: ۴۰۵

كلمة الإسكافى حول الحديث فى كتابه- النقض على العثمانية-

قل‌بعد ذكر الحديث باللفظ المذكور (ص ۲۷۸): فهل يُكَلَّفُ عملَ الطعام و دُعاءَ القوم صغيرٌ غير مميِّز و غِرٌّ غير عاقل؟ و هل يؤتمَن على سرِّ النبوَّة طفلٌ ابن خمس سنين أو ابن سبع سنين؟ و هل يُدعى فى جملة الشيوخ و الكهول إلّا عاقلٌ لبيبٌ؟ و هل يضع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم يده فى يده و يُعطيه صَفقة يمينِهِ بالأخوَّة و الوصيّة و الخلافة إلّا و هو أهلٌ لذلک، بالغ حدّ التكليف، محتملٌ لولاية اللَّه و عداوة أعدائه؟

و ما بالُ هذا الطفل لم يأنس بأقرانه؟ و لم يلصق بأشكاله؟ و لم يُرَ مع الصبيان فى ملاعبهم بعد إسلامه، و هو كأحدِهم فى طبقته، كبعضهم فى معرفته؟ و كيف لم ينزَع إليهم فى ساعة من ساعاته؟ فيقال: وعاه بعضُ الصّبا، و خاطرٌ من خواطر الدنيا، و حملته الغِرَّة و الحدْثة على حضور لهوهم و الدخول فى حالهم، بل ما رأيناه إلّا ماضياً على إسلامه، مصمِّماً فى أمره، محقّقاً لقوله بفعله، قد صدَّق إسلامه بعَفافه و زهده، و لصق برسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم من بين جميع من بحضرته، فهو أمينهُ و أليفُه فى دنياه و آخرته، و قد قهر شهوته، و جاذب خواطره، صابراً على ذلک نفسه، لِما يرجو من فوز العاقبة و ثواب الآخرة، و قد ذكر هو عليه السلام فى كلامه و خطبه بدء حاله و افتتاح أمره، حيث أسلم لمّا دعا رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم الشجرة فأقبلت تَخِد الأرض، فقالت قريش: ساحرٌ خفيف السحر.

فقال علىٌّ عليه السلام: «يا رسول اللَّه؟ أنا أوّل من يُؤمن بک، آمنتُ باللَّه و رسوله و صدَّقتُک فيما جئتَ به، و أنا أشهدُ أنّ الشجرة فعلتْ ما فعلتْ بأمر اللَّه تصديقاً لنبوّتک و بُرهاناً على دعوتک».

فهل يكون إيمانٌ قطُّ أصحّ من هذا الإيمان و أوثق عقدة و أحكم مِرَّة؟ و لكن حَنَق العثمانيّة و غيظهم و عصبيّة الجاحظ و انحرافه ممّا لا حيلة فيه.

ص: ۴۰۶

جنايات على الحديث

منها: ما ارتكبه الطبرى فى تفسيره «۱» (۱۹/ ۷۴) فإنّه بعد روايته له فى تاريخه كما سمعت، قلب عليه ظهر المِجنِّ فى تفسيره فأثبته برمّته حرفيّا متناً و إسناداً، غير أنّه أجملَ القول فيما لهج به رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم فى فضل من يبادر إلى تلقّى الدعوة بالقبول، قال:

فقال: «فأيُّكم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و كذا و كذا؟».

و قال فی کلمته صلی الله علیه و آله و سلم الأخیرة: ثمّ

قال: «إنَّ هذا أخی و کذا و کذا».

و تبعه علی هذا التقلّب ابن کثیر الشامی فی البدایة و النهایة «۲» (۳/ ۴۰) و فی تفسیره (۳/ ۳۵۱) فعل ابن کثیر هذا، و ثقل علیه ذکر الکلمتین و بین یدیه تاریخ الطبری و هو مصدره الوحید فی تاریخه و قد فصّل فیه الحدیث تفصیلًا. لأنّه لا یروق له إثبات النصّ لأمیر المؤمنین بالوصیّة و الخلافة الدینیّة، و الدلالة علیه و الإشارة إلیه. و هل هذه الغایة مقصد الطبری حینما حرَّف الکلم عن مواضعه فی التفسیر بعد ما جاء به صحیحاً فی التاریخ علی حین غفلة عنها؟ أنا لا أدری، لکن الطبری یدری!. و أحسبک أیّها القارئ جدَّ علیم بذلک.

و منها: خزایة فاضحة تحمّلها محمد حسین هیکل حیث أثبت الحدیث کما أوعزنا إلیه فی الطبعة الأولی من کتابه حیاة محمد «۳» (ص ۱۰۴) بهذا اللفظ:

و نزل الوحی (وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ* وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ)، (وَ قُلْ إِنِّی أَنَا النَّذِیرُ الْمُبِینُ) «۴»، (فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِکِینَ). و دعا محمد عشیرته إلی طعام فی بیته، و حاول أن یُحدِّثهم داعیاً إیّاهم

---

(۱). جامع البیان: مج ۱۱/ ج ۱۹/ ۱۲۲.

(۲). البدایة و النهایة: ۳/ ۵۳.

(۳). حیاة محمد: ص ۱۵۸.

(۴). الحِجر: ۸۹. و فی الطبعات اللاحقة یثبت هیکل الآیة (۲۱۶) من سورة الشعراء مکان هذه الآیة.

إلی اللَّه فقطع عمّه أبو لهب حدیثه، و استنفر القوم لیقوموا. و دعاهم محمد فی الغداة کرّة أخری.

فلمّا طعموا

قال لهم: «ما أعلم إنساناً فی العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتکم به. قد جئتکم بخیر الدنیا و الآخرة، و قد أمرنی ربّی أن أدعوکم إلیه فأیّکم یوازرنی علی هذا الأمر و أن یکون أخی و وصیّی و خلیفتی فیکم؟». فأعرضوا عنه و همّوا بترکه، لکنّ علیّا نهض و ما یزال صبیّا دون الحُلُم و قال: «أنا یا رسول اللَّه عونک. أنا حرب علی من حاربت».

فابتسم بنو هاشم و قهقهَ بعضهم و جعل نظرهم یتنقّلُ من أبی طالب إلی ابنه ثمّ انصرفوا مستهزئین. انتهی.

فإنّه أسقط من الحديث أوّلًا ما فرّع به رسول اللّه صلى الله عليه و سلم كلامه من

قوله لعليّ: «فأنت أخى و وصيّى و وارثى».

ثمّ نسب إلى أمير المؤمنين ثانياً أنّه

قال: «أنا يا رسول اللّه عونک. أنا حربٌ على من حاربت».

ليته دلَّنا على مصدر هذه النسبة فى لفظ أىٍّ مُحدّث أو مؤرِّخ من السلف؟ و راقه أن يحكم فى الحضور فى تلک الحفلة بتبسُّم بنى هاشم و قهقهة بعضهم، و لم نجد لهذا التفصيل مصدراً يُعَوَّل عليه.

و مهما لم يجد هيكل وراءه من يأخذه بمقاله، و لم يرَ هناک من يُناقشه الحساب فى تقوُّلاته و تصرُّفاته أسقط منه ما يرجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام فى الطبعة الثانية سنة (١٣٥۴) (ص ١٣٩)، و لعلّ السرَّ فيه لفتة منه إلى غاية ابن كثير و أمثاله بعد النشر، أو أنّ اللغط و الصخب حول القول قد كثرا عليه هناک من مناوئى العترة الطاهرة، فأخذته أمواج اللوم و العتب حتى اضطرّته إلى الحذف و التحريف. أو أنّ العادة المطّردة فى جملة من المطابع عاثت فى الكتاب فغضَّ عنها الطرف صاحبه لاشتراكه معها فى المبدأ أو عجزه عن دفعها. و على أىٍّ فحيّا اللّه الشعور الحىَّ، و الأمانة الموصوفة، و الحقَّ المضاع المأسوف عليه.

أسفى على بسطاء الأمّة الإسلاميّة و اعتنائهم بمثل هذه الكتب المشحونة بزُخرف

القول و أباطيل الكَلِم المموّهة و قد جاءت بذات الرعد و الصليل «١»، و سيل بالأمّة و هى لا تدرى «٢». ثمّ أسفى على مصر و حملة علمها المتدفّق، و على تآليفها القيِّمة، و كتّابها النزهاء، فإنّها راحت ضحيّة تلكم الشهوات و الميول، ضحيّة تلكم النفوس الخائرة، ضحيّة تلكم الكفريّات المبيدة للمجتمع، ضحيّة تلكم الأقلام المستأجرة و قد اتّخذت الباطل دَغَلًا، و شَغَرَتْ لها الدنيا برجلها «٣».

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا

وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً) «۴»

---

(١). مثل يضرب لمن جاء بشرّ وعُر [مجمع الأمثال: ١/ ٣١۴ رقم ٩٣٩]. (المؤلف)

(٢). مثل يضرب للساهى الغافل [مجمع الأمثال: ٢/ ١٢٣ رقم ١٨٣١]. (المؤلف)

(٣). يضربُ لمن ساعدته الدنيا فنال منها حَظَّه [مجمع الأمثال: ٢/ ١٧٩ رقم ٢٠٢٠]. (المؤلف)

(۴). الكهف: ١٠٣– ١٠۴.

ص: ۴٠٩

٨– العبدى الكوفى

هل فى سؤالِک رسمَ المنزلِ الخَرِبِ بُرءٌ لقلبک من داءِ الهوى الوَصِبِ

أمْ حَرُّهُ يوم وَشْکِ البَيْنِ يُبْرِدُهُ ما اسْتَحْدَثَتْه النوى من دمعِک السَرِبِ

هيهات أن ينفدَ الوجد المثير له نأى الخليط الذى ولّى و لم يَؤُبِ

يا رائد الحىِّ حسبُ الحىِّ ما ضَمِنَتْ له المدامعُ من ماءٍ و من عُشُبِ

ما خِلتُ من قبل أن حالت نوىً قَذَفٌ أنّ العيون لهم أهمى «١» من السُحُبِ

بانوا فَكم أطْلَقوا دمعاً و كم أسَرُوا لُبّا و كم قَطَعوا للوصلِ من سَبَبِ

من غادرٍ لم أكن يوماً أسِرُّ له غَدْراً و ما الغدر من شأن الفتى العربى

و حافظُ العهدِ يُبدى صَفْحَتَى فَرَحٍ للكاشحين «٢» و يُخفى وجْدَ مُكتَئِبِ

بانوا قِباباً و أحباباً تصونُهُمُ عن النواظر أطرافُ القنا السلبِ

و خلّفوا عاشقاً مُلقىً رمى خَلَساً بطرفه خِدْرَ مَنْ يهوى فلم يُصِبِ

لهفى لما استودِعَتْ تلک القبابُ و ما حَجَبْنَ من قُضُبٍ عنّا و من كُثُبِ

من كلِّ هيفاءِ أعطافٍ هضيمِ حَشاً لعساءِ «٣» مرتَشَفٍ غَرّاءِ مُنتقِبِ

كأنّما ثَغرُها وهناً و ريقَتُها ما ضمَّتِ الكاسُ من راحٍ و من حَبَبِ

(۱). همی یهمی همیاً: سال. هَمَت العین: صَبَّت دمعتها. (المؤلف)

(۲). کاشح فلاناً کِشاحاً و مکاشحة، و کشح له کَشْحاً: عاداه. (المؤلف)

(۳). اللعْس: سوادُ مستحسن فی الشفة. (المؤلف)

و فی الخدورِ بدورٌ لو بَرَزن لنا — برّدن کلّ حشاً بالوَجْدِ مُلتهبِ

و فی حشای غلیلٌ بات یَضرِمُهُ — شوقٌ إلی بَرْد ذاک الظَلْم و الشنَبِ«۱»

یا راقد اللوعةِ اهبُبْ «۲» من کَراکَ فقدْ — بان الخلیط و یا مُضنی الغَرامِ ثُبِ

أما و عصرِ هویً دبَّ العزاء له — ریب المنون و غالته ید النُوَبِ

لأشرَقَنَ «۳» بدمعی إن نأتْ بِهُمُ — دارٌ و لم أقضِ ما فی النفس من إربِ

لیس العجیب بأن لم یبقَ لی جَلَدٌ — لکنْ بقائی و قد بانوا من العجبِ

شِبْتُ ابنَ عشرین عاماً و الفراقُ لهُ — سهمٌ متی ما یُصِبْ شملَ الفتی یَشِبِ

ما هزّ عَطْفیَ من شوقٍ إلی وطنی — و لا اعتَرانیَ من وَجْدٍ و من طَرَبِ

مثل اشتیاقیَ من بُعْدٍ و مُنتزَحٍ — إلی الغریِّ و ما فیهِ من الحَسَبِ

أزکی ثریً ضَمَّ أزکی العالمین فذا — خیرُ الرجال و هذا أشرفُ التُرُبِ

إن کان عن ناظری بالغَیْبِ محتجباً — فإنّه عن ضمیری غیرُ محتجِبِ

إلی أن یقول:

یا راکباً جَسْرةً تطوی مناسِمها — مَلاءَة البِید بالتقریب و الجَنَبِ«۴»

تُقَيِّدُ المُغْزِلَ الأدْماءَ فی صَعَدٍ و تطلَح الکاسر الفَتْخاء فی صَبَبِ«۵»

تُثنی الریاح إذا مرّت بغایتها حسری الطلائح بالغِیطان و الخَرِبِ

بلّغ سلامیَ قبراً بالغَرِیِّ حوی أوفی البَرِیَّةِ من عُجمٍ و من عَرَبِ

---

(۱). الظَلْم بالفتح: ماء الأسنان و بریقها. الشنَب: بیاض الأسنان و حُسنها. (المؤلف)

(۲). أهَبّهَ من نومِه: أیقظه. (المؤلف)

(۳). أشْرَقَه بریقه: أی أغصَّهَ و منَعَه التنفس. (المؤلف)

(۴). جنبه جنْباً جنَباً: أبعده و نحّاه. (المؤلف)

(۵). المُغْزِل: من أغزَلت الظبیة إذا ولَدَت الغزال. الأدم من الظِّباء: البیض تعلوهن طرائق فیهن غُبرة. طَلَح: أتعَب و أعیا. الکاسر: العُقاب. الفتخاء: اللیّنة الجناح. الصَّبَبَ: ما انحدر من الأرض. (المؤلف)

و أجعلْ شِعارَکَ للّهِ الخشوعَ بهِ و نادِ خیرَ وصیٍّ صِنْو خیرِ نبی

اسمع أبا حسنٍ إنَّ الأُلی عَدَلوا عن حُکْمک انقلبوا عن شرِّ مُنقَلَبِ

ما بالُهمْ نکبوا نهجَ النجاة و قد وضَّحتَهُ و اقْتَفَوا نهجاً من العَطَبِ«۱»

و دافعوک عن الأمر الذی اعْتَلَقَتْ زِمامَهُ من قُریشٍ کَفُّ مُغتصِبِ

ظلّت تُجاذبها حتی لقد خَرَمتْ خَشَاشها تَربَتْ من کفِّ مُجتذِبِ«۲»

و کان بالأمس منها المُستقیل فَلِمْ أرادَها الیوم لو لم یأتِ بالکَذِبِ

و أنتَ توسِعُهُ صَبْراً علی مَضَضٍ و الحِلْمُ أحسَنُ ما یأتی مع الغَضَبِ

حتى إذا الموتُ ناداهُ فأسْمَعَهُ ... و الموتُ داعٍ متى يَدْعُ امرءاً يُجبِ

حَبَا بِها آخَراً فاعتاض محتقِباً«۳» ... منه بأفظع محمولٍ و محتقِبِ

و كان أوّل من أوصى ببيعته ... لکی النبیُّ و لكن حال من كَثَبِ

حتى إذا ثالثٌ منهمْ تَقَمَّصَها ... و قد تبدَّلَ منها الجدُّ باللعبِ

عادت كما بُدِئت شوهاءَ جاهلةً ... تَجُرُّ فيها ذِئابٌ أكْلَةَ الغَلَبِ

و كان عنها لهم فی خُمّ مُزْدَجَرٌ ... لمّا رَقَی أحمدُ الهادی علی قَتَبِ

و قال و الناسُ من دانٍ إليه و من ... ثاوٍ لديه و من مُصْغٍ و مرْتَقِبِ

قُمْ يا علیُّ فإنّی قدْ أُمرتُ بأنْ ... أُبلّغ الناس و التبليغُ أجدَرُ بی

إنّی نصبتُ عليّا هادياً عَلَماً ... بعدی و إنَّ عليّا خيرُ مُنتصَبِ

فبايعوک و كلٌّ باسطٌ يدَهُ ... إليک من فوق قلبٍ عنکَ مُنقَلِبِ

عافُوک لا مانعٌ طَولًا و لا حَصِرٌ ... قولًا و لا لَهِجٌ بالغِشِّ و الريَبِ

و كنتَ قُطْبَ رحی الإسلامِ دونَهمُ ... و لا تدور رحیً إلّا علی قُطُبِ

و لا تُماثِلُهمْ فی الفضلِ مرتبةً ... و لا تُشابِهُهُمْ فی البيتِ و النَسَبِ

---

(۱). العَطَبَ: الهلاک. (المؤلف)

(۲). خَرَم الخرزة: فَصَمها، شق وترة الأنف. الخشاشة: عود يجعل فی أنف الجمل. (المؤلف)

(۳). اعتاض: أخذ بَدَلًا و خَلَفا. احتقب: أركبه وراءه. (المؤلف)

إن تلْحَظِ القِرْنَ و العَسَّالُ فی یدِهِ یَظَلَّ مضطرباً فی کفِّ مُضطربِ

و إن هَزَزْتَ قناةً ظَلْتَ تُوردُها وریدَ ممتنعٍ فی الرَوع مُجتنبِ

و لا تَسُلُّ حُساماً یومَ مَلحَمةٍ إلّا و تحجُبُه فی رأسِ محتجبِ

کیومِ خیبرَ إذ لمْ یمتنعْ زُفَرٌ عن الیهودِ بغیر الفَرِّ و الهرَبِ

فأغضبَ المصطفی إذ جرَّ رایتَهُ علی الثری ناکِصاً یهوی علی العَقِبِ

فقال إنّی سأُعطیها غداً لفتیً یُحِبُّهُ اللَّهُ و المبعوثُ مُنْتَجَبِ

حتی غدوتَ بها جذلانَ تَحمِلُها تِلقاءَ أرعنَ من جَمْعِ العدی لَجِبِ«۱»

جَمُّ الصلادمِ و البیضِ الصوارم و الزرق اللهاذِم و الماذیّ و الیَلَبِ«۲»

فالأرضُ من لاحقیّاتٍ مُطَهَّمةٌ و المستظلُّ مَثارُ القَسْطَلِ الهَدِبِ

و عارَض الجیش من نقعٍ بوارقه لمع الأسنَّةِ و الهندیّة القُضُبِ

أقدمتَ تضربُ صبراً تحتَهُ فغدا یُصَوِّبُ مُزْناً و لو أحجمتَ لم یُصِبِ

غادرتَ فرسانَهُ من هاربٍ فَرِقٍ أو مُقعصٍ «۳» بدمِ الأوداجِ مُختضبِ

لک المناقب یعیا الحاسبون بها عَدّا و یعجزُ عنها کلُّ مُکتتِبِ

کرجعةِ الشمسِ إذ رُمتَ الصلاةَ و قد راحَتْ تَوارَی عن الأبصارِ بالحُجُبِ

رُدَّتْ علیک کأنّ الشُّهْبَ ما اتّضَحَتْ لناظرٍ و کأنّ الشمسَ لم تَغِبِ

و فی براءةَ أنباءٌ عجائبُها لم تُطوَ عن نازحٍ یوماً و مُقتربِ

و لیلةَ الغارِ لمّا بتَّ ممتلئاً أمْناً و غیرُک ملآنٌ من الرُعُبِ

ما أنتَ إلّا أخو الهادی و ناصرُهُ و مُظْهِرُ الحقِّ و المنعوتُ فی الکُتُبِ

و زوجُ بَضعتِهِ الزهراءِ یَکنُفُها«۴» دون الوری و أبو أبنائه النُّجُبِ

(۱). جَذِل و جذلان: فَرِح و فرحان. أرعن: أحمق. جيش لَجِب: ذو كثرة و جَلْبة. (المؤلف)

(۲). الصلدم: الصلب، الأسد. الزرق: يكنّى به عن الأسِنَّة و النصال لما فى لونها من الزرقة. اللهاذم جمع لهذم: الحادّ القاطع. الماذى: كلّ سلاح من الحديد. اليَلَبُ: الفولاذ و خالص الحديد. (المؤلف)

(۳). قَعَصَهُ و أقعَصَه: قتله مكانه. (المؤلف)

(۴). كنَفَ الشيء: صانه و حفظه و حاطه و ضمّه إليه. (المؤلف)

من كلِّ مجتهدٍ فى اللَّه مُعْتضِدٍ — باللَّه معتقدٍ للَّهِ مُحتسبِ

هادينَ للرُشدِ إن ليلُ الضَّلالِ دَجا — كانوا لطارقهم أهدى من الشُهُبِ

لُقِّبتُ بالرفض لمّا إن منحتُهمُ — وُدِّى و أحسنُ ما أُدعى به لقبى

صلاة ذى العرشِ تَتْرى كلَّ آونةٍ — على ابن فاطمةَ الكشّافِ للكُرَبِ

و ابنيه من هالكٍ بالسُمِّ مُخْتَرمٍ — و من معفَّر خدٍّ فى الثرى تَربِ

و العابدِ الزاهد السجّاد يتبعُهُ — و باقر العلم دانى غايةِ الطَلَبِ

و جعفرٌ و ابنه موسى و يتبعُهُ ال — برُّ الرضا و الجواد العابد الدئبُ«۱»

و العسكريَّينِ و المهدىَّ قائمهمْ — ذى الأمر لابس أثوابِ الهدى القُشُبِ

مَنْ يملأُ الأرضَ عدلًا بعد ما مُلِئَتْ — جوراً و يَقْمَعُ أهل الزَيْغِ و الشَّغبِ

القائدُ البُهَمَ الشوسَ الكماة إلى — حربِ الطغاة على قبِّ الكلا الشَّزِبِ«۲»

أهلُ الهدى لا أُناسٌ باع بائعُهُمْ — دينَ المُهَيمنِ بالدنيا و بالرُتبِ

لو أنّ أضغانهم فى النارِ كامنةٌ — لأغْنَتِ النار عن مُذْكٍ و محتطِبِ

يا صاحبَ الكوثر الرقراقِ زاخرةً ذُدِ النواصِبَ عن سَلساله العَذِبِ

قارعتُ منهم كُماةً فی هواکَ بما جرَّدتُ من خاطرٍ أو مِقْوَلٍ ذَرِبِ

حتی لقد وَ سَمَتْ کَلْماً جباهَهمُ خواطری بمُضاء الشعرِ و الخُطَبِ

صَحِبْتُ حبّکَ و التقوی و قد کَثُرَتْ لیَ الصحابُ فکانا خیرَ مُصْطَحِبِ

فاستَجْلِ من خاطرِ العبدیِّ آنسةً طابتْ و لَو جاوَزَتْکَ الیوم لم تَطِبِ

جاءتْ تَمایلُ فی ثَوْبَیْ حَیاً و هدیً إلیک حالیةً بالفضلِ و الأدبِ

أتعَبتُ نفسیَ فی مدْحِیکَ عارفةً بأنّ راحتَها فی ذلک التَعبِ

و ذکر ابن شهرآشوب فی المناقب «۳» (۱/ ۱۸۱) طبع إیران للعبدیِّ قوله:

---

(۱). فی البیت إقواء.

(۲). البُهم: جمع البُهمة: الشجاع. الشوس: الشدید الجریء فی القتال. القبّ: القطع [الشَزِب: الیابس]. (المؤلف)

(۳). مناقب آل أبی طالب: ۲/ ۷۵.

ما لعلیٍّ سوی أخیه محمد فی الوری نظیرُ

فداهُ إذ أقبلتْ قُرَیشٌ علیه فی فرشِهِ الأمیرُ

وافاه فی خُمٍّ و ارتضاه خلیفةً بعدَهُ وزیرُ

الشاعر

أبو محمد سفيان بن مُصعب العبدىّ الكوفىّ، من شعراء أهل البيت الطاهر المتزلّفين إليهم بولائه و شعره، المقبولين عندهم لصدق نيّته و انقطاعه إليهم؛ و قد ضَمَّن شعره غير يسير من مناقب مولانا أمير المؤمنين الشهيرة، و أكثَر من مدحه و مدح ذريَّته الأطيبين و أطاب، و تفجَّع على مصائبهم و رثاهم على ما انتابهم من المِحَن، و لم نَجِد فى غير آل اللَّه له شعراً.

استنشده الإمام الصادق- صلوات اللَّه عليه- شعره كما

فى رواية ثقة الإسلام الكلينى فى روضة الكافى «١» بإسناده عن أبى داود المسترقّ عنه قال:

دخلت على أبى عبد اللَّه عليه السلام فقال: «قولوا لأمِّ فَروَة تجيء فتسمع ما صُنِع بجدّها». قال: فجاءت فقعدت خلف الستر. ثمّ قال: أنْشِدْنا. قال: فقلت:

فَرْوَ جودى بدمعكِ المسكوبِ

قال: فصاحت و صِحْنَ النساء، فقال أبو عبد اللَّه عليه السلام: الباب [الباب] «٢» فاجتمع أهل المدينة على الباب، قال: فبعث إليهم أبو عبد اللَّه: صبىٌّ لنا غُشى عليه فَصِحْنَ النساء.

و استنشد شعرَهُ الإمامُ أبا عمارة المنشد كما فى الكامل لابن قولويه (ص ١٠٥) بإسناده عن أبى عمارة قال: قال لى أبو عبد اللَّه عليه السلام: «يا أبا عمارة أنشدنى للعبدىِّ فى

---

(١). روضة الكافى: ٨/ ٢١٥ ح ٢٦٣.

(٢). أثبتنا الزيادة من المصدر.

الحسين عليه السلام». قال: فأنشدته فبكى، ثمّ أنشدته فبكى، ثمّ أنشدته فبكى. قال: فو اللَّه ما زِلتُ أنشِدُه و يبكى حتى سمعت البكاء من الدار. الحديث.

عدّه شيخ الطائفة فى رجاله «٣» من أصحاب الإمام الصادق، و لم يک صحبته مجرّد أُلفة معه، أو محض اختلاف إليه، أو أنّ عصراً واحداً يجمعهما، لكنّه حظى بزُلفة عنده منبعثة عن صميم الوُدّ و خالص الولاء، و إيمان لا يشوبه أىُّ شائبة حتى أمر الإمام عليه السلام شيعته بتعليم شعره أولادهم

و قال: «إنّه على دين اللَّه»، كما رواه الكشّى فى رجاله «۴» (ص ۲۵۴) بإسناده عن سماعة قال: قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: «يا معشر الشيعة علّموا أولادكم شعر العبدىّ فإنّه على دين اللَّه».

و يَنِمُّ عن صدق لهجته، و استقامة طريقته فى شعره، و سلامة معانيه عن أىِّ مغمز، أمر الإمام عليه السلام إيّاه بنظم ما تنوح به النساء فى المأتم، كما رواه الكشّى فى رجاله (ص ۲۵۴).

و كان يأخذ الحديث عن الصادق عليه السلام فى مناقب العترة الطاهرة فينظمه فى الحال ثمّ يعرضه عليه، كما

رواه ابن عيّاش فى مقتضب الأثر «۵» عن أحمد بن زياد الهمدانى قال: حدّثنى علىُّ بن إبراهيم بن هاشم قال: حدّثنى أبى عن الحسن بن علىّ سجاده، عن أبان بن عمر خَتَن آل ميثم قال: كنت عند أبى عبد اللَّه عليه السلام فدخل عليه سفيان بن مصعب العبدى قال: جعلنى اللَّه فداك ما تقول فى قوله تعالى ذكره: (وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ) «۶».

قال: «هم الأوصياء من آل محمد الاثنى عشر، لا يعرف اللَّه إلّا من عَرَفهم و عرفوه». قال: فما الأعراف جُعِلتُ فداك؟ قال: «كثائب من مِسْك، عليها رسول

---

(۳). رجال الطوسى: ص ۲۱۳ رقم ۱۶۵.

(۴). رجال الكشّى: ۲/ ۷۰۴ رقم ۷۴۸.

(۵). مقتضب الأثر: ص ۴۸.

(۶). الأعراف: ۴۶.

اللَّه و الأوصياء يعرفون كلّا بسيماهم». فقال سفيان: أ فلا أقول فى ذلک شيئاً؟ فقال من قصيدة:

أ يا رَبْعَهُمْ هل فيک لى اليومَ مَربَعُ و هل لليالٍ كنَّ لى فيک مرجعُ

يقول فيها:

و أنتم وُلاةُ الحَشْرِ و النَشْرِ و الجَزا و أنتمْ ليوم المفزَعِ الهوْلِ مفزَعُ

و أنتم على الأعرافِ و هى كثائبٌ من المِسْكِ ريّاها بكمْ يَتضوَّعُ

ثمانيةٌ بالعرش إذ يحملونَهُ و من بعدهمْ فى الأرضِ هادونَ أربَعُ«۷»

و القارئ إذا ضمّ بعض ما ذكرنا من حديث المترجم له إلى الآخر يقف على رتبة عظيمة له من الدين يقصُرُ دون شأوها الوصف بالثقة، و يُشاهَدُ له فى طيّات الحديث و التاريخ حسن حال و صحّة مذهب تفوق شئون الحسان، فلا مجال للتوقّف فى ثقته كما فعله العلّامة الحلّى «۸»، و لا لعدِّه من الحسان كما فعله غيره «۹»، و لا يبقى لنسبته إلى الطيّارة- أى الغلوّ و الارتفاع فى المذهب- وزنٌ كما رآه أبو عمرو الكشّى «۱۰» فى شعره، و لم نجد فى شعره البالغ إلينا إلّا المذهب الصحيح، و الولاء المحض لعترة الوحى، و التشيّع الخالص عن كلِّ شائبة سوء.

و يزيدک ثقةً به و اعتماداً عليه رواية مثل أبى داود المنشد سليمان بن سفيان المُستَرقّ المتسالم على ثقته عنه، و أبو داود هو شيخ الأثبات الأجلّة نظراء الحسن بن محبوب، و محمد بن الحسين بن أبى الخطّاب، و علىّ بن الحسن بن فضّال.

كما أنّ إفراد مثل الحسين بن محمد بن علىٍّ الأزدى الكوفى المجمع على ثقته

---

(۷). أعيان الشيعة: ۷/ ۲۶۸.

(۸). رجال الحلّى: ص ۸۲.

(۹). تنقيح المقال: ۲/ ۴۰.

(۱۰). رجال الكشّى: ۲/ ۷۰۴ رقم ۷۴۸.

و جلالته، تأليفاً فى أخبار المترجم له و شعره كما عدّه النجاشى فى فهرسته «۱» (ص ۴۹) من كتبه يُؤذن بموقفه الشامخ عند أعاظم المذهب، و ينبئ عن إكبارهم محلّه من العلم و الدين.

نبوغه فى الأدب و الحديث:

إنَّ الواقف على شعر شاعرنا العبدىّ و ما فيه من الجودة و الجزالة و السهولة و العذوبة و الفخامة و الحلاوة و المتانة، يشهد بنبوغه فى الشعر و تضلّعه فى فنونه، و يعترف له بالتقدُّم و البروز، و يرى ثناء الحميرى سيّد الشعراء عليه بأنّه أشعر الناس من

أهله فی محلّه. روی أبو الفرج فی الأغانی «۲» (۷/ ۲۲) عن أبی داود المسترقّ سلیمان بن سفیان: أنّ السیّد و العبدیّ اجتمعا، فأنشد السیِّد:

إنّی أدینُ بما دانَ الوصیُّ بهِ یومَ الخریبةِ «۳» من قَتْلِ المُحلّینا

و بالذی دانَ یومَ النهْرَوانِ بهِ و شارکَتْ کفَّه کفِّی بصفّینا

فقال له العبدی: أخطأت؛ لو شارکت کفُّکَ کفَّه کنت مثله، و لکن قل: تابعت کفّه کفّی، لتکون تابعاً لا شریکاً. فکان السیِّد بعد ذلک یقول: أنا أشعر الناس إلّا العبدی.

و المتأمِّل فی شعره یری موقفه العظیم فی مقدَّمی رجال الحدیث و مکثری حمَلته، و یجده فی الرعیل الأوّل من جامعی شتاته، و ناظمی شوارده، و رواة نوادره، و ناشری طُرَفِه، و یَشهَدُله بکثرة الدرایة و الروایة، و یُشاهِد همّته العالیة و ولعه الشدید فی بثِّ الأخبار المأثورة فی آل بیت العصمة- صلوات اللَّه علیهم- و ستقف علی ذلک کلّه فی ذکر نماذج شعره.

---

(۱). رجال النجاشی: ص ۶۵ رقم ۱۵۴.

(۲). الأغانی: ۷/ ۲۹۳.

(۳). الخریبة: موضع بالبصرة کانت به واقعة الجمل. (المؤلف)

ولادته و وفاته:

لم نقف علی تأریخَی ولادةِ المترجم له و وفاتِه، و لم نعثر علی ما یقرِّبنا إلّا ما سمعت من روایته عن الإمام جعفر بن محمد علیه السلام و اجتماعه مع السیِّد الحمیری المولود سنة (۱۰۵) و المتوفّی سنة (۱۷۸) و مع أبی داود المسترق، و ملاحظة تأریخَی ولادة أبی داود المسترق الراوی عنه و وفاته تؤذننا بحیاة شاعرنا العبدیِّ إلی حدود سنة وفاة الحمیری. فإنَّ أبا داود تُوفِّی (۲۳۱) کما فی فهرست النجاشی «۱» أو فی (۲۳۰) کما فی رجال الکشّی «۲»، و عاش سبعین سنة کما ذکره الکشّی، فیکون ولاة أبی داود سنة (۱۶۱) علی قول النجاشی و (۱۶۰) علی اختیار الکشّی، و بطبع الحال کان له من عمره حین روایته عن المترجم أقلّ ما تستدعیه الروایة، فیستدعی بقاء المترجم أقلّا «۳» إلی أواخر أیّام الحمیری، فما فی أعیان الشیعة «۴» (۱/ ۳۷۰) من کون وفاة المترجم فی حدود سنة (۱۲۰) قبل ولادة الراوی عنه أبی داود المسترق بأربعین سنة، خالٍ عن کلِّ تحقیق و تقریب.

و من نماذج شعره:

إنّا روينا فی الحدیث خَبَرا — یعرفُهُ سائرُ من کان روی

إنَّ ابن خطّابٍ أتاهُ رجلٌ — فقال کم عِدَّة تطلیقِ الإما

فقال یا حیدرُ کم تطلیقةً — للأمَةِ اذکرهُ فأومی المرتضی

---

(۱). رجال النجاشی: ص ۱۸۳ رقم ۴۸۵.

(۲). ما فی نسخ الکشّی [۲/ ۶۰۹ رقم ۵۷۷] من ذکر تاریخ وفاة أبی داود برقم (۱۳۰) تصحیف (۲۳۰)، و یشهد بالتصحیف روایة طبقة أصحاب الإمامین الرضا و الجواد علیهما السّلام عنه، و کذلک روایة الحسن بن محبوب المولود سنة (۱۴۹) و المتوفّی سنة (۲۲۴)، و روایة محمد بن الحسین بن أبی الخطّاب المتوفّی سنة (۲۶۲). (المؤلف)

(۳). کذا.

(۴). أعیان الشیعة: ۷/ ۲۶۷.

بإصْبعیه فثنی الوَجه إلی — سائلهِ قال اثنتانِ و انثنی

قال له تعرف هذا قال لا — قال له هذا علیّ ذو العلا

و قد رَوی عِکْرمةٌ فی خَبرٍ — ما شَکَّ فیه أحدٌ و لا امتری

مرَّ ابن عبّاسٍ علی قومٍ و قد — سبّوا علیّا فاستراعَ و بکی

و قال مغتاظاً لهم أیُّکمُ — سبَّ إلهَ الخَلقِ جلَّ و علا

قالوا معاذ اللَّهِ قال أیُّکمْ — سبَّ رسول اللَّه ظُلماً و اجتَرا

قالوا معاذ اللَّهِ قال أيُّكمْ سبَّ عليّا خير من وَطی الحَصَی

قالوا نعم قد كان ذا فقال قد سمعتُ و اللَّهِ النبیَّ المجتبی

يقول من سَبَّ علياً سبَّنی و سبَّتی سبُّ الإله و اكتفی

محمد و صنوُهُ و ابنتهُ و ابناه خيرُ من تحفّی و احتذی

صلّی عليهم ربُّنا بارى الورى و مُنْشیء الخَلق علی وجه الثری

صفّاهُمُ اللَّه تعالی و ارتضی و اختارهم من الأنام و اجتبی

لولاهُمُ اللَّهُ ما رفَعَ السما و لا دحی الأرضَ و لا أنشا الورى

لا يقبلُ اللَّهُ لعبدٍ عَمَلًا حتی يُواليهم بإخلاص الولا

و لا يتِمُّ لامرئٍ صلاتهُ إلّا بذكراهمْ و لا يزكو الدُعا

لو لم يكونوا خير من وَطأ الحصی ما قال جبريلُ لهم تحت العبا

هل أنا منكم شرفاً ثمّ علا يُفاخر الأملاک إذ قالوا بلی

لو أنّ عبداً لقی اللَّه بأع مال جميع الخلق برّا و تُقی

و لم يكن والی عليّا حَبِطتْ أعمالُه و كُبَّ فی نار لظی

و إنَّ جبريلَ الأمينَ قال لی عن مَلَكَيْهِ الكاتبينِ مذ دنا

إنّهما ما كتبا قطُّ علی ال طهرِ علیٍّ زلَّةً و لا خَنَا«۱»

---

(۱). أعيان الشيعة: ۷/ ۲۷۰.

ممّا أخرجه أعلام العامّة

قوله:

إنّا روينا فى الحديث خَبَراً يعرفُهُ سائرُ من كان روى

أخرج الحافظ الدارقطنى و ابن عساكر «۱»: أنّ رجلين أتيا عمر بن الخطّاب و سألاه عن طلاق الأمَة، فقام معهما فمشى حتى أتى حَلْقَةً فى المسجد فيها رجلٌ أصلع فقال: أيّها الأصلع ما ترى فى طلاق الأمَة؟ فرفع رأسه إليه ثمّ أومأ إليه بالسبّابة و الوسطى، فقال لهما عمر: تطليقتان.

فقال أحدهما: سبحان اللّه، جئناک و أنت أمير المؤمنين فمشيتَ معنا حتى وقفت على هذا الرجل فسألته فرضيتَ منه أن أومأ إليک. فقال لهما: تدريان من هذا؟ قالا: لا.

قال: هذا علىٌّ بن أبى طالب، أشهدُ على رسول اللّه صلى الله عليه و سلم لَسَمِعْتُهُ و هو يقول: «إنَّ السماوات السبع و الأرضين السبع لو وُضِعتا فى كَفَّةٍ ثُم وُضِعَ إيمانُ علىٍّ فى كَفّةٍ لرجحَ إيمان علىّ بن أبى طالب».

و فى لفظ الزمخشرى: جئناک و أنت الخليفة فسألناک عن طلاقٍ فجئت إلى رجل فسألته، فو اللّه ما كلَّمک.

فقال له عمر: ويلَک أ تدرى من هذا؟

و نقله عن الحافظين- الدارقطنى و ابن عساكر- الكنجى فى الكفاية «۲» (ص ۱۲۹) و قال: هذا حسنٌ ثابتٌ. و رواه من طريق الزمخشرى خطيب الحرمين

---

(۱). تاريخ مدينة دمشق: ۱۲/ ۲۹۶، و فى ترجمة الإمام علىّ بن ابى طالب عليه السّلام: رقم ۸۷۱.

(۲). كفاية الطالب: ص ۲۵۸ باب ۶۲.

الخوارزمى فى المناقب «۱» (ص ۷۸)، و السيِّد علىّ الهمدانى فى مودّة القربى «۲». و حديث الميزان رواه عن عمر محبّ الدين الطبرى فى الرياض «۳» (۱/ ۲۴۴)، و الصفورى فى نزهة المجالس «۴» (۲/ ۲۴۰).

قوله:

و قد روى عكرمةٌ فى خبرٍ ما شكَّ فيه أحدٌ و لا امترى

أخرج أبو عبد اللَّه الملّا فى سيرته «۵» عن ابن عبّاس: أنّه مرّ بعد ما كُفَّ بصره على قوم يسبّون عليّا، فقال لقائده: ما سمعتَ هؤلاء يقولون؟ قال: سَبّوا علياً. قال: رُدّنى إليهم. فردّه فقال: أيُّكم السابُّ للَّهِ؟ قالوا: سبحان اللَّه! من سبَّ اللَّه فقد أشرک. قال: فأيُّكم السابّ لرسول اللَّه؟ قالوا: سبحان اللَّه، و من سبَّ رسول اللَّه فقد كفر. قال: أيُّكم السابُّ علىَّ بن أبى طالب؟ قالوا: أمّا هذا فقد كان.

قال: فأنا أشهد باللَّه و أشهد أنّى سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم يقول: «من سبَّ عليّا فقد سبّنى، و من سبّنى فقد سبَّ اللَّه، و من سبَّ اللَّه كبّه اللَّه على منخريه فى النار». ثمّ ولّى عنهم فقال لقائده: ما سمعتهم يقولون؟ قال: ما قالوا شيئاً. قال: فكيف رأيت وجوههم إذ قلتُ ما قلتُ؟ قال:

نظروا إليکَ بأعْيُنٍ مُحْمرَّةٍ نظرَ التيوسِ إلى شِفارِ الجازِرِ

قال: زدنى فداک أبوک. قال:

خُزْرُ العيونِ نواكِسٌ أبصارُهمْ نظرَ الذليلِ إلى العزيزِ القاهرِ

---

(۱). المناقب: ص ۱۳۰ ح ۱۴۵.

(۲). المودّة السابعة.

(۳). الرياض النضرة: ۳/ ۱۸۱.

(۴). نزهة المجالس: ۲/ ۲۰۷.

(۵). وسيلة المتعبِّدين: مج ۵/ ق ۲/ ۱۷۶.

ص: ۴۲۲

قال: زدنى فداک أبوک. قال: ما عندى غير هذا، قال: لكن عندى:

أحياؤهم عارٌ على أمواتِهمْ و الميِّتون فضيحةٌ للغابرِ

و أخرجه محبّ الدين الطبرى فى الرياض (۱/ ۱۶۶)، و الكنجى فى الكفاية (ص ۲۷)، و شيخ الإسلام الحمّوئى فى الفرائد فى الباب السادس و الخمسين، و ابن الصبّاغ المالكى فى الفصول (ص ۱۲۶) «۱».

قوله:

محمدٌ و صنوه و ابنته و ابناه خيرُ من تحفّى و احتذى

عن أبى هريرة عن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم أنّه قال: «لمّا خلق اللَّه تعالى آدم أبا البشر و نفخ فيه من روحه التفت آدم يمنة العرش فإذا فى النور خمسةُ أشباح سُجّداً و ركّعاً. قال آدم: هل خلقتَ أحداً من طين قبلى؟ قال: لا يا آدم. قال: فمَن هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم فى هيئتى و صورتى؟

قال: هؤلاء خمسة من ولدک لولاهم ما خلقتک، هؤلاء خمسةٌ شَقَقْت لهم خمسة أسماء من أسمائى لولاهم ما خلقتُ الجنّة و النار، و لا العرش و لا الكرسىّ، و لا السماء و لا الأرض، و لا الملائكة و لا الإنس و لا الجنّ، فأنا المحمود و هذا محمد، و أنا العالى و هذا علىّ، و أنا الفاطر و هذه فاطمة، و أنا الإحسان و هذا الحسن، و أنا المحسن و هذا الحسين، آليت بعزّتى أن لا يأتينى أحدٌ بمثقال ذرّة من خردل من بُغض أحدهم إلّا أدخله نارى و لا أبالى، يا آدم هؤلاء صفوتى بهم أنجيهم و بهم أهلِكُهم، فإذا كان لک إلىّ حاجة فبهؤلاء توسّل.

فقال النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم: نحن سفينة النجاة من تعلّق بها نجا، و من حادَ عنها هلک،

---

(۱). الرياض النضرة: ۳/ ۱۱۰، كفاية الطالب: ص ۸۲- ۸۴ باب ۱۰، فرائد السمطين: ۱/ ۳۰۲ ح ۲۴۱، الفصول المهمّة: ص ۱۲۵.

فمن كان له إلى اللّه حاجة، فليسأل بنا أهل البيت».

أخرجه شيخ الإسلام الحمّوئى فى الباب الأوّل من فرائد السمطين «۱». و روى قريباً منه الخطيب الخوارزمى فى المناقب «۲» (ص ۲۵۲)، و حديث السفينة رواه الحاكم فى المستدرک «۳» (۳/ ۱۵۱) عن أبى ذرّ و صحّحه بلفظ: «مَثَلُ أهلِ بيتى فيكم مَثَلُ سفينةِ نوحٍ من ركِبها نجا و من تخلّف عنها غرِق». و أخرجه الخطيب فى تاريخه (۱۲/ ۹۱) عن أنس. و البزّار عن ابن عبّاس، و ابن الزبير. و ابن جرير، و الطبرانى «۴» عن أبى ذرّ و أبى سعيد الخدرى. و أبو نعيم «۵»، و ابن عبد البرّ، و محبّ الدين الطبرى «۶». و كثيرون آخرون.

و أشار إليه الإمام الشافعىّ بقوله المأثور عنه فى رشفة الصادى (ص ۲۴):

و لمّا رأيتُ الناس قد ذَهَبَتْ بهمْ — مذاهبُهُمْ فى أبْحُرِ الغىِّ و الجَهلِ

ركِبتُ على اسم اللّه فى سُفُنِ النجا — و هم أهلُ بيت المصطفى خَاتَم الرسلِ

و أمْسكتُ حبلَ اللّه و هو ولاؤهم — كما قد أُمِرنا بالتمسّكِ بالحبلِ«۷»

قوله:

لا يقبلُ اللّه لعبدٍ عَمَلًا — حتى يُواليهم بإخلاصِ الوَلا

عن ابن عبّاس فى حديث عن النبىِّ صلى الله عليه و آله و سلم: «لو أنّ رجلًا صَفَنَ «۸» بين الركن

---

(۱). فرائد السمطين: ۱/ ۳۶ ح ۱.

(۲). المناقب: ص ۳۱۸ ح ۳۲۰.

(۳). المستدرک على الصحيحين: ۳/ ۱۶۳ ح ۴۷۲۰.

(۴). المعجم الكبير: ۳/ ۴۵ ح ۲۶۳۶.

(۵). حلية الأولياء: ۴/ ۳۰۶ رقم ۲۸۲.

(۶). ذخائر العقبى: ص ۲۰.

(۷). يأتى شرح هذا البيت الأخير فى محلّه إن شاء اللّه تعالى. (المؤلف)

(۸). صَفَنَ الرجل: صفَّ بين قدميه. (المؤلف)

ص: ۴۲۴

و المقام فصلّى و صام، ثمَّ لقى اللّه و هو مُبغضٌ لأهل بيت محمد دخل النار». أخرجه الحاكم فى المستدرک «۹» (۳/ ۱۴۹) و صحّحه الذهبى فى تلخيصه.

و أخرج الطبرانى فى الأوسط «۱۰» من طريق أبى ليلى عن الإمام السبط الشهيد عن جدّه رسول اللّه صلى الله عليه و سلم أنّه قال: «الزَموا مودّتنا أهل البيت فإنَّهُ من لقى اللّه و هو يودّنا دخل الجنة بشفاعتنا، و الذى نفسى بيده لا ينفع عبداً عملُه إلّا بمعرفة حقِّنا». و ذكره الهيثمى فى المجمع (۹/ ۱۷۲)، و ابن حجر فى الصواعق «۱۱»، و محمد سليمان محفوظ فى أعجب ما رأيت (۱/ ۸)، و النبهانى فى الشرف المؤبَّد «۱۲» (ص ۹۶)، و الحضرمى فى رشفة الصادى (ص ۴۳).

و أخرج الحافظ السمان فى أماليه بإسناده عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: «لو أنَّ عبداً عَبدَ اللّه سبعة آلاف سنة، و هو عمر الدنيا، ثمّ أتى اللّه يبغض علىّ بن أبى طالب جاحداً لحقِّه ناكثاً لولايته لَأتعسَ اللّه خيرَه و جدَعَ أنفه». و ذكره القرشى فى شمس الأخبار «۱۳» (ص ۴۰).

و أخرج الخوارزمى فى المناقب «۱۴» (ص ۳۹) عن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم أنّه قال لعلىّ: «يا علىُّ لو أنّ عبداً عبَدَ اللّه مثل ما قام نوحٌ فى قومه، و كان له مثل أُحدٍ ذهباً فأنفقهُ فى سبيل اللّه، و مُدَّ فى عمره حتى حجَّ ألف عام على قدميه، ثمّ قُتِل بين الصفا و المروة مظلوماً، ثمّ لم يُوالِک يا علىُّ، لم يَشمَّ رائحة الجنّة و لم يدخلها».

عن أمِّ سلمة عن رسول اللّه صلى الله عليه و سلم أنّه قال: «يا أمّ سلمة أ تعرفينه؟ قلت: نعم هذا

---

(۹). المستدرک على الصحيحين: ۳/ ۱۶۱ ح ۱۲/ ۴۷، و كذا فى تلخيصه.

(۱۰). المعجم الأوسط: ۳/ ۱۲۲ ح ۲۲۵۱.

(۱۱). الصواعق المحرقة: ص ۲۳۲.

(۱۲). الشرف المؤبّد: ص ۲۰۱.

(۱۳). مسند شمس الأخبار: ۱/ ۱۰۷. و ذكره عن سلوة العارفين و ليس عن أمالى السمان.

(۱۴). المناقب: ص ۶۷ ح ۴۰.

ص: ۴۲۵

علىٌّ بن أبى طالب. قال: صَدقتِ، سَجيّتُه سَجيّتى و دمه دمى و هو عَيبة علمى فاسمعى و اشهدى؛ لو أنّ عبداً من عباد اللَّه عبَدَ اللَّه ألف عام بين الركن و المقام ثمَّ لقى اللَّه مبغضاً لعلىٍّ بن أبى طالب و عترتى أكبّهُ اللَّه تعالى على منخَرِهِ يوم القيامة فى نار جهنّم». أخرجه الحافظ الكنجى «۱۵» بإسناده من طريق الحافظ أبى الفضل السلامى،

ثمّ قال: هذا حديثٌ سنده مشهورٌ عند أهل النقل.

و أخرج ابن عساكر فى تاريخه «۱۶» مسنداً عن جابر بن عبد اللَّه عن رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم فى حديث: «يا علىُّ، لو أنّ أمّتى صاموا حتى يكونوا كالحنايا، و صلّوا حتى يكونوا كالأوتار، ثمّ أبغضوك لأكبّهم اللَّه فى النار». و ذكره الكنجى فى الكفاية «۱۷» (ص ۱۷۹) و أخرجه الفقيه ابن المغازلى فى المناقب «۱۸» و نقله عنه القرشى فى شمس الأخبار «۱۹» (ص ۳۳). و رواه شيخ الإسلام الحمّوئى فى الفرائد «۲۰» فى الباب الأوّل.

و هناک أخبارٌ كثيرةٌ تضاهى هذه فى ولاء أمير المؤمنين و عترته لا يسعنا ذكرها.

قوله:

و لا يتمُّ لامرئٍ صلاته إلّا بذكراهم و لا يزكو الدعا

أشار إلى كون الصلاة عليهم مأموراً بها فى الصلاة، و فى المقام أخبار كثيرة و كلمات ضافية توجد فى طيّات كتب الفقه و التفسير و الحديث.

---

(۱۵). كفاية الطالب: ص ۳۱۲ باب ۸۶.

(۱۶). تاريخ مدينة دمشق: ۱۲/ ۱۴۳، و فى ترجمة الإمام علىّ بن أبى طالب عليه السّلام- الطبعة المحقّقة-: رقم ۱۷۹.

(۱۷). کفایة الطالب: ص ۳۱۸ باب ۸۷.

(۱۸). مناقب علیّ بن أبی طالب: ص ۲۹۷ ح ۳۴۰.

(۱۹). مسند شمس الأخبار: ۱/ ۹۰.

(۲۰). فرائد السمطین: ۱/ ۵۱ ح ۱۶.

ص: ۴۲۶

ذکر ابن حجر فی الصواعق «۱» (ص ۸۷) قوله تعالی: (إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَیْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِیماً) «۲». و روی جملة من الأخبار الصحیحة الواردة فیها، و أنَّ النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم قرنَ الصلاة علی آله بالصلاة علیه لمّا سُئل عن کیفیّة الصلاة و السلام علیه، ثمّ قال: و هذا دلیل ظاهر علی أنّ الأمر بالصلاة علی أهل بیته و بقیّة آله مراد من هذه الآیة، و إلّا لم یسألوا عن الصلاة علی أهل بیته و آله عَقِب نزولها و لم یُجابوا بما ذُکر، فلمّا أُجیبوا به دلَّ علی أنّ الصلاة علیهم من جملة المأمور به، و أنّه صلی الله علیه و سلم أقامهم فی ذلک مقام نفسه؛ لأنّ القصد من الصلاة علیه مزید تعظیمه و منه تعظیمهم، و من ثمّ لمّا دخل من مرّ فی الکساء

قال: «اللّهمّ إنّهم منّی و أنا منهم فاجعل صلاتک و رحمتک و مغفرتک و رضوانک علیَّ و علیهم» «۳».

و قضیّة استجابة هذا الدعاء: أنّ اللّه صلّی علیهم معه فحینئذٍ طلب من المؤمنین صلاتهم علیهم معه.

و یُروی: «لا تُصلّوا علیَّ الصلاة البتراء». فقالوا: و ما الصلاة البتراء؟

قال: «تقولون اللّهمَّ صلِّ علی محمد و تُمسِکون، بل قولوا: اللّهمَّ صلِّ علی محمد و علی آل محمد».

ثمّ نقل عن الإمام الشافعی قوله:

یا أهلَ بیتِ رسولِ اللّهِ حبُّکُمُ فرضٌ من اللّه فی القرآنِ أنزلهُ

کفاکُمُ من عظیمِ القدرِ أنّکمُ من لم یُصَلِّ علیکم لا صلاةَ لهُ«۴»

فقال: فیُحتمل لا صلاة له صحیحةً فیکون موافقاً لقوله بوجوب الصلاة علی الآل، و یُحتمل لا صلاة کاملة فیوافق أظهر قولیه.

(۱). الصواعق المحرقة: ص ۱۴۶.

(۲). الأحزاب: ۵۶.

(۳). أخرجه أحمد فی مسنده: ۶/ ۳۲۳ [۷/ ۴۵۵ ح ۲۶۲۰۶]. (المؤلف)

(۴). و نسبهما إلی الإمام الشافعی الزرقانی فی شرح المواهب: ۷/ ۷ و جمع آخرون [کابن حجر فی صواعقه: ص ۱۴۸]. (المؤلف)

و قال (ص ۱۳۹) من الصواعق «۱»: أخرج الدارقطنی و البیهقی حدیث: «من صلّی صلاةً و لم یُصلِّ فیها علیَّ و علی أهل بیتی لم تُقبل منه».

و کأنّ هذا الحدیث هو مستند قول الشافعی رضی الله عنه: إنّ الصلاة علی الآل من واجبات الصلاة کالصلاة علیه صلی الله علیه و سلم لکنّه ضعیفٌ؛ فمستنده الأمر

فی الحدیث المتّفق علیه: «قولوا: اللّهمّ صلِّ علی محمد و علی آل محمد».

و الأمر للوجوب حقیقة علی الأصحّ.

و قال الرازی فی تفسیره «۲» (۷/ ۳۹۱): إنّ الدعاء للآل منصبٌ عظیمٌ؛ و لذلک جُعل هذا الدعاء خاتمة التشهّد فی الصلاة و قوله: اللّهمّ صلِّ علی محمد و علی آل محمد، و ارحم محمداً و آل محمد. و هذا التعظیم لم یوجد فی حقِّ غیر الآل، فکلُّ ذلک یدلُّ علی أنّ حُبَّ آل محمد واجبٌ.

و قال: أهل بیته صلی الله علیه و سلم ساوَوْهُ فی خمسة أشیاء: فی الصلاة علیه و علیهم فی التشهّد، و فی السلام، و الطهارة، و فی تحریم الصدقة، و فی المحبّة.

و قال النیسابوری فی تفسیره «۳» عند قوله تعالی: (قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبی): کفی شرفاً لآل رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم و فخراً خَتْمُ التشهّد بذکرهم و الصلاة علیهم فی کلِّ صلاة.

و روی محبُّ الدین الطبری فی الذخائر (ص ۱۹) عن جابر رضی الله عنه أنّه کان یقول: لو صلّیتُ صلاةً لم أُصلِّ فیها علی محمد و علی آل محمد ما رأیت أنّها تُقبل.

و أخرج القاضى عياض فى الشفا «۴» عن ابن مسعود مرفوعاً: «من صلّى صلاةً لم يُصلِّ علىَّ فيها و على أهل بيتى لم تُقبلْ منه».

---

(۱). الصواعق المحرقة: ص ۲۳۳- ۲۳۴.

(۲). التفسير الكبير: ۲۷/ ۱۶۶.

(۳). غرائب القرآن: مج ۱۱/ ج ۲۵/ ۳۵.

(۴). الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ۲/ ۱۴۷.

و للقاضى الخفاجى الحنفى فى شرح الشفا (۳/ ۵۰۰- ۵۰۵) فوائد جمّة حول المسألة، و ذكر مختصر ما صنّفه الإمام الخيصرى فى المسألة سماه زهر الرياض فى ردّ ما شنّعه القاضى عياض.

و صور الصلوات المأثورة على النبىِّ و آله مذكورة فى شفاء السقام لتقىِّ الدين السبكى «۱» (ص ۱۸۱- ۱۸۷)، و أورد جملةً منها

الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد (۱۰/ ۱۶۳) و أوّل لفظ ذكره عن بريدة قال: قلنا: يا رسول اللَّه قد علمنا كيف نسلِّم عليک، فكيف نصلّى عليک؟ قال: «قولوا اللّهمّ اجعل صلواتک و رحمتک و بركاتک على محمد و آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إنّک حميدٌ مجيدٌ».

قوله: و لا يزكو الدعا. إشارة إلى ما

أخرجه الديلمى «۲» أنّه صلى الله عليه و سلم قال: «الدعاء محجوبٌ حتى يُصلّى على محمد و أهل بيته. اللّهمّ صلِّ على محمد و آله». و رواه عنه ابن حجر فى الصواعق «۳» (ص ۸۸).

و أخرج الطبرانى فى الأوسط «۴» عن علىّ أمير المؤمنين عليه السلام: «كلُّ دعاء محجوبٌ حتى يُصلّى على محمد و آل محمد». و ذكره الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد (۱۰/ ۱۶۰)

و قال: رجاله ثقات.

و أخرج البيهقى «۵» و ابن عساكر و غيرهما عن علىّ عليه السلام مرفوعاً ما معناه: الدعاء و الصلاة معلّقٌ بين السماء و الأرض لا يصعد إلى اللَّه منه شىءٌ حتى يُصلّى عليه صلى الله عليه و سلم و على آل محمد. شرح الشفا للخفاجى (۳/ ۵۰۶).

(۱). شفاء السقام: ص ۲۴۱- ۲۴۷.

(۲). الفردوس بمأثور الخطاب: ۳/ ۲۵۵ ح ۴۷۵۴.

(۳). الصواعق المحرقة: ص ۱۴۸.

(۴). المعجم الأوسط: ۱/ ۴۰۸ ح ۷۲۵.

(۵). شعب الإيمان: ۲/ ۲۱۶ ح ۱۵۷۵، ۱۵۷۶.

ص: ۴۲۹

قوله:

لو لم يكونوا خيرَ من وطِئَ الحصى ما قال جبريلٌ لهمْ تحت العبا

أشار إلى ما ورد فى لفظ بعض رواة حديث الكساء الصحيح المتواتر المتّفق عليه من: أنّه صلى الله عليه و آله و سلم أدرج معهم جبرئيل و ميكائيل. ذكره الشبلنجى فى نور الأبصار «۱» (ص ۱۱۲)، و الصبّان فى الإسعاف- هامش نور الأبصار- (ص ۱۰۷).

قوله:

و إنّ جبريلَ الأمينَ قال لى عن مَلَكيهِ الكاتبينِ مُذْ دَنا

أخرج الحافظ الخطيب البغدادى فى تاريخه (۱۴/ ۴۹) عن عمّار بن ياسر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و سلم: «إنّ حافِظَى علىٍّ بن أبى طالب لَيفخران على سائر الحَفَظَة لكينونتهما مع علىٍّ بن أبى طالب؛ و ذلک أنّهما لم يصعدا إلى اللّه تعالى بعمل يسخطه». و فى لفظه الآخر: «قطُّ». و أخرجه الفقيه ابن المغازلى فى المناقب، و الخوارزمى فى المناقب (ص ۲۵۱)، و القرشى فى شمس الأخبار (ص ۳۶) «۲».

و من شعر العبدى:

آلُ النبىِّ محمدٍ أهلُ الفضائل و المناقبْ

المرشدون من العَمی و المنقذون من اللوازبْ«۳»

الصادقون الناطقون السابقون إلی الرغائبْ

فولاهمُ فرضٌ من الر حمنِ فی القرآنِ واجبْ

---

(۱). نور الأبصار: ص ۲۲۶.

(۲). مناقب علیّ بن أبی طالب: ص ۱۲۷ ح ۱۶۸، المناقب: ص ۳۱۵- ۳۱۶ ح ۳۱۵، مسند شمس الأخبار: ۱/ ۹۷.

(۳). اللوازب: الشدائد.

و همُ الصراط فمستقیمٌ فوقه ناجٍ و ناکبْ

صِدّیقةٌ خُلِقَت لصدٍّ یقٍ شریفٍ فی المناسِبْ

إختارَه و اختارَها طُهْرَینِ من دَنَس المعایبْ

إسماهما قُرِنا علی سَطْرٍ بظلِّ العَرشِ راتبْ

کان الإلهُ ولیَّها و أمینُهُ جبریلُ خاطبْ

و المَهرُ خُمسُ الأرضِ مَوْ هِبةٌ تعالت فی المواهبْ

و نهابها من حِمْلِ طوبی طُیِّبَتْ تلک المناهبْ«۱»

بیان ما ضُمِّنَتْهُ الأبیات من الحدیث:

قوله: الصادقون: إشارةٌ إلى ما روى فى قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) «٢» من طريق الحافظ أبى نعيم و ابن مردويه و ابن عساكر «٣» و آخرين كثيرين عن جابر و ابن عبّاس: أى كونوا مع علىٍّ بن أبى طالب. و رواه الكنجى الشافعى فى الكفاية «۴» (ص ١١١)، و الحافظ السيوطى فى الدرّ المنثور «۵» (٣/ ٢٩٠)، و قال سبط ابن الجوزى الحنفى فى تذكرته «۶» (ص ١٠): قال علماء السير: معناه: كونوا مع علىّ و أهل بيته، قال ابن عبّاس: علىٌّ سيِّد الصادقين.

قوله: السابقون إلى الرغائب. إشارةٌ إلى قوله تعالى: (وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) «٧» و أنّها نزلت فى علىٍّ عليه السلام.

---

(١). أعيان الشيعة: ٧/ ٢٧٠.

(٢). التوبة: ١١٩.

(٣). تاريخ مدينة دمشق: ١٢/ ٣٠٧، و فى ترجمة الإمام علىّ بن أبى طالب عليه السّلام- الطبعة المحقّقة-: رقم ٩٣٠.

(۴). كفاية الطالب: ص ٢٣۶ باب ۶٢.

(۵). الدرّ المنثور: ۴/ ٣١۶.

(۶). تذكرة الخواص: ص ١۶.

(٧). الواقعة: ١٠- ١١.

أخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس: أنّها نزلت فى حزقيل مؤمن آل فرعون، و حبيب النجّار الذى ذُكِر فى يس، و علىٍّ بن أبى طالب. و كلّ رجلٍ منهم سابق أمّته، و علىٌّ أفضلهم. و فى لفظ ابن أبى حاتم: يوشع بن نون بدل حزقيل.

و أخرج الديلمى «١» عن عائشة. و الطبرانى «٢»، و ابن الضحّاك، و الثعلبى، و ابن مردويه، و ابن المغازلى «٣»، عن ابن عبّاس: أنّ النبى صلى الله عليه و سلم قال: «السُّبَّق- و فى لفظ: السُّبّاق- ثلاثة: السابق إلى موسى يوشع بن نون، و صاحب ياسين إلى عيسى، و السابق إلى محمد علىُّ بن أبى طالب». و زاد الثعالبى فى لفظه: «فهم الصدّيقون، و علىٌّ أفضلهم».

و رواه محبُّ الدين الطبرى فى رياضه «۴» (١/ ١٥٧)، و الهيثمى فى المجمع (٩/ ١٠٢)، و الكنجى فى الكفاية «۵» (ص ۴۶) بلفظ: «سُبّاق الأمم ثلاثةٌ، لم يُشْركوا باللَّه طرفة عين: علىُّ بن أبى طالب، و صاحب ياسين، و مؤمن آل فرعون. فهم الصدِّيقون، و علىٌّ أفضلهم». ثمّ قال: هذا سندٌ اعتمد عليه الدارقطنى و احتجَّ به.

و رواه باللفظ الأوّل الحافظ السيوطى فى الدرّ المنثور (۶/ ۱۵۴)، و ابن حجر فى الصواعق (ص ۷۴)، و سبط ابن الجوزى فى التذكرة (ص ۱۱) «۶».

قوله:

فولِاهُمُ فَرْضٌ من الر حمنِ فى القرآن واجبْ

---

(۱). الفردوس بمأثور الخطاب: ۲/ ۴۲۱ ح ۳۸۶۶.

(۲). المعجم الكبير: ۱۱/ ۷۷ ح ۱۱۱۵۲.

(۳). مناقب علىّ بن أبى طالب: ص ۳۲۰ ح ۳۶۵.

(۴). الرياض النضرة: ۳/ ۹۹.

(۵). كفاية الطالب: ص ۱۲۳ باب ۲۴.

(۶). الدرّ المنثور: ۸/ ۶، الصواعق المحرقة: ص ۱۲۵، تذكرة الخواص: ص ۱۷.

ص: ۴۳۲

أشار به إلى قوله تعالى: (قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً) «۱». توجد فى الكتب و المعاجم أحاديث و كلمات ضافية حول الآية الشريفة لا يَسعُنا بسط المقال فيها، غير أنّا نقتصر «۲» بجملة منها:

۱-

أخرج أحمد فى المناقب، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و الطبرانى، و ابن مردويه، و الواحدى، و الثعلبى، و أبو نعيم، و البغوى فى تفسيره، و ابن المغازلى فى المناقب بأسانيدهم عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت هذه الآية قيل: يا رسول اللَّه من قرابتُك هؤلاء الذين وجبتْ علينا مودّتهم؟ قال: «علىٌّ و فاطمة و ابناهما» «۳».

و رواه «۴» محبُّ الدين الطبرى فى الذخائر (ص ۲۵)، و الزمخشرىّ فى الكشّاف (۲/ ۳۳۹)، و الحمّوئى فى الفرائد، و النيسابورى فى تفسيره، و ابن طلحة الشافعى فى مطالب السؤول (ص ۸) و صحّحه، و الرازى فى تفسيره، و أبو السعود فى

تفسیره- هامش تفسیر الرازی- (۷/ ۶۶۵)، و أبو حیّان فی تفسیره (۷/ ۵۱۶)، و النسفی فی تفسیره- هامش تفسیر الخازن- (۴/ ۹۹)، و الحافظ الهیثمی فی المجمع (۹/ ۱۶۸)، و ابن الصبّاغ المالکی فی الفصول المهمّة (ص ۱۲)، و الحافظ الکنجی فی الکفایة (ص ۳۱)، و القسطلانی فی المواهب، و قال: ألزم اللَّه مودّة قُرباه کافّة بریّتِهِ، و فرض محبّة جملةِ أهل بیته المعظّم و ذریّته فقال تعالی: (قُلْ لا أسألُکُم عَلیهِ أجْراً إلّا المَودّةَ فی القُرْبَی).

---

(۱). الشوری: ۲۳.

(۲). الظاهر أنّه قدّس سرّه ضمّن «نقتصر» معنی «نکتفی» فعدّاه بالباء.

(۳). مناقب علیّ: ص ۱۸۷ ح ۲۶۳، المعجم الکبیر: ۱۱/ ۳۵۱ ح ۱۲۲۵۹، الکشف و البیان: الورقة ۴۶ سورة الشوری: آیة ۲۳، مناقب علیّ بن أبی طالب: ص ۳۰۷- ۳۰۹ ح ۳۵۲.

(۴). تفسیر الکشّاف: ۴/ ۲۱۹- ۲۲۰، فرائد السمطین: ۲/ ۱۳ ح ۳۵۹ باب ۲، غرائب القرآن: مج ۱۱/ ج ۲۵/ ۳۵، التفسیر الکبیر: ۲۷/ ۱۶۶، تفسیر أبی السعود: ۸/ ۳۰، تفسیر النسفی: ۴/ ۱۰۵، الفصول المهمّة: ص ۲۷، کفایة الطالب: ص ۹۱ باب ۱۱، المواهب اللدنیّة: ۳/ ۳۵۸.

و رواه الزرقانی فی شرح المواهب (۷/ ۳ و ۲۱)، و ابن حجر فی الصواعق «۱» (ص ۱۰۱ و ۱۳۵) و السیوطی فی إحیاء المیت- هامش الإتحاف- (ص ۲۳۹)، و الشبلنجی فی نور الأبصار «۲» (ص ۱۱۲)، و الصبّان فی الإسعاف- هامش نور الأبصار- (ص ۱۰۵).

-۲

أخرج الحافظ أبو عبد اللَّه الملّا فی سیرته «۳»: أنَّ رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم قال:

«إنّ اللَّه جعل أجری علیکم المودّة فی أهل بیتی و إنّی سائلکم غداً عنهم». و رواه محبّ الدین الطبری فی الذخائر (ص ۲۵)، و ابن حجر فی الصواعق «۴» (ص ۱۰۲ و ۱۳۶)، و السمهودی فی جواهر العقدین «۵».

-۳

قال جابر بن عبد اللَّه:

جاء أعرابیٌّ إلی النبیِّ صلی الله علیه و سلم و قال: «یا محمد اعرض علیَّ الإسلام. فقال: تشهد أن لا إله إلّا اللَّه وحده لا شریک له، و أنّ محمداً عبده و رسوله. قال: تسألنی علیه أجراً؟ قال: لا إلّا المودّة فی القربی. قال: قرابتی أو قرابتک؟ قال:

قرابتی. قال: هات أُبایعک، فعلی مَن لا یحبُّک و لا یحبّ قرابتک لعنة اللَّه. فقال النبیُّ صلی الله علیه و سلم: آمین». أخرجه الحافظ الکنجی فی الکفایة «۶» (ص ۳۱) من طریق الحافظ أبی نعیم عن محمد بن أحمد ابن مخلد عن الحافظ ابن أبی شیبة بإسناده.

-۴

أخرج الحافظ الطبری و ابن عساکر «۷» و الحاکم الحسکانی فی شواهد

---

(۱). الصواعق المحرقة: ص ۱۷۰ و ۲۲۷.

(۲). نور الأبصار: ص ۲۲۷.

(۳). وسیلة المتعبدین: مج ۵/ ق ۲/ ۱۹۹.

(۴). الصواعق المحرقة: ص ۱۷۱ و ۲۲۸.

(۵). جواهر العقدین: الورقة ۲۴۵.

(۶). کفایة الطالب: ص ۹۰ باب ۱۱.

(۷). تاریخ مدینة دمشق: ۱۲/ ۱۴۳، و فی ترجمة الإمام علیّ بن أبی طالب علیه السّلام: رقم ۱۷۸ و ۱۷۹.

التنزیل لقواعد التفضیل «۱» بعدّة طرق عن أبی أُمامة الباهلی قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم:

«إنّ اللَّه خلق الأنبیاء من أشجارٍ شتّی و خلقنی من شجرةٍ واحدة، فأنا أصلها و علیٌّ فرعها و فاطمة لقاحها و الحسن و الحسین ثمرها، فمن تعلّقَ بغصن من أغصانها نجا و من زاغ عنها هوی، و لو أنّ عبداً عبدَ اللَّه بین الصفا و المروة ألف عام ثمّ ألف عام ثمّ ألف عام ثمّ لم یُدرک صحبتنا کبّه اللَّه علی منخریه فی النار». ثمّ تلا: (قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبی) و ذکره الکنجی فی الکفایة «۲» (ص ۱۷۸).

-۵

أخرج أحمد «۳» و ابن أبی حاتم عن ابن عبّاس فی قوله تعالی: (وَ مَنْ یَقْتَرِفْ حَسَنَةً...) قال: المودّة لآل محمد.

رواه الثعلبی فی تفسیره مسنداً، و ابن الصبّاغ المالکی فی الفصول (ص ۱۳)، و ابن المغازلی فی المناقب، و ابن حجر فی الصواعق (ص ۱۰۱)، و السیوطی فی الدرّ المنثور (۶/ ۷)، و إحیاء المیت- هامش الإتحاف- (ص ۲۳۹)، و الحضرمی فی الرشفة (ص ۲۳)، و النبهانی فی الشرف المؤبَّد (ص ۹۵) «۴».

-۶

أخرج أبو الشیخ ابن حیان فی کتابه الثواب من طریق الواحدی عن علیّ علیه السلام قال: «فینا فی آل حم آیةٌ لا یحفظ مودّتنا إلّا کلّ مؤمن». ثمّ قرأ (قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبی) و ذکره ابن حجر فی الصواعق «۵» (ص ۱۰۱ و ۱۳۶)، و السمهودی فی جواهر العقدین «۶».

---

(۱). شواهد التنزیل: ۲/ ۲۰۳ ح ۸۳۷.

(۲). کفایة الطالب: ص ۳۱۷ باب ۸۷.

(۳). فضائل الصحابة: ۲/ ۶۶۹ ح ۱۱۴۱.

(۴). الکشف و البیان: الورقة ۴۶ سورة الشوری: آیة ۲۳، الفصول المهمّة: ص ۲۷، مناقب علیّ بن أبی طالب: ص ۳۱۶، الصواعق المحرقة: ص ۱۷۰، الدرّ المنثور: ۷/ ۳۴۸، الشرف المؤبّد: ص ۱۹۹.

(۵). الصواعق المحرقة: ص ۱۷۰ و ۲۲۸.

(۶). جواهر العقدین: الورقة ۲۳۸.

-۷

عن أبی الطفیل قال: خطبنا الحسن بن علیٍّ بن أبی طالب، فحمد اللّه و أثنی علیه و ذکر أمیر المؤمنین علیّا رضی الله عنه خاتم الأوصیاء و وصیَّ الأنبیاء و أمین الصدّیقین و الشهداء ثمّ قال:

«أیّها الناس لقد فارقکم رجلٌ ما سبقه الأوّلون و لا یدرکه الآخرون. لقد کان رسول اللّه صلی الله علیه و سلم یعطیه الرایة فیقاتل جبریل عن یمینه و میکائیل عن یساره فما یرجع حتی یفتح اللّه علیه، و لقد قبضه اللّه فی اللیلة التی قُبض فیها وصیُّ موسی و عُرِج بروحه فی اللیلة التی عُرِج فیها بروح عیسی بن مریم، و فی اللیلة التی أنزل اللّه فیها الفرقان، و اللّهِ ما ترکَ ذهباً و لا فضّة، و ما فی بیت مالهِ إلّا سبعمائة و خمسون درهماً فضلت من عطائه أراد أن یشتری بها خادماً لأمِّ کلثوم.

ثمّ قال: من عرَفنی فقد عرَفنی و من لم یعرفنی فأنا الحسن بن محمد. ثمّ تلا هذه الآیة قول یوسف: (وَ اتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِی إِبْراهِیمَ وَ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ) «۱». ثمّ أخذ فی کتاب اللَّه.

ثمّ قال: أنا ابن البشیر، و أنا ابن النذیر، أنا ابن النبیِّ، أنا ابن الداعی إلی اللَّه بإذنه، و أنا ابن السراج المنیر، و أنا ابن الذی أُرسِل رحمةً للعالمین، و أنا من أهل البیت الذین أذهب اللَّه عنهم الرجس و طهّرهم تطهیراً، و أنا من أهل البیت الذین افترض اللَّه مودّتهم و ولایتهم، فقال فیما أنزلَ علی محمد: (قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبی). ..».

و فی لفظ الحافظ الزرَندی فی نظم درر السمطین «۲»: «و أنا من أهل البیت الذین کان جبریل علیه السلام ینزلُ فینا و یصعَد من عندنا، و أنا من أهل البیت الذین افترضَ اللَّه تعالی مودّتهم علی کلِّ مسلم و أنزل اللَّه فیهم (قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِی

---

(۱). یوسف: ۳۸.

(۲). نظم درر السمطین: ص ۱۴۸.

الْقُرْبی وَ مَنْ یَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِیها حُسْناً) و اقتراف الحَسَنة مودّتُنا أهل البیت».

أخرجه «۱» البزّار و الطبرانی فی الکبیر، و أبو الفرج فی مقاتل الطالبیّین، و ابن أبی الحدید فی شرح النهج (۴/ ۱۱)، و الهیثمی فی مجمع الزوائد (۹/ ۱۴۶)، و ابن الصبّاغ المالکی فی الفصول (ص ۱۶۶) و قال: رواه جماعةٌ من أصحاب السیر و غیرهم. و الحافظ الکنجی فی الکفایة (ص ۳۲) من طریق ابن عقدة عن أبی الطفیل، و النسائی عن هبیرة، و ابن حجر فی الصواعق (ص ۱۰۱ و ۱۳۶)، و الصفوری فی نزهة المجالس (۲/ ۲۳۱)، و الحضرمی فی الرشفة (ص ۴۳).

-۸

أخرج الطبری فی تفسیره «۲» (۲۴/ ۱۶) بإسناده عن السدِّی عن أبی الدیلم قال: لمّا جیء بعلیِّ بن الحسین الإمام السجّاد علیهما السلام أسیراً فأُقیم علی درَج دمشق قام رجلٌ من أهل الشام فقال: الحمد للَّهِ الذی قتلکم و استأصَلَکم و قطع قَرْنَی الفتنة. فقال له علیُّ بن الحسین رضی الله عنه: «أقرأتَ القرآن؟ فقال: نعم. قال: فقرأتَ آل حم؟ قال: قرأتُ القرآنَ و لم أقرأ آل حم. قال: ما قرأت: (قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبی). قال: و إنّکم لأنتم هم؟ قال: نعم».

و رواه الثعلبی فی تفسیره «۳» بإسناده، و أشار إلیه أبو حیّان فی تفسیره (۷/ ۵۱۶).

و أخرجه السيوطى فى الدرّ المنثور «۴» (۶/ ۷)، و ابن حجر فى الصواعق «۵» (ص ۱۰۱ و ۱۳۶) عن الطبرانى، و الزرقانى فى شرح المواهب (۷/ ۲۰).

---

(۱). المعجم الكبير: ۳/ ۷۹- ۸۰ ح ۲۷۱۷- ۲۷۲۵، و المعجم الأوسط: ۳/ ۸۸۸ ح ۱۲۷۶، مقاتل الطالبيّين: ص ۶۲، شرح نهج البلاغة: ۱۶/ ۳۰ خطبة ۳۱، الفصول المهمّة: ص ۱۵۸- ۱۵۹، كفاية الطالب: ص ۹۳ باب ۱۱، السنن الكبرى: ۵/ ۱۱۲ ح ۸۴۰۸، الصواعق المحرقة: ص ۱۷۰ و ۲۲۸.

(۲). جامع البيان: مج ۱۳/ ج ۲۵/ ۲۵.

(۳). الكشف و البيان: الورقة ۴۴ سورة الشورى: آية ۲۳.

(۴). الدرّ المنثور: ۷/ ۳۴۸.

(۵). الصواعق المحرقة: ص ۱۷۰ و ۲۸۸.

۹-

روى الطبرى فى تفسيره «۱» (۲۴/ ۱۶ و ۱۷) عن سعيد بن جبير و عمرو بن شعيب أنّهما قالا: هى قربى رسول اللّه صلى الله عليه و سلم. و رواه عنهما و عن السدّى أبو حيّان فى تفسيره و السيوطى فى الدرّ المنثور.

قال الفخر الرازى فى تفسيره «۲» (۷/ ۳۹۰): و أنا أقول: آل محمد صلى الله عليه و سلم هم الذين يؤول أمرُهم إليه، فكلُّ من كان أمرهم إليه أشدّ و أكمل كانوا هم الآل، و لا شكّ أنّ فاطمة و عليّا و الحسن و الحسين كان التعلّق بينهم و بين رسول اللّه صلى الله عليه و سلم أشدّ التعلّقات، و هذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل.

و قال المناوى: قال الحافظ الزرندى «۳»: لم يكن أحدٌ من العلماء المجتهدين و الأئمّة المهتدين إلّا و له فى ولاية أهل البيت الحظّ الوافر و الفخر الزاهر كما أمر اللّه بقوله: (قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى).

و قال ابن حجر فى الصواعق «۴» (ص ۸۹): أخرج الديلمى عن أبى سعيد الخدرى أنّ النبىّ صلى الله عليه و سلم قال: «و قِفُوهم إنّهم مسؤولون عن ولاية علىٍّ».

و كأنّ هذا هو مراد الواحدى بقوله: رُوى فى قوله تعالى: (وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ) «۵» أى عن ولاية علىّ و أهل البيت؛ لأنّ اللّه أمر نبيّه صلى الله عليه و سلم أن يعرِّف الخَلْق أنّه لا يسألُهم على تبليغ الرسالة أجراً إلّا المودّة فى القربى. و المعنى أنّهم

يُسألون: هل و الوهم حقَّ الموالاة كما أوصاهم النبيُّ صلى الله عليه و سلم أم أضاعوها و أهملوها فتكون عليهم المطالبة و التّبعة؟.

و ذكر فى الصواعق «۶» (ص ۱۰۱) للشيخ شمس الدين بن العربى قوله:

---

(۱). جامع البيان: مج ۱۳/ ج ۲۵/ ۲۵.

(۲). التفسير الكبير: ۲۷/ ۱۶۶.

(۳). نظم درر السمطين: ص ۱۰۹.

(۴). الصواعق المحرقة: ص ۱۴۹.

(۵). الصافّات: ۲۴.

(۶). الصواعق المحرقة: ص ۱۷۰.

رأيتُ ولائى آلَ طه فريضةً — على رغمِ أهل البُعد يورثنى القُرْبا

فما طلَبَ المبعوثُ أجراً على الهُدى — بتبليغهِ إلّا المودّةَ فى القربى

و ذكر ابن الصبّاغ المالكى فى الفصول «۱» (ص ۱۳) لقائل:

همُ العروةُ الوثقى لمُعْتَصمٍ بها — مناقبُهمْ جاءتْ بوحيٍ و إنزالِ

مناقبُ فى شورى و سورة هل أتى — و فى سورة الأحزاب يعرفها التالى

و همْ آلُ بيتِ المصطفى فوِدادهُمْ — على الناسِ مفروضٌ بحكمٍ و إسجالِ

و ذكَرَ لآخر:

هُمُ القومُ من أصفاهمُ الوُدَّ مخلصاً تمسّکَ فی أُخراهُ بالسببِ الأقوی

هُمُ القومُ فاقوا العالمینَ مناقِباً محاسنهمْ تُجلی و آثارُهم تُروی

موالاتهم فرضٌ و حُبُّهمُ هُدیً و طاعتُهمْ وُدٌّ و وُدُّهمُ تقوی

و ذكر الشبلنجی فی نور الأبصار «۲» (ص ۱۳) لأبی الحسن بن جبیر:

أحبُ النبیَ المصطفی و ابنَ عمِّهِ علیّا و سبطیه و فاطمة الزهرا

همُ أهلُ بیتٍ أذهبَ الرِّجسَ عنهُمُ و أطلَعَهمْ أُفقُ الهدی أنجماً زُهرا

موالاتهم فرضٌ علی کلِّ مسلمٍ و حبُّهمُ أسنی الذخائر للأخری

و ما أنا للصحبِ الکرامِ بمُبغضٍ فإنّی أری البغضاءَ فی حقِّهمْ کفرا

قوله:

و هُمُ الصراط فمستقیمٌ فوقه ناجٍ و ناکبْ

أخرج الثعلبی فی الکشف و البیان «۳» فی قوله تعالی: (اهْدِنَا الصِّراطَ

---

(۱). الفصول المهمّة: ص ۲۷- ۲۸.

(۲). نور الأبصار: ص ۲۳۲- ۲۳۳.

(۳). الکشف و البیان: الورقة ۹ سورة الحمد: آیة ۶.

المُسْتَقِيمَ) قال مسلم بن حيّان: سمعت أبا بريدة يقول: صراط محمد و آله.

و فى تفسير وكيع بن الجرّاح، عن سفيان الثورى، عن السدّى، عن أسباط و مجاهد، عن عبد اللَّه بن عبّاس فى قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ) قال: قولوا معاشر العباد أرشدنا إلى حبِّ محمد و أهل بيته.

و أخرج الحمّوئى فى الفرائد «۱» بإسناده عن أصبغ بن نباتة عن علىّ عليه السلام فى قوله تعالى: (وَ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّراطِ لَناكِبُونَ) «۲» قال: «الصراط ولايتنا أهل البيت».

و أخرج الخوارزمى فى المناقب: الصراط صراطان: صراطٌ فى الدنيا و صراطٌ فى الآخرة. فأمّا صراط الدنيا فهو علىُّ بن أبى طالب، و أمّا صراط الآخرة فهو جسر جهنم. من عرف صراط الدنيا جاز على صراط الآخرة.

و يوضح معنى هذا الحديث ما

أخرجه ابن عدى «۳» و الديلمى كما فى الصواعق «۴» (ص ۱۱۱) عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «أَثْبِتُكمْ على الصِراط أشدُّكم حبّا لأهل بيتى و لأصحابى».

و أخرج شيخ الإسلام الحمّوئى بإسناده فى فرائد السمطين «۵» فى حديث عن الإمام جعفر الصادق قوله: «نحن خيرةُ اللَّه و نحن الطريق الواضح و الصراط المستقيم إلى اللَّه».

فهم الصراط إلى اللَّه فمن تمسّک بهم فقد اتّخذ إلى ربِّه سبيلًا، كما

ورد فيما أخرجه

---

(۱). فرائد السمطين: ۲/ ۳۰۰ ح ۵۵۶.

(۲). المؤمنون: ۷۴.

(۳). الكامل فى ضعفاء الرجال: ۶/ ۳۰۲ رقم ۱۷۹۱.

(۴). الصواعق المحرقة: ص ۱۸۷.

(۵). فرائد السمطين: ۲/ ۲۵۴ ح ۵۲۳ باب ۴۸.

أبو سعد فی شرف النبوّة «۱» بإسناده عن رسول اللّه صلی الله علیه و سلم قال:

«أنا و أهل بیتی شجرةٌ فی الجنّة و أغصانها فی الدنیا، فمن تمسّک بنا اتّخذ إلی ربّه سبیلًا». ذخائر العقبی (ص ۱۶).

قوله: صِدِّیقةٌ.

یعنی به فاطمة بنت النبی صلی الله علیه و آله و سلم سماها به أبوها، فیما

أخرجه أبو سعید فی شرف النبوّة عن رسول اللّه صلی الله علیه و سلم أنّه قال لعلیّ: «أوتیتَ ثلاثاً لم یُؤتَهنَّ أحدٌ و لا أنا: أوتِیتَ صهراً مثلی و لم أُوتَ أنا مثلی «۲». و أوتیتَ زوجة صدِّیقة مثل ابنتی و لم أوتَ مثلها زوجة. و أوتِیتَ الحسن و الحسین من صلبک و لم أُوت من صلبی مثلهما، و لکنّکم منّی و أنا منکم». الریاض النضرة «۳» (۲/ ۲۰۲).

و عن عائشة أمِّ المؤمنین قالت: ما رأیت أحداً کان أصدق لهجةً من فاطمة إلّا أن یکون الذی ولدها صلی الله علیه و آله. حلیة الأولیاء (۲/ ۴۲)، الاستیعاب «۴» (۴/ ۳۷۷- ۳۷۸)، ذخائر العقبی (ص ۴۴)، تقریب الأسانید و شرحه (۱/ ۱۵۰)، مجمع الزوائد (۹/ ۲۰۱)

و قال: رجاله رجال الصحیح.

قوله: لصدّیق.

یعنی به أمیر المؤمنین- صلوات اللّه علیه- و هو صدّیقُ هذه الأمّة و ذلک لقبه الخاص. قال محبُّ الدین الطبری فی ریاضه «۵»: إنّ رسول اللّه صلی الله علیه و سلم سماه صدِّیقاً. و قال فی (ص ۱۵۵): قال الخجندی: و کان یُلَقَّبُ بیعسوب الأمّة و بالصدِّیق الأکبر. و هناک

---

(۱). شرف النبوّة: ص ۲۵۱.

(۲). فی المصدر: مثلک.

(۳). الریاض النضرة: ۳/ ۱۵۲.

(۴). الاستیعاب: القسم الرابع/ ۱۸۹۶ رقم ۴۰۵۷.

(۵). الریاض النضرة: ۳/ ۹۴، ۹۵.

أخبارٌ كثيرةٌ نذكر بعضها:

-۱

أخرج ابن النجّار و أحمد فی المناقب «۱» عن ابن عبّاس عن رسول اللّه صلی الله علیه و سلم: «الصدّیقون ثلاثةٌ: حزقیل مؤمن آل فرعون، و حبیب النجّار صاحب آل یاسین، و علیٌّ بن أبی طالب». و أخرجه أبو نعیم فی المعرفة «۲» و ابن عساکر «۳» عن أبی لیلی، و زادا فی لفظهما: «و هو أفضلهم».

و أخرجه «۴» محبُّ الدین الطبری فی الریاض (۲/ ۱۵۴)، و الکنجی فی الکفایة (ص ۴۷) بلفظ أبی لیلی، و السیوطی فی جمع الجوامع کما فی ترتیبه (۶/ ۱۵۲)، و ابن حجر فی الصواعق (ص ۷۴) بلفظ ابن عبّاس، و (ص ۷۵) بلفظ أبی لیلی.

-۲

عن رسول اللّه صلی الله علیه و سلم: «إنّ هذا أوّل من آمن بی، و هو أوّل من یصافحنی یوم القیامة، و هو الصدِّیق الأکبر، و هذا فاروق هذه الأمّة، یَفْرُقُ بین الحقِّ و الباطل، و هذا یعسوب المؤمنین».

أخرجه «۵» الطبرانی عن سلمان و أبی ذر، و البیهقی و العدنی عن حذیفة، و الهیثمی فی المجمع (۹/ ۱۰۲)، و الحافظ الکنجی فی الکفایة (ص ۷۹) من طریق الحافظ ابن عساکر و فی آخره «و هو بابی الذی أُوتی منه و هو خلیفتی من بعدی». و ذکره باللفظ الأوّل المتّقی الهندی فی إکمال کنز العمّال (۶/ ۵۶).

---

(۱). مناقب علیّ: ص ۱۳۱ ح ۱۹۴.

(۲). معرفة الصحابة: ۱/ ۳۰۲.

(۳). تاریخ مدینة دمشق: ۱۲/ ۱۳۱، و فی ترجمة الإمام علیّ بن أبی طالب علیه السّلام- الطبعة المحقّقة-: رقم ۸۱۲.

(۴). الریاض النضرة: ۳/ ۹۴، کفایة الطالب: ص ۱۲۴ باب ۲۴، کنز العمال: ۱۱/ ۶۰۱ ح ۳۲۸۹۷، الصواعق المحرقة: ص ۱۲۵.

(۵). المعجم الکبیر: ۶/ ۲۶۹ ح ۶۱۸۴، کفایة الطالب: ص ۱۸۷ باب ۴۴، تاریخ مدینة دمشق: ۱۲/ ۱۳۰، کنز العمال: ۱۱/ ۶۱۶ ح ۳۲۹۹۰.

-٣

عن ابن عبّاس و أبی ذرّ قالا: «سمعنا النبیَّ صلی الله علیه و آله و سلم یقول لعلیّ: أنت الصدّیق الأکبر، و أنت الفاروق الذی یَفْرُقُ بین الحقِّ و الباطل».

أخرجه محبُّ الدین فی الریاض «١» (٢/ ١٥٥) و قال: و فی روایة: «و أنت یعسوب الدین» عن الحاکمی «٢». و القرشی فی شمس الأخبار «٣» (ص ٣٥) و فیه: «و أنت یعسوب المؤمنین». و رواه مع الزیادة شیخ الإسلام الحمّوئی فی الفرائد «۴» فی الباب الرابع و العشرین. و ابن أبی الحدید عن أبی رافع فی شرح النهج «۵» (٣/ ٢۵٧) و لفظه: قال أبو رافع: أتیت أبا ذر بالربذة أُودِّعهُ، فلمّا أردتُ الانصراف قال لی و لأُناس معی: ستکون فتنةٌ فاتّقوا اللّه و علیکم بالشیخ علیِّ بن أبی طالب فاتّبعوه؛ فإنّی سمعت رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم یقول له: «أنت أوّل من آمن بی، و أوّل من یصافحنی یوم القیامة، و أنت الصدِّیق الأکبر، و أنت الفاروق الذی یَفْرُق بین الحقِّ و الباطل، و أنت یعسوب المؤمنین، و المال یعسوب الکافرین، و أنت أخی و وزیری، و خیر من أترک بعدی، و تنجزُ موعدی».

و ذکره القاضی الإیجی فی المواقف «۶» (٣/ ٢٧۶)، و الصفوری فی نزهة المجالس (٢/ ٢٠۵).

-۴

عن النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم قال: «قال لی ربّی لیلةَ أُسری بی: من خَلَّفْتَ علی أمّتک یا محمد؟ قال: قلت: یا ربّ أنت أعلم.

---

(١). الریاض النضرة: ٣/ ٩۶.

(٢).

الحاکمی أحمد بن إسماعیل الطالقانی فی الأربعین المنتقی: ح ٢٨ باب ٢١، و فیه قبله: أنت أوّل مَن آمن بی و صدّقنی و أنت أوّل من یصافحنی یوم القیامة و أنت الصدّیق ... و أنت یعسوب المؤمنین.

(الطباطبائی)

(٣). مسند شمس الأخبار: ١/ ٩۴.

(۴). فرائد السمطین: ١/ ١۴٠ ح ١٠٢، ١٠٣.

(۵). شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٢٢٨ خطبة ٢٣٨.

(۶). المواقف: ص ۴۰۹.

ص: ۴۴۳

قال: یا محمد انتجبتک «۷» برسالتی، و اصطفیتک لنفسی، و أنت نبیّی و خیرتی من خلقی، ثمّ الصدِّیقُ الأکبر الطاهر المطَهّر الذی خلقتُه من طینتک و جعلتُه وزیرک و أبا سبطَیک السیِّدین الشهیدین الطاهرین المطهَّرین سیِّدَی شباب أهل الجنّة و زوّجته خیر نساء العالمین، أنت شجرةٌ و علیٌّ أغصانها و فاطمة ورقها و الحسن و الحسین ثمارها، خلقتُهما من طینة عِلِّیِّین و خلقتُ شیعتَکم منکم، إنَّهم لو ضُربوا علی أعناقِهم بالسیوف ما ازدادوا لکم إلّا حبّا. قلت: یا ربّ و من الصدِّیق الأکبر؟

قال: أخوک علیٌّ بن أبی طالب». أخرجه القرشی فی شمس الأخبار «۸» (ص ۳۳).

-۵

عن علیّ علیه السلام أنّه قال: «أنا عبد اللَّه و أخو رسوله و أنا الصدِّیق الأکبر لا یقولها بعدی إلّا کذّاب مُفترٍ، لقد صلّیتُ قبلَ الناس سبعَ سنین».

أخرجه ابن أبی شیبة بسند صحیح، و النسائی فی الخصائص (ص ۳) بسند رجاله ثقات، و ابن أبی عاصم فی السنّة، و الحاکم فی المستدرک (۳/ ۱۱۲) و صحّحه، و أبو نعیم فی المعرفة، و ابن ماجة فی سننه (۱/ ۵۷) بسند صحیح، و الطبری فی تاریخه (۲/ ۲۱۳) بإسناد صحیح، و العقیلی، و الخلعی، و ابن الأثیر فی الکامل (۲/ ۲۲)، و ابن أبی الحدید فی شرح النهج (۳/ ۲۵۷)، و محبّ الدین الطبری فی الذخائر (ص ۶۰)، و الریاض (۲/ ۱۵۵، ۱۵۸، ۱۶۷)، و الحمّوئی فی الفرائد فی الباب التاسع و الأربعین، و السیوطی فی الجمع کما فی ترتیبه (۶/ ۳۹۴)، و فی طبقات الشعرانی (۲/ ۵۵): قال علیٌّ رضی الله عنه: «أنا الصدِّیقُ الأکبر لا یقولُها بعدی إلّا کاذب» «۹».

---

(۷). فی المصدر: إنّنی اجتبیتک.

(۸). مسند شمس الأخبار: ۱/ ۸۹.

(۹). المصنّف: ۱۲/ ۶۵ ح ۱۲۱۳۳، خصائص أمیر المؤمنین: ص ۲۵ ح ۷، و فی السنن الکبری: ۵/ ۱۰۷ ح ۸۳۹۵، السنّة لابن أبی عاصم: ص ۵۸۴ ح ۱۳۲۴، المستدرک علی الصحیحین: ۳/ ۱۲۱ ح ۴۵۸۴، معرفة الصحابة: ۱/ ۳۰۱، سنن ابن ماجة: ۱/ ۴۴ ح ۱۲۰، تاریخ الأمم و الملوک: ۲/ ۳۱۰، الکامل فی التاریخ: ۱/ ۴۸۴، شرح نهج البلاغة: ۱۳/ ۲۰۰ خطبة ۲۳۸، الریاض النضرة: ۳/ ۹۶ و ۱۰۰ و ۱۱۱، فرائد السمطین: ۱/ ۲۴۸ ح ۱۹۲، کنز العمال: ۱۳/ ۱۲۲ ح ۳۶۳۸۹، الطبقات الکبری: ۲/ ۶۰ رقم ۳۱۵.

ص: ۴۴۴

-۶

عن معاذة قالت: سمعت عليّا، و هو يخطب على منبر البصرة، يقول: «أنا الصدِّيق الأكبر، آمنتُ قبل أن يؤمن أبو بكر و أسلمتُ قبل أن يُسلِمَ أبو بكر».

أخرجه ابن قتيبة فى المعارف (ص ۷۳)، و ابن أيّوب، و العقيلى، و محبُّ الدين فى الذخائر (ص ۵۸)، و الرياض (۲/ ۱۵۵، ۱۵۷)، و ذكره ابن أبى الحديد فى شرح النهج (۳/ ۲۵۱، ۲۵۷)، و السيوطى فى جمع الجوامع كما فى ترتيبه (۶/ ۴۰۵) «۱».

قوله:

إسماهما قُرِنا على سَطْرٍ بظلِّ العرش راتبْ

أشار إلى حديث كتابة أسماء فاطمة و أبيها و بعلها و بنيها فى ظلِّ العرش و قد كتبت على باب الجنّة، كما

أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخه (۱/ ۲۵۹) عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم: «ليلة عُرِج بى إلى السماء رأيتُ على باب الجنّة مكتوباً لا إله إلّا اللَّه، محمدٌ رسول اللَّه، علىٌّ حبيب اللَّه، و الحسن و الحسين صَفْوَةُ اللَّه، فاطمةُ خِيرة اللَّه، على مبغضيهم لعنة اللَّه». و رواه الخطيب الخوارزمى فى مناقبه «۲» (ص ۲۴۰).

قوله:

كان الإلهُ وليَّها و أمينُه جبريلُ خاطبْ

إشارةٌ إلى أنَّ اللَّه تعالى هو زوَّج فاطمةَ عليّا، و كان وليّ أمرها، و خطب فيه

---

(۱). المعارف: ص ۱۶۹، الضعفاء الكبير: ۲/ ۱۳۱ رقم ۶۱۶، الرياض النضرة: ۳/ ۹۵ و ۹۹، شرح نهج البلاغة: ۱۳/ ۲۰۰ و ۲۲۸ خطبة ۲۳۸، كنز العمال: ۱۳/ ۱۶۴ ح ۳۶۴۹۸.

(۲). المناقب: ص ۳۰۲ ح ۲۹۷.

الأمين جبرئيل عليه السلام كما

ورد عن جابر بن سَمُرة، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم: «أيّها الناس، هذا علىٌّ بن أبى طالب أنتم تزعمون أنّنى أنا زوّجته ابنتى فاطمة، و لقد خطبَها إلىَّ أشراف قريش فلم أُجِب، كلُّ ذلک أتوقّع الخبر من السماء حتى جاءنى جبرئيل ليلة أربع و عشرين من شهر رمضان فقال: يا محمد، العلىُّ الأعلى يقرأ عليک السلام، و قد جمع الروحانيِّين و الكرّوبيِّين فى وادٍ يُقال له: الأفْيَح. تحت شجرة طُوبى و زوّج فاطمة عليّا، و أمرنى فكنت الخاطب، و اللَّه تعالى الولىّ». كفاية الطالب «١» (ص ١۶۴).

و أخرج محبُّ الدين الطبرى فى الذخائر (ص ٣١) عن علىٍّ قال:

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم: «أتانى مَلَکٌ فقال: يا محمد، إنَّ اللَّه تعالى يقرأ عليک السلام و يقول لک: إنّى قد زوّجت فاطمة ابنتک من علىٍّ بن أبى طالب فى الملأ الأعلى فزوِّجها منه فى الأرض».

و أخرج الغسّانى و الخطيب فى تاريخه (۴/ ١٢٩) بالإسناد عن عبد اللَّه بن مسعود رضى الله عنه قال: «أصاب فاطمة بنت رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم صبيح العُرس رِعْدة، فقال لها رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم: يا فاطمة، إنّى زوّجتُکِ سيِّداً فى الدنيا و إنَّه فى الآخرة لمن الصالحين.

يا فاطمة إنّى لمّا أردت أن أُمْلِکَکِ لعلىٍّ أمر اللَّه جبريل فقام فى السماء الرابعة فصفَّ الملائكة صفوفاً ثمّ خطب عليهم جبريل فزوّجک من علىّ، ثمّ أمَرَ شجَر الجِنان فحملت الحُلِىَّ و الحُلَل ثمّ أمرَها فنثرتْهُ على الملائكة، فمن أخذَ منهم يومئذٍ أكثر ممّا أخذ صاحبه أو أحسن افتخر به إلى يوم القيامة.

قالت أمُّ سلمة: فلقد كانت فاطمة تَفخَرُ على النساء، حيث أوّلُ من خطب عليها جبريل».

و ذكره الكنجى فى الكفاية «٢» (ص ١۶۵) ثمّ قال: حديثٌ حسنٌ عالٍ رُزِقناه

---

(١). كفاية الطالب: ص ٣٠٠ باب ٧٩.

(٢). المصدر السابق: ص ٣٠١ باب ٨٠.

عالياً. و محبُّ الدين فى الذخائر (ص ٣٢).

و روى الصفورى فى نزهة المجالس (٢/ ٢٢۵) عن جبرئيل أنّه قال لرسول اللَّه صلى الله عليه و سلم:

إنَّ اللَّه أمَر رضوان أن يَنصِب منبر الكرامة على باب البيت المعمور، و أمر ملكاً يُقال له راحيل أن يصعده، فعلا المنبر و حمد اللَّه و أثنى عليه بما هو أهله فارتجّت السماوات فرحاً و سروراً، و أوحى اللَّه إليَّ: أنِ اعقِدْ عُقدةَ النكاح، فإنّى زوّجتُ عليّا بفاطمة أمَتى بنت محمد رسولى، فعقدتُ و أشهدتُ الملائكةَ و كتبت شهادتهم فى هذه الحريرة، و إنّى أُمرت أن أعرِضَها عليک، و أخْتِمَها بخاتَم مسکٍ أبيض، و أدفعها إلى رضوان خازن الجنان.

و هناک فى هذا المعنى أخبارٌ كثيرةٌ.

قوله:

و المهر خُمس الأرض مو هبةٌ تعالت فى المواهبْ

أشار به إلى ما

أخرجه شيخ الإسلام الحمّوئى فى فرائد السمطين «١» فى الباب الثامن عشر عن رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم أنّه قال لعلىٍّ: «يا علىُّ إنَّ الأرض للَّه يورثُها من يَشاءُ من عباده، و إنَّه أوحى إليَّ أن أزوِّجَکَ فاطمة على خمس الأرض، فهى صداقها، فمن مشى على الأرض و هو لكم مُبْغِضٌ فالأرض حرامٌ عليه أن يمشى عليها».

قوله:

و نهابها من حِمْلِ طوبى طُيِّبت تلک المناهبْ

أشار إلى

حديث النثار المروىِّ عن بلال بن حمامة قال: «طلع علينا رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم ذات يوم متبسِّماً ضاحكاً و وجهه مسرورٌ كدارَةِ القمر، فقام إليه عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول اللَّه ما هذا النور؟

---

(١). فرائد السمطين: ١/ ٩٥ ح ۶۴.

قال: بِشارةٌ أَتَتنى من ربِّى فى أخى و ابن عمّى بأنّ اللَّه زوّج عليّا من فاطمة، و أمر رضوان خازن الجنان فهزَّ شجرة طوبى فحملتْ رِقاعاً- يعنى صِكاكاً- بعدد محبّى أهل البيت، و أنشأ تحتها ملائكةً من نور و دفع إلى كلِّ ملک صِكاكاً، فإذا استوت القيامة بأَهلها نادت الملائكة فى الخلائق، فلا يبقى مُحِبٌّ لأهل البيت إلّا دفعت له صكّا فيه فكاكُهُ من النار، فصار أخى و ابن عمّى و ابنتى فُكّاک رقاب رجال و نساء من أمّتى من النار».

أخرجه «١» الخطيب فى تاريخه (۴/ ٢١٠)، و ابن الأثير فى أسد الغابة (١/ ٢٠۶)، و ابن الصبّاغ المالكى فى الفصول المهمّة، و أبو بكر الخوارزمى فى المناقب، و ابن حجر فى الصواعق (ص ١٠٣)، و الصفورى فى نزهة المجالس (٢/ ٢٢۵)، و الحضرمى فى رشفة الصادى (ص ٢٨).

و أخرج أبو عبد اللَّه الملّا فى سيرته «٢» عن أنس قال: بينما رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم فى المسجد إذ قال لعلىّ: «هذا جبريلُ يخبرُنى أنّ اللَّه زوَّجَکَ فاطمة و أشْهَدَ على تزويجها أربعين ألف مَلَک، و أوحى إلى شجرة طوبى: أن انثرى عليهم الدرّ و الياقوت، فنثرت عليهم الدرّ و الياقوت، فابتدرت إليه الحور العين يلتقطنَ من أطباق الدرّ و الياقوت، فهم يتهادَونَهُ بينهم إلى يوم القيامة». و رواه محبُّ الدين فى الذخائر (ص ٣٢)، و فى الرياض «٣» (٢/ ١٨۴)، و الصفورى فى نزهة المجالس (٢/ ٢٢٣).

و من شعر العبدى:

يا سادتى يا بَنِى علىٍ يا آلَ طه و آلَ صادِ

---

(١). أسد الغابة: ١/ ٢۴٢ رقم ۴٩٢، الفصول المهمّة: ص ٢۶، المناقب: ص ٣۴١ ح ٣۶١، الصواعق المحرقة: ص ١٧٣.

(٢). وسيلة المتعبدين: مج ۵/ ق ٢/ ١۶۴.

(٣). الرياض النضرة: ٣/ ١٣٠.

مَن ذا يُوازيكمُ و أنتمْ خلائفُ اللَّه فى البلادِ

أنتم نجومُ الهدى اللواتى يهدى بها اللَّهُ كلَّ هادِ

لو لا هُداكمْ إذاً ضَلَلْنا و التبسَ الغىُّ بالرشادِ

لا زلتُ فى حُبِّكمْ أُوالى عمرى و فى بُغْضِكم أُعادى

و ما تزوَّدتُ غيرَ حبِّى إيّاكمُ و هو خير زادِ

و ذاک ذُخرى الذى عليهِ فى عَرْصَةِ الحَشْر اعتمادى

وَلاكُمُ و البراءُ ممّنْ يشنأكُمُ اعتقادى

و للعبدىِّ قوله:

و زُوِّجَ فى السماءِ بأمر ربِّى بفاطمةَ المهذَّبةِ الطَهُورِ

و صُيِّر مَهْرُها خُمساً بأرضٍ لما تحويهِ من كَرْمٍ و حورِ

فذا خيرُ الرجالِ و تلک خير ال -نساء وَ مَهْرُها خير المُهورِ«١»

و له:

إذ أَتَتْهُ البتولُ فاطمُ تبكى و تُوالى شهيقَها و الزفيرا

اجتمعن النساءُ عندى و أقبلنَ يُطِلْنَ التقريعَ و التعييرا

قُلْنَ إنَّ النبىَّ زَوَّجَکِ اليومَ عليّا بَعْلًا مُعيلًا فقيرا

قال يا فاطمُ اصبرى و اشكرى لل -لهِ قد نِلْتِ منه فضلًا كبيرا

أمر اللَّهُ جبرئيلَ فنادى مُعلناً فى السماءِ صوتاً جَهيرا

اجتمعنالأملاکُ حتى إذا ما وَردُوا بيتَ ربِّنا المعمورا

قام جبريلُ خاطباً يُكثِر ال -تحميدَ للَّهِ جَلَّ و التكبيرا

خُمسُ أرضی لها حلالٌ فصیّر ه ُ علی الخَلْقِ دونَها مَبرورا

---

(۱). أعیان الشیعة: ۷/ ۲۶۹.

نثرت عند ذاک طوبی علی الحور من المِسْکِ و العبیر نثیرا«۱»

بیانٌ:

إذ أتته البتولُ فاطمُ تبکی و تُوالی شهیقها و الزفیرا

إشارة إلی ما

أخرجه الحافظ عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبی نجیح عن مجاهد عن ابن عبّاس و الخطیب بإسناده فی تاریخه (۴/ ۱۹۵) عن ابن عبّاس قال: لَمّا زوَّج النبیُّ صلی الله علیه و سلم فاطمة من علیّ قالت فاطمة: «یا رسول اللَّه زوَّجتَنی من رجل فقیر لیس له شیء. فقال النبی صلی الله علیه و سلم: أما ترضین؟ إنَّ اللَّه اختار من أهل الأرض رجلین؛ أحدهما أبوک و الآخر زوجک». و ذکره الحاکم فی المستدرک «۲» (۳/ ۱۲۹) و صحَّحه. و الهیثمی فی المجمع (۹/ ۱۱۲)، و السیوطی فی الجمع کما فی ترتیبه «۳») (۶/ ۳۹۱)، و الصفوری فی النزهة (۲/ ۲۲۶).

و فی نزهة المجالس (۲/ ۲۲۶) عن العقائق: إنّ فاطمة بکت لیلة عُرْسِها فسألها النبیُّ صلی الله علیه و سلم عن ذلک فقالت له: «تعلمُ أنّی لا أُحِبُّ الدنیا و لکنْ نظرتُ إلی فقری فی هذه اللیلة فخشیت أن یقول لی علیٌّ: بأیّ شیء جئت؟. فقال النبیُّ صلی الله علیه و سلم: لکِ الأمان؛ فإنَّ علیّا لم یزل راضیاً مرضیّا».

ثمَّ بعد ذلک تزوّجت امرأة من اليهود، و كانت كثيرة المال، فدعت النساء إلى عُرسِها فلبسْن أفخر ثيابهنَّ ثمَّ قلن: نُريد أن ننظر إلى بنت محمد و فقرها. فدعونها، فنزل جبريل بحُلّة من الجنّة، فلمّا لبستْها و اتّزرت و جلستْ بينهنَّ رفعت الإزار فلمعت الأنوار فقالت النساء: من أين لکِ هذا يا فاطمة؟ فقالت: من أبى. فقلن: من

---

(١). سيأتى فى الجزء الرابع أنَّ هذه الأبيات جزء من قصيدة طويلة لعلىّ بن حمّاد العبدى و ليست للمترجم له.

(٢). المستدرک على الصحيحين: ٣/ ١۴٠ ح ۴۶۴۵.

(٣). كنز العمال: ١٣/ ١٠٨ ح ٣۶٣۵۵.

أين لأبيکِ؟ قالت: من جبريل. قلن: من أين لجبريل؟ قالت: من الجنّة. فقلن: نشهد أن لا إله إلّا اللَّه و أنَّ محمداً رسول اللَّه، فمن أسلم زوجُها استمرّت معه و إلّا تزوّجت غيره.

مرَّ بيان ما فى بقيّة الأبيات من الحديث المأثور. و للعبدىّ قوله من قصيدة يمدح بها عليّا عليه السلام:

و كان يقول يا دنياى غرِّى سواى فلستُ من أهلِ الغرورِ

و من أخرى:

لم تشتمل قلبَهُ الدنيا بزُخْرُفِها بل قال غرِّى سواى كلّ محتقَرِ«١»

أشار بهما إلى ما فى

حديث ضِرار بن ضمرة الكِنانى، لمّا وصف أمير المؤمنين لمعاوية بن أبى سفيان قال: لقد رأيته فى بعض مواقفه و قد أرخى الليل سُدولَه، و غارت نجومُهُ، قابضاً على لحيته، يتململ تَململَ السليم و يبكى بكاء الحزين، و يقول: «يا دنيا يا دنيا، غرّى غيرى، إلىَّ تعرّضتِ؟ أم إلىَّ تشوّقتِ؟ هيهات هيهات قد باينتُکِ ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرُکِ قصيرٌ، و عيشُکِ حقيرٌ، و خَطَرُکِ يسيرٌ». الحديث.

أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/ ٨۴)، و ابن عبد البرّ فى الاستيعاب «٢»، و ابن عساكر فى تاريخه «٣» (٧/ ٣۵) و كثيرون آخرون من الحفّاظ و المؤرِّخين.

و له قوله:

لَما أتاهُ القومُ فى حُجُراتِهِ و الظُّهْرُ يخصِفُ نعلَهُ و يُرَقِّعُ

---

(١). أعيان الشيعة: ٧/ ٢۶٩.

(٢). الاستيعاب: القسم الثالث/ ١١٠٨ رقم ١٨۵۵.

(٣). تاريخ مدينة دمشق: ٨/ ۴٧۴، و فى مختصر تاريخ دمشق: ١١/ ١۵٨.

قالوا له إن كان أمرٌ من لنا خَلَفٌ إليهِ فى الحوادثِ نرجِعُ

قال النبىُّ خليفتى هو خاصفُ النعلِ الزكىُّ العالمُ المتورِّعُ«١»

أشار بهذه الأبيات إلى

حديث أمّ سلمة قالت لعائشة أمّ المؤمنين فى بدء واقعة الجمل:

أُذْكِرُكِ كنت أنا و أنت مع رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم فى سفر له، و كان علىٌّ يتعاهد نعلَى رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم فيخصفها و يتعاهد أثوابه فيغسلها، فنُقبت له نعلٌ فأخذها يومئذٍ يخصفها و قعد فى ظلِّ سمرة، و جاء أبوكِ و معه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى الحجاب، و دخلا يُحدِّثانه فيما أرادا، ثمّ قالا: يا رسول اللَّه إنّا لا ندرى قَدْر ما تصحبنا فلو أعلَمْتنا مَن يُستخلَف علينا ليكون لنا بعدك مفزعاً.

فقال لهما: «أما إنّی قد أری مکانه و لو فعلتُ لتفرّقتم عنه کما تفرّقت بنو إسرائیل عن هارون بن عمران» فسکتا ثمّ خرجا، فلمّا خرجنا إلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله قلتِ له و کنتِ أجرأ علیه منّا: من کنت یا رسول اللّه مستخلفاً علیهم؟ فقال: «خاصف النعل». فنزلنا فلم نرَ أحداً إلّا علیّا، فقلتِ: یا رسول اللّه ما أری إلّا علیّا، فقال: «هو ذاک». فقالت عائشة: نعم أذکرُ ذلک. فقالت: فأیَّ خروجٍ تخرجین بعد هذا؟ فقالت: إنّما أخرج للإصلاح بین الناس، و أرجو فیه الأجر إن شاء اللّه.

فقالت: أنتِ و رأیک. شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید «۲» (۲/ ۷۸).

و لشاعرنا العبدیِّ قوله یمدح به أمیر المؤمنین علیه السلام:

یا من شکَتْ شوقَهُ الأملاکُ إذ شُغِفَتْ بحُبِّهِ و هواهُ غایةَ الشغَفِ

فصاغ شِبْهَکَ ربُّ العالمین فما ینفکُّ من زائرٍ منها و مُعتکفِ

---

(۱). أعیان الشیعة: ۷/ ۲۶۹.

(۲). شرح نهج البلاغة: ۶/ ۲۱۸ خطبة ۷۹.

و له فی مدحه- صلوات اللّه علیه-:

صوّرَ اللّهُ لأملاکِ العُلی مِثْلَهَ أعظمه فی الشرفِ

و هی ما بین مُطیفٍ زائرٍ و مُقیمٍ حَولَهُ مُعتکفِ

هکذا شاهدَهُ المبعوثُ فی لیلةِ المعراجِ فوق الرَفْرَفِ«۱»

فی هذه الأبیات إشارة إلی

حدیث الحافظ المتقن الکبیر، الثقة یزید بن هارون عن حمید الطویل الثقة، عن أنس بن مالک، قال:

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «مررت ليلة أُسرِىَ بى إلى السماء، فإذا أنا بمَلَكٍ جالس على منبر من نور و الملائكة تُحْدِقُ به. فقلت: يا جبرئيل من هذا المَلَک؟ قال: أُدنُ منه و سلّم عليه. فدنوت منه و سلّمتُ عليه، فإذا أنا بأخى و ابن عمّى علىٍّ بن أبى طالب.

فقلت: يا جبرئيل سبقنى علىٌّ إلى السماء الرابعة؟ فقال لى: يا محمد لا، و لكنَّ الملائكة شَكَتْ حُبّها لعلىّ، فخلق اللَّه تعالى هذا الملک من نورٍ على صورة علىّ، فالملائكة تزوره فى كلِّ ليلة جمعة و يوم جمعة سبعين ألف مرّة، يسبِّحون اللَّه و يقدِّسونه و يُهدون ثوابه لُمحبِّ علىٍّ». أخرجه الحافظ الكنجى فى الكفاية «٢» (ص ٥١)

و قال: هذا حديثٌ حسنٌ عال لم نكتبه إلّا من هذا الوجه.

و من شعر العبدىِّ قوله:

و زوّجَهُ بفاطم ذو المعالى — على الأرغام من أهل النفاقِ

و خُمسُ الأرض كان لها صَداقاً — ألا للَّهِ ذلکَ من صَداقِ«٣»

---

(١). أعيان الشيعة: ٧/ ٢٧١.

(٢). كفاية الطالب: ص ١٣٢ باب ٢٦.

(٣). أعيان الشيعة: ٧/ ٢٧٠.

و قوله يمدح به أمير المؤمنين:

و كم غمرةٍ للموتِ فى اللَّه خاضَها — و لُجّةِ بحرٍ فى الحُكوم أقامها

و كم ليلةٍ ليلاء للَّهِ قامها — و كم صبحةٍ مشجورةِ الحرِّ صامها

و قوله فى مدحه عليه السلام:

أنت عين الإله و الجَنْبُ من ف — -رّط فيه يصلى لَظىً مذموما

أنتَ فُلْکُ النجاةِ فینا و ما زل -تَ صِراطاً إلی الهدی مستقیما

و علیک الورودُ تَسقی من الحو ض و من شئت ینثنی محروما

و إلیک الجواز تُدْخِلُ مَن شئتَ جِناناً و مَن تشاءُ جحیما«۱»

مرَّ بیان ما فی بعض هذه الأبیات.

قوله:

و علیک الورودُ تسقی من الحو ض و من شئت ینثنی محروما

فیه إیعازٌ إلی أنَّ سقایة الحوض- الکوثر- یوم القیامة بید علیّ أمیر المؤمنین، یسقی منه محبّیه و موالیه و یذود عنه المنافقین و الکفّار، و ورد فی ذلک أحادیث فی الصحاح و المسانید و نحن نذکر بعضها:

-۱

أخرج الطبرانی «۲» بإسناد رجاله ثقاتٌ عن أبی سعید الخدری قال:

قال النبیُّ صلی الله علیه و سلم: «یا علیُّ معک یوم القیامة عصا من عُصِیِّ الجنة تذود بها المنافقین عن الحوض». الذخائر (ص ۹۱)، الریاض «۳» (۲/ ۲۱۱)، مجمع

---

(۱). أعیان الشیعة: ۷/ ۲۶۹.

(۲). المعجم الصغیر: ۲/ ۸۹.

(۳). الریاض النضرة: ۳/ ۱۶۳.

الزوائد (۹/ ۱۳۵)، الصواعق «۱» (ص ۱۰۴).

-٢

أخرج أحمد فى المناقب «٢» بإسناده عن عبد اللّه بن إجارة قال:

سمعت أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب و هو على المنبر يقول: «أنا أذودُ عن حوض رسول اللّه بيدىَّ هاتين القصيرتين الكفّار و المنافقين كما تذود السقاة غريبةَ الإبل عن حِياضهم».

و رواه الطبرانى فى الأوسط. و ذكر فى مجمع الزوائد (٩/ ١٣٥)، و الرياض النضرة «٣» (٢/ ٢١١)، و كنز العمال «٤» (۶/ ۴۰۳).

-٣

أخرج ابن عساكر فى تاريخه «٥» بإسناده عن ابن عبّاس عن رسول اللّه صلى الله عليه و سلم قال لعلىّ: «أنت أمامى يوم القيامة، فيدفعُ إلىَّ لواء الحمد فأدْفعُه إليک، و أنت تذود الناس عن حوضى». و ذكره السيوطى فى الجمع كما فى ترتيبه «۶» (۶/ ۴۰۰) و فى (ص ٣٩٣) عن ابن عبّاس عن عمر فى حديث طويل عنه صلى الله عليه و سلم: «و أنت تتقدَّمنى بلواءِ الحمد و تذودُ عن حوضى».

-۴

أخرج أحمد فى المناقب «٧» بإسناده عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و سلم: «أُعطيت فى علىٍّ خَمساً هو أحبُّ إلىَّ من الدنيا و ما فيها، أمّا واحدة: فهو تُكَأتى بين يدى اللّه حتى يفرغ من الحساب. و أمّا الثانية: فلواء

---

(١). الصواعق المحرقة: ص ١٧۴.

(٢). مناقب علىّ: ص ٢٠٠ ح ٢٧٩، و فى فضائل الصحابة: ح ١١٥٧.

(٣). الرياض النضرة: ٣/ ١۶٣.

(۴). كنز العمّال: ١٣/ ١٥٧ ح ٣۶۴٨۴.

(٥). تاريخ مدينة دمشق: ١٠/ ١٥٥، و فى مختصر تاريخ دمشق: ١٥/ ١٣.

(۶). كنز العمّال: ١٣/ ١۴٥ ح ٣۶۴٥٥، ص ١١٧ ح ٣۶٣٧٨.

(٧). مناقب علىّ: ص ١٨٢ ح ٢٥٥، و فى فضائل الصحابة: ح ١١٢٧.

الحمد بيده، آدم و من ولده تحته. و أمّا الثالثة: فواقفٌ على عُقْرِ حوضى يَسقى من عرَف من أمّتى». الحديث.

و ذكر فى الرياض النضرة «۸» (۲/ ۲۰۳)، و كنز العمّال «۹» (۶/ ۴۰۳).

-۵

أخرج شاذان الفضيلى بإسناده عن أمير المؤمنين قال:

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم: «يا علىّ سألت ربّى فيک خمس خصال فأعطانى.

أمّا الأولى: فإنّى سألت ربِّى أن تنشقَّ عنّى الأرض و أنْفُضَ التراب عن رأسى و أنت معى، فأعطانى. و أمّا الثانية: فسألتُهُ: أن يوقفنى عند كفَّة الميزان و أنت معى، فأعطانى. و أمّا الثالثة: فسألته: أن يجعلک حامل لوائى و هو لواء اللَّه الأكبر عليه المفلحون و الفائزون بالجنّة، فأعطانى. و أمّا الرابعة: فسألتُ ربِّى أن تسقى أمّتى من حوضى، فأعطانى. و أمّا الخامسة: فسألتُ ربّى: أن يجعلک قائدَ أمّتى إلى الجنّة، فأعطانى. فالحمد للَّهِ الذى منَّ به علىَّ».

و تجده فى المناقب للخطيب الخوارزمى (ص ۲۰۳)، و فرائد السمطين فى الباب الثامن عشر، و كنز العمّال (۶/ ۴۰۲) «۱۰».

-۶

أخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة فى حديث قال:

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم: «كأنّى بک يا علىُّ و أنت على حوضى تذود عنه الناس، و إنّ عليه لأباريقَ مثل عدد نجوم السماء، و إنّى و أنت و الحسن و الحسين و فاطمة و عقيل و جعفر فى الجنَّة إخواناً على سُرُرٍ متقابلين، أنت معى و شيعتک فى الجنّة». مجمع الزوائد (۹/ ۱۷۳).

---

(۸). الرياض النضرة: ۳/ ۱۵۲- ۱۵۳.

(۹). كنز العمّال: ۱۳/ ۱۵۴ ح ۳۶۴۷۹.

(۱۰). المناقب: ص ۲۹۳ ح ۲۸۰، فرائد السمطين: ۱/ ۱۰۶ ح ۷۵، كنز العمّال: ۱۳/ ۱۵۲ ح ۳۶۴۷۶.

-٧

عن جابر بن عبد اللّه فی حدیث عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم قال:

«یا علیُّ و الذی نفسی بیده إنَّک لذائدٌ عن حوضی یوم القیامة، تذود عنه رجالًا کما یُذادُ البعیر الضالُّ عن الماء بعصاً لک من عَوْسَج، و کأنّی أنظر إلی مقامک من حوضی». مناقب الخطیب «١» (ص ۶۵).

-٨

أخرج الحاکم فی المستدرک «٢» (٣/ ١٣٨) بإسناده و صحَّحه عن علیّ بن أبی طلحة قال:

حَجَجْنا فمررنا علی الحسن بن علیّ بالمدینة و معنا معاویة بن حُدیج- بالتصغیر- فقیل للحسن: إنّ هذا معاویة بن حُدیج السابّ لعلیّ. فقال: «علیَّ به. فأُتی به. فقال: أنت السابُّ لعلیّ؟ فقال: ما فعلتُ.

فقال: و اللّه إن لَقِیته، و ما أحسَبُک تلقاه یوم القیامة لَتجده قائماً علی حوض رسول اللّه صلی الله علیه و سلم یذود عنه رایات المنافقین، بیده عصاً من عوسج، حدّثنیه الصادق المصدوق صلی الله علیه و سلم و قد خاب من افتری».

و أخرجه الطبرانی «٣» و فی لفظه: «لَتَجِدَنّه مُشَمِّراً حاسراً عن ذراعیه، یذود الکفّار و المنافقین عن حوض رسول اللّه صلی الله علیه و سلم قول الصادق المصدوق محمد».

---

(١). المناقب: ص ١٠٩ ح ١١۶.

(٢). المستدرک علی الصحیحین: ٣/ ١۴٨ ح ۴۶۶٩. و رواه ابن سعد فی کتاب الطبقات الکبیر فی ترجمة الإمام الحسن علیه السّلام: ح ١۴۴، و البلاذری فی أنساب الأشراف فی ترجمة الإمام الحسن علیه السّلام: ٣/ ١٠ ح ٩، و الطبرانی فی المعجم الکبیر: ٣/ ٨١، ٩١ ح ٧٢٧، ٢٢٧٥٨. و أخرجه أبو نعیم فی کتاب صفة النفاق، و أبو القاسم الخرْفی فی أمالیه، و أخرجه ابن عساکر فی تاریخه فی ترجمة معاویة بن حدیج بأربعة طرق، و أورده العصامی فی سمط النجوم العوالی: ٢/ ۴٩۵. (الطباطبائی)

(٣). المعجم الکبیر: ٣/ ٩١ ح ٢٧٥٨.

قوله:

و إلیک الجواز تُدخل من شئت جِناناً و مَن تشاءُ جحیما

أشار به إلى معنىً ورد فى أخبار كثيرة، نقتصر بذكر بعضها:

-١

أخرج الحافظ ابن السمان فى الموافقة عن قيس بن حازم، قال:

التقى أبو بكر الصدّيق و علىّ بن أبى طالب فتبسّم أبو بكر فى وجه علىّ، فقال له: ما لک تبسّمت؟ قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و سلم يقول: «لا يجوز أحدٌ الصراط إلّا من كَتَبَ له علىٌّ الجواز». و ذُكر فى الرياض النضرة «١» (٢/ ١٧٧ و ٢٤٤)، و الصواعق «٢» (ص ٧٥)، و إسعاف الراغبين (ص ١٦١).

-٢

عن مجاهد عن ابن عبّاس قال:

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: «إذا كان يوم القيامة أقام اللّه جبريل و محمداً على الصراط، فلا يجوز أحدٌ إلّا من كان معه براءةٌ من علىٍّ بن أبى طالب». أخرجه الخطيب الخوارزمى فى المناقب «٣» (ص ٢٥٣)، و الفقيه ابن المغازلى فى المناقب «٤» بلفظ: «علىٌّ يوم القيامة على الحوض، لا يَدْخلُ إلّا من جاء بجواز من علىٍّ بن أبى طالب». و ذكره القرشىُّ فى شمس الأخبار «٥» (ص ٣٦).

-٣

أخرج الحاكمى «٦» عن علىّ قال:

قال رسول اللّه صلى الله عليه و سلم: «إذا جمع اللّه الأوّلين و الآخرين يوم القيامة، و نصب

---

(١). الرياض النضرة: ٣/ ١٢٢ و ٢٠٣.

(٢). الصواعق المحرقة: ص ١٢٦.

(٣). المناقب: ص ٣١٩ ح ٣٢٤.

(٤). مناقب علىّ بن أبى طالب: ص ١١٩ ح ١٥٦.

(۵). مسند شمس الأخبار: ۱/ ۹۷ باب ۶.

(۶). أبو الخير أحمد بن إسماعيل الطالقانى فى الأربعين المنتقى فى فضائل على المرتضى: ج ۴۰ باب ۳۳.

ص: ۴۵۸

الصراط على جسر جهنم ما جازها أحدٌ، حتى كانت «۷» معه براءة بولاية علىٍّ بن أبى طالب». و ذُكر فى فرائد السمطين «۸» فى الباب الرابع و الخمسين، و الرياض النضرة «۹» (۲/ ۱۷۲).

-۴

عن الحسن البصرى عن عبد اللَّه قال:

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم: «إذا كان يوم القيامة يقعد علىٌّ بن أبى طالب على الفردوس، و هو جبلٌ قد علا على الجنّة و فوقه عرش ربِّ العالمين، و من سفحه يتفجّرُ أنهار الجنّة و تتفرّق فى الجنان، و هو جالسٌ على كرسىّ من نور يجرى بين يديه التسنيم، لا يجوز أحدٌ الصراط إلّا و معه براءة بولايته و ولاية أهل بيته، يُشرِف على الجنَّة، فيُدْخِلُ محبّيه الجنَّة و مبغضيه النار». أخرجه الخوارزمى فى المناقب «۱۰» (ص ۴۲)، و الحمّوئى فى فرائد السمطين «۱۱» فى الباب الرابع و الخمسين.

-۵

أخرج القاضى عياض فى الشفا «۱۲» عن النبىِّ صلى الله عليه و سلم أنّه قال:

«معرفة آل محمد براءةٌ من النار، و حبُّ آل محمد جوازٌ على الصراط، و الولاية لآل محمد أمانٌ من العذاب». و يوجد فى الصواعق «۱۳» (ص ۱۳۹)، و الإتحاف (ص ۱۵)، و رشفة الصادى (ص ۴۵۹).

-۶

أخرج الخطيب فى تاريخه (۳/ ۱۶۱) عن ابن عبّاس قال:

قلت للنبىّ صلى الله عليه و سلم: يا رسول اللَّه للنار جواز؟ قال: «نعم. قلت: و ما هو؟ قال:

---

(۷). كذا فى الرياض النضرة، و فى فرائد السمطين: إلّا من كانت.

(۸). فرائد السمطين: ۱/ ۲۸۹ ح ۲۲۸.

(۹). الرياض النضرة: ۳/ ۱۱۶.

(۱۰). المناقب: ص ۷۱ ح ۴۸.

(۱۱). فرائد السمطين: ۱/ ۲۹۲ ح ۲۳۰.

(۱۲). الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ۲/ ۱۰۵.

(۱۳). الصواعق المحرقة: ص ۲۳۲.

ص: ۴۵۹

حبُّ عليٍّ بن أبى طالب».

و يأتى

حديث: «عليٌّ قسيم الجنّة و النار»

فى محلّه إن شاء اللَّه تعالى.

و من شعر العبدىِّ يمدح أمير المؤمنين:

و علَّمَکَ الذى عَلِمَ البرايا — و ألهَمَکَ الذى لا يعلمونا

فزادَک فى الورى شَرَفاً و عِزّا — و مجداً فوق وَصْفِ الواصفينا

لقد أُعطِيتَ ما لم يُعطِ خلقاً — هنيئاً يا أمير المؤمنينا

إليکَ اشتاقتِ الأملاکُ حتى — تحنَّتْ من تشوُّقِها حنينا

هناکَ برا لها الرحمنُ شخصاً — کشِبْهِکَ لا يُغادرُهُ يقينا«۱۴»

أشار بالبيت الأوّل إلى حديث مرّ (ص ۴۱) و مرَّ بيان بقيّة الأبيات (ص ۲۸۸). و من شعره:

لأنتُمْ على الأعرافِ أعرفُ عارفٍ بسيما الذى يهواكمُ و الذى يَشْنا«۱۵»

أئمّتُنا أنتمْ سنُدعى بِكمْ غداً إذاما إلى ربِّ العبادِ مَعاً قُمْنا

بجدِّكُم خيرِ الورى و أبيكمُ هُدينا إلى سُبُلِ النجاةِ و أُنقذْنا

و لولاكمُ لم يَخْلُقِ اللّهُ خَلقَهُ و لا لقَّبَ الدنيا الغَرورَ و لا كُنّا

و من أجلكم أنشا الإلهُ لِخلقِهِ سماءً و أرضاً و ابتلى الإنس و الجِنّا

تَجلُّونَ عن شِبْهٍ من الناس كلِّهمْ فشأنكُمُ أعلى و قدركُمُ أسنى

إذا مسَّنا ضُرٌّ دَعَونا إلهَنا بموضِعكمْ منهُ فيكشفُه عنّا

و إن دَهَمَتَنا غُمّةٌ أو مُلِمَّةٌ جعلناكُمُ منها و من غيرها حصنا

و إن ضامَنا دهرٌ فعُذنا بعزّكمْ فيبعد عنّا الضيم لمّا بكم عُذنا

---

(۱۴). أعيان الشيعة: ۷/ ۲۷۱.

(۱۵). يشنأ: يبغض.

و إن عارضتنا خِيفةٌ من ذنوبنا بَراةٌ لنا منها شفاعتكم أمنا«۱»

البيت الأوّل إشارةٌ إلى قوله تعالى فى سورة الأعراف «۲»: (وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ) و ما ورد فيه.

أخرج الحاكم بن الحذّاء الحسكانى «۳»، المترجم (۱/ ۱۱۲) بإسناده عن أصبغ ابن نباتة، قال: كنت جالساً عند علىّ فأتاه ابن الكوّاء فسأله عن قوله تعالى: (وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ...). فقال: «ويحک يا ابن الكوّاء نحن نوقَفُ يوم القيامة بين الجنّة و النار، فمن نَصَرَنا عَرَفناه بسيماه فأدخلناه الجنّة، و من أَبغَضَنا عَرَفناه بسيماه فأدخلناه النار».

و أخرج أبو إسحاق الثعلبى فى الكشف و البيان «۴» فى الآية الشريفة عن ابن عبّاس أنّه قال: الأعراف موضعٌ عالٍ من الصراط، عليه العبّاس و حمزة و علىٌّ بن أبى طالب و جعفر ذو الجناحين، يعرفون محبّيهم ببياض الوجوه و مبغضيهم بسواد الوجوه.

و رواه ابن طلحة الشافعى فى مطالب السؤول (ص ۱۷)، و ابن حجر فى الصواعق «۵» (ص ۱۰۱)، و الشوكانى فى فتح القدير «۶» (۲/ ۱۹۸).

و البيت الثانى إشارةٌ إلى قوله تعالى: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ) «۷». و أئمّة الشيعة هم العترة الطاهرة يُدعَونَ بهم و يُحشَرون معهم، إذ

«المرء- كما قال النبىُ

---

(۱). أعيان الشيعة: ۷/ ۲۶۹.

(۲). الآية: ۴۶.

(۳). شواهد التنزيل: ۱/ ۲۶۳ ح ۲۵۶.

(۴). الكشف و البيان: الورقة ۲۰۶ سورة الاعراف: آية ۴۶.

(۵). الصواعق المحرقة: ص ۱۶۹.

(۶). فتح القدير: ۲/ ۲۰۸.

(۷). الإسراء: ۷۱.

الأقدس- مع من أحبَّ» «۸».

«و من أحبَّ قوماً حُشِر معهم» «۹».

«و من أحبَّ قوماً حَشَرَهُ اللَّه فى زُمرتهم» «۱۰».

و بقيّة الأبيات بعضها واضحةٌ و بعضها مرَّ بيانه.

(۸). أخرجه البخارى [صحيح البخارى: ۵/ ۲۲۸۳ ح ۵۸۱۶]، و أبو داود [سنن أبى داود: ۴/ ۳۳۳ ح ۵۱۲۷]، و الترمذى [سنن الترمذى: ۴/ ۵۱۳ ح ۲۳۸۵]، و النسائى، و أحمد عن أنس [مسند أحمد ۴/ ۵۶ ح ۱۲۶۵۵] و ابن مسعود [۱/ ۶۴۸ ح ۳۷۱۰]. (المؤلف)

(۹). أخرجه الحاكم فى المستدرک [۴/ ۴۲۶ ح ۸۱۶۱]، و ابن الديبع فى تمييز الطيّب من الخبيث: ص ۱۵۳ [ص ۱۷۶ ح ۱۳۱۵]. (المؤلف)

(۱۰). أخرجه الطبرانى [فى المعجم الكبير: ۳/ ۱۹ ح ۲۵۱۹]، و الضياء عن أبى قرصافة، و صحّحه السيوطى فى الجامع الصغير: ۲/ ۴۸۸ [۲/ ۵۵۳ ح ۸۳۱۷]. (المؤلف)

ص: ۴۶۲

العبدىّ معاصر العبدىّ

عاصرالمترجم من شعراء الشيعة مشاركه فى كنيته و لقبه وبيئة نشأته و مذهبه، ألا و هو أبو محمد يحيى بن بلال العبدىُّ الكوفىُّ، فنذكره لكثرة وقوع الاشتباه بينهما و قلّة ذكره.

قال المرزبانى فى معجمه «۱» (ص ۴۹۹): إنّه كوفىٌّ نزل همدان، و هو شاعرٌ محسنٌ يتشيّع و له فى الرشيد مدائح حسنة و هو القائل:

و لَلموتُ خيرٌ من حياةٍ زهيدةٍ و لَلْمنعُ خيرٌ من عطاءٍ مُكَدَّرِ

فعش مُثرياً أو مُكْدياً من عطيّةٍ تُمنّى و إلّا فسألِ اللَّهِ و اصبرِ

و له:

لَعَمْرى لَئِن جارت أميّة و اعتَدَتْ لَأوّلُ من سَنَّ الضلالةَ أجوَرُ

و أنشد العبدىُّ هذا عبد اللَّه بن علىّ بن العبّاس «۲» بنهر أبى فُطْرُس «۳» و له فيه خبر:

(۱). معجم الشعراء: ص ۴۸۸.

(۲). أحد أعمام أبى العبّاس السفّاح، كان من رجال الدهر حزماً و رأياً و دهاءً و شجاعةً، انهدم عليه الحبس سنة (۱۴۷) و كان قد حبسه المنصور سرّا، و قيل: إنّه قُتِل سرّا و هُدِم عليه الحبس قصداً. قال الوطواط [فى غرر الخصائص: ص ۴۰۵]: إنّه جلس يوم الجمعة فى جامع دمشق و قتل من بنى أميّة خمسين ألفاً. (المؤلف)

(۳). اسم نهر قرب الرملة بفلسطين.

أمّا الدعاةُ إلى الجِنان فهاشمٌ و بنو أميّةَ من دُعاة النارِ

أ أُميَّ ما لَكِ من قرارٍ فالحقى بالجنِّ صاغرةً بأرضِ وَبارِ

فلئن رحلتِ لَتَرْحَلِنَّ ذميمةً و إذا أقمتِ بذلَّةٍ و صغارِ

و خبر العبدىِّ هذا و إنشاده الشعر المذكور عبد اللَّه العبّاسى ذكره ابن قتيبة فى عيون الأخبار (۱/ ۲۰۷)، و اليعقوبى فى تاريخه «۱» (۳/ ۹۱)، و ابن رشيق فى العمدة «۲» (۱/ ۴۸). و أحسب أنّ من علّق على هذه الكتب لم يقف على ترجمة الشاعر، فضرب عن ترجمته صفحاً و سكت عن تعريفه.

فقال ابن قتيبة: و لمّا افتتح المنصور الشام و قتل مروان قال «۳» لأبى عون و من معه من أهل خراسان: إنَّ لى فى بقيّة آل مروان تدبيراً فتأهّبوا يوم كذا و كذا فى أكمل عدّة، ثمّ بعث إلى آل مروان فى ذلك اليوم فجُمِعوا و أعلَمهم أنّه يفرض لهم فى العطاء، فحضر منهم ثمانون رجلًا فصاروا إلى بابه و معهم رجل من كلب قد ولَّدهم «۴»، ثمّ أُذِنَ لهم فدخلوا، فقال الآذن للكلبى: ممّن أنت؟ قال: من كَلب و قد وَلَّدْتُهم. قال: فانصرف و دعِ القوم فأبى أن يفعل، و قال: إنّى خالهم و منهم.

فلمّا استقرَّ بهم المجلس خرج رسول المنصور و قال بأعلى صوته: أين حمزة بن عبد المطّلب؟ ليدخل، فأيقن القوم بالهلكة. ثمّ خرج الثانية فنادى: أين الحسين بن علىّ؟ ليدخل. ثمّ خرج الثالثة فنادى: أين زيد بن علىّ بن الحسين؟ ثمّ خرج الرابعة

(۱). تاريخ اليعقوبى: ۲/ ۳۵۵.

(۲). العمدة: ۱/ ۶۳.

(۳). الظاهر أنّ فی العبارة سقطاً؛ إذ القصة وقعت مع عبد اللّه بن علیّ [ابن عبد اللّه بن عبّاس] و کان أمیراً علی الشام من قِبل المنصور، کما فی ذیل العبارة، و معجم المرزبانی [ص ۴۸۸]، و تاریخَی الیعقوبی [۲/ ۳۵۵]، و ابن الأثیر [الکامل فی التاریخ: ۳/ ۵۰۲ حوادث سنة ۱۳۲ ه]، و عمدة ابن رشیق [۱/ ۶۳]. (المؤلف)

(۴). ربّاهم.

ص: ۴۶۴

فقال: أین یحیی بن زید؟

ثمّ قیل: ائذنوا لهم، فدخلوا و فیهم الغَمْر بن یزید، و کان له صدیقاً فأومأ إلیه: أن ارتفع فأجلسه معه علی طنفسته، و قال للباقین: اجلسوا، و أهل خراسان قیامٌ بأیدیهم العُمُد.

فقال: أین العبدیّ؟ فقام و أخذ فی قصیدته التی یقول فیها:

أمّا الدعاة إلی الجِنانِ فهاشمٌ و بنو أمیّة من دعاةِ النارِ

فلمّا أنشد أبیاتاً منها قال الغمر: یا ابن الزانیة؟ فانقطع العبدی و أطرق عبد اللّه ساعة، ثمّ قال: امض فی نشیدک. فلمّا فرغ رمی إلیه بصرّة فیها ثلاثمائة دینار ثمّ تمثّل بقول القائل:

و لقد ساءنی و ساء سوایَ قُربُهمْ من منابرٍ و کراسی

أنزِلوها بحیثُ أنزلَها اللّه بدارِ الهوانِ و الإتعاسِ

لا تُقیلَنَّ عبدَ شمسٍ عِثاراً و اقطعوا کلَّ نخلةٍ و غِراسِ

و اذکروا مصرع الحسین و زیدٍ و قتیلًا بجانبِ المهراسِ«۱»

ثمّ قال لأهل خراسان: دهيد «۲» فشُدِخوا بالعُمُد حتى سالت أدمغتهم، و قام الكلبى فقال: أيّها الأمير، أنا رجلٌ من كلب لستُ منهم، فقال:

و مُدْخلٍ رأسَهُ لم يُدْنِهِ أحَدٌ بين الفريقينِ حتى لزَّه القَرَنُ

ثمّ قال: دهيد. فشُدخ الكلبى معهم ثمّ التفت إلى الغمر فقال: لا خير لک فى الحياة بعدهم. قال: أجل. فَقُتِل، ثمّ دعا ببراذع «۳» فألقاها عليهم و بسط عليها

---

(۱). المهراس: ماء بجبل أُحد. و يعنى بالقتيل: حمزة بن عبد المطّلب- رضوان اللّه عليه.

(۲). كلمة فارسية. (المؤلف)

(۳). البرذعة: كساء يُلقى على ظهر الدابة. (المؤلف)

الأنطاع و دعا بغدائه فأكل فوقهم، و إنَّ أنين بعضهم لم يهدأ حتى فرغ. ثمّ قال: ما تهنَّأت بطعام منذ عقلت مقتل الحسين إلّا يومى هذا. و قام فأمر بهم فجرّوا بأرجلهم، و أغنمَ أهل خراسان أموالهم ثمّ صُلبوا فى بستانه.

و كان يأكل يوماً، فأمر بفتح باب من الرُواق إلى البستان، فإذا رائحة الجِيَف تملأ الأنوف، فقيل له: لو أمرتَ أيّها الأمير بردِّ هذا الباب.

فقال: و اللّه لرائحتُها أحبُّ إلىَّ و أطيب من رائحة المسک. ثمّ قال:

حَسِبَتْ أميّةُ أن سترضى هاشمٌ عنها و يذهب زيدُها و حسينُها

كلّا و ربِّ محمد و إلهِهِ حتى تُباحَ سُهُولُها و حُزُونُها

و تَذِلَّ ذُلَّ حليلةٍ لحليلِها بالمَشْرَفىِّ و تُستردّ ديونُها

و قال اليعقوبى «۱»: و انصرف عبد اللّه بن علىّ إلى فلسطين فلمّا صار بنهر أبى فُطْرُس بين فلسطين و الأردن جمع إليه بنى أميّة، ثمّ أمرهم أن يَغْدُوا عليه لأخذ الجوائز و العطايا، ثمّ جلس من غد و أذِنَ لهم، فدخل عليه ثمانون رجلًا من بنى أميّة، و قد أقام على رأس كلِّ رجل منهم رجلين بالعُمُد، و أطرق مليّا، ثمّ قام العبدىُّ فأنشد قصيدته التى يقول فيها:

أمّا الدعاةُ إلى الجِنانِ فهاشمٌ و بنو أميّة من دعاةِ النارِ

و كان النعمان بن يزيد بن عبد الملک جالساً إلى جنب عبد اللّه بن علىّ، فقال له: كذبت يا ابن اللخناء. فقال له عبد اللّه بن علىّ: بل صدقتَ يا أبا محمد، فامضِ لقولک. ثمّ أقبل عليهم عبد اللّه بن علىّ، فذكر لهم قتل الحسين عليه السلام و أهل بيته، ثمّ صفق بيده فضرب القوم رءوسهم بالعُمُد حتى أتوا عليهم، فناداه رجلٌ من أقصى القوم:

---

(۱). تاريخ اليعقوبى: ۲/ ۳۵۵.

عَبْدُ شَمْسٍ أبوکَ وَ هوَ أبونا لا نُناديک من مكانٍ بعيدِ

فالقراباتُ بيننا واشجاتٌ مُحكَماتُ القُوى بِعَقْدٍ شديدِ

فقال: هيهات قطع ذلک قتل الحسين. ثمّ أمرَ بهم فسُحبوا فطرحت عليهم البسط و جلس عليها، و دعا بالطعام فأكل، فقال: يومٌ كيوم الحسين بن علىّ و لا سواء، و كان قد دخل معهم رجلٌ من كلب، قال: رجوتُ أن ينالوا خيراً فأنالَ معهم.

فقال عبد اللّه بن علىّ: اضربوا عنقه.

و مُدْخلٍ رأسَه لم يُدْنهِ أحدٌ بين الفريقين حتى لزَّه القَرَنُ

۹- أبو تَمام الطائى

المتوفّى سنة (۲۳۱ ه)

أ ظبيةُ حيث استنّتِ الكُثُب العُفرُ رُوَيدَکِ لا يغتالکِ اللومُ و الزجرُ«۱»

أسرّى حِذاراً لم تُقيِّدکِ رِدّةٌ فيحسِرُ ماءً من محاسنِکِ الهذرُ

أراکِ خلالَ الأمر و النهى بوّةً«۲» عَداکِ الردى ما أنتِ و النهىُ و الأمرُ

أ تُشغْلُنى عمّا هُرِعتُ لمثلِهِ حوادثُ أشجانٍ لصاحِبها نُكْرُ

و دهرٌ أساءَ الصُّنْعَ حتى كأنّما يُقَضِّى نذوراً فى مساءتىَ الدهرُ

له شجراتٌ خَيّمَ المجدُ بينها فلا ثَمَرٌ جانٍ و لا ورقٌ نَضْرُ

و ما زِلتُ ألقى ذاک بالصبرِ لابساً رداءَيهِ حتى خِفْتُ أن يَجزَعَ الصبرُ

و إنَّ نكيراً أن يضَيقَ بمن لهُ عشيرةُ مِثلى أو وسيلتُهُ مِصْرُ

و ما لامرئٍ من قائلٍ يومَ عثْرةٍ لعاً «۳» وَ خَدِيناهُ الحداثةُ و الفقرُ

و إن كانتِ الأيّامُ آضَتْ و ما بها لذى غُلَّةٍ وِردٌ و لا سائلٍ خُبْرُ

همُ الناسُ سارَ الذمُّ و الحربُ بينهمْ و حمّرَ أن يغشاهُمُ الحمدُ و الأجرُ

صَفِيُّکِ منهمْ مُضمِرٌ عُنجهيّةً«۴» فقائدهُ تَيْهٌ و سائِقُهُ كِبْرُ

---

(۱). استنَّت: عَدَت إقبالًا و إدباراً. الكُثُب: الجماعات. العُفر: الظباء التى يعلو بياضها حُمرة.

(۲). البوّة: الحمقاء.

(۳). لعاً: كلمة يدعى بها للعاثر، و معناها الارتفاع.

(۴). العُنجُهيّة- بضمّ العَين و الجيم-: الكِبْر. (المؤلف)

إذا شام برقَ اليُسرِ فالقُربُ شأنُهُ و أنأى من العَيّوقِ إن نالهَ عُسْرُ

أرينى فتىً لم يَقْلِهِ الناسُ أو فتىً يصحُّ له عَزْمٌ و ليس له وَقْرُ

تَرَى كلَّ ذى فضلٍ يطولُ بفضلِهِ على مُعتفيهِ و الذى عنده نَزْرُ

و إنَّ الذى أحذانىَ الشيبَ لَلَّذى رأيتِ و لم تَكْمُلْ له السبعُ و العشرُ

و أخرى إذا استودعتُها السرَّ بيّنَتْ به كَرَهاً ينهاض من دونها الصدرُ

طغى من عليها و استبدَّ برأيهمْ و قولِهمُ إلّا أقلَّهمُ الكفرُ

و قاسَوا دُجى أمْرَيْهِمُ و كلاهما دليلٌ لهمْ أولى به الشمسُ و البدرُ

سَيَحْدوكُمُ استستقاؤكمْ حَلَبَ الردى إلى هُوّةٍ لا الماءُ فيها و لا الخمرُ

سَئِمتم عبور الضحل خوضاً فأيَّةً تعدّونها لو قد طغى بكمُ البحرُ

و كنتم دماءً تحتَ قِدرٍ مفارةٍ على جهلِ ما أمست تفورُ به القِدرُ

فهلّا زجرتمْ طائرَ الجهل قبل أن يجىءَ بما لا تبسئون «۱» به الزجرُ

طَوَيْتُمْ ثنايا تخبئون عُوارَها فأين لكمْ خِبءٌ و قد ظهر النشرُ

فعلتمْ بأبناءِ النبىِّ و رهطِهِ أفاعيلَ أدناها الخيانةُ و الغدرُ

و من قبله أخلفتمُ لوصيِّهِ بداهيةٍ دهياءَ ليس لها قَدرُ

فجئتم بها بِكراً عَواناً و لم يَكُنْ لها قبلَها مِثْلٌ عَوانٌ و لا بِكرُ

أخوه إذا عُدّ الفَخارُ و صِهْرُهُ فلا مثلُهُ أخٌ و لا مثلُه صِهْرُ

و شُدَّ به أزْرُ النبىِّ محمدٍ كما شُدَّ من موسى بهارونِهِ الأزْرُ

و ما زال كشّافاً دياجيرَ غَمْرَةٍ يُمزِّقُها عن وجهِهِ الفتحُ و النصرُ

هو السيفُ سيفُ اللَّهِ فى كلِّ مشهدٍ و سيفُ الرسولِ لا ددانٌ و لا دثرُ«۲»

فأىُّ يدٍ للذمِّ لم يَبْرِ زَنْدَها و وجهِ ضلالٍ ليس فيه له أثرُ

ثوى و لأهلِ الدينِ أمنٌ بحدّهِ و للواصمين الدينَ فى حدِّه ذُعْرُ

---

(۱). بسأ بالشىء: أنسَ به و مرنَ عليه.

(۲). الدَدَان: الكليل الضعيف. الدثر: الصدئ.

يسدُّ به الثغرَ المخوفَ من الردى و يعتاضُ من أرض العدوِّ به الثغرُ

بأُحْدٍ و بدرٍ حين ماجَ بِرَجْلِهِ و فُرسانه أُحدٌ و ماجَ بهم بدرُ

و يوم حُنينٍ و النضيرِ و خيبرٍ و بالخندق الثاوى بعقوتِهِ عمرو«۱»

سما للمنايا الحُمْر حتى تكشّفتْ و أسيافُه حمرٌ و أرماحُهُ حُمْرُ

مشاهدُ كان اللَّه كاشفَ كَرْبِها و فارجَه و الأمرُ ملتبسٌ إمْرُ

و يوم الغدير استوضح الحقَّ أهلُهُ بضحياء «۲» لا فيها حجابٌ و لا سترُ

أقام رسول اللَّه يدعوهمُ بها ليقربَهمْ عُرْفٌ و ينآهمُ نُكْرُ

يَمُدُّ بضبعيه و يُعلِمُ «۳» أنَّه ولىٌّ و مولاكمْ فهل لكُمُ خُبْرُ

يروحُ و يغدو بالبيانِ لِمَعْشرٍ يروح بهم غَمْرٌ و يغدو بهمْ غَمْرُ«۴»

فكان لهم جَهْرٌ بإثباتِ حقِّهِ و كان لهم فی بَزِّهِمْ حقَّهُ جَهْرُ

أ ثَمَّ جعلتمْ حظَّهُ حدَّ مُرْهَفٍ من البيضِ يوماً حظُّ صاحبهِ القبرُ

بكفَّیْ شقیٍّ وجَّهَتْهُ ذنوبُهُ إلی مرتعٍ يُرعَی به الغَیُّ و الوِزرُ

القصيدة (٧٣) بيتاً توجد فی ديوانه (ص ١۴٣).

ما يتبع الشعر

لا أجد لذی لبٍّ مُنتدَحاً عن معرفة يوم الغدير، لا سيّما و بين يديه كتب الحديث و السِيَرِ و مدوّنات التاريخ و الأدب، كلٌّ يومی إليه بسَبّابته، و يوعز إليه ببنانه، كلٌّ يُلْمِسُ يدی القارئ حقيقة يوم الغدير، فلا يدع له ذكراً خالياً منه، و لا مخيّلة تعدوه، و لا أضالع إلّا و قد انحنت عليه، فكأنّه و هو يتلقّی خبره بعد لأیٍ من

---

(١). العقوة: الساحة.

(٢). و فی نسخة: بفيحاء. (المؤلف)

(٣). من أفعل. و يظهر من الدكتور ملحم، شارح ديوان أبی تمّام أنّه قرأه مجرّداً من (عَلِمَ) لا مزيداً من (أعلم) كما قرأناه، و مختارنا هو الصحيح الذی لا يعدوه الذوق العربی. (المؤلف)

(۴). الغَمْر: الكريم.

الدهر يرنو إليه من كثب، و يستشفُّ أمره علی أمَمٍ «١»، و لعلّ الواقف علی كتابنا هذا من البدء إلی الغاية يجد فيه نماذج ممّا قلناه.

إذاً فهلمَّ معی و أعجب من الدكتور ملحم إبراهيم الأسود شارح ديوان شاعرنا المترجم حيث يقول عند قوله:

و يوم الغدير استوضح الحقَّ أهلُهُ بضحياء لا فيها حجابٌ و لا سترُ

يوم الغدير واقعة حرب معروفة. و ذكر بعده فى قوله:

يمدُّ بضبعيه و يعلم أنّه ولىٌّ و مولاكمْ فهل لكُمُ خُبْرُ

ما يكشف عن أنّها كانت من المغازى النبويّة، قال (ص ٣٨١): يمدُّ بضبعيه يساعده و ينصره، و الهاء راجعة إلى الإمام علىّ، أى: كان رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم ينصره و يعلم أنّه ولىّ، كان العَضُد و المساعد الوحيد للنبىِّ صلى الله عليه و سلم فى الغدير، و الرسول نفسه كان ينصره عالماً أنّه سيكون وليّا على شعبه بعده و خليفةً له، و هذه هى الحقيقة، فهل تعلمون؟ انتهى.

ألا مسائل هذا الرجل عن مصدر هذه الفتوى المجرّدة؟ أهل وجد هاتيک الغزوة فى شىء من السِيَر النبويّة؟ أو نصَّ عليها أحدٌ من أئمّة التاريخ؟ أم أنّ تلک الحرب الزبون «٢» وحدها قد توسّع بنقلها المتوسِّعون من نقلة الحديث؟. دع ذلک كلّه، هل وجد قصّاصاً يقصّها؟ أو شاعراً يصوِّرها بخياله؟ ألا من يُسائله عن أنّ هذه الغزوة متى زيدت على الغزوات النبويّة المحدودة؟ المعلومة بكمِّها و كيفها، المدوَّنة أطوارها و شؤونها، و ليس فيها غزوة يوم الغدير، متى زيدت هذه على ذلک العدد الثابت بواحدة، فكان فيها علىٌّ و النبىُّ يتناصران، و يعضُد

---

(١) الامم: القرب.

(٢) حرب زبون: اى شديدة تصدم الناس.

كلٌّ صاحبه، و يدفع كلٌّ عن الآخر، كما يحسبه هذا الكاتب؟

و إنّک لتجد الكاتب عَيّا عن جواب هذه الأسئلة، لكنّه حبّذت له بواعثه أن يستر حقيقة الغدير بذيل أمانته، و هو يحسب أنّه لا يقف على ذلک التعليق إلّا الدهماء، أو أنّ البحّاثة يمرّون عليه كراماً، لكنَّ المحافظة على حقيقة دينيّة أولى من التحفّظ على اعتبار هذا الكاتب الذى يكتب و لا يبالى بما يكتب، و يرى الكذب حقيقة راهنة.

نعم، كان فى الجاهليّة يوم أغار فيه دُريد بن الصمّة- المقتول كافراً بعد فتح مكّة- على غطفان [بعد مقتل أخيه عبد اللَّه] «١» يطالبهم بدمه، فاستقراهم حيّا حيّا، و قتل من بنى عبس ساعدة بن مرّ، و أسَر ذؤاب بن أسماء الجُشَمى. فقالت بنو جُشَم: لو فاديناه. فأبى ذلک دُريد عليهم، و قتله بأخيه عبد اللَّه، و أصاب جماعة من بنى مرّة و من بنى ثعلبة و من أحياء غطفان. قال فى الأغانى «٢» (٩/ ٦): و ذلک فى يوم الغدير. و ذكر لدُريد شعراً فى ذلک.

و عدَّ فى العقد الفريد «٣» (٣/ ٧١) من حروب الجاهليّة يوم- غدير قلياد- قال:

قال أبو عبيدة: فاصطلح الحيّان إلّا بنى ثعلبة بن سعد، فإنّهم أبوا ذلک و قالوا: لا نرضى حتى يُودوا قتلانا أو يُهدَر دم من قتلها، فخرجوا من قطن «۴»، حتى وردوا- غدير قلياد- فسبقهم بنو عبس إلى الماء، فمنعوهم حتى كادوا يموتون عطشاً و دوابّهم، فأصلَحَ بينهم عوف و مَعْقل ابنا سُبَيْع من بنى ثعلبة، و إيّاهما يعنى زهيرٌ بقوله:

---

(۱) الزيادة يقتضيها السياق، اثبتناها من الاغانى.

(۲) الاغانى: ۱۰/ ۱۴- ۱۵/.

(۳) العقد الفريد: ۵/ ۹۹.

(۴) يوم قطن من حروب الجاهليه راجع العقد الفريد: ۳/ ۶ [۵/ ۹۹]. (المؤلف)

تداركتُما عَبْساً و ذُبيانَ بعدَ ما تفانَوا و دَقُّوا بينهمَ عِطْر مَنْشِمِ

و قلياد فى الكلام المذكور مصحَّف- قلهى- كما يظهر من معجم البلدان «۱» (۷/ ۱۵۴)، و بلوغ الإرب (۲/ ۷۳)، و فى الأخير عدّه من أيّام العرب المشهورة.

هذا كلُّ ما رُوى فى حديث هذا اليوم الذى لم يكن لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله و لا لأحد من الهاشميِّين فيه حِلٌّ و لا مُرْتَحَلٌ و لا لوصيِّه‌أمير المؤمنين عليه السلام فيه صولةٌ أو جولةٌ، فالحديث ليس فيه أىّ صلة بهما، أ فَمِن المعقول إذن أن يريده أبو تمام المادح للوصىِّ الأعظم، و يعدَّه مأثرةً له؟ على أنّ الشعر نفسه يأبى أن يكون المراد به واقعة حرب دامية؛ فإنَّ الشاعر بعد أن عدَّ مواقف أمير المؤمنين عليه السلام فى الغزوات النبويّة، و ذكر منها غزاة أُحد و بدر و حُنين و النضير و خيبر و الخندق و ختمها بقوله:

مشاهدُ كان اللَّه كاشفَ كربِها و فارجَهُ و الأمر ملتبسٌ إمرُ

أخذ فى ذكر منقبة ناءَ بها اللسان دون السيف و السنان فقال:- و يوم الغدير- و أنت ترى أنّه يوعز إلى قِصَّةٍ فيها قيامٌ و دعوةٌ و إعلامٌ و بيانٌ و مجاهرةٌ بإثبات الحقِّ لأهله.

الشاعر

أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى بن مُزينا بن سهم بن ملحان بن مروان بن دفافة بن مرّ بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدى بن عمرو بن الحارث بن طيئ جلهم بن أُدَد بن زيد بن يشجب بن عَريب بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. تاريخ الخطيب (٨/ ٢٤٨).

أحد رؤساء الإماميّة كما قال الجاحظ «٢» و الأوحد من شيوخ الشيعة فى الأدب

---

(١) معجم البلدان: ۴/ ٣٩٣.

(٢). فهرست النجاشى: ص ١٠٢ [ص ١۴١ رقم ٣۶٧]. (المؤلف)

فى العصور المتقادمة، و من أئمّة اللغة، و منتجع الفضيلة و الكمال، كان يُؤخذ عنه الشعر و أساليبه، و ينتهى إليه السير، و يُلقى لديه المقالد، و لم يختلف اثنان فى تقدُّمه عند حلبات القريض، و لا فى تولّعه بولاء آل اللَّه الأكرمين- صلوات اللَّه عليهم- و كان آيةً فى الحفظ و الذكاء حتى قيل: إنّه كان يحفظ أربعة آلاف ديوان من الشعر غير ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع و القصائد «١»، و فى معاهد التنصيص «٢» أنّه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع و القصائد. و فى التكملة أنّه أخمَلَ فى زمانه خمسمائة شاعر كلُّهم مجيد.

المترجم له شاميُّ الأصل وُلد بقرية جاسم من قرى الجيدور من أعمال دمشق، و إنَّ أباه كان يُقال له: ندوس «٣» العطّار فجعلوه أوساً، و فى دائرة المعارف الإسلامية «۴» أنَّ المترجم هو الذى بدّله و كان أبوه نصرانيّا.

نشأ المترجم بمصر و فى حداثته كان يسقى الماء فى المسجد الجامع، ثمّ جالس الأدباء فأخذ عنهم و تعلّم منهم، و كان فطناً فهماً، و كان يحبُّ الشعر، فلم يزل يعانيه حتى قال الشعر و أجاد، و شاع ذكره، و سار شعره، و بلغ المعتصم خبره، فحمله إليه و هو بِسُرَّ مَن رأى، فعمل أبو تمام فيه قصائد عدَّة و أجازه المعتصم و قدَّمه على شعراء وقته، و قدم إلى بغداد، و تجوَّل فى العراق و إيران، و رآه محمد بن قدامة بقزوين، فجالس بها الأدباء و عاشر العلماء، و كان موصوفاً بالظرف و حسن الأخلاق و كرم النفس.

قال الحسين بن إسحاق: قلت للبحترى: الناس يزعمون أنّک أشعر من أبى تمام. فقال: و اللَّه ما ينفعنى هذا القول و لا يضرّ أبا تمّام، و اللَّه ما أكلت الخبز إلّا به، و لودَدتُ أنّ الأمر كما قالوا، و لكنّى و اللَّه تابعٌ له لائذٌ به آخذٌ منه، نسيمى يركُد عند

(۱). مرآة الجنان: ۲/ ۱۰۲ [وفيات سنة ۲۳۱ ه]. (المؤلف)

(۲). معاهد التنصيص: ۱/ ۳۸ رقم ۶.

(۳). لهذا الاسم قراءات مختلفة: تدوس. تدرس. ندوس. ثدوس. ثادوس. ثيودوس. (المؤلف)

(۴). دائرة المعارف الإسلامية: ۱/ ۳۲۰.

هوائه، و أرضى تنخفض عند سمائه. تاريخ الخطيب (۸/ ۲۴۸).

كان البحترى أوّل أمره فى الشعر و نباهته فيه أنّه سار إلى أبى تمام و هو بحمص، فعرض عليه شعره، و كانت الشعراء تقصده لذلک، فلمّا سمع شعر البحترى أقبل عليه و ترک سائر النّاس، فلمّا تفرَّقوا قال له: أنت أشعر من أنشدَنى، فكيف حالک؟ فشكا إليه القلّة. فكتب أبو تمام إلى أهل مَعَرَّة النعمان، و شَهِدَ له بالحَذَق، و شفع له إليهم، و قال له: امتدحهم. فسار إليهم فأكرموه بكتاب أبى تمام، و وظّفوا أربعة آلاف درهم فكانت أوّل مال أصابه، ثمّ أقبل عليه أبو تمام يصف شعره و يمدحه، فلزمه البحترى بعد ذلک، و قيل للبحترى: أنت أشعر أم أبو تمام؟ قال: جيِّده خيرٌ من جيِّدى، و رديّى خيرٌ من رديئه.

و قيل: سُئل أبو العلاء المعرّى: من أشعر الثلاثة؟ أبو تمام أم البحترى أم المتنبى؟ فقال: المتنبى و أبو تمام حكيمان، و إنّما الشاعر البحترى.

و قيل: أنشد البحترى أبا تمام شيئاً من شعره، فقال له: أنت أمير الشعراء بعدى. قال البحترى: هذا القول أحبّ إلىَّ من كلِّ ما نلته.

و قال ابن المعتز «۱»: شعره كلّه حسنٌ. و ذكر اعتناءه البالغ بشعر مسلم بن الوليد صريع الغوانى و أبى نواس.

و عن عمارة بن عقيل فى حديث نقله عنه ابن عساكر فى تاريخه «۲» (۴/ ۲۲): أنَّه لمّا سمع قوله:

و طول مقام المرءِ بالحىِّ مُخلِقٌ لديباجَتَيهِ فاغتَرِبْ تَتَجَدّدِ

فإنّى رأيت الشمسَ زيدت محبّةً إلى الناس أن ليست عليهم بسرمدِ

(۱). طبقات الشعراء: ص ۲۸۴.

(۲). تاريخ مدينة دمشق: ۴/ ۱۵۷، و فى مختصر تاريخ دمشق: ۶/ ۱۸۱.

قال: إن كان الشعر بجودة اللفظ، و حسن المعانى، و اطّراد المراد، و استواء الكلام، فهى لأبى تمام، و هو أشعر الناس، و إن كان بغيرها فلا أدرى. و كان فى لسانه حُبْسَة، و فى ذلک يقول ابن المعذّل أو أبو العُمَيثل:

يا نبىَّ اللّه فى الشعر و يا عيسى بنَ مريم أنتَ من أشعرِ خَلْقِ اللّهِ ما لم تتكلّمْ

مدح الخلفاء و الأمراء فأحسن، و حدّث عن صهيب بن أبى الصهباء الشاعر، و العطّاف بن هارون، و كرامة بن أبان العدوى، و أبى عبد الرحمن الأموى، و سلامة ابن جابر النهدى، و محمد بن خالد الشيبانى.

و روى عنه خالد بن شريد الشاعر، و الوليد بن عبادة البُحترى، و محمد بن إبراهيم بن عتّاب، و العبدوىّ البغدادى. تاريخ ابن عساكر «۱» (۴/ ۱۸).

روى أنَّه لمّا مدح الوزير محمد بن عبد الملک الزيّات بقصيدته التى يقول فيها:

دِيمةٌ سَمْحَةُ القِيادِ سَكُوبٌ مستغيثٌ بها الثرى المكروبُ

لو سعَتْ بُقعةٌ لإعظام أخرى لَسَعى نحوها المكان الجَديبُ

قال له ابن الزيّات: يا أبا تمام، إنَّک لتُحَلّى شعرک من جواهر لفظک و دُرَر معانيک ما زيد حسناً على بهىّ الجواهر فى أجياد الكواعب، و ما يُدَّخَرُ لک شىء من جزيل المكافأة إلّا و يَقْصُر عن شعرک فى الموازرة، و كان بحضرته الكندى الفيلسوف فقال له: إنَّ هذا الفتى يموت شابّا.

فقيل له: من أين حكمتَ عليه بذلک؟

فقال: رأيت فيه من الحِدَّة و الذكاء و الفطنة مع لطافة الحسّ وجودة الخاطر ما علمت به أنَّ النفس الروحانيَّة تأكل جسمه كما يأكل السيف المهنّد غمده.

(۱). تاريخ مدينة دمشق: ۴/ ۱۵۲، و فى مختصر تاريخ دمشق: ۶/ ۱۷۸.

تاريخ ابن خلّكان «۱» (۱/ ۱۳۲).

ذكر الصولى «۲»: أنَّ المترجم امتدح أحمد بن المعتصم أو ابن المأمون بقصيدة سينيّة، فلمّا انتهى إلى قوله:

إقدام عمروٍ فى سماحة حاتمٍ فى حِلْمِ أحنفَ فى ذكاء إياسِ

قال له الكندى الفليسوف و كان حاضراً: الأمير فوق ما وصفت. فأطرق قليلًا ثمَّ رفع رأسه فأنشد:

لا تنْكروا ضَربى له من دونَهُ مَثَلًا شَروداً فى الندى و الباسِ

فاللَّهُ قد ضربَ الأقلَّ لنورِهِ مثلًا من المشكاةِ و النِّبراسِ

فَعَجِبوا من سرعة فطنته.

ديوان شعر أبى تمام

: قد يقال: إنَّ المترجم لم يُدوِّن شعره، لكنَّ الظاهر من قراءة عثمان بن المثنّى القرطبى المتوفّى (۲۷۳) ديوانه عليه كما فى بغية الوعاة «۳» (ص ۳۲۴)، أنَّ شعره كان

مدوّناً فى حياته، و اعتنى بعده جمعٌ من الأعلام و الأدباء بترتيبه و تلخيصه و شرحه و حفظه، و منهم:

۱- أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن كيسان: المتوفّى (۳۲۰)، له شرحه.

۲- أبو بكر محمد بن يحيى الصولى: المتوفّى (۳۳۵، ۳۳۶)، رتَّبه على حروف المعجم فى نحو ثلاثمائة ورقة.

۳- علىّ بن حمزة الأصبهانى، رتّبه على الأنواع.

(۱). وفيات الأعيان: ۲/ ۱۶ رقم ۱۴۷.

(۲). أخبار أبى تمّام: ص ۲۳۱.

(۳). بغية الوعاة: ۲/ ۱۳۶ رقم ۱۶۳۴.

ص: ۴۷۹

۴- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى الشافعىّ: المتوفّى (۳۸۰)، له شرحه.

۵- أبو القاسم الحسن بن بِشر الآمدى: المتوفّى (۳۷۱)، له شرحه.

۶- الخالع حسين بن محمد الرافقى: كان حيّا فى حدود (۳۸۰) «۱»، له شرحه.

۷- الوزير حسين بن علىّ المغربىّ: المتوفّى (۴۱۸)، له كتاب اختيار شعره.

۸- أبو ريحان محمد بن أحمد البيرونى: المتوفّى (۳۴۰)، له شرحه، رآه الحَمَوى بخطّه.

۹- أبو العلاء أحمد بن عبد اللَّه المعرّى: المتوفّى (۴۴۹)، له تلخيصه المسمّى بذكرى حبيب و شرحه.

۱۰- أبو زكريا يحيى بن علىّ الخطيب التبريزى: المتوفّى (۵۰۲)، له شرحه.

۱۱- أبو البركات ابن المستوفى مبارَك الإربِلى: المتوفّى (۶۳۷)، له شرحه فى عشر مجلّدات.

۱۲- أبو الفتح ضياء الدين نصر بن محمد: المتوفّى (۶۳۷)، كان يحفظه.

۱۳- أبو الحجّاج يوسف بن محمد الأنصارى: المتوفّى (۶۷۲)، كان يحفظه و يحفظ الحماسة.

۱۴- محيى الدين الخيّاط، له شرحه «۲».

۱۵- الدكتور ملحم إبراهيم أسود، له شرحه المطبوع بمصر.

و الظاهر أنَّ النسخة المطبوعة من ديوان أبى تمام هو ترتيب الصولى؛ لأنّها مرتَّبة على الحروف، إلّا أنَّ فيها سقطاً كثيراً من شعره؛ لأنَّ النجاشى قال فى فهرسته «۳» (ص ۱۰۲): له شعرٌ فى أهل البيت كثيرٌ. و ذكر أحمد بن الحسين رحمه الله أنَّه رأى

(۱). فی لسان المیزان: ۲/ ۳۷۹ رقم ۲۷۹۶: أنّه توفّی سنة ۴۲۲ ه.

(۲). راجع فهرست ابن الندیم: ص ۲۳۵ [ص ۱۹۰]، فهرست النجاشی: ص ۱۰۲ [ص ۱۴۱ رقم ۳۶۷]، الطبقات لابن أبی أُصیبعة: ۲/ ۲۰، تاریخ ابن خلّکان: ۱/ ۳۰، ۱۳۳ [۱/ ۱۱۴ رقم ۴۷]، بغیة الوعاة: ص ۳۲۴، ۴۰۴، ۴۲۳ [۲/ ۳۱۵ رقم ۲۰۶۴، ص ۳۵۹ رقم ۲۱۸۹]، کشف الظنون [۱/ ۷۷۰]، معجم المطبوعات [۱/ ۲۹۶- ۲۹۷]. (المؤلف)

(۳). رجال النجاشی: ص ۱۴۱ رقم ۳۶۷.

نسخةً عتیقةً، و لعلّها کُتِبت فی أیّامه أو قریباً منه، و فیها قصیدةٌ یذکر فیها الأئمّة، حتی انتهی إلی أبی جعفر الثانی علیه السلام لأنَّه توفّی فی أیّامه. انتهی.

و لا یوجد فی الدیوان المطبوع شیء من ذلک الکثیر عدا رائیَّته المذکورة فی هذا الکتاب، فإمّا أنَّ ید الأمانة فی طبع الکتب حذفت تلکم القصائد عند تمثیل الدیوان إلی عالم الطباعة کما صنعت مع غیره أیضاً، أو أنَّها لم تصل إلیها عند النشر، أو أنَّ المطبوع اختصار أبی العلاء المعرّی المذکور.

دیوان الحماسة و شروحه:

و لأبی تمام ممّا أفرغه فی قالب التألیف دیوان الحماسة الذی سار به الرکبان و استفادت به الأجیال بعده، جمع فیه عیون الشعر و وجوهه من کلام العرب، جمعه بدار أبی الوفاء بن سَلَمة بهمَدان، عندما اضطرّته الثلوج إلی الالتجاء إلی هذه المدینة أثناء أوبتِه من زیارة عبد اللَّه بن طاهر، و رتّبه علی عشرة أبواب، خصَّ کلَّ باب بفنّ، و قد اعتنی بشرحه جمع کثیرٌ من أعلام الأدب منهم:

۱- أبو عبد اللَّه محمد بن القاسم ماجیلویه البرقی.

۲- أبو الحسن علیّ بن محمد السُمَیْساطی «۱»: المتوفّی أواسط المائة الرابعة.

۳- أبو الحسین أحمد بن فارس بن زکریّا اللغویّ الرازی: المتوفّی (۳۶۹).

۴- أبو عبد اللَّه الحسین بن علیّ بن عبد اللَّه النمِری: المتوفّی (۳۸۵)، و لأبی محمد الأسود الحسن الغندجانی ردٌّ علی النمری هذا فی شرح الحماسة کما فی معجم الأدباء «۲» (۳/ ۲۴).

۵- أبو الفتح عثمان بن جنّی: المتوفّی (۳۹۲)، له المنهج فی اشتقاق أسماء شعراء

(۱). نسبة إلى سُمَيساط بالمهملتين بضم أوله و فتح ثانيه، فما فى كثير من المعاجم «الشمشاطى» بالمعجمتين تصحيف. (المؤلف)

(۲). معجم الأدباء: ۷/ ۲۶۵.

الحماسة، و شرح مستغلق الحماسة.

۶- أبو الحسن علىّ بن زيد البيهقى.

۷- أبو هلال الحسن بن عبد اللَّه بن سعيد العسكرى، كان حيّا إلى سنة (۳۹۵).

۸- أبو المظفّر محمد بن آدم بن كمال الهروى النحوى: المتوفّى (۴۱۴).

۹- الشيخ أبو علىّ أحمد بن محمد المرزوقى الأصبهانى: المتوفّى (۴۲۱).

۱۰- أبو العلاء أحمد بن عبد اللَّه المعرّى التنوخىّ: المتوفّى (۴۴۹).

۱۱- أبو الحسن علىّ بن أحمد بن سيده الأندلُسى: المتوفّى (۴۵۸).

۱۲- أبو الحسين عبد اللَّه بن أحمد بن الحسين الشاماتى: المتوفّى (۴۷۵).

۱۳- أبو القاسم زيد بن علىّ بن عبد اللَّه الفارسى: المتوفّى (۴۶۷).

۱۴- أبو حكيم عبد اللَّه بن إبراهيم بن عبد اللَّه الخَبْرِىّ: المتوفّى (۴۷۶).

۱۵- أبو الحجّاج يوسف بن سلمان الشنتمرى: المتوفّى (۴۷۶)، شرحها شرحاً كبيراً و رتّبها على الحروف.

۱۶- أبو زكريّا يحيى بن علىّ الخطيب التبريزى: المتوفّى (۵۰۲)، له شروحها الثلاثة.

۱۷- أبو الحسن علىّ بن عبد الرحمن الإشبيلىّ: المتوفّى (۵۱۴).

۱۸- أبو المحاسن مسعود بن علىّ البيهقى: المتوفّى (۵۴۴).

۱۹- أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنبارى: المتوفّى (۵۷۷).

۲۰- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الحضرمى الإشبيلىّ: المتوفّى (۵۸۴).

۲۱- أبو محمد القاسم بن محمد الديمرتى الأصبهانى.

۲۲- الشيخ علىّ بن الحسن الشميم الحلّى: المتوفّى (۶۰۱).

۲۳- أبو البقاء عبد اللَّه بن الحسين بن عبد اللَّه العُكْبَرى البغدادى: المتوفّى (۶۱۶).

۲۴- أبو علىّ الحسن بن أحمد الاسترابادى اللغوىّ النحوىّ.

۲۵- المولوى فيض حسين، شرحها مختصراً و أسماه بالفيضى.

۲۶- الشيخ لقمان.

ص: ۴۸۲

۲۷- الشيخ سيّد بن علىّ المرصفى الأزهرى المعاصر.

راجع فهرست النجاشى، فهرست ابن النديم، معجم الأدباء، بغية الوعاة، الذريعة.

دواوين الحماسة:

تبع أبا تمام فى صناعة الحماسة كثيرون، منهم:

۱- البحترى أبو عبادة الوليد بن عبيدة: المتوفّى (۲۸۴).

۲- أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوىّ الرازى: المتوفّى (۳۶۹).

۳- الخالديّان ابنا هاشم: أبو بكر محمد، و أبو عثمان سعيد: المتوفّى (۳۷۱).

۴- أبو هلال الحسن بن عبد اللَّه العسكرىّ، النحوىّ.

۵- أبو الحجّاج يوسف بن سليمان الشنتمرى: المتوفّى (۴۷۶).

۶- أبو حصين محمد بن علىّ الاصبهانى الديمرتى.

۷- أبو دماش، عدّه ابن النديم من النحويّين اللغويّين.

۸- أبو العبّاس محمد بن خلف بن المرزبانی.

۹- أبو السعادات هبة اللّه بن علیّ المعروف بابن الشجری: المتوفّی (۵۴۲).

۱۰- الشیخ علیّ بن الحسن الشمیم الحلّی: المتوفّی (۶۰۱).

۱۱- أبو الحجّاج یوسف بن محمد الأندلسی: المتوفّی (۶۵۳).

۱۲- صدر الدین علیّ بن أبی الفَرَج البصری: المقتول (۶۵۹).

۱۳- أبو الحجّاج یوسف بن محمد الأنصاری: المتوفّی (۶۷۲) «۱».

و من آثار أبی تمام الأدبیّة: الاختیارات من شعر الشعراء، الاختیار من شعر القبائل، اختیار المقطّعات، المختار من شعر المحدَثین، نقائض جریر و الأخطل، الفحول و هو مختارات من قصائد شعراء الجاهلیّة و الإسلام تنتهی بابن هرمة، ذکرها

---

(۱). فهرست ابن الندیم، معجم الأدباء، بغیة الوعاة. (المؤلف)

له ابن الندیم فی فهرسته «۱» (ص ۲۳۵) و غیره.

المؤلّفون فی أخبار أبی تمام:

لقد جمع أخباره و ما یؤثر عنه غضون حیاته من نوادر و ظرف و نُکَت و أدب و شعر جماعةٌ، منهم:

۱- أبو الفضل أحمد بن أبی طاهر: المتوفّی (۲۸۰)، له کتاب سرقات النحویّین من أبی تمام.

۲- أبو بکر محمد بن یحیی الصولی: المتوفّی (۳۳۶)، له أخبار أبی تمام. طبع مع فهرسته فی (۳۴۰) صحیفة.

۳- أبو القاسم الحسن بن بِشْر الآمُدی البصری: المتوفّی (۳۷۱)، له کتاب الموازنة بین أبی تمام و البحتری فی عشرة أجزاء. و لیاقوت الحموی فی معجم الأدباء «۲» خطّأ فیه أبا تمام.

۴- الخالدیّان ابنا هاشم: أبو بکر محمد، و أبو عثمان سعید: المتوفّی (۳۷۱)، لهما کتاب أخبار أبی تمام و محاسن شعره.

۵- أبو علیّ أحمد بن محمد المرزوقی الأصبهانی: المتوفّی (۴۲۱)، له کتاب الانتصار من ظَلَمَةِ أبی تمام، دَفَعَ عنه ما انتُقِد به.

۶- أبو عبيد اللّه محمد بن عمران المرزبانى: المتوفّى (۴۴۴)، له كتاب أخبار أبى تمام فى نحو من مائة ورقة.

۷- أبو الحسين علىّ بن محمد العَدَوى السُمَيْساطى، له كتاب أخبار أبى تمام و المختار من شعره، و له كتاب تفضيل أبى نواس على أبى تمام.

۸- أبو ضياء بشر بن يحيى النصيبى، له كتاب سرقات البحترى من أبى تمام.

---

(۱). فهرست ابن النديم: ص ۱۹۰.

(۲). معجم الأدباء: ۸/ ۸۵.

۹- أحمد بن عبيد اللّه القطربلى المعروف بالفريد، صنّف فى أخطاء أبى تمام فى الإسلام و غيره.

۱۰- الشيخ يوسف البديعى القاضى بالموصل: المتوفّى (۱۰۷۳)، له كتاب هبة الأيّام فيما يتعلّق بأبى تمام فى (۳۰۹) صحيفة طبع بمصر سنة (۱۳۵۲).

۱۱- الشيخ محمد علىّ بن أبى طالب الزاهدى الجيلانى: المتوفّى ببنارس الهند سنة (۱۱۸۱).

۱۲- سيّدنا المحسن الأمين العاملى مؤلّف أعيان الشيعة.

۱۳- عمر فرّوخ من كتّاب العصر الحاضر، له تأليفٌ فى المترجم طُبع ببيروت فى مائة صحيفة.

و توجد ترجمته فى «۱» طبقات ابن المعتزّ (ص ۱۳۳)، فهرست ابن النديم (ص ۲۳۵)، تاريخ الطبرى (۱۱/ ۹)، فهرست النجاشى (ص ۱۰۲)، تاريخ الخطيب (۸/ ۲۴۸)، مروج الذهب (۲/ ۲۸۳ و ۳۵۷)، معجم البلدان (۳/ ۳۷)، تاريخ ابن عساكر (۴/ ۱۸- ۲۷)، نزهة الألبّاء (ص ۲۱۳)، تاريخ ابن خلّكان (۱/ ۱۳۱)، رجال ابن داود، خلاصة العلّامة، مرآة الجنان (۲/ ۱۰۲)، معاهد التنصيص (۱/ ۱۴)، شذرات الذهب (۲/ ۷۲)، مجالس المؤمنين (ص ۴۵۸)، كشف الظنون (۱/ ۵۰۱)، رياض الجنّة للزنوزى فى الروضة الرابعة، أمل الآمل (ص ۸)، منتهى المقال (ص ۹۶)، منهج المقال (ص ۹۲)، تكملة أمل الآمل لسيّدنا الصدر الكاظمى،

---

(۱). طبقات الشعراء: ص ۲۸۲، الفهرست لابن النديم: ص ۱۹۰، تاريخ الأمم و الملوك: ۹/ ۱۲۴ حوادث سنة ۲۲۸ ه، رجال النجاشى: ص ۱۴۱ رقم ۳۶۷، مروج الذهب: ۴/ ۷۷، معجم البلدان: ۲/ ۹۴، تاريخ مدينة دمشق: ۴/ ۱۵۲- ۱۶۳، و فى مختصر تاريخ دمشق: ۶/ ۱۷۸، نزهة الألبّاء: ص ۱۵۵ رقم ۴۵، وفيات الأعيان: ۲/ ۱۱ رقم ۱۴۷، رجال ابن داود: ص ۶۹

رقم ۳۷۶، رجال العلّامة الحلّی: ص ۶۱ باب ۱۳، معاهد التنصیص: ۱/ ۳۸ رقم ۶، شذرات الذهب: ۳/ ۱۴۳ حوادث سنة ۲۳۱ ه، مجالس المؤمنین: ۲/ ۵۴۰، کشف الظنون: ۱/ ۷۷۰، ریاض الجنة: ۱/ ۳۷۵ رقم ۶۱، أمل الآمل: ۱/ ۵۰ رقم ۴۱، منتهی المقال: ص ۱۵۰، تکملة أمل الآمل: ص ۲۶۰ رقم ۲۲۶.

ص: ۴۸۵

دائرة المعارف للبستانی (۲/ ۵۶)، دائرة المعارف الإسلامیّة (۱/ ۳۲۰)، دائرة المعارف لفرید وجدی (۲/ ۶۸۵- ۶۹۳)، و غیرها.

ولادته و وفاته:

لم نجزم فیهما بشیء ممّا فی المعاجم لتکثّر الاختلاف فیها، و کان الحقیق أن یؤخذ بالمنقول عن ابنه تمام، إذ أهل البیت أدری بما فیه، لکنّ اختلاف المعاجم فی المنقول عنه یسلب الثقة به، فمجموع الأقوال: إنَّه وُلِد سنة (۱۷۲، ۱۸۸، ۱۹۰، ۱۹۲) و توفّی سنة (۲۲۸، ۲۳۱، ۲۳۲) بالموصل، و دفن بها و بنی علیه أبو نهشل بن حُمَید الطوسی قبّة خارج باب المیدان علی حافّة الخندق، و رثاه علیٌّ بن الجهم «۱» بقوله:

غاضت بدائع فِطنةِ الأوهامِ و غدت علیها نکبةُ الأیّامِ

و غدا القریضُ ضئیلَ شخصٍ باکیاً یشکو رزیّتهُ إلی الأقلامِ

و تأوّهتْ غُرَرُ القوافی بعدَهُ و رمی الزمانُ صحیحها بسِقامِ

أودی مثقِّفها و رائدَ صعبِها و غدیرَ روضتِها أبا تمامِ

و قال الحسن بن وهب یرثیه:

فُجِع القریضُ بخاتم الشعراءِ و غدیرِ روضتها حبیبِ الطائی

ماتا معاً فتجاورا فی حُفرَةٍ و کذاک کانا قبلُ فی الأحیاءِ

قد یعزی البیتان إلی دیک الجنِّ. و رثاه الحسن بن وهب أیضاً بقوله من قصیدة:

سقى بالموصلِ القبرَ الغريبا سحائبُ ينتحبنَ له نحيبا

إذا أظلَلنَهُ أظلَلْنَ فيهِ شَعِيبَ المُزْنِ يتبعُها شَعِيبا

---

(۱). ديوان على بن الجهم: ص ۱۸۱.

و لطّمْنَ البُروقُ به خدوداً و أشققن الرعودُ به جُيوبا

فإنَّ ترابَ ذاک القبرِ يحوى حبيباً كان يُدعى لى حبيبا

و رثاه محمد بن عبد الملک الزيّات وزير المعتصم، و قيل: إنَّه لأبى الزِّبْرِقان عبد اللَّه بن الزِّبْرِقان الكاتب مولى بنى أميّة بقوله:

نبأٌ أتى من أعظم الأنباءِ لمّا ألمَّ مُقَلقِلُ الأحشاءِ

قالوا حبيبٌ قد ثوى فأجبتُهُمْ ناشدتُكمْ لا تجعلوه الطائى

سُئل شرف الدين أبو المحاسن محمد بن عنين عن معنى قوله:

سقى اللَّهُ روحَ الغوْطتين و لا ارتوتْ من الموصل الحدباءِ إلّا قبورُها

لِمَ حرَمها و خصَّ قبورها؟ فقال: لأجل أبى تمام.

خلف المترجم ولده الشاعر تمام، قصد بعد موت أبيه عبد اللَّه بن طاهر، فاستنشده فأنشده:

حيّاک ربُّ الناس حيّاکا إذ بجمالِ الوجهِ رَوّاکا

بغدادُ من نورِکَ قد أشرقتْ و أورقَ العودُ بجدواکا

فأطرق عبد اللّه ساعة ثمَّ قال:

حيّاک ربُّ الناس حيّاکا إنَّ الذی أمّلْتَ أخطاکا

أتيتَ شخصاً قد خلا کيسُهُ و لو حوی شيئاً لأعطاکا

فقال: أيّها الأمير؟ إنَّ بيع الشعر بالشعر ربا؛ فاجعل بينهما فضلًا من المال. فضحک منه و قال: لئن فاتک شعر أبيک فما فاتک ظَرفه، فأمر له بصلة.

غرر الخصائص لوطواط «۱» (ص ۲۵۹).

---

(۱). غرر الخصائص: ص ۲۶۲.

الجواد قد يکبو:

لا ينقضی العجب و کيف ينقضی من مِثل أبی تمام العريق فی المذهب و العارف بنواميسه، و البصير بأحوال رجالاته، و ما لهم من مآثر جمَّة، و جهود مشکورة، و هو جدُّ عليم بما لأضدادهم من تَرْکاض و هَمْلجة فی تشويه سمعتهم، و إعادة تاريخهم المجيد المملوء بالأوضاح و الغرَر، إلی صورة ممقوتة، محفوفة بِشِيَة العار، مشفوعة کلّ هاتيک بجلبة و لغط، و قد انطلت لديه أمثلة من تلکم السفاسف حول رجل الهدی، الناهض المجاهد و البطل المغوار، المختار بن أبی عبيد الثقفی؛ فحسب ما قذَفتهُ به خصماؤه الألدّاء فی دينه و حديثه و نهضته حقائق راهنة، حتی قال فی رائيّته المثبّتة فی ديوانه «۱» (ص ۱۱۴):

و الهاشميّون استقلّت عِيرُهُمْ من کربلاءَ بأوثقِ الأوتارِ

فَشَفاهُمُ المختارُ منه و لم يَکُنْ فی دينِه المختارُ بالمختارِ

حتى إذا انكشفت سرائرُهُ اغتدَوْا منهُ بُراءَ السمعِ و الأبصارِ

و من عطف على التاريخ و الحديث و علم الرجال نظرةً تشفعها بصيرة نفّاذة، علم أنَّ المختار فى الطليعة من رجالات الدين و الهدى و الإخلاص، و أنَّ نهضته الكريمة لم تكن إلّا لإقامة العدل باستئصال شأفة الملحدين، و اجتياح جذوم «٢» الظلم الأموى، و أنَّه بمنتزح من المذهب الكيسانى، و أنَّ كل ما نَبزوهُ من قذائف و طامّات لا مُقيلَ لها من مستوى الحقيقة و الصدق، و لذلک ترحّم عليه الأئمّة الهداة سادتنا، السجّاد و الباقر و الصادق- صلوات اللَّه عليهم-، و بالغ فى الثناء عليه الإمام الباقر عليه السلام، و لم يزل مشكوراً عند أهل البيت الطاهر هو و أعماله.

---

(١). ديوان أبى تمام: ص ١٣٥.

(٢). جمع جذمة، و هى الأصل.

و قد أكبره و نزّهَهُ العلماء الأعلام منهم «١»: سيِّدنا جمال الدين بن طاووس فى رجاله، و آية اللَّه العلّامة فى الخلاصة، و ابن داود فى الرجال، و الفقيه ابن نما فيما أفرد فيه من رسالته المسماة بذَوب النضار، و المحقِّق الأردبيلى فى حديقة الشيعة، و صاحب المعالم فى التحرير الطاووسى، و القاضى نور اللَّه المرعشى فى المجالس. و قد دافع عنه الشيخ أبو علىّ فى منتهى المقال، و غيرهم.

و قد بلغ من إكبار السلف له أنَّ شيخنا الشهيد الأوّل ذكر فى مزاره زيارةً تُخَصُّ به، و يُزار بها، و فيها الشهادة الصريحة بصلاحه و نصحه فى الولاية و إخلاصه فى طاعة اللَّه و محبّة الإمام زين العابدين، و رضا رسول اللَّه و أمير المؤمنين- صلوات اللَّه عليهما و آلهما- عنه، و أنَّه بذل نفسه فى رضا الأئمّة و نصرة العترة الطاهرة و الأخذ بثأرهم.

و الزيارة هذه توجد فى كتاب مُراد المُريد، و هو ترجمة مزار الشهيد للشيخ علىّ ابن الحسين الحائرى، و صحّحها الشيخ نظام الدين الساوجى مؤلِّف نظام الأقوال، و يظهر منها أنَّ قبر المختار فى ذلک العصر المتقادم كان من جملة المزارات المشهورة عند الشيعة، و كانت عليه قُبّةٌ معروفةٌ كما فى رحلة ابن بطوطة «٢» (١/ ١٣٨).

و لقد تصدّى لتدوين أخبار المختار و سيرته و فتوحه و معتقداته و أعماله جماعةٌ من الأعلام، فمنهم:

١- أبو مخنف لوط بن يحيى الأَزدى: المتوفّى (١٥٧)، له كتاب أخذ الثار فى المختار.

٢- أبو المفضل نصر بن مزاحم المنقَرى الكوفى العطّار: المتوفّى (٢١٢)، له أخبار المختار.

(۱). التحریر الطاووسی: ص ۵۵۸ رقم ۴۱۸، رجال العلّامة الحلّی: ص ۱۶۸ رقم ۲، رجال ابن داود: ص ۲۷۷ رقم ۴۹۳، ذوب النضار- المطبوع فی بحار الأنوار-: ۴۵/ ۳۴۶، حدیقة الشیعة: ۲/ ۳۰، التحریر الطاووسی: ص ۵۵۸ رقم ۴۱۸، مجالس المؤمنین: ۲/ ۲۴۵، منتهی المقال: ص ۳۶۴.

(۲). رحلة ابن بطوطة: ص ۲۲۰.

ص: ۴۸۹

۳- أبو الحسن علیّ بن عبد اللّه بن أبی سیف المدائنی: المتوفّی (۲۱۵، ۲۲۵)، له أخبار المختار.

۴- أبو إسحاق إبراهیم بن محمد الثقفی الکوفی: المتوفّی (۲۸۳)، له أخبار المختار.

۵- أبو أحمد عبد العزیز بن یحیی الجلودی: المتوفّی (۳۰۲)، له أخبار المختار.

۶- أبو جعفر محمد بن علیّ بن بابویه القمّی الصدوق: المتوفّی (۳۸۱)، له کتاب المختار.

۷- أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسی: المتوفّی (۴۶۹)، له مختصر أخبار المختار.

۸- أبو یعلی محمد بن الحسن بن حمزة الجعفری الطالبی خلیفة شیخنا المفید، له أخبار المختار.

۹- الشیخ أحمد بن المتوّج له الثارات أو قصص الثار منظومة.

۱۰- الفقیه نجم الدین جعفر الشهیر بابن نما: المتوفّی (۶۴۵)، له ذوب النضار فی شرح الثار، طُبِع برُمّته فی المجلد العاشر من البحار.

۱۱- الشیخ علیّ بن الحسن العاملی المروزی، له قرّة العین فی شرح ثارات الحسین، فرغ منه (۲۰) رجب سنة (۱۱۲۷).

۱۲- الشیخ أبو عبد اللّه عبد بن محمد، له قرَّة العین فی شرح ثار الحسین، طبع مع نور العین و مثیر الأحزان.

۱۳- السیِّد إبراهیم بن محمد تقی، حفید العلّامة الکبیر السیِّد دلدار علیّ النقوی النصیرآبادی، له نور الأبصار فی أخذ الثار.

۱۴- المولی عطاء اللّه بن حسام الهَرَوی، له روضة المجاهدین، طبع سنة (۱۳۰۳).

۱۵- المولی محمد حسین ابن المولی عبد اللّه الأرجستانی، له «حمله مختاریّة».

۱۶- الکاتب الهندی نوّاب علی نزیل لکهنو، له «نظاره انتقام» طبع فی جزءین.

۱۷- الحاج غلام علیّ بن إسماعیل الهندی، له «مختار نامه».

۱۸- سیّدنا السیِّد محسن الأمین العاملی، له أصدق الأخبار فی قصّة الأخذ بالثار مطبوع.

ص: ۴۹۰

۱۹- السیّد حسین الحکیم الهندی، له ترجمة ذوب النضار لابن نما.

۲۰- السیِّد محمد حسین ابن السیِّد حسین بخش الهندی: المولود (۱۲۹۰)، له تحفة الأخیار فی إثبات نجاة المختار.

۲۱- الشیخ میرزا محمد علیّ الأوردبادی، له سبیک النُّضار أو شرح حال شیخ الثار فی مائتین و خمسین صحیفة، و قد أدّی فیه حقَّ المقال، و أغرق نزعاً فی التحقیق، و لم یُبقِ فی القوس منزعاً، قرأت کثیراً منه و وجدته فریداً فی بابه لم یؤلَّف مثله، جزاه اللَّه عن الحقِّ و الحقیقة خیراً. و له فی المختار قصیدةٌ علی رویِّ قصیدة أبی تمام، عطف فیها علی مدیحه إطراء صاحبه و مُشاطرهِ فی الفضیلة إبراهیم بن مالک الأشتر، و هی:

یَهْنِیکَ یا بَطَلَ الهُدی و الثارِ ما قد حَویتَ بمُدرکِ الأوتارِ

لک عند آل محمدٍ کمْ من یدٍ مشکورةٍ جلّت عن الإکبارِ

عَرَفَتْکَ مُقْبِلةُ الخطوبِ مُحَنَّکاً فیهِ جَنانُ مهذّب مغوارِ

أضرمتَ للحرب العَوانِ لظیً بها أضْحَتْ بنو صخرٍ وقودَ النارِ

و أذَقْتَ نَغْلَ سُمیّةٍ بأسَ الهُدی و أُمیّةً کأسَ الردی و العارِ

فَرَأوا هواناً عند ضَفّة خازرٍ بمهنَّدٍ عند الکریهةِ وارِ

فرّقتَ جمعَهمُ العرمرمَ عَنوةً یوم الهِیاج بفَیلقٍ جَرّارِ

و فوارسٍ من حزبِ آلِ المصطفی أُسدِ الوَغی خوّاضةِ الأخطارِ

و بواسلٍ لم تُغْرِهمْ وَ ثَباتُهُمْ إلّا بکلِّ مُدَجَّجٍ ثوّارِ

لم یعرفوا إلّا الإمام و ثارَهُ فَتشادقوا فیها بیا لَلثارِ

فتَفَرّقَتْ فِرَقاً عُلوجُ أمیّةٍ من کلِّ زَنّاءٍ إلی خَمّارِ

و أخذتَ ثاراً قبلَهُ لم تکتحلْ عَلَویّةٌ مُذْ أُرزِئتْ بالثارِ

و عَمَرْتَ دوراً هُدِّمَتْ منذ العدى بالطفِّ قد أودَتْ بربِّ الدارِ

عَظُمَ الجِراحُ فلمْ يُصِبْ أعماقَهُ إلّاک يا حُيّيت من مِسبارِ

ص: ۴۹۱

فی نجدَةٍ ثَقَفِيّةٍ يسطو بها فی الروعِ من نَخَعٍ هِزَبْرٌ ضارى

النَدبُ «۱» إبراهيمُ من رَضَخَتْ لهُ الصيدُ الأُباةُ بملتقى الآصارِ

من زانَهُ شرفُ الهُدى فی سؤددٍ و عُلًا يفوحُ بها أريجُ نِجارِ

حَشوُالدروع أخو حجیً من دُونه هِضَبُ الرواسی الشُمِّ فی المِقدارِ

إنْ يَحْكِهِ فالليثُ فی حَمَلاتِهِ و الغيثُ فی تَسْكابه المدرارِ

أو يَحوِهِ فقلوبُ آلِ محمدٍ المُصْطَفَيْنَ السادةِ الأبرارِ

ما إن يَخُضْ عند اللقا فی غَمرَةٍ إلّا و أرسَبَ من سَطا بغِمارِ

أو يمَّمَ الجُلّى بعزمٍ ثاقبٍ إلّا وَ رَدَّ شُواظَها بأُوارِ

المرتدى حُلَلَ المديحِ مَطارِفاً و الممتطى ذُلُلًا لكلِّ فَخارِ

و عليه كُلُّ الفضلِ قصرٌ مثلما كلُّ الثنا قَصْرٌ على المختارِ

عن مجده أَرِجَ الكُبا «۲» و حديثهُ زهتِ الروابی عنه بالأزهارِ

و مآثرٌ مثلُ النجوم عِدادُها قد شُفِّعت بمحاسنِ الآثارِ

و كفاه آلُ محمدٍ و مديحُهمْ عمّا يُنضَّدُ فيه من أشعارِ

أسفی على أن لم أكُنْ من حِزبِهِ و كمثلِهِمْ عند الكفاحِ شِعارى

فهناک إمّا مَوتَةٌ أرجو بها أجرَ الشهادةِ فی ثناءٍ جاری

أو أنّنی أحظی بنَیلِ المُبتغی من آل حربٍ مُدرکاً أوتاری

و أخوضُ فی الأوساطِ منهم ضارباً ثَبَجَ العِدی بالمِقضَب البتّارِ

و لأثکِلَنَّ أراملًا فی فِتیةٍ نشأوا علی الإلحاد فی استهتارِ

وَ مَشِیخةٍ قد أورثوا کلّ الخنا و العار أجریة من الکفّارِ

لکن علی ما فیَ من مضَضِ الجَوی إذ لم أکن أحمی هناک ذِماری

لم تَعدُنی تلک المواقفُ کلُّها إذْ أنَّ ما فعلوا بها مُختاری

---

(۱). الندب: من یسارع فی الإجابة إذا نُدبَ الی أمر.

(۲). الکُبا: جمع کِباء، و هو ضربٌ من العود یُتبخّر به.

فلقد رَضیتُ بما أراقوا من دمٍ فیها لکلِّ مُذَمَّمٍ کفّارِ

وَلأَشْفِیَنَّ النفسَ منهمْ فی غَدٍ عند اشتباکِ الجحفلِ الموّارِ

یوم ابنُ طه عاقدٌ لبنودِهِ و جنودُهُ تلتاحُ «۱» فی إعصارِ

تشوی الوجوهَ لظیً به نزّاعةً لشوی الکُماةِ بأنْصُلٍ و شِفارِ

فهنالکَ الظَفَرُ المُریحُ جَوی الحشا من رازحٍ فی کَربهِ بأسارِ

و یَتِمُّ فیه القصدُ من عُصَب الولا لبنی الهدی کالسیِّد المختارِ

یا أیّها النَّدبُ المؤجَّج عزمُهُ و أمینَ آلِ المصطفی الأطهارِ

يا نجعةَ الخَطب المُلِمِّ و آفةَ ال كَربِ المُهمِّ و ندحَةَ «۲» الأوزارِ

لا غَرْوَ إن جَهِلَتْ عُلاک عصابةٌ فالقوم فی شُغُلٍ عن الإبصارِ

فلقد بَزَغتَ ذُکاً و هل یُزری بها أن تَعشَ عنها نظرةُ الأبصارِ

لک حیث مُرْتَبَع الفَخار مباءةٌ و لمن قَلاک مزلَّةُ الأغرارِ

و مبوَّأٌ لک فی جِوارِ محمدٍ و ملاذ عِترته حُماةِ الجارِ

فَلَئِن رَمَوکَ بمُحفِظٍ من إفکِهم فالطودُ لا یُلوی بعصف الذاری

أو یَجْحَدُوکَ مناقباً مأثورةً مشکورةً فی الورْدِ و الإصدارِ

فَلَکَ الحقیقةُ و الوقیعة لم تَزَلْ عن قُدسِ مجدکَ فی شفیرٍ هارِ

فَتهَنِّ مُحتبیاً بسؤددک الذی تَزْوَرُّ عنهُ جَلْبةُ المِهذارِ

خذها إلیک قصیدةً منضودةً من جوهرٍ أو من سبیکِ نُضارِ

لم یَحکِها نَجمُ السماء لأنَّها بَزَغَتْ بشارقةٍ من الأقمارِ

کلّا و لا ضاهی محاسنَ نَظمِها ما عن حُطَیئَةَ جاء أو بشّارِ

هی غادةٌ زُفَّتْ إلیکَ و لم یُشَنْ إقبالها بدعارةٍ و نِفارِ

هبّت علیک نسائمٌ قدسیّةٌ حیَّت ثراکَ برحمةٍ و یَسارِ

---

(۱). اللتح: ضرب الوجه و الجسد بالحصی حتی یؤثّر فیه.

(۲). الندح: الکثرة و السعة.

و سقى لإبراهيم مُضطَجَعَ الهدى وَدْقُ الغَمامِ المُرزمِ المكثارِ

ما نافح الروض النسيم مشفَّعاً سَجع البلابل فيه شَدو هَزارِ

يتلو كما يُتلى بكلِّ صحيفةٍ مَرَّ العَشىِّ و كرَّةَ الإبكارِ

ص: ۴۹۵

۱۰- دعبل الخزاعى

الشهيد (۲۴۶)

تجاوبنَ بالإرنان و الزفراتِ نوائحُ عُجمُ اللفظِ و النطقاتِ

يُخَبِّرنَ بالأنفاسِ عن سِرِّ أنفُسٍ أُسارى هوىً ماض و آخرَ آتِ

فأسعدن أو أسعفن حتى تقوّضت«۱» صفوف الدجى بالفجر منهزماتِ

على العرصاتِ الخالياتِ من المَها سلام شجٍ صبٍّ على العَرَصاتِ«۲»

فعهدى بها خُضْر المعاهد مألفاً من العَطِرات البيضِ و الخَفِراتِ«۳»

ليالىَّ يعدينَ الوصال على القِلى و يعدى تدانينا على الغُرُباتِ

و إذ هُنَّ يَلْحَظنَ العيون سوافراً و يَسترْنَ بالأيدى على الوَجناتِ

و إذ كلَّ يومٍ لى بلحظىَ نشوةٌ يبيتُ بها قلبى على نشواتِ

فكم حسراتٍ هاجها بمُحَسِّرٍ«۴» وقُوفىَ يوم الجمع من عَرَفاتِ

أ لم تر للأيّام ما جرَّ جورُها على الناس من نقصٍ و طولِ شتاتِ

و من دُوَلِ المستهزئين و من غدا بهم طالباً للنور فى الظلماتِ

فكيف و من أنّى بطالبِ زُلفَةٍ إلى اللّه بعد الصومِ و الصلواتِ

(۱). تَقَوّضت الصفوف: انتقضت و تفرّقت. (المؤلف)

(۲). المها: البقرة الوحشية. الصبّ: العاشق و ذو الولع الشديد. (المؤلف)

(۳). خَفِرت الجارية: استحيت أشد الحياء. (المؤلف)

(۴). وادی محسِّر بكسر السين المشدّدة: حدُّ مِنى إلى جهة عَرَفة. (المؤلف)

سوى حبِّ أبناء النبيِّ و رهطِهِ و بُغضِ بنى الزرقاء و العَبَلاتِ

و هندٍ و ما أدّت سُميّةُ و ابنُها أولو الكفرِ فى الإسلامِ و الفَجَراتِ

هُمُ نقضوا عهدَ الكتاب و فرضَهُ و مُحْكَمَهُ بالزورِ و الشبُهاتِ

و لم تكُ إلّا محنةٌ كَشَفَتْهُمُ بدعوى ضلال من هنٍ و هَناتِ

تراثٌ بلا قربى و ملكٌ بلا هدى و حكمٌ بلا شورى بغير هُداةِ

رزايا أرَتنا خُضرةَ الأفقِ حُمرةً و رَدّتْ أُجاجاً طعمَ كلِّ فراتِ

و ما سَهّلَتْ تلك المذاهبَ فيهمُ على الناس إلّا بيعةُ الفلَتاتِ«۱»

و ما قيل أصحاب السقيفة جهرةً بدعوى تُراثٍ فى الضلال نتاتِ«۲»

و لو قلّدوا الموصى إليه أمورَها لزَمّتْ بمأمونٍ عن العثراتِ

أخى خاتَمِ الرُّسلِ المصفّى من القذى و مُفْتَرِسِ الأبطالِ فى الغَمَراتِ

فإن جَحَدوا كان الغديرُ شهيدَهُ و بدرٌ و أُحدٌ شامخُ الهضباتِ

و آىٌ من القرآن تُتلى بفضلِهِ و إيثاره بالقوتِ فى اللزباتِ

و غُرٌّ خِلالٍ أدركتْهُ بِسبقِها مناقبُ كانت فيهِ مؤتنفاتِ«۳»

القصيدة (۱۲۱) بيتاً «۴»

ما يتبع الشعر

من كلمات أعلام العامّة:

۱- قال أبو الفرج فى الأغانى «۵» (۱۸/ ۲۹): قصيدة دعبل:

---

(۱). قوله: بيعة الفلتات، إشارة الى قول عمر: كانت بيعة أبى بكر فلتةً وقى اللَّه المسلمين شرّها.

(۲). كذا، و فى أعيان الشيعة: بتاتِ.

(۳). أنف كل شىء: أوّله. و روض أُنُف: ما لم يَرْعَهُ أحد: كاس أُنُف: لم يُشْرَب بها. المستأنف: ما لم يسبق إليه. (المؤلف)

(۴). توجد القصيدة بتمامها فى أعيان الشيعة: ۶/ ۴۱۸.

(۵). الأغانى: ۲۰/ ۱۳۲ و ۱۶۲.

ص: ۴۹۷

مدارسُ آياتٍ خلت من تِلاوةٍ و منزلُ وحيٍ مُقفرُ العَرَصاتِ«۱»

من أحسن الشعر و فاخر المدائح المقولة فى أهل البيت عليهم السلام، قصد بها علىّ بن موسى الرضا عليه السلام بخراسان، قال: دخلت على علىٍّ بن موسى الرضا عليه السلام، فقال لى: «أنشدنى شيئاً ممّا أحدثت»، فأنشدتُه:

مدارسُ آياتٍ خَلَتْ من تِلاوةٍ و منزلُ وَحيٍ مُقفِرُ العَرَصاتِ

حتى انتهيتُ إلى قولى:

إذا وُتِروا مَدّوا إلى واتريهمُ أكُفّا عن الأوتار مُنقبضاتِ

قال: فبكى حتى أُغمى عليه، و أومأ إلىَّ خادم كان على رأسه: أن اسكت فسكتُّ، فمكث ساعة ثمَّ قال لى: «أعِدْ» فأعدتُ حتى انتهيتُ إلى هذا البيت أيضاً، فأصابه مثل الذى أصابه فى المرّة الأولى، و أومأ الخادم إلىَّ: أن اسكت فسكتُّ، فمكث ساعة أخرى ثمَّ قال لى: «أعِدْ»، فأعدتُ حتى انتهيت إلى آخرها، فقال لى: «أحسنتَ»- ثلاث مرّات- ثمَّ أمر لى بعشرة آلاف درهم ممّا ضُرِبَ باسمه، و لم تكن دُفِعَت إلى أحد بعدُ، و أمر لى من فى منزله بحلىٍ كثير أخرجه إلىَّ الخادم، فقدمتُ العراق، فبعتُ كلَّ درهم منها بعشرة دراهم، اشتراها منّى الشيعة، فحصل لى مائة ألف درهم، فكان أوّل مال اعتقدته «٢».

قال ابن مهرويه: و حدّثنى حذيفة بن محمد: أنَّ دعبلًا قال له: إنّه استوهب من الرضا عليه السلام ثوباً قد لبسه ليجعله فى أكفانه، فخلع جُبَّة كانت عليه فأعطاه إيّاها، و بلغ أهل قم خبرها، فسألوه أن يبيعهم إيّاها بثلاثين ألف درهم، فلم يفعل، فخرجوا

---

(١). هو البيت الثلاثون من القصيدة و تُسمّى به. (المؤلف)

(٢). فى معاهد التنصيص: ١/ ٢٠٥ [٢/ ١٩٩ رقم ١١٥]، عيون أخبار الرضا: ص ٢٨٠ [٢/ ٢٩٦ ح ٣٤]. (المؤلف)

عليه فى طريقه فأخذوها منه غصباً، و قالوا له: إن شئتَ أن تأخذ المال فافعل، و إلّا فأنت أعلم، فقال لهم: إنّى و اللَّه لا أعطيكم إيّاها طوعاً و لا تنفعكم غصباً و أشكوكم إلى الرضا عليه السلام فصالحوه على أن أعطَوه الثلاثين ألف درهم و فرد كُمٍّ من بِطانتها، فرضى بذلک، فأعطوه فرد كُمٍّ فكان فى أكفانه، و كتب قصيدته:

مدارسُ آياتٍ خلَتْ من تلاوةٍ و منزلُ وحيٍ مُقفِرُ العرصاتِ

فيما يقال على ثوب و أحرم فيه و أمر بأن يكون فى أكفانه «١».

و روى فى (ص ٣٩) «٢» عن دعبل قال: لمّا هربتُ من الخليفة بتُّ ليلةً بنيسابور وحدى، و عزمتُ على أن أعمل قصيدة فى عبد اللَّه بن طاهر فى تلک الليلة، فإنّى لفى ذلک إذ سمعت و الباب مردودٌ علىَّ: السلام عليكم و رحمة اللَّه، انجُ يرحمک اللَّه،

فاقشَعَرَّ بدنی من ذلک و نالنی أمرٌ عظیمٌ، فقال لی: لا تُرَع عافاک اللَّه، فإنّی رجلٌ من إخوانک من الجنِّ من ساکنی الیمن، طرأ إلینا طارئ من أهل العراق فأنشدنا قصیدتک:

مدارسُ آیاتٍ خلَتْ من تِلاوةٍ و منزلُ وحیٍ مُقفِرُ العرصات

فأحببتُ أن أسمعها منک، قال فأنشدته إیّاها فبکی حتی خرَّ، ثمَّ قال: رَحِمَک اللَّه ألا أُحدِّثُکَ حدیثاً یزید فی نیّتک و یعینک علی التمسّکِ بمذهبک؟ قلت: بلی.

قال: مکثتُ حیناً أسمع بذکر جعفر بن محمد علیه السلام فصرتُ إلی المدینة فسمعته یقول: حدّثنی أبی عن أبیه عن جدِّه أنَّ رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم قال: «علیٌّ و شیعته هم الفائزون». ثمّ ودّعنی لینصرف فقلت له: یرحمک اللَّه إن رأیت، أن تُخبرنی باسمک فافعل. قال: أنا ظبیان بن عامر «۳».

---

(۱). و ذکر فی معجم الأدباء: ۴/ ۱۹۶ [۱۱/ ۱۰۳]، و معاهد التنصیص: ۱/ ۲۰۵ [۲/ ۱۹۹ رقم ۱۱۵]، و عصر المأمون: ۳/ ۲۵۵. (المؤلف)

(۲). الأغانی: ۲۰/ ۱۵۵.

(۳). و ذکره صاحب معاهد التنصیص: ۱/ ۲۰۵. (المؤلف)

۲- قال أبو إسحاق القیروانی الحصری المتوفّی سنة (۴۱۳) فی زهر الآداب «۱» (۱/ ۸۶): کان دعبل مدّاحاً لأهل البیت علیهم السلام کثیر التعصّب لهم و الغلوِّ فیهم، و له المرثیة المشهورة، و هی من جیِّد شعره، و أوّلها:

مدارسُ آیاتٍ خَلَتْ من تلاوةٍ و منزلُ وَحیٍ مُقفِرُ العَرَصاتِ

لآلِ رسول اللَّه بالخَیفِ من منی و بالبیت و التعریف و الجَمَراتِ

دیارُ علیٍّ و الحسینِ و جعفرٍ و حمزةَ و السجّادِ ذی الثفَناتِ

قفا نسألِ الدارَ التی خَفَّ أهلُها متی عهدها بالصومِ و الصلواتِ

و أین الأُلی شطّت بهم غُربَةُ النوی أفانینَ فی الآفاق مفترِقاتِ

أُحبُّ قَصیَّ الدار من أجل حُبِّهم و أهجرُ فیهم أُسرتی و ثِقاتی

۳- قال الحافظ ابن عساکر فی تاریخه «۲» (۵/ ۲۳۴): ثمّ إنّ المأمون لمّا ثبتت قدمه فی الخلافة، و ضرب الدنانیر باسمه، أقبل یجمع الآثار فی فضائل آل الرسول، فتناهی إلیه فیما تناهی من فضائلهم قول دعبل:

مدارسُ آیاتٍ خَلَتْ من تِلاوةٍ و منزلُ وحیٍ مقفرُ العرَصاتِ

لآلِ رسول اللّه بالخَیْفِ من منی و بالبیت و التعریف و الجمراتِ

فما زالت تردَّدُ فی صدر المأمون حتی قدم علیه دعبل «۳»، فقال له: أنشدنی قصیدتک التائیّة و لا بأس علیک و لک الأمان من کلِّ شیء فیها؛ فإنّی أعرفها و قد رُوِیتُها، إلّا أنّی أُحبُّ أن أسمعَها من فیک.

قال: فأنشده حتی صار إلی هذا الموضع:

---

(۱). زهر الآداب و ثمر الألباب: ۱/ ۱۳۴.

(۲). تاریخ مدینة دمشق: ۶/ ۷۷، و فی مختصر تاریخ دمشق: ۸/ ۱۸۲.

(۳). و من هنا یوجد فی الأغانی: ۱۸/ ۵۸ [۲۰/ ۱۹۵]، و زهر الآداب: ۱/ ۸۶ [۱/ ۱۳۴]، و معاهد التنصیص: ۱/ ۲۰۵ [۲/ ۱۹۸ رقم ۱۱۵]، و الإتحاف: ص ۱۶۵. (المؤلف)

أ لم ترَ أنّی مُذْ ثلاثین حِجّةً أروحُ و أغدو دائمَ الحَسَراتِ

أری فیئَهم فی غیرِهمْ مُتَقَسَّماً وَ أیْدِیَهُمْ من فَیْئِهِمْ صَفِراتِ

فآلُ رسول اللّه نُحْفٌ جسومُهمْ و آلُ زیادٍ غُلّظُ القَصَرَاتِ

بناتُ زيادٍ فی الخدورِ مصونةٌ و بنتُ رسولِ اللَّهِ فی الفلواتِ

إذا وُتروا مَدّوا إلی واتريهمُ أكفّا عن الأوتارِ مُنْقبضاتِ

فلو لا الذی أرجوه فی اليوم أو غدٍ تقطّع نفسی إثْرَهمْ حَسَراتی

فبكی المأمون حتی اخضلّت لحيته و جرت دموعه علی نحره، و كان دعبل أوّل داخل عليه و آخر خارج من عنده.

۴- قال ياقوت الحموی فی معجم الأدباء «۱» (۴/ ۱۹۶): قصيدته التائيّة فی أهل البيت من أحسن الشعر و أسنی المدائح، قصد بها علیَّ بن موسی الرضا عليه السلام بخراسان (و ذكر حديث البردة و قصّتها المذكورة ثمّ قال): و يقال: إنّه كتب القصيدة فی ثوب و أحرم فيه، و أوصی بأن يكون فی أكفانه. و نُسَخُ هذه القصيدة مختلفةٌ، فی بعضها زيادات يُظنّ «۲» أنّها مصنوعةٌ ألحقها بها أناسٌ من الشيعة، و إنّا موردون ما صحَّ منها:

مدارسُ آياتٍ خَلَتْ من تلاوةٍ و منزلُ وحيٍ مُقفِرُ العرصَاتِ

لآل رسول اللَّه بالخَيْفِ من منی و بالركنِ و التعريفِ و الجمراتِ

ديار علیٍّ و الحسينِ و جعفرٍ و حمزةَ و السجّادِ ذی الثفناتِ

ديارٌ عفاها كلُّ جَونٍ مبادرٍ و لم تَعْفُ للأيّام و السنواتِ

قفا نسألِ الدار التی خفَّ أهلها متی عهدُها بالصومِ و الصلواتِ

و أين الأُلی شطّت بهم غربةُ النوی أفانينَ فی الآفاق مُفْترقاتِ

همُ أهلُ ميراثِ النبیِّ إذا اعتَزَوا و هم خيرُ قاداتٍ و خيرُ حُماةِ

---

(۱). معجم الأدباء: ۱۱/ ۱۰۲- ۱۱۰.

(۲). يأتی فی آخر ما يتبع الشعر أنّ هذا الظنّ إثم، و لا يغنی من الحقّ شيئاً. (المؤلف)

و ما الناس إلّا حاسدٌ و مكذِّبٌ ... و مضطغنٌ ذو إحْنةٍ وَ تِراتِ

إذا ذَكروا قتلى ببدرٍ و خيبرٍ ... و يومَ حُنينٍ أسبلوا العَبَراتِ

قبورٌ بكوفانٍ و أخرى بطَيْبَةٍ ... و أخرى بفَخٍّ نالَها صلواتى

و قبرٌ ببغدادٍ لنفسٍ زكيّةٍ ... تَضَمَّنُها الرحمنُ فى الغُرُفاتِ

فأمّا المُصِماتُ «١» التى لستُ بالغاً ... مبالِغَها منّى بكُنهِ صِفاتِ

إلى الحشرِ حتى يبعثَ اللَّهُ قائماً ... يفرِّجُ منها الهمّ و الكُرباتِ

نفوسٌ لدى النهرين من أرض كربلا ... مُعَرَّسُهمْ فيها بشطِّ فراتِ

تقسّمهم رَيْبُ الزمان كما ترى ... لهم عُقرةٌ «٢» مغشيّةُ الحجراتِ

سوى أنّ منهم بالمدينة عُصْبةً ... مدى الدهر أنضاءً من الأزماتِ

قليلةُ زوّارٍ سوى بعض زُوَّرٍ ... من الضبع و العِقبان و الرخَماتِ

لهم كلَّ حينٍ نومةٌ بمضاجعٍ ... لهم فى نواحى الأرضِ مختلفاتِ

و قد كان منهم بالحجازِ و أهلها ... مغاويرُ يُختارون فى السرواتِ

تنكّبَ لَأْواء «٣» السنينَ جوارَهمْ ... فلا تَصْطَليهِمْ جمرةُ الجَمَراتِ

إذا وَرَدُوا خَيْلًا تشمَّسَ «٤» بالقَنَا ... مَساعرُ جمرِ الموتِ و الغَمَراتِ

و إنْ فَخَروا يوماً أتَوا بمحمدٍ ... و جبريلَ و الفرقانِ ذى السُّوَراتِ

ملامَک فى أهلِ النبىِّ فإنّهمْ ... أحبّایَ ما عاشوا و أهلُ ثِقاتى

تخيّرْتُهمْ رُشْداً لأمرى فإنّهمْ ... على كلِّ حالٍ خيرةُ الخِيَراتِ

فيا ربِّ زدنى من يقينى بصيرةً ... و زد حبَّهم يا ربِّ فى حسناتى

بنفسىَ أنتمْ من كهولٍ و فتيةٍ ... لفكِّ عُناة أو لحمل دِياتِ

أُحبُّ قَصىَ الرحْم من أجل حبِّكمْ و أهجرُ فيكم أُسرتى و بناتى

---

(١). المصمات: الدواهى و الأمور العظيمة.

(٢). فى معجم الأدباء: عُمْرة.

(٣). اللأواء: الشدّة و ضيق المعيشة.

(۴). تشمّس: امتنع بسلاحه عن العدو، يقال فرس شموس إذا منعت ظهرها و أبت الركوب.

و أكتمُ حُبِّيكم مخافةَ كاشح عنيدٍ لأهلِ الحقِّ غير مواتِ

لقد حفّتِ الأيّامُ حولى بشَرِّها و إنّى لأرجو الأمْنَ بعد وفاتى

أ لم ترَ أنّى مُذ ثلاثين حِجّةً أروحُ و أغدوا دائمَ الحسرَاتِ

أرى فَيْئَهَمْ فى غيرهم متقسَّماً و أيدِيَهُمْ من فَيْئِهمْ صَفِراتِ

فآلُ رسولِ اللَّهِ نُحْفٌ جُسُومُهمْ و آلُ زياد حُفَّلُ القَصَراتِ«١»

بناتُ زيادٍ فى القصورِ مصونةٌ و آلُ رسولِ اللَّهِ فى الفَلَواتِ

إذا وُتِروا مدّوا إلى أهل وترهم أكُفّا من الأوتارِ منقبضاتِ

فلو لا الذى أرجوهُ فى اليوم أو غدٍ لقطّعَ قلبى إثرَهم حسراتى

خروجُ إمامٍ لا محالة خارجٍ«٢» يقوم على اسم اللَّه و البركاتِ

يميِّز فينا كل حقٍّ و باطلٍ و يَجزى على النعْماءِ و النّقِماتِ

سَأَقْصُرُ نفسى جاهداً عن جِدالِهِمْ كفانىَ ما ألقى من العَبَراتِ

فيا نفسُ طِيبى ثمّ يا نفسُ أبْشِرى فغيرُ بعيدٍ كلُّ ما هو آتِ

فإن قرّب الرحمنُ من تلک مُدّتى و أخّرَ من عمرى لطول حياتى

شُفِيتُ و لم أترکْ لنفسى رزيّةً و رَوّيت منهم مُنْصُلى و قناتى

أُحاول نقلَ الشمس من مستقرِّها و أُسْمِعُ أحجاراً من الصلِداتِ

فمن عارفٍ لم ينتفعْ و معاندٍ يميلُ مع الأهواء و الشبهاتِ

قصارای منهم أن أموتَ بِغُصّةٍ تَرَدّدُ بين الصدر و اللَهَواتِ

كأنّک بالأضلاعِ قد ضاق رَحْبُها لِما ضُمِّنَتْ من شدّة الزفراتِ

-۵

أخرج شيخ الإسلام أبو إسحاق الحمّوئى المترجم له (۱/ ۱۲۳) عن أحمد بن زياد عن دعبل الخزاعى، قال: أنشدت قصيدة لمولاى علىّ الرضا رضى الله عنه:

مدارسُ آياتٍ خَلَتْ من تِلاوةٍ و منزلُ وحيٍ مُقفرُ العرصاتِ

---

(۱). الحُفّل من الحافل: الممتلئ. القَصَرات جمع قَصَرة: أصل العنق. (المؤلف)

(۲). خارج: صفة للإمام، و خبر «لا» محذوف تقديره واقع.

ص: ۵۰۳

قال لى الرضا: «أ فلا أُلحِقُ البيتين بقصيدتک؟». قلت: بلى يا ابن رسول اللَّه، فقال:

»و قبر بطوسٍ يا لها من مصيبةٍ ألحّت بها الأحشاءُ بالزفراتِ

إلى الحشر حتى يبعث اللَّه قائماً يفرِّج عنّا الهمَّ و الكرباتِ««۱»

قال دعبل: ثمّ قرأت باقی القصیدة فلمّا انتهیت إلی قولی:

خروجُ إمامٍ لا محالة واقعٌ یقوم علی اسم اللّه و البرکاتِ

بکی الرضا بکاء شدیداً ثمّ قال: «یا دعبل نطق روح القدُس بلسانک، أ تعرف من هذا الإمام؟» قلت: لا، إلّا أنّی سمعت خروج إمام منکم یملأ الأرض قسطاً و عدلًا.

فقال: «إنّ الإمام بعدی ابنی محمد، و بعد محمد ابنه علیّ، و بعد علیّ ابنه الحسن، و بعد الحسن ابنه الحجّة القائم، و هو المنتظر فی غیبته، المُطاع فی ظهوره، فیملأ الأرض قسطاً و عدلًا کما مُلئت جوراً و ظلماً، و أمّا متی یقوم فإخبارٌ عن الوقت. لقد حدَّثنی أبی عن آبائه عن رسول اللّه صلی الله علیه و سلم قال: مَثَلُه کَمَثل الساعة لا تأتیکم إلّا بغتة». و یأتی هذا الحدیث عن الشبراوی أیضاً.

-۶

قال أبو سالم بن طلحة الشافعی المتوفّی (۶۵۲) فی مطالب السؤول (ص ۸۵):

قال دعبل: لمّا قلت مدارس آیات قصدت بها أبا الحسن علیَّ بن موسی الرضا و هو بخراسان ولیّ عهد المأمون، فأحضرنی المأمون و سألنی عن خبری ثمّ قال لی: یا دعبل أنشدنی مدارس آیات خلت من تلاوة، فقلت: ما أعرفُها یا أمیر المؤمنین،

---

(۱). ألحقها الإمام علیه السّلام بعد قول دعبل: [] و قبر ببغدادٍ لنفسٍ زکیّةٍ [] تضمّنها الرحمنُ فی الغُرُفاتِ [] (المؤلف)

فقال: یا غلام أحضر أبا الحسن علیّ بن موسی الرضا علیه السلام. فلم یکن إلّا ساعة حتی حضر، فقال له: یا أبا الحسن، سألت دعبلًا عن مدارس آیات خَلَتْ من تلاوة فذکَرَ أنّه لا یعرفها. فقال لی أبو الحسن: «یا دعبل أنشِدْ أمیر المؤمنین». فأخذت فیها فأنشدتها، فاستَحْسَنها فأمر لی بخمسین ألف درهم. و أمر لی أبو الحسن الرضا بقریب من ذلک.

فقلت: یا سیِّدی إن رأیتَ أن تَهَبَنی شیئاً من ثیابک لیکون کفنی. فقال: «نعم». ثمّ دفع لی قمیصاً قد ابتذله و مِنْشفة لطیفة، و قال لی: «احفظ هذا تُحْرَسْ به» ثمّ دفع لی ذو الریاستین أبو العبّاس الفضل بن سهل وزیر المأمون صلةً، و حَمَلَنی علی برذون أصفر خراسانیّ، و کنت أُسایره فی یوم مطیر و علیه ممطر خزّ و بُرْنُس، فأمر لی به و دعا بغیره جدید و لبسه، و قال: إنّما آثرتک

باللبيس لأنّه خير الممطرين، قال: فأُعطِيتُ به ثمانين ديناراً فلم تَطِبْ نفسى ببيعه، ثمّ كَرَرْتُ راجعاً إلى العراق، فلمّا صِرتُ فى بعض الطريق خرج علينا الأكراد فأخذونا، فكان ذلک اليوم يوماً مطيراً، فبقيتُ فى قميصٍ خَلِقٍ و ضُرٍّ شديد، متأسِّفاً، من جميع ما كان معى، على القميص و المنشفة و مفكّراً فى قول سيّدى الرضا، إذ مرَّ بى واحدٌ من الأكراد الحراميّة تحته الفرس الأصفر الذى حملنى عليه ذو الرياستين و عليه الممطر، و وقف بالقرب منّى ليجتمع إليه أصحابه و هو ينشد- مدارس آيات خلت من تلاوة- و يبكى، فلمّا رأيت ذلک عَجِبْتُ من لصّ من الأكراد يتشيّعُ، ثمّ طمعتُ فى القميص و المنشفة فقلت: يا سيِّدى، لمن هذه القصيدة؟ فقال: و ما أنت و ذاک؟ ويلک!. فقلت: لى فيه سببٌ أُخبرک به، فقال: هى أشهر بصاحبها من أن تُجهلَ. فقلت: من؟ قال: دعبل بن علىّ الخزاعى شاعر آل محمد جزاه اللَّه خيراً. قلت له: يا سيِّدى فأنا و اللَّه دعبل و هذه قصيدتى، الحديث.

و قال (ص ٨۶) بعد ذكر الحديث ما لفظه: فانظر إلى هذه المنقبة و ما أعلاها و ما أشرفها، و قد يقف على هذه القصّة بعض الناس ممّن يطالع هذا الكتاب و يقرؤه

ص: ۵۰۵

فتدعوه نفسه إلى معرفة هذه الأبيات المعروفة ب- مدارس آيات- و يشتهى الوقوف عليها، و ينسبُنى فى إعراضى عن ذكرها إمّا أنّنى لم أعرفها، أو: أنّنى جَهِلتُ ميل النفوس حينئذٍ إلى الوقوف عليها، فأحببتُ أن أُدخِلَ راحةً على بعض النفوس، و أن أدفعَ عنّى هذا النقص المتطرِّق إلى بعض الظنون، فأوردت منها ما يناسب ذلک، و هى:

ذكرتُ محلَّ الرَّبعِ من عرفاتِ — و أرسلتُ دمعَ العينِ بالعبراتِ

و فلَّ عُرى صبرى و هاج صَبابتى — رسومُ ديارٍ أقفرَتْ وعِراتِ

مدارسُ آياتٍ خَلَتْ من تلاوةٍ — و مَهبطُ وحى مُقفِرُ العرصاتِ

لآلِ رسولِ اللَّهِ بالخَيْفِ من منى — و بالبيتِ و التعريفِ و الجَمَراتِ

ديارُ علىٍّ و الحسينِ و جعفرٍ — و حمزةَ و السجّادِ ذى الثفناتِ«۱»

ديارٌ عفاها جَوْرُ كلِّ مُنابذٍ — و لم تَعْفُ بالأيّام و السنواتِ

و دارٌ لعبد اللَّه و الفضلِ صنوهِ — سليلِ «۲» رسولِ اللَّه ذى الدعواتِ

منازلُ كانت للصّلاة و للتّقى — و للصومِ و التطهيرِ و الحسناتِ

منازلُ جبريلُ الأمينُ يحلُّها — من اللَّه بالتسليمِ و الزكواتِ

منازلُ وحىِ اللَّهِ مَعدِنِ علمِهِ — سبيلِ رشادٍ واضحِ الطُرقاتِ

منازلُ وحی اللّه ینزلُ حولَها | علی أحمد الروحات و الغدواتِ
فأین الأُلی شطّت بهم غُربةُ النّوی | أفانینَ فی الأقطار مفترقاتِ
هُمُ آلُ میراث النبیِّ إذا انتموا | و همْ خیرُ ساداتٍ و خیرُ حُماةِ

---

(۱). ذکر الثعالبی فی ثمار القلوب: ص ۲۳۳ [ص ۲۹۱ رقم ۴۳۹] بیتین من القصیدة، أحدهما: مدارس آیات. و الثانی هذا البیت، و قال: (ذو الثفنات) کان یقال لکلّ من علیّ بن الحسین بن علیّ علیهم السّلام و علیّ بن عبد اللّه بن عبّاس: ذو الثفنات، لِما علی أعضاء السجود منهما من السجدات الشبیهة بثفنات الإبل؛ و ذلک لکثرة صلاتهما. (المؤلف)

(۲). فی الدیوان: نجیِّ رسول اللّه.

مطاعیمُ فی الإعسارِ فی کلِّ مشهدٍ | لقد شُرِّفوا بالفضلِ و البَرکاتِ
إذا لم نُناجِ اللّهَ فی صَلواتِنا | بذکرِهمُ لم یَقْبَلِ الصّلواتِ
أئمّةُ عَدْلٍ یُقتدی بفعالِهم | و تُؤمَنُ منهم زَلّةُ العَثَراتِ
فیا ربِّ زِدْ قلبی هدیً و بصیرةً | وَ زِدْ حبَّهم یا ربِّ فی حسناتی
دیارُ رسول اللّه أصبحنَ بلقعاً | و دار زیادٍ أصبحتْ عمراتِ
و آل رسول اللّه غُلَّت رقابُهمْ | و آل زیادٍ غُلّظُ القَصَرَاتِ
و آل رسول اللّه تَدمی نحورُهُمْ | و آل زیاد زیَّنوا الحَجَلاتِ«۱»
و آل رسول اللّه تُسبی حریمُهم | و آلُ زیاد آمِنوا السَرباتِ
و آل زیاد فی القصور مصونةٌ | و آل رسولِ اللّهِ فی الفلواتِ
فیا وارثی علمِ النبیِّ و آلَهُ | علیکم سلامٌ دائمُ النَفَحاتِ

لقد آمنتْ نفسی بکمْ فی حیاتِها و إنّی لأرجو الأمنَ بعد مماتی

۷- ذکر شمس الدین سبط ابن الجوزی الحنفی: المتوفّی (۶۵۴) فی تذکرته «۲» (ص ۱۳۰) من القصیدة (۲۹) بیتاً، و فیها ما لم یذکره الحموی فی معجم الأدباء. و ذُکرت فی هامش التذکرة القصیدة من أوّلها إلی- مدارس آیات.

۸- ذکر صلاح الدین الصفدی: المتوفّی (۷۶۴) فی الوافی بالوفیات «۳» (۱/ ۱۵۶) طریق روایة القصیدة عن عبید اللّه «۴» بن جخجخ النحوی عن محمد بن جعفر بن لنکک أبی الحسن البصری النحوی عن أبی الحسین العبادانی عن أخیه عن دعبل. و هذا الطریق ذکره جلال الدین السیوطی فی بغیة الوعاة «۵» (ص ۹۴).

---

(۱). الحَجَلاتِ: جمع حَجَلَة، و هی بیت یزیّن بالثیاب و الأسرّة و الستور.

(۲). تذکرة الخواص: ص ۲۲۷.

(۳). الوافی بالوفیات: ۱۴/ ۱۴ رقم ۱۲.

(۴). قال یاقوت الحموی: کان ثقة صحیح الکتابة [و ذکره السیوطی فی بغیة الوعاة: ۲/ ۱۲۶ رقم ۱۶۰۷]. (المؤلف)

(۵). بغیة الوعاة: ۱/ ۲۱۹ رقم ۳۹۶.

۹-

روی الشبراوی الشافعی: المتوفّی (۱۱۷۲) فی الإتحاف (ص ۱۶۵) عن الهروی، قال: سمعت دعبلًا یقول: لمّا أنشدت مولای الرضا قصیدتی التی أوّلها:

مدارسُ آیاتٍ خَلَتْ من تِلاوةٍ و مهبطُ وحیٍ مقفرُ العَرَصاتِ

فلمّا انتهیت إلی قولی:

خروجُ إمامٍ لا محالةَ خارجٍ يقوم على اسم اللّه و البركاتِ

يميِّز فينا كلَّ حقٍّ و باطلٍ و يُجزى على النعماء و النقماتِ

بكى الرضا عليه السلام بكاءً شديداً ثمَّ رفع رأسه إليّ فقال لى: «يا خزاعىُّ نطق روحُ القُدُس على لسانِک بهذين البيتين، فهل تدرى من هذا الإمام؟ و متى يقوم؟». فقلت: لا يا سيِّدى؟ إلّا أنّى سَمِعْتُ بخروجِ إمامٍ منكم، إلى آخر ما مرَّ عن الحمّوئى «۱».

و فى الإتحاف (ص ۱۶۱): نقل الطبرى فى كتابه عن أبى الصلت الهَرَوى قال: دخل الخزاعىُّ على علىِّ بن موسى الرضا بمرو، فقال: يا ابن رسول اللّه، إنّى قلت فيكم أهلَ البيتِ قصيدة، و آليتُ على نفسى أن لا أُنشِدَها أحداً قبلک، و أُحبُّ أن تسمعها منّى، فقال له علىُّ الرضا: «هات قل»، فأنشأ يقول:

ذكرتُ محلَّ الربعِ من عَرَفاتِ فَأجْرَيتُ دمعَ العينِ بالعَبَراتِ

و فلَّ عُرى صَبرى و هاجَتْ صبابتى رسومُ ديارٍ أقْفَرتْ وَعِراتِ

مدارسُ آياتٍ خَلَتْ من تِلاوةٍ و مَهْبطُ وَحيٍ مُقفِرُ العَرَصاتِ

لآل رسول اللّهِ بالخَيْفِ من منى و بالبيتِ و التعريفِ و الجمراتِ

ديار علىٍّ و الحسينِ و جعفرٍ و حمزةَ و السجّادِ ذى الثفَناتِ

---

(۱). و ذكره الصدوق فى العيون: ص ۳۷۰ [۲/ ۲۹۶ ح ۳۵ باب ۶۶]، و كمال الدين: ص ۳۷۲، و الطبرسى فى إعلام الورى: ص ۱۹۲ [ص ۳۱۸]. (المؤلف)

ديارٌ لعبدِ اللّه و الفضلِ صِنوهِ نَجىِّ رسول اللّهِ فى الخَلواتِ

منازلُ كانت للصلاة و للتقى و للصوم و التطهير و الحَسَناتِ

منازلُ جبريلُ الأمينُ يَحِلُّها من اللَّه بالتعليم و الرحماتِ

منازلُ وحيِ اللَّه معدنِ علمهِ سبيلِ رشادٍ واضحِ الطرقاتِ

قفا نسألِ الدارَ التى خَفَّ أهلُها متى عهدُها بالصومِ و الصلواتِ

و أين الأُلى شطّتْ بهم غُربةُ النوى فأمْسَيْنَ فى الأقطار مُفترقاتِ

أُحبُّ قضاء اللَّه من أجل حبِّهمْ و أهجرُ فيهم أُسرتى و ثِقاتى

همُ أهلُ ميراثِ النبىِّ إذا انتموا و همْ خيرُ سادات و خيرُ حُماةِ

مطاعيمُ فى الإعسار فى كلِّ مشهدٍ لقد شُرِّفوا بالفضلِ و البركاتِ

أئمّةُ عَدلٍ يُقتدَى بفعالِهم و تُؤْمَنُ منهمْ زلَّةُ العَثَراتِ

فيا ربِّ زِدْ قلبى هدىً و بصيرةً و زد حبّهم يا ربِّ فى حسناتى

لقد آمنتْ نفسى بهمْ فى حياتِها و إنّى لأرجُو الأمنَ بعد وَفاتى

أ لم تَرَ أنّى مُذْ ثلاثينَ حِجّةً أروحُ و أغدو دائمَ الحَسَراتِ

أرى فيئَهم فى غيرِهمْ مُتَقَسَّماً و أيدِيَهمْ من فَيْئِهِمْ صَفِراتِ

إذا وُتِروا مَدّوا إلى أهلِ وِتْرِهِمْ أكُفّا عن الأوتارِ منقبضاتِ

و آلُ رسول اللَّه نُحْفٌ جُسُومُهمْ و آلُ زياد غُلَّظ القَصَراتِ

سأبكيهمُ ما ذَرَّ فى الأُفق شارقٌ و نادى منادى الخير بالصلواتِ

و ما طلعت شمسٌ و حان غُروبها و بالليلِ أبكيهمْ و بالغَدَواتِ

ديارُ رسولِ اللَّهِ أصبحْنَ بَلْقَعاً وَ آلُ زيادٍ تسكُن الحُجُراتِ

وَ آلُ زيادٍ فى القصورِ مصونةٌ و آلُ رسولِ اللَّهِ فى الفَلَواتِ

فلو لا الذى أرجوه فى اليومِ أو غدٍ تقطّعُ نفسى إثرهم حسراتى

خروجُ إمامٍ لا محالةَ خارجٍ يقوم على اسمِ اللَّهِ بالبركاتِ

يُميِّز فينا كلَّ حُسنٍ و باطلٍ و يَجزى عن النعماء و النَقِماتِ

فيا نفسُ طيبى ثمّ يا نفسُ فاصبرى فغيرُ بعيد كلُّ ما هو آتِ

ص: ۵۰۹

و هى قصيدةٌ طويلةٌ عدّة أبياتها مائةٌ و عشرون بيتاً. و لمّا فرغ دعبل من إنشادها نهض أبو الحسن الرضا و قال: «لا تبرح» فأنفذ إليه صُرّة فيها مائة دينار و اعتذر إليه. فردّها دعبل و قال: و اللَّه ما لهذا جئتُ و إنّما جئت للسلام عليه و التبرُّک بالنظر إلى وجهه الميمون، و إنّى لفى غنىً، فإن رأى أن يعطينى شيئاً من ثيابه للتبرُّک فهو أحبُّ إلىَّ، فأعطاه الرضا جبّة خَزّ و ردَّ عليه الصُرَّة و قال للغلام: «قل له: خذْها و لا تَرُدّها؛ فإنّک ستصرفها أحوَجَ ما تكونُ إليها». فأخذها و أخذ الجبَّة. إلى آخر حديث اللصوص المذكور.

۱۰- ذكر الشبلنجى فى نور الأبصار «۱» (ص ۱۵۳) ما مرَّ عن الشبراوى برُمّته حرفيّا.

أمّا أعلام الطائفة:

فقد ذكر القصيدة و قصّة الجُبّة و اللصوص جمعٌ كثيرٌ [منهم] لا نطيل المقال بذكر كلماتهم، بل نقتصر منها على ما لم يُذكر فى الكلمات المذكورة.

روى شيخنا الصدوق فى العيون «۲» (ص ۳۶۸) و الإكمال «۳» عن الهروى قال: دخل دعبل على أبى الحسن الرضا عليه السلام بمرو فقال له: يا ابن رسول اللَّه، إنِّى قد قلتُ فيكم قصيدة و آليتُ على نفسى أن لا أُنْشِدَها أحداً قبلک، فقال عليه السلام: «هاتها»، فأنشده، فلمّا بلغ إلى قوله:

أرى فيْئَهُمْ فى غيرهم مُتَقَسَّماً وَ أيْدِيَهُمْ من فَيْئِهِمْ صَفِراتِ

بكى أبو الحسن عليه السلام و قال له: «صدقْتَ يا خزاعِىُّ»، فلمّا بلغ إلى قوله:

---

(۱). نور الأبصار: ص ۳۱۰.

(۲). عیون أخبار الرضا: ۲/ ۲۹۴ ح ۳۴ باب ۶۶.

(۳). کمال الدین: ص ۳۷۳- ۳۷۶ باب ۳۵.

إذا وُتِروا مَدّوا إلی واتریهمُ أکُفّا عن الأوتارِ مُنقبضاتِ

جعل أبو الحسن علیه السلام یُقَلِّب کفَّیه و یقول: «أجل و اللَّه منقبِضات»، فلمّا بلغ إلی قوله:

لقد خِفْتُ فی الدنیا و أیّامِ سعیها و إنّی لأرجو الأمنَ بعد وفاتی

قال الرضا: «آمنک اللَّه یوم الفزع الأکبر». فلمّا انتهی إلی قوله:

و قبرٌ ببغدادٍ لنفسٍ زَکیّةٍ تضمّنها الرحمنُ فی الغُرُفاتِ

قال له الرضا: «أ فَلا أُلْحِق لکَ بهذا الموضع بیتین بهما تمام قصیدتک؟».

فقال: بلی یا ابن رسول اللَّه، فقال علیه السلام:

»و قبرٌ بطوسٍ یا لها من مصیبةٍ تَوَقّدُ فی الأحشاءِ بالحُرُقاتِ

إلی الحشر حتی یبعثَ اللَّهُ قائماً یُفرِّج عنّا الهمَّ و الکُرُباتِ«

فقال دعبل: یا ابن رسول اللَّه هذا القبر الذی بطوس قبر من هو؟

فقال الرضا: «قبرى، و لا تنقضى الأيّام و الليالى حتى تصير طوس مُختلَف شيعتى و زوّارى، ألا فمن زارنى فى غربتى بطوس كان معى فى دَرَجَتى يوم القيامة مغفوراً له». ثمّ نهض الرضا عليه السلام و أمر دعبل أن لا يبرح من موضعه، فذكر قصّة الجبّة و اللصوص ثمّ قال:

كانت لدعبل جاريةٌ لها من قِبَلِهِ محلٌّ، فَرَمَدَتْ عينُها رَمَداً عظيماً، فأُدخِل أهل الطبِّ عليها فنظروا إليها فقالوا: أمّا العين اليمنى فليس لنا فيها حيلةٌ و قد ذهبت، و أمّا اليسرى فنحن نعالجها و نجتهد و نرجو أن تَسلمَ. فاغتَمَّ لذلک دعبل غمّا شديداً و جزع عليها جزعاً عظيماً، ثمّ إنّه ذكر ما كان معه من وُصْلَة الجُبّة، فَمَسَحَها على عَيْنى الجارية و عصبها بعصابة منها من أوّل الليل، فأصبحت و عيناها أصحّ ممّا كانتا قبلُ

ببركة أبى الحسن الرضا عليه السلام «۱».

فى مشكاة الأنوار «۲» و مؤجِّج الأحزان «۳»: رُوى أنّه لمّا قرأ دعبل قصيدته على الرضا عليه السلام و ذكر الحجّة- عجَّل اللّه فرجه- بقوله:

فلو لا الذى أرجوهُ فى اليومِ أو غدٍ تُقطِّعُ نفسى إثْرَهُمْ حَسَراتى

خروجُ إمامٍ لا محالةَ خارجٍ يقوم على اسمِ اللّه و البركاتِ

وضع الرضا عليه السلام يَدَهُ على رأسه، و تواضع قائماً و دعا له بالفَرَج. و حكاه عن المشكاة صاحب الدمعة الساكبة «۴» و غيره.

و لهذه التائيّة عدّة شروح لأعلام الطائفة منها:

شرح العلّامة الحجّة السيِّد نعمة اللّه الجزائرى: المتوفّى (۱۱۱۲).

شرح العلّامة الحجّة كمال الدين محمد بن محمد الفَسَوى الشيرازى.

شرح العلّامة الحاج ميرزا علىّ العلیارى التبريزى: المتوفّى (۱۳۲۷).

لفت نظر

إنَّ مستهلَّ هذه القصيدة ليس كلّ ما ذكروه؛ فإنّها مبدوءةٌ بالنسيب و مطلعها:

تجاوبن بالإرنان و الزفراتِ نوائحُ عُجْمُ اللفظِ و النطقاتِ

قال ابن الفتّال فی روضته «۵» (ص ۱۹۴)، و ابن شهرآشوب فی المناقب «۶»

---

(۱). و ذکره الطبرسی فی إعلام الوری: ص ۱۹۱ [ص ۳۱۶]، و الإربِلی فی کشف الغُمّة: ص ۲۷۵ [۳/ ۱۱۲]. (المؤلف)

(۲). تألیف الشیخ محمد بن عبد الجبّار البحرانی. (المؤلف)

(۳). تألیف الشیخ عبد الرضا بن محمد الأوالی البحرانی. (المؤلف)

(۴). الدمعة الساکبة للنبهانی: ۷/ ۳۶۵.

(۵). روضة الواعظین: ۱/ ۲۲۷.

(۶). مناقب آل أبی طالب: ۴/ ۳۶۶.

ص: ۵۱۲

(۲/ ۳۹۴): رُوی أنّ دعبل أنشدها الإمام علیه السلام من قوله: مدارس آیاتٍ، و لیس هذا البیت رأس القصیدة، و لکن أنشدها من هذا البیت فقیل له: لِمَ بدأت بمدارس آیات؟ قال: استحییت من الإمام علیه السلام أن أُنشدَه التشبیب، فأنشدته المناقب و رأس القصیدة:

تجاوبن بالإرنان و الزفراتِ نوائحُ عُجْمُ اللفظِ و النطقاتِ

ذکرها «۱» برمّتها و هی مائة و عشرون بیتاً الإربِلی فی کشف الغمّة، و القاضی فی المجالس (ص ۴۵۱)، و العلّامة المجلسی فی البحار (۱۲/ ۷۵)، و الزنوزی فی الروضة الأولی من ریاض الجنّة، و نصَّ علی عددها المذکور الشبراوی و الشبلنجی کما مرَّ. فما قدّمناه عن الحموی من أنّ نُسَخَ هذه القصیدة مختلفةٌ، فی بعضها زیاداتٌ یُظنُّ أنّها مصنوعةٌ ألحَقَها بها أناسٌ من الشیعة، و إنّا موردون هنا ما صحَّ منها من بعض الظنِّ الذی هو إثمٌ، و قد ذکر هو فی معجم البلدان ما هو خارجٌ عمّا أثبته فی معجم الأدباء من الصحیح عنده فحسب، راجع (۲/ ۲۸)، و ذکر المسعودی فی مروج الذهب (۲/ ۲۳۹) و غیره بعض ما ذکره فی

معجم البلدان. و أثبت سبط ابن الجوزى فى التذكرة، و ابن طلحة فى المطالب، و الشبراوى فى الاتحاف، و الشبلنجى فى نور الأبصار زيادات لا توجد فيما استصحّه الحَمَوى، و ليس من الممكن قذف هؤلاء الأعلام بإثبات المفتعل.

و بما أنّ العلم تدريجىُّ الحصول؛ فمن المحتمل أنّ الحموى يوم تأليفه معجم الأدباء لم يَقِفْ به البحث على أكثر ممّا ذَكَر، ثمّ لمّا توسّع فى العلوم ثبت عنده غيره أيضاً فأدرجه فى معجم البلدان الذى هو متأخّرٌ فى التأليف، و لذلک يُحيل فيه على معجم الأدباء فى أكثر مجلّداته. راجع (٢/ ٤٥، ١١٧، ١٣٥، ١٨٦ و ٣/ ١١٧، ١٨٤

---

(١). كشف الغمّة: ٣/ ١١٢- ١١٧، مجالس المؤمنين: ٢/ ٥٢٠- ٥٢٤، بحار الأنوار: ٤٩/ ٢٤٤، الإتحاف بحبّ الأشراف: ص ١٦١، نور الأبصار: ص ٣١٠، معجم الأدباء: ١١/ ١٠٣، معجم البلدان: ١/ ٣١٦، مروج الذهب: ٣/ ٣٢٧، تذكرة الخواص: ص ٢٢٧، مطالب السؤول: ص ٨۶.

و ٤/ ٢٢٨، ٤٠٠ و ٥/ ١٨٧، ٢٨٩ و ٦/ ١٧٧) و غيرها، لكنّ سوء ظنِّه بالشيعة حداه إلى نسبة الافتعال إليهم عند تدوين الترجمة، و نحن لا نناقشه الحساب فى هذا التظنِّى؛ فإنَّ اللَّه لهم بالمرصاد و هو نعم الرقيب و الحسيب.

الشاعر

أبو علىّ- أبو جعفر- دعبل بن علىّ بن رَزِين «١» بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن بُديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة بن عبد العزّى بن ربيعة بن جزى بن عامر بن مازن بن عدى بن عمرو بن ربيعة الخزاعى.

أخذناه من «٢» فهرست النجاشى (ص ١١۶)، و تاريخ الخطيب (٨/ ٣٨٢)، و أمالى الشيخ (ص ٢٣٩)، و تاريخ ابن عساكر (٥/ ٢٢٧)، و معجم الأدباء للحموى (١١/ ١٠٠) و قال: و على هذا الأكثر، و الإصابة لابن حجر (١/ ١۴١).

بيت رزين:

بيت علم و فضل و أدب. و إن خصّه ابن رشيق فى عمدته «٣» (٢/ ٢٩٠) بالشعر، فإنَّ فيهم محدِّثين و شعراء، و فيهم السؤدد و الشرف، و كلّ الفضل و الفضيلة ببركة دعاء النبىِّ الأطهر لجدِّهم الأعلى بُديل بن ورقاء،

لمّا أوقفه العبّاس بن عبد المطّلب يوم الفتح بين يدى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم و قال: يا رسول اللَّه، هذا يوم قد شرّفتَ فيه قوماً

(۱). فی الأغانی: ۸/ ۲۹ [۲۰/ ۱۳۱] ابن سلیمان بن تمیم بن نهشل بن خداش بن خالد بن عبد بن دعبل بن أنس بن خزیمة بن سلامان بن أسلم بن أقصی بن حارثة بن عمرو بن عامر بن مزیقیا. (المؤلف)

(۲). رجال النجاشی: ص ۱۶۱ رقم ۴۲۸، أمالی الطوسی: ص ۳۷۶ ح ۸۰۵، تاریخ مدینة دمشق: ۶/ ۸۶، و فی مختصر تاریخ دمشق: ۸/ ۱۷۲.

(۳). العمدة: ۲/ ۳۰۷ باب ۱۰۲.

فما بال خالک بُدیل بن ورقاء و هو قعید حبّه «۱»؟ قال النبیُّ صلی الله علیه و آله و سلم: «احسِرْ عن حاجبیک یا بُدیل»؛ فحَسَر عنهما و حدَر لثامه، فرأی سواداً بعارضه فقال: «کم سنوک یا بُدیل؟» فقال: سبعٌ و تسعون یا رسول اللَّه، فتبسّم النبی صلی الله علیه و آله و سلم و قال: «زادک اللَّه جمالًا و سواداً و أمتعک و ولدک» «۲».

و مؤسِّس شرفهم الباذخ البطل العظیم عبد اللَّه بن بُدیل بن ورقاء الذی کان هو و أخواه عبد الرحمن و محمد رُسل رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم إلی الیمن کما فی رجال الشیخ. و کانوا هم و أخوهم عثمان من فرسان مولانا أمیر المؤمنین الشهداء فی صفِّین «۳»، و أخوهم الخامس نافع بن بُدیل استشهد علی عهد النبیِّ صلی الله علیه و آله و سلم و رثاه ابن رواحة بقوله:

رَحِمَ اللَّهُ نافعَ بنَ بُدیلٍ رحمةَ المبتغی ثوابَ الجهادِ

صابراً صادقَ الحدیثِ إذا ما أکثَرَ القومُ قال قولَ السدادِ«۴»

فحسب هذا البیت شرفاً أنّ فیه خمسةَ شهداء، و هم بعین اللَّه و مع ابن عمّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم، و کان عبد اللَّه من متقدِّمی الشجعان، و المتبرّز فی الفروسیّة، و المتحَلّی بأعلی مراتب الإیمان، و عدّه الزُّهری من دُهاة العرب الخمسة کما فی الإصابة (۲/ ۲۸۱).

قال له أمیر المؤمنین یوم صفِّین: «احمل‌علی القوم».

فحمل علیهم بمن معه من أهل المیمنة و علیه یومئذٍ سیفان و درعان، فجعل یضرب بسیفه قدماً و یقول:

لم یبقَ غیرُ الصبر و التوکّلِ و التُرسِ و الرمحِ و سیفٍ مصقلِ

ثمَّ التمشّى فى الرعيل الأوّلِ مشى الجِمال فى حياضِ المنهلِ

---

(۱). كذا فى النسخة المخطوطة من الأمالى، و فى الطبعة المحقّقة: قعيد حيِّه.

(۲). أمالى الشيخ: ص ۲۳۹ [ص ۳۷۶ ح ۸۰۵]، الإصابة: ۱/ ۱۴۱ [رقم ۶۱۴]. (المؤلف)

(۳). صفّين لابن مزاحم: ص ۱۲۶ [ص ۲۴۵]، خصال الصدوق، شرح النهج: ۱/ ۴۸۶ [۵/ ۱۹۶ خطبة ۶۵]، الإصابة: ۳/ ۳۷۱ [رقم ۷۷۵۸]. (المؤلف)

(۴). الإصابة: ۳/ ۵۴۳ [رقم ۸۶۵۰]. (المؤلف)

فلم يزل يحمل حتى انتهى إلى معاوية و الذين بايعوه على الموت، فأمرهم أن يصمدوا لعبد اللَّه بن بُديل، و بعث إلى حبيب بن مَسلَمة الفهرى و هو فى الميسرة، أن يحمل عليه بجميع من معه، و اختلط الناس و اضطرم الفيلقان؛ ميمنة أهل العراق و ميسرة أهل الشام، و أقبل عبد اللَّه بن بُديل يضرب الناس بسيفه قُدُماً، حتى أزال معاوية عن موقفه و جعل ينادى: يا ثارات عثمان! و إنّما يعنى أخاً له قُتل، و ظنَّ معاوية و أصحابه أنّه يعنى: عثمان بن عفان، و تراجع معاوية عن مكانه القهقرى كثيراً، و أرسل إلى حبيب بن مسلَمة مرّة ثانية و ثالثة يستنجده و يستصرخه، و يحمل حبيب حملة شديدة بميسرة معاوية على ميمنة العراق، فكشفها حتى لم يبق مع ابن بُديل إلّا نحو مائة إنسان من القرّاء، فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم، و لجَّ ابن بُديل فى الناس، و صمّم على قتل معاوية، و جعل يطلب موقفه، و يصمد نحوه حتى انتهى إليه، و مع معاوية عبد اللَّه بن عامر واقفاً، فنادى معاوية بالناس: وَيْلَكم؛ الصخر و الحجارة إذا عجزتم عن السلاح. فرضخه الناس بالصخر و الحجارة، حتى أثخنوه فسقط، فأقبلوا عليه بسيوفهم فقتلوه.

و جاء معاوية و عبد اللَّه بن عامر حتى وقفا عليه؛ فأمّا عبد اللَّه بن عامر فألقى عمامته على وجهه و ترحّم عليه و كان له من قبلُ أخاً و صديقاً، فقال معاوية: اكشف عن وجهه. فقال: لا و اللَّه لا يُمثَّل به و فىَّ روح، فقال معاوية: اكشف عن وجهه فإنّا لا نُمثِّل به؛ قد وهبناه لک. فكشف ابن عامر عن وجهه فقال معاوية: هذا كبش القوم و ربّ الكعبة، اللّهمّ أظفِرنى بالأشتر النخعى و الأشعث الكندى! و اللَّه ما مثل هذا إلّا كما قال الشاعر «۱»:

أخو الحرب إن عضّت به الحربُ عضّها و إن شمّرَتْ عن ساقِها الحربُ شمّرا

و يحمى إذا ما الموت كان لقاؤه قِدى الشِّبْر «۲» يحمى الأنف أن يتأخّرا

(۱). هو حاتم الطائی من قصیدة فی دیوانه: ص ۱۲۱ [ص ۴۹]، و لم یُرْوَ فیه البیت الثالث. (المؤلف)

(۲). قِدی الشبر: قدره.

کلیثٍ هزبرٍ کان یحمی ذمارَهُ رَمَتْهُ المنایا قَصْدَها فتقطَّرا«۱»

ثمّ قال: إنّ نساء خزاعة لو قدَرَت علی أن تقاتلنی فضلًا عن رجالها لفَعَلَتْ «۲».

و مرّ بعبد اللَّه بن بُدیل و هو بآخر رمق من حیاته الأسود بن طَهْمان الخزاعی، فقال له: عزَّ علیَّ و اللَّه مصرعک! أما و اللَّه لو شَهدْتُک لآسیتُک و لدافعت عنک، و لو رأیت الذی أشعرک لأحببتُ أن لا أُزایله و لا یزایلنی حتی أقتله أو یلحقنی بک. ثمّ نزل إلیه فقال: رحمک اللَّه یا عبد اللَّه، إن کان جارُک لیَأمنُ بوائقک، و إن کنت لمن الذاکرین اللَّه کثیراً. أوصنی رحمک اللَّه. قال: أُوصیک بتقوی اللَّه، و أن تناصح أمیر المؤمنین، و تقاتل معه حتی یظهر الحقّ أو تلحق باللَّه، و أبلغ أمیر المؤمنین عنّی السلام، و قل له: قاتل علی المعرکة حتی تجعلَها خلف ظهرک؛ فإنّه من أصبح و المعرکة خلف ظهره کان الغالب. ثمّ لم یلبث أن مات، فأقبل الأسود إلی علیّ علیه السلام فأخبره

فقال: «رحمه اللَّه جاهد معنا عدوّنا فی الحیاة و نصح لنا فی الممات» «۳».

و ینمُّ عن عظمة عبد اللَّه بن بُدیل بین الصحابة العلویّة قول ابن عدی بن حاتم «۴»- رضوان اللَّه علیه- یوم صفِّین:

أبعد عمّارٍ و بعدَ هاشمِ و ابن بُدیلٍ فارسِ الملاحمِ

نرجو البقاءَ مثل حُلْم الحالمِ و قد عضَضْنا أمسِ بالأباهمِ

و قول سلیمان بن صُرَد الخزاعیّ «۵» یوم صفِّین:

(۱). تقطّر: سقط صریعاً. (المؤلف)

(۲). کتاب صفّین لابن مزاحم: ص ۱۲۶ [ص ۲۴۶]، شرح النهج لابن أبی الحدید: ۱/ ۴۸۶ [۵/ ۱۹۶ خطبة ۶۵]. (المؤلف)

(۳). کتاب صفّین لابن مزاحم: ص ۲۴۳ طبع إیران، ص ۵۲ [ص ۴۵۶] طبع مصر، شرح ابن أبی الحدید: ۲/ ۲۹۹ [۸/ ۹۲ خطبة ۱۲۴]. (المؤلف)

(۴). وقعة صفّین: ص ۴۰۳.

(۵). وقعة صفّین: ص ۴۰۰.

یا لَکَ یوماً کاسفاً عَصَبْصَبا «۱» یا لکَ یوماً لا یُواری کوکبا

یا أیّها الحیُّ الذی تذبذبا	لسنا نخاف ذا ظُلَیْمٍ حَوْشَبا
لأنّ فینا بطلًا مُجرَّبا	ابنُ بُدیلٍ کالهِزَبْرِ مُغْضَبا
أمسی علیٌّ عندنا مُحَبَّبا	نفدیه بالأمّ و لا نُبقی أبا

و قول الشنّی «۲» فی أبیات له:

فإن یکُ أهلُ الشامِ أوْدَوا بهاشمٍ	و أوْدَوا بعمّارٍ و أبْقَوا لنا ثُکْلا
و بابنَی بُدیلٍ فارِسَیْ کلِّ بُهْمَةٍ	و غیثٍ خزاعیٍّ به ندفعُ المَحْلا«۳»

و أمّا أبو المترجم علیُّ بن رزین فکان من شعراء عصره، ترجمه المرزبانی فی معجم الشعراء «۴» (۱/ ۲۸۳)، و جدّه رزین کان مولی عبد اللّه بن خلف الخزاعیّ أبی طلحة الطلحات، کما ذکره ابن قتیبة فی الشعر و الشعراء «۵».

و عمّ المترجم عبد اللّه بن رزین، أحد الشعراء کما ذکره ابن رشیق فی العمدة «۶».

و ابن عمّه أبو جعفر محمد أبو الشيص بن عبد اللّه المذكور، شاعرٌ له ديوان عمله الصولى فى مائة و خمسين ورقة، توجد ترجمته فى البيان و التبيين (۳/ ۸۳)، الشعر

---

(۱). العصبصب: الشديد.

(۲). وقعة صفّين: ص ۴۰۵.

(۳). البُهْمة بالضم: الجيش. المحْل: الخديعة و الكيد. الشدّة. الجدب. (المؤلف)

(۴). معجم الشعراء: ص ۱۳۶.

(۵). جدّ المترجَم له هو رزين بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن بُديل بن ورقاء و هو خزاعى دماً لا ولاءً. و أمّا ما فى الشعر و الشعراء: ص ۵۷۶ من أنَّ جدّه كان مولى لعبد اللّه بن خلف الخزاعى، فالمقصود به طاهر بن الحسين أحد قوّاد المأمون و اسم جده رُزَيق، و به افتخر دعبل فى قصيدته التى خاطب بها المأمون بقوله: إنّى من القوم الذين سيوفُهُمْ قتلت أخاك و شرّفوك بمقعدِ

(۶). العمدة: ۲/ ۳۰۷ باب ۱۰۲.

و الشعراء «۱» (ص ۳۴۶)، الأغانى «۲» (۱۵/ ۱۰۸)، فوات الوفيات «۳» (۲/ ۲۵)، و غيرها.

و ترجمه ابن المعتز فى طبقاته «۴» (ص ۲۶- ۳۳) و ذكر له قصائد طويلة، غير أنّه عكس فى اسمه و اسم أبيه و ذكره بعنوان: عبد اللّه بن محمد، و الصحيح: محمد بن عبد اللّه، و عبد اللّه بن أبى الشيص المذكور، شاعرٌ له ديوانٌ فى نحو سبعين ورقة، و ذكره أبو الفرج فى الأغانى «۵» (۱۵/ ۱۰۸) و قال: إنّه شاعرٌ صالح الشعر و كان منقطعاً إلى محمد بن طالب، فأخذ منه جامع شعر أبيه، و من جهته خرج إلى الناس، و ترجمه ابن المعتز فى طبقاته «۶» (ص ۱۷۳).

أبو الحسن علىّ أخو دعبل:

كان شاعراً له ديوان شعر فى نحو خمسين ورقة كما فى فهرست ابن النديم «۷»، سافر مع أخيه المترجم إلى أبى الحسن الرضا- سلام اللّه عليه- سنة (۱۹۸) و حظيا بحضرته الشريفة مدّة طويلة.

قال أبو الحسن علىٌّ هذا: رحلنا أنا و دعبل سنة (۱۹۸) إلى سيِّدى أبى الحسن علىٍّ بن موسى الرضا، فأقمنا عنده إلى آخر سنة مائتين و خرجنا إلى قمٍّ بعد أن خلع سيِّدى أبو الحسن الرضا على أخى دعبل قميصاً خزّاً أخضر و خاتماً فُصُّه عقيق، و

دفع إليه دراهم رضويّة، و قال له: «يا دعبل صِرْ إلى قم؛ فإنّک تفيد بها». و قال له: «احتفظ بهذا القميص؛ فقد صلّيتُ فيه ألفَ ليلةٍ ألفَ ركعة، و ختمت فيه القرآن ألفَ

---

(۱). الشعر و الشعراء: ص ۵۷۱.

(۲). الأغانى: ۱۶/ ۴۳۲.

(۳). فوات الوفيات: ۳/ ۴۰۲ رقم ۴۶۹.

(۴). طبقات الشعراء: ص ۷۲.

(۵). الأغانى: ۱۶/ ۴۳۲.

(۶). طبقات الشعراء: ص ۳۶۴.

(۷). فهرست ابن النديم: ص ۱۸۳.

ختمة» «۱».

ولد سنة (۱۷۲) و توفّى (۲۸۳).

و خلّف أبا القاسم إسماعيل بن علىّ الشهير بالدعبلى المولود (۲۵۷)، يروى كثيراً عن والده أبى الحسن، كان مقامه بواسط وَ وَلِى الحِسْبة «۲» بها، له كتاب تاريخ الأئمّة و كتاب النكاح.

رَزين أخو دعبل

و أخوه هذا أحد شعراء هذا البيت، و لدعبل فيه أبيات فى تاريخ ابن عساكر «۳» (۵/ ۱۳۹).

و قال الأزدى: و خرج إبراهيم بن العبّاس، و دعبل و رزين ابنا علىّ رجّالةً إلى بعض البساتين- أو: إلى زيارة أبى الحسن الرضا عليه السلام كما فى رواية العيون «۴»- فلقوا جماعة من أهل السواد من حُمّال الشوک، فأعطَوْهم شيئاً و ركبوا حميرهم، فقال إبراهيم:

أُعيدت بعد حمل الشو ک أحمالًا من الخَزفِ

نشاوى لا من الخمرةِ بل من شِدَّة الضَّعفِ

ثمّ قال لرزين: أجِزْها، فقال:

فلو كنتمْ على ذاک تصيرون إلى القَصْفِ

تساوَتْ حالكمْ فيهِ و لا تَبقوا على الخَسْفِ

---

(١). فهرست النجاشى: ص ١٩٧ [ص ٢٧٦ رقم ٧٢٧]، أمالى الشيخ: ص ٢٢٩ [ص ٣٥٩ ح ٧٤٩]. (المؤلف)

(٢). يأتى كلامنا فى الحسبة فى الجزء الرابع عند ترجمة ابن الحجّاج البغدادى. (المؤلف)

(٣). تاريخ مدينة دمشق: ۶/ ٨١، و فى مختصر تاريخ دمشق: ٨/ ١٨٩.

(۴). عيون أخبار الرضا: ٢/ ١٥٣ ح ٧.

ص: ٥٢٠

ثمّ قالا لدعبل: أجِزْ يا أبا علىّ فقال:

فإذْ فاتَ الذى فاتَ فكونوا من ذوى الظرفِ

و خفّوا نقصف اليومَ فإنّى بائعٌ خُفِّى

بدائع البداءة (٢/ ٢١٠)

أمّا المترجَم

فهو دعبل «۱» يكنّى أبا علىّ عند الجميع، و عن ابن أيّوب «۲»: أبو جعفر. و فى الأغانى عن ابن أيّوب: إنَّ اسمه محمد، و فى تاريخ الخطيب (۸/ ۳۸۳): زعم أحمد بن القاسم أنّ اسمه الحسن، و قال ابن أخيه إسماعيل: اسمه عبد الرحمن. و قال غيرهما: محمد، و عن إسماعيل: إنّما لَقَّبَتْهُ دايتُه بدعبل لدعابة كانت فيه، فأرادت ذعبلًا فقلبت الذال دالًا.

يُقال: أصله كوفىٌّ كما فى كثير من المعاجم، و قيل: من قرقيسيا. و كان أكثر مقامه ببغداد، و خرج منها هارباً من المعتصم لمّا هجاه و عاد إليها بعد ذلک، و جوَّل فى الآفاق، فدخل البصرة و دمشق و مصر على عهد المطّلب بن عبد اللَّه بن مالک المصرىّ و ولّاه أسوان، فلمّا بلغ هجاؤه إيّاه عزله، فأنفذ إليه كتاب العزل مع مولى له، و قال: انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة، فإذا علاه فأوصل الكتاب إليه، و امنعه من الخطبة، و أنزله عن المنبر و اصعد مكانه. فلمّا أن علا المنبر و تنحنح ليخطب ناوله الكتاب، فقال له دعبل: دعنى أخطِب فإذا نزلتُ قرأته. قال: لا، قد أمرنى أن أمنعک الخطبة حتى تقرأه، فقرأه و أنزله عن المنبر معزولًا و خرج منها إلى المغرب إلى بنى

---

(۱). الدعبل: الناقة التى معها ولدها، البعير المسنّ، الشىء القديم- الأغانى [۲۰/ ۱۳۴، ۱۳۵]. (المؤلف)

(۲). فى الأغانى، و معاهد التنصيص [۲/ ۱۹۰ رقم ۱۱۵]، و نهاية الأرب [۳/ ۹۱]. (المؤلف)

ص: ۵۲۱

الأغلب. الأغانى «۱» (۱۸/ ۴۸)

سافر إلى الحجاز مع أخيه رزين، و إلى الرى و خراسان مع أخيه علىّ، و قال أبو الفرج «۲»: كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلّها، و يرجع و قد أفاد و أثرى، و كانت الشراة و الصعاليک يلقَونه و لا يُؤذونه، و يواكلونه و يشاربونه و يَبرُّونه، و كان إذا لَقِيَهم وضع طعامه و شرابه و دعاهم إليه، و دعا بغلاميه: ثقيف و شعف، و كانا مغنِّيين فأقعدهما يغنِّيان، و سقاهم و شرب معهم، و أنشدهم، فكانوا قد عرفوه و أَلِفُوه لكثرة أسفاره و كانوا يواصلونه و يَصِلونه، و أنشد دعبل لنفسه فى بعض أسفاره:

حللتُ محلّا يقصُرُ البرقُ دونَهُ و يعجزُ عنه الطيفُ أن يتجشَّما

و قال ابن المعتز فى طبقاته «۳» (ص ۱۲۵): و كان يجتاز بقُمّ، فيقيم عند شيعتها فيقسطون له فى كلِّ سنة خمسة آلاف درهم.

يقع البحث فى ترجمته من نواحٍ أربع:

١- تهالكه فى ولاء أهل بيت العصمة- صلوات اللّه عليهم.

٢- نبوغه فى الشعر و الأدب و التاريخ، و تآليفه.

٣- روايته للحديث و الرواة عنه، و من يَروى هو عنه.

۴- سيره مع الخلفاء، ثمّ مُلَحُهُ و نوادره ثمّ ولادته و وفاته.

أمّا الأولى:

فجليّة الحال فيها غنيّةٌ عن البرهنة عليها، فما ظنّک برجل كان يُسمع منه و هو يقول: أنا أحمل خشبتى على كتفى منذ خمسين سنة لست أجد أحداً يصلبنى عليها.

---

(١). الأغانى: ٢٠/ ١٧۶.

(٢). فى الأغانى: ١٨/ ٣۶ [٢٠/ ١۴٩]. (المؤلف)

(٣). طبقات الشعراء: ص ٢۶٥.

و قيل للوزير محمد بن عبد الملک الزيّات: لِمَ لا تُجيب دعبلًا عن قصيدته التى هجاک فيها؟ قال: إنَّ دِعبلًا جعل خشبته على عنقه يدور بها، يطلبُ من يصلبه بها منذ ثلاثين سنة و هو لا يُبالى «١».

كلُّ ذلک من جرّاء ما كان ينافح و يناطح و يناضل و ينازل فى الذبِّ عن البيت النبوىِّ الطاهر، و التجاهر بموالاتهم، و الوقيعة فى مناوئيهم، لا يَقِرُّ به قرارٌ، فلا يُقلّه مأمنٌ و لا يُظلّه سقفُ منتَجَعٍ «٢»، و ما زالت تتقاذف به أجواز الفلا فَرَقاً من خلفاء الوقت، و أعداء العترة الطاهرة، و مع ذلک كلّه فقصائده السائرة تلهَجُ بها الركبان، و تزدان بها الأندية، و هى مسرّات للمُوالين، و مُحفِظاتٌ للأعداء، و مثيرات للعِهَن «٣» و الضغائن حتى قُتل على ذلک شهيداً.

و ما يُنقم من المترجم له من التوغّل فى الهجاء فى غير واحد من المعاجم، فإنّ نوع ذلک الهجو و السباب المُقذغ فيمن حَسِبَهم أعداءً للعترة الطاهرة و غاصبى مناصبهم، فكان يتقرّب به إلى اللّه و هو من المُقَرِّبات إليه سبحانه زلفى، و إنَّ الولاية لا تكون خالصةً إلّا بالبراءة ممّن يُضادُّها و يعاندها كما تبرّأ اللّه و رسوله من المشركين، و ما جعل اللّه لرجل من قلبين فى جوفه، غير أنّ أكثر أرباب المعاجم من الفئة المتحيِّزة إلى أعداء هذا البيت الطاهر، حسبوا ذلک منه ذنباً لا يُغفر كما هو عادتهم فى جُلِّ رجالات الشيعة.

أمّا نبوغه فى الأدب:

فأىّ برهنة له أوضح من شعره السائر؟ الذى تلهج به الألسن، و تتضمّنه طيّات الكتب، و يُستشهد به فى إثبات معانى الألفاظ و موادِّ اللغة، و يُهتف به فى

---

(١). طبقات الشعراء لابن المعتز: ص ١٢٥ [ص ٢۶۵]. (المؤلف)

(٢). الانتجاع: طلب الخصب و الكلإ. و المنتجَع: المنزل فى طلب الكلأ.

(٣). العِهَن: جمع عِهْنة و هى لغة فى الإحنة، و معناها الحقد و الغضب.

مجتمعات الشيعة آناء الليل و أطراف النهار، ذلک الشعر السهل الممتنع الذى يحسب السامع لأوّل وهلة أنّه يأتى بمثيله، ثمّ لمّا خاض غماره، و طفق يرسب و يَطفُّ بين أواذيِّه، علم أنّه قصير الباع، قصير الخُطى، قصير المقدرة عن أن يأتى بما يدانيه فضلًا عمّا يساويه.

كان محمد بن القاسم بن مهرويه يقول: سمعت أبى يقول: خُتم الشعر بدعبل. و قال البحترى: دعبل بن علىّ أشعر عندى من مسلم بن الوليد، فقيل له: كيف ذلک؟ قال: لأنّ كلام دعبل أدخل فى كلام العرب من كلام مسلم، و مذهبه أشبه بمذاهبهم، و كان يتعصّب له «١».

و عن عمرو بن مسعدة قال: حضرت أبا دُلَف عند المأمون و قد قال له المأمون: أىَّ شىءٍ تروى لأخى خزاعة يا قاسم؟ فقال: و أىّ أخى خزاعةَ يا أمير المؤمنين؟ قال: و مَن تعرف فيهم شاعراً؟ فقال: أمّا مِن أنفُسِهم فأبو الشيص و دعبل و ابن أبى الشيص و داود بن أبى رزين، و أمّا من مواليهم فطاهر و ابنه عبد اللّه.

فقال: و من عسى فى هؤلاء أن يُسأل عن شعره سوى دعبل؟ هات أىّ شىء عندک فيه.

و قال الجاحظ: سمعت دعبل بن علىّ يقول: مكثت نحو ستّين سنة ليس من يوم ذرَّ شارقه إلّا و أنا أقول فيه شعراً «٢»، و لمّا أنشد دعبل أبا نواس شعره:

أينَ الشبابُ؟ و أيّةً سَلَكا؟ لا أينَ يُطلبُ؟ ضلَّ بل هَلَكا

لا تعجبى يا سَلْمُ من رَجُلٍ ضَحِکَ المشيبُ برأسه فبكى

فقال: أحسنت ملء فيک و أسماعنا. قال محمد بن يزيد: كان دعبل و اللّه

---

(۱). الأغانى: ۱۸/ ۱۸، ۳۷ [۲۰/ ۱۳۵، ۱۴۹]. (المؤلف)

(۲). الأغانى: ۱۸/ ۴۴ [۲۰/ ۱۶۵]. (المؤلف)

فصيحاً «۱»). و هناک كلمات ضافية حول أدبه و الثناء عليه لا يهمّنا ذكرها.

أخذ الأدب عن صريع الغوانى مسلم بن الوليد «۲»، و استقى من بحره، و قال: ما زلت أقول الشعر و أعرضه على مسلم فيقول لى: اكتم هذا حتى قلت:

أينَ الشبابُ؟ و أيَّةً سَلَكا؟ لا أينَ يُطلَبُ؟ ضلَّ بل هلكا

فلمّا أنشدته هذه القصيدة قال: اذهب الآن فأظهر شعرک كيف شئت لمن شئت.

و قال أبو تمام: ما زال دعبل مائلًا إلى مسلم بن الوليد مُقِرّاً بأستاذيَّته، حتى ورد عليه جرجان، فجفاه مسلم و كان فيه بخلٌ، فهجره دعبل و كتب إليه:

أبا مَخْلَدٍ كنّا عَقيدَىْ مودّةٍ هوانا و قلبانا جميعاً معاً معا

أحُوطکَ بالغيبِ الذى أنت حائطى و أيْجعُ إشفاقاً لأن تتوجّعا

فصيّرْتَنى بعد انتحائِکَ مُتْهِماً لنفسى، عليها أرهَبُ الخَلْقَ أجمعا

غَشَشْتَ الهوى حتى تداعتْ أصولُهُ بنا و ابتذلْتَ الوَصْلَ حتى تَقَطّعا

و أنزلتَ من بينِ الجوانحِ و الحشا ذخيرةَ وُدٍّ طالما قد تمنّعا

فلا تَعْذِلَنّى ليس لى فيک مَطمعٌ تخرّقْتَ حتى لمْ أجِدْ لَکَ مَرْقَعا

فَهَبْکَ یمینی استأْکَلَتْ فَقَطَعْتُها و جَشَّمتُ قلبی صبرَهُ فتشجّعا«۳»

و یروی عنه فی الأدب محمد بن یزید، و الحمدَوی الشاعر، و محمد بن القاسم ابن مهرویه، و آخرون.

---

(۱). تاریخَی ابن خلّکان [وفیات الأعیان: ۲/ ۲۶۸ رقم ۲۲۷] و ابن عساکر [تاریخ مدینة دمشق: ۶/ ۷۶، و فی مختصر تاریخ دمشق: ۸/ ۱۸۰]. (المؤلف)

(۲). کان شاعراً متصرِّفاً فی فنون القول حسن الأسلوب أستاذ الفن، و یقال: إنّه أوّل من قال الشعر المعروف بالبدیع و وَسّعه، و تَبِعَه فیه أبو تمام و غیره، تُوفّی بجُرجان سنة (۲۰۸). (المؤلف)

(۳). و یروی: و حَمّلت قلبی فقدها. الأغانی: ۱۸/ ۴۷ [۲۰/ ۱۷۳]. (المؤلف)

آیات نبوغه:

له کتاب الواحدة فی مناقب العرب و مثالبها، و کتاب طبقات الشعراء، و هو من التآلیف القیِّمة و الأصول المعوَّل علیها فی الأدب و التراجم، ینقل عنه کثیراً المرزبانی فی معجم الشعراء (ص ۲۲۷، ۲۴۰، ۲۴۵، ۲۶۷، ۳۶۱، ۴۳۴، ۴۷۸)، و الخطیب البغدادی فی تاریخه (۲/ ۳۴۲ و ۴/ ۱۴۳)، و ابن عساکر فی تاریخه (۷/ ۴۶، ۴۷)، و ابن خلّکان فی تاریخه (۲/ ۱۶۶)، و الیافعی فی المرآة (۲/ ۱۲۳)، و أکثر النقل عنه ابن حجر فی الإصابة (۱/ ۶۹، ۱۳۲، ۱۷۲، ۳۷۰، ۴۱۱، ۵۲۵، ۵۲۷ و ۲/ ۹۹، ۱۰۳، ۱۰۸ و ۳/ ۹۱ و ۱۱۹، ۱۲۳، ۲۷۰، ۵۶۵، ۴/ ۷۴، ۵۶۵) و غیرها.

و أحسب أنّه کتابٌ ضخمٌ مبوَّبٌ علی البلدان کیتیمة الدهر للثعالبی ففیه:

أخبار شعراء البصرة، و بهذا العنوان ینقل عنه الآمدی فی المؤتلف و المختلف (ص ۶۷)، و ابن حجر فی الإصابة (۳/ ۲۷۰).

أخبار شعراء الحجاز، و بهذا الاسم ینقل عنه ابن حجر فی الإصابة (۴/ ۷۴، ۱۶۳) و یقول: ذَکَر دعبل فی طبقات الشعراء فی أهل الحجاز.

أخبار شعراء بغداد، ینقلُ عنه باسم کتاب شعراء بغداد الآمدیّ فی المؤتلف (ص ۶۷).

و له ديوان شعر مجموع كما فى تاريخ ابن عساكر. و قال ابن النديم «۱»: عمله الصولى نحو ثلاثمائة ورقة، و عدّ فى فهرسته «۲» (ص ۲۱۰) من تآليف أبى الفضل أحمد ابن أبى طاهر: كتاب اختيار شعر دعبل.

و من آيات نبوغه قصيدته فى ذكر مناقب اليمن و فضائلها من ملوكها و غيرهم

---

(۱). فهرست ابن النديم: ص ۱۸۳.

(۲). فهرست ابن النديم: ص ۱۶۴.

على نحو ستمائة بيتٍ، كما فى نشوار المحاضرة للتنوخى «۱» (ص ۱۷۶)، مطلعها:

أفيقى من مَلامِكِ يا ظعينا كفاكِ اللومَ مَرُّ الأربعينا

يردُّ بها على الكميت فى قصيدته التى يمتدح بها نزاراً، و هى ثلاثمائة بيت أوّلها:

ألا حُيّيت عنّا يا مَدِينا و هل ناسٌ تقول مسلّمينا

قالها الكميت ردّا على الأعور الكلبى فى قصيدته التى أوّلها:

أسودينا و أحمرينا

فرأى دعبل النبىَّ صلى الله عليه و سلم فى النوم، فنهاه عن ذكر الكميت بسوء. و لم يزل دعبل عند الناس جليل القدر حتى ردّ على الكميت فكان ممّا وضعه «۲»، و ردّ عليه أبو سعد المخزومى بقصيدة. و على أثر هذه المناجزة و المشاجرة افتخرت نزار على اليمن و افتخرت اليمن على نزار؛ و أدلى كلُّ فريق بما له من المفاخر، و تحزّبت الناس، و ثارت العصبيّة فى البدو و الحضر، فنتج بذلك أمر مروان بن محمد الجعدى و تعصّبه لقومه من نزار على اليمن، و انحرف اليمن عنه إلى الدعوة العبّاسيّة، و تغلغل الأمر إلى انتقال الدولة عن بنى أميّة إلى بنى هاشم، ثمّ ما تلا ذلك من قصّة معن بن زائدة باليمن، و قتله أهلها تعصّباً

لقومه من ربيعة و غيرها من نزار، و قطعه الحلف الذى كان بين اليمن و ربيعة فى القدم، إلى آخر ما فى مروج الذهب «۳» (۲/ ۱۹۷).

أمّا روايته فى الحديث:

فعدّه ابن شهرآشوب فى المعالم «۴» (ص ۱۳۹) من أصحاب الكاظم و الرضا عليهما السلام،

---

(۱). نشوار المحاضرة: ۲/ ۱۴۰ رقم ۷۳.

(۲). الأغانى: ۱۸/ ۲۹، ۳۱ [۲۰/ ۱۳۱، ۱۳۵]. (المؤلف)

(۳). مروج الذهب: ۳/ ۲۵۷.

(۴). معالم العلماء: ص ۱۵۱.

و حكى النجاشى فى فهرسته «۱» (ص ۱۹۸) عن ابن أخيه أنّه رأى موسى بن جعفر و لقى أبا الحسن الرضا، و قد أدرک الإمام محمد بن علىٍّ الجواد عليه السلام و لقيه،

و روى الحميرى فى الدلائل و ثقة الإسلام الكلينى فى أصول الكافى «۲»: أنّه دخل على الرضا عليه السلام فأعطاه شيئاً فلم يحمد اللَّه تعالى، فقال: «لِمَ لم تحمد اللَّه تعالى؟» ثمّ دخل على الجواد فأعطاه فقال: الحمد للَّه. فقال عليه السلام: «تأدّبتَ».

و يروى شاعرنا عن جماعة منهم:

۱- الحافظ شعبة بن الحجّاج: المتوفّى (۱۶۰) «۳»، و بهذا الطريق يُروى عنه الحديث فى كتب الفريقين كما فى أمالى الشيخ «۴» (ص ۲۴۰) و تاريخ ابن عساكر «۵» (۵/ ۲۲۸).

۲- الحافظ سفيان الثورى: المتوفّى (۱۶۱). تاريخ ابن عساكر (۵/ ۲۲۸).

۳- إمام المالكيّة مالک بن أنس: المتوفّى (۱۷۹). تاريخ ابن عساكر (۵/ ۲۲۸).

۴- أبو سعيد سالم بن نوح البصرى: المتوفّى بعد المائتين. تاريخ ابن عساكر (۵/ ۲۲۸).

۵- أبو عبد اللَّه محمد بن عمرو الواقدى: المتوفّى (۲۰۷). تاريخ ابن عساكر (۵/ ۲۲۸).

۶- الخليفة المأمون العبّاسی: المتوفّی (۲۱۸). تاريخ الخلفاء «۶» (ص ۲۰۴).

۷- أبو الفضل عبد اللّه بن سعد الزهری البغدادی: المتوفّی (۲۶۰)، يروی عنه، عن ضَمرة، عن ابن شوذب، عن مطر، عن ابن حوشب، عن أبی هريرة حديث صوم الغدير المذكور (۱/ ۴۰۱) «۷».

---

(۱). رجال النجاشی: ص ۲۷۷ رقم ۷۲۷.

(۲). أصول الكافی: ۱/ ۴۹۶ ح ۸.

(۳). يروی عنه و عن الثوری و هو لم يبلغ الحُلُم. (المؤلف)

(۴). أمالی الطوسی: ص ۳۷۷ ح ۸۰۷.

(۵). تاريخ مدينة دمشق: ۶/ ۶۹، و فی مختصر تاريخ دمشق: ۸/ ۱۷۳.

(۶). تاريخ الخلفاء: ص ۲۸۴.

(۷). بشارة المصطفی لشيعة المرتضی: ج ۲ [ص ۹۸]. (المؤلف)

ص: ۵۲۸

۸- محمد بن سلامة.

يروی عنه بطريقه شيخ الطائفة فی أماليه «۱» (ص ۲۳۷) عن أمير المؤمنين عليه السلام خطبته الشهيرة بالشقشقيّة التی أوّلها: «و اللّه لقد تقمّصها ابن أبی قحافة، و إنّه لَيَعْلمُ أنّ محلّی منها محلُّ القُطْبِ من الرحی؛ ينحدر عنّی السيلُ و لا يرقی إلیَّ الطير، و لكنّی سَدَلتُ عنها ثوباً، و طَوَيْتُ عنها كشْحاً».

۹- سعيد بن سفيان الأسلمی المدنی. أمالی الشيخ (ص ۲۳۷).

۱۰- محمد بن إسماعيل- مشترک-. أمالی الشيخ (ص ۲۳۷).

۱۱- مجاشع بن عمر. يروی عنه عن ميسرة عن الجَزَری عن ابن جُبير عن ابن عبّاس أنّه سُئل عن قول اللّه عزّ و جلّ: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً) «۲» الحديث، أمالی الشيخ «۳» (ص ۲۴۰).

۱۲- موسی بن سهل الراسبی. ذكره ابن حجر فی تهذيب التهذيب «۴» (۱۰/ ۳۴۸) شيخاً للمترجم له و لم يُعَرّفه.

و عدَّ ابن عساكر فی تاریخه «۵» (۵/ ۲۲۸) ممّن یُقال بروایة المترجم عنه: یحیی بن سعید الأنصاری، و خفی علیه أنّ یحیی الأنصاری تُوفّی (۱۴۳) قبل ولادة المُتَرجَم بسنین.

و الرواة عن المترجَم هم:

۱- أبو الحسن علیّ أخوه، کما فی کثیر من کتب الحدیث و المعاجم.

۲- موسی بن حمّاد الیزیدی. فهرست النجاشی «۶» (ص ۱۱۷).

---

(۱). أمالی الطوسی: ص ۳۷۲ ح ۸۰۳.

(۲). الفتح: ۲۹.

(۳). أمالی الطوسی: ص ۳۷۸ ح ۸۱۰.

(۴). تهذیب التهذیب: ۱۰/ ۳۱۰ رقم ۶۱۹.

(۵). تاریخ مدینة دمشق: ۶/ ۶۹.

(۶). رجال النجاشی: ص ۱۶۲ رقم ۴۲۸.

۳- أبو الصلْت الهَرَوی: المتوفّی (۲۳۶). فی مصادر کثیرة.

۴- هارون بن عبد اللّه المهلّبی. فی الأمالی و العیون «۱».

۵- علیّ بن الحکیم. فی أصول الکافی.

۶- عبد اللّه بن سعید الأشقری. الأغانی «۲» و غیره.

۷- موسی بن عیسی المروزی. الأغانی «۳» و غیره.

۸- ابن المنادی أحمد بن أبی داود: المتوفّی (۲۷۲). تاریخ ابن عساکر «۴».

۹- محمد بن موسی البُریری. تاریخ ابن عساکر.

أمّا سيره مع الخلفاء و الوزراء:

فهذه ناحيةٌ واسعة النطاق، طويلة الذيل، يجد الباحث فی طيّات كتب التاريخ و معاجم الأدب المفصَّلة حولها كراريس مسطَّرة، فيها لغو الحديث، نضرب عنها صَفحاً و نقتطف منها النزر اليسير.

١- عن يحيى بن أكثم قال: إنَّ المأمون أقدم دعبلًا رحمه الله و آمنه على نفسه، فلمّا مثل بين يديه و كنت جالساً بين يدى المأمون، قال له: أنشدنى قصيدتک الرائيّة، فجحَدها دعبل و أنكر معرفتها، فقال له: لک الأمان عليها كما أمِنتک على نفسک. فأنشده:

تأسّفَتْ جارتی لَمّا رأت زَوَرِی و عَدّتِ الحِلْمَ ذنباً غيرَ مُغْتَفَرِ

---

(١). الأمالی للصدوق: ص ٥٢۶ ح ١۶، و عيون أخبار الرضا: ٢/ ٢٨١ ح ٢.

(٢). الأغانی: ٢٠/ ١٥٥.

(٣). الأغانی: ٢٠/ ١۶٢.

(۴). تاريخ دمشق: ۵/ ٢٢٨ [۶/ ۶٩، و فی مختصر تاريخ دمشق: ٨/ ۶٧٣، ١٨۴]. و ابن المُنادی فی المعاجم: محمد بن عبيد اللّه [انظر: تاريخ بغداد: ٢/ ٣٢۶ رقم ٨١۶، و الثقات لابن حبّان: ٩/ ١٣٢]. (المؤلف)

ترجو الصِّبا بعد ما شابت ذوائبُها و قد جَرَتْ طَلَقاً فی حِلبةِ الكِبَرِ

أجارتی إنَّ شيبَ الرأس يُعلمنی ذِكرَ المعاد و أرضانی عن القدَرِ

لو كنت أركنُ للدنيا و زينتِها إذاً بَكَيت على الماضين من نفرِ

أخنى الزمان على أهلی فصدّعهمْ تصدُّع الشعب لاقی صدمةَ الحجرِ

بعضٌ أقام و بعضٌ قد أصات به داعی المنيّةِ و الباقی على الأثرِ

أمّا المقيمُ فأخشى أن يُفارقَنى و لستُ أوبةَ من وَلّى بمُنتظِرِ

أصبحتُ أُخبَرُ عن أهلى و عن وَلَدى كحالمٍ قَصَّ رؤياً بعد مُدَّكرِ

لو لا تَشَاغلُ عينى بالأُلى سَلَفُوا من أهل بيت رسول اللّه لم أقِرِ

و فى مواليک للمحزون مشغلةٌ من أن تبيت لمشغولٍ على أثرِ

كم من ذراعٍ لهم بالطفِّ بائنةٍ و عارض بصعيد التُّرْب مُنعفرِ

أمسى الحسينُ و مسراهم لمقتلهِ و هم يقولون: هذا سيِّدُ البشرِ

يا أُمَّةَ السوءِ ما جازيتِ أحمدَ فى حُسْن البلاء على التنزيل و السوَرِ

خَلَفتموه على الأبناء حين مضى خلافةَ الذئب فى أبقار ذى بقرِ

قال يحيى: و أنفذنى المأمون فى حاجة، فقمتُ فعدت إليه و قد انتهى إلى قوله:

لم يبق حىٌّ من الأحياء نعلمُهُ من ذى يمانٍ و لا بكرٍ و لا مُضَرِ

إلّا و هم شُرَكاءٌ فى دمائِهمُ كما تَشَارک أيسارٌ «١» على جُزُرِ

قتلًا و أسراً و تخويفاً و مَنْهَبَةً فِعلَ الغزاة بأرض الرومِ و الخَزَرِ

أرى أميّة معذورين إن قتلوا و لا أرى لبنى العبّاس من عُذُرِ

قومٌ قتلتمْ على الإسلام أوّلَهمْ حتى إذا استمكنوا جازَوا على الكُفُرِ

أبناءُ حربٍ و مروانٍ و أُسرتُهمْ بنو مُعَيْطٍ ولاةُ الحقدِ و الزَعرِ«٢»

---

(١). الأيسار: جمع يَسَر، و هو الذى يتولى قسمة الجزور.

(٢). الزَعر: سوء الخلق و شراسته.

اربَعْ «۱» بطُوسٍ على قبر الزكىِّ بها إن كنتَ تربَعُ من دِينٍ على وَطَرِ

قبرانِ فى طوسَ: خيرُ النّاسِ كلِّهُمُ و قبرُ شَرِّهمُ هذا من العِبَرِ

ما ينفع الرِّجسَ من قبرِ الزكىِّ و لا على الزكىِّ بقُرْبِ الرِّجسِ من ضَرَرِ

هيهات كلُّ امرئٍ رهنٌ بما كَسَبَتْ له يداه، فخذ ما شئت أو فَذَرِ

قال: فضرب المأمون عمامته الأرض، و قال: صدقت و اللّه يا دعبل «۲».

روى شيخنا الصدوق فى أماليه «۳» (ص ۳۹۰) بإسناده عن دعبل أنّه قال: جاءنى خبر موت الرضا عليه السلام و أنا مقيمٌ بقم فقلت القصيدة الرائيّة، ثمّ ذكر أبياتاً منها.

۲- دخل إبراهيم بن المهدى على المأمون فشكا إليه حاله، و قال: يا أمير المؤمنين إنَّ اللّه سبحانه و تعالى فضّلک فى نفسک علىَّ، و ألهمک الرأفة و العفو عنّى، و النسب واحدٌ، و قد هجانى دعبل فانتقم لى منه، فقال: و ما قال؟ لعلّ قوله:

نعَرَ ابنُ شَكْلَةَ بالعراقِ و أهلِهِ فهفا إليهِ كلُّ أطلسَ مائقِ

و أنشده الأبيات فقال: هذا من بعض هجائه، و قد هجانى بما هو أقبح من هذا، فقال المأمون: لک أُسوةٌ بى فقد هجانى و احتملته، و قال فىَ «۴»:

أ يسومُنى المأمون خطّة جاهلٍ أوَ ما رأى بالأمس رأسَ محمدِ

إنّى من القومِ الذين سيوفُهمْ قَتَلَتْ أخاک و شَرَّفَتْکَ بمقعَدِ«۵»

(۱). أی قف و انتظر.

(۲). الأغانی: ۱۸/ ۵۷ [۲۰/ ۱۹۴]، تاریخ ابن عساکر: ۵/ ۲۳۳ [۶/ ۷۶، و فی مختصر تاریخ دمشق: ۸/ ۱۸۰]، أمالی المفید [ص ۳۲۴ ح ۱۰]، أمالی الشیخ: ص ۶۱ [ص ۱۰۰ ح ۱۵۶]. (المؤلف)

(۳). الأمالی: ص ۵۲۶ ح ۱۶.

(۴). أوّل القصیدة: أخذ المشیبُ من الشباب الأغْیَدِ و النائباتُ من الأنامِ بمرصَدِ (المؤلف)

(۵). أشار إلی قضیة طاهر الخزاعی و قتله الأمین محمد بن الرشید، و بذلک ولی المأمون الخلافة. (المؤلف)

شادُوا بذکرِکَ بعد طُولِ خُموله و استنقذوک من الحضیضِ الأوْهدِ

فقال إبراهیم: زادک اللّه حلماً یا أمیر المؤمنین و علماً، فما ینطقُ أحدُنا إلّا عن فضل علمک، و لا یحلم إلّا اتِّباعاً لحلمک «۱».

۳- حدّث میمون بن هارون «۲»، قال: قال إبراهیم بن المهدی للمأمون قولًا فی دعبل یحرِّضه علیه، فضحک المأمون، و قال: إنّما تحرِّضنی علیه لقوله فیک:

یا معشر الأجنادِ لا تَقْنَطوا و ارضَوا بما کانَ و لا تسخطوا

فسوف تُعطَوْنَ حُنینیّةً یلتذُّها الأمردُ و الأشمطُ

و المعبدِیّاتُ «۳» لقُوّادِکمْ لا تدخلُ الکیس و لا تُربطُ

و هکذا یَرْزُقُ قُوّادَهُ خلیفةٌ مُصْحَفُهُ البَربطُ«۴»

فقال له إبراهیم: فقد و اللّه هجاک أنت یا أمیر المؤمنین، فقال: دع هذا عنک، فقد عفوتُ عنه فی هجائه إیّای لقوله هذا و ضحک. ثمّ دخل أبو عبّاد، فلمّا رآهُ المأمون من بُعْد قال لإبراهیم: دعبل یجسر علی أبی عبّاد بالهجاء و لا یُحجم عن أحد.

فقال له: و كأنّ أبا عبّاد أبسط يداً منک؟ قال: لا، و لكنّه حديدٌ جاهلٌ لا يُؤمَن، و أنا أحلم و أصفح، و اللّه ما رأيت أبا عبّاد مقبلًا إلّا أضحكنى قول دعبل فيه:

أولى الأمور بضَيْعَةٍ و فسادِ أمرٌ يُدبِّره أبو عبّاد«۵»

۴- حدّث أبو ناجية «۶» قال: كان المعتصم يبغض دعبلًا لطول لسانه، و بلغ

---

(۱). وفيات الأعيان: ۲/ ۲۶۷ رقم ۲۲۷.

(۲). الأغانى: ۲۰/ ۱۳۳.

(۳). المعبديّات: الأغانى المنسوبة الى معبد المغنّى.

(۴). البَربَط: العود.

(۵). توجد بقيّة الأبيات فى الأغانى: ۱۸/ ۳۹ [۲۰/ ۱۵۴]. (المؤلف)

(۶). الأغانى: ۲۰/ ۱۵۷- ۱۵۸.

دعبلًا أنّه يريد اغتياله و قتله، فهرب إلى الجبل، و قال يهجوه:

بكى لشَتاتِ الدينِ مكتئبٌ صَبُ و فاض بفَرْطِ الدمعِ من عينِهِ غَرْبُ«۱»

و قام إمامٌ لم يكن ذا هدايةٍ فليس له دينٌ و ليس له لُبُ

و ما كانت الأنباءُ تأتى بمثلِهِ يُملَّكُ يوماً أو تَدينُ له العُرْبُ

و لكن كما قال الذين تتابعوا من السلَفِ الماضين إذ عظُم الخَطْبُ

ملوكُ بنى العبّاس فى الكُتْبِ سَبْعَةٌ و لم تأتِنا عن ثامنٍ لهمُ كُتْبُ

كذلک أهلُ الكهفِ فى الكهفِ سبعةٌ خِيارٌ إذا عُدّوا و ثامنُهمْ كلبُ

و إنّی لأُعلی کلبَهمْ عنک رِفعةً لأنّک ذو ذَنْبٍ و لیس لهُ ذَنْبُ

لقد ضاع مُلکُ الناسِ إذْ ساس مُلکَهمْ وصیفٌ و أشناسٌ و قد عَظُم الکَربُ«۲»

و فضلُ بنُ مروانٍ یُثَلِّمُ ثَلْمةً یَظَلُّ لها الإسلامُ لیس لهُ شَعبُ«۳»

۵- حدّث میمون بن هارون قال: لمّا مات المعتصم قال محمد بن عبد الملک الزیّات یَرثیه:

قد قلْتُ إذْ غیّبوهُ و انصرفوا فی خیرِ قبر لخیرِ مدفونِ

لن یَجْبُرَ اللَّهُ أمَّةً فَقَدَتْ مثلَکَ إلّا بمثلِ هارونِ

فقال دعبل یعارضه:

قَدقُلتُ إذ غیّبوهُ و انصرفوا فی شَرِّ قبرٍ لشرِّ مدفونِ

اذهبْ إلی النارِ و العذاب فما خِلْتُکَ إلّا من الشیاطینِ

ما زلتَ حتی عَقَدْتَ بیعةَ مَنْ أضرَّ بالمسلمین و الدینِ«۴»

---

(۱). الغَرْب: عِرْق فی مجری الدمع یسقی و لا ینقطع.

(۲). وصیف و أشناس: من قوّاد المعتصم.

(۳). شَعب: إصلاح.

(۴). الأغانی: ۲۰/ ۱۵۸.

۶- حدّث محمد بن قاسم بن مهرويه قال: كنت مع دعبل بالصيمرة و قد جاء نعى المعتصم و قيام الواثق، فقال لى دعبل: أ معک شیء تکتب فیه؟ فقلت: نعم، و أخرجت قرطاساً، فأملى علىَّ بديهاً:

ألحمدُ للَّهِ لا صبرٌ و لا جَلَدُ و لا عزاءٌ إذا أهل البلا رَقدوا

خليفةٌ ماتَ لم يَحزنْ له أحدٌ و آخرٌ قام لم يفرحْ به أحدُ«۱»

۷- حدّث محمد بن جرير قال: أنشدنى عبيد اللَّه بن يعقوب هذا البيت وحده لدعبل يهجو به المتوكّل، و ما سمعت له غيره فيه:

و لستُ بقائلٍ قَذْعاً و لكنْ لأمرٍ ما تعبّدک العبيدُ

قال: يرميه فى هذا البيت بالأُبنَة.

۸- دخل عبد اللَّه بن طاهر على المأمون فقال له المأمون: أىَّ شیءٍ تحفَظُ يا عبد اللَّه لدعبل؟ فقال: أحفظ أبياتاً له فى أهل بيت أمير المؤمنين. قال: هاتها ويحک، فأنشده عبد اللَّه قول دعبل:

سقياً و رعياً لأيّامِ الصباباتِ أيّامَ أرفُلُ فى أثواب لذّاتى

أيّامَ غُصنى رطيبٌ من لَيانتِهِ أصبو إلى غير جاراتٍ و كنّاتِ

دع عنک ذكرَ زمانٍ فات مطلبُهُ و اقذِفْ برجلِکَ عن متنِ الجهالاتِ

و اقصد بكلِّ مديحٍ أنت قائلُهُ نحو الهداةِ بنى بيتِ الكراماتِ

فقال المأمون: إنّه قد وجد و اللَّه مقالًا، و نال ببعيد ذكرهم ما لا يناله فى وصف غيرهم. ثمّ قال المأمون: لقد أحسن فى وصف سَفر سافره، فطال ذلک السفر عليه، فقال فيه:

---

(۱). الأغانى: ۲۰/ ۱۶۰.

أ لَمْ يَأنِ للسفْرِ الذين تحمّلوا إلى وطنٍ قبل الممات رجوعُ

فقلت و لم أملكْ سوابق عَبرةٍ نطقنَ بما ضُمَّت عليه ضلوعُ

تَبَيَّنْ فكم دارٍ تفرّقَ شملُها و شملٍ شتيتٍ عادَ و هو جميعُ

كذاک الليالی صرفُهنَّ كما ترى لكلِّ أناسٍ جَدْبَةٌ و ربيعُ

ثمّ قال: ما سافرت قطُّ إلّا كانت هذه الأبيات نُصبَ عينیَّ فی سفری، و هجّيری «۱») و مُسَلّيتی حتی أعود «۲».

۹- حدّث ميمون بن هارون قال: كان دعبل قد مدح دينار بن عبد اللّه و أخاه يحيی فلم يرضَ ما فعلاه، فقال يهجوهما:

ما زال عصيانا للّهِ يُرذِلُنا حتّی دُفعنا إلی يحيی و دينارِ

وَغْدَينِ عِلجَين لم تُقطَعْ ثمارُهما قد طال ما سجدا للشمس و النارِ

قال: و فيهما و فی الحسن بن سهل و الحسن بن رجاء و أبيه يقول دعبل:

ألا فاشتروا منّی ملوک المخزمِ أبِعْ حسَناً و ابنَی رجاءٍ بدرهمِ

و أُعْطِ رجاءً فوق ذاک زيادةً و أسمحْ بدينارٍ بغير تندُّمِ

فإن رُدَّ من عيبٍ علیَّ جميعُهم فليس يَردُّ العيبَ يحيی بن أكثمِ«۳»

مُلَح و نوادر:

١- حدّث أحمد بن خالد قال: كنّا يوماً بدار صالح بن عليّ من عبد القيس ببغداد و معنا جماعةٌ من أصحابنا، فسقط على كنينَةٍ فى سطحه ديكٌ طار من دار دعبل، فلمّا رأيناه قلنا: هذا صيدنا، فأخذناه. فقال صالح: ما نصنع به؟ قلنا: نذبحه،

---

(١). هجّيرى: دأبى و عادتى.

(٢). الأغانى: ٢٠/ ١٦٧- ١٦٨.

(٣). الأغانى: ٢٠/ ١٧١.

فذبحناه و شويناه. فخرج دعبل و سأل عن الديک فعرَف أنّه سقط فى دار صالح، فطلبه منّا فجحدناه، و شربنا يومنا. فلمّا كان من الغد خرج دعبل فصلّى الغداة، ثمّ جلس على المسجد، و كان ذلک المسجد مجمع الناس، يجتمع فيه جماعةٌ من العلماء و ينتابهم الناس، فجلس دعبل على المسجد و قال:

أسَرَ المؤذِّنَ صالحٌ و ضيوفُهُ أسْرَ الكمىِّ هفا خلال الماقطِ«١»

بعثوا عليه بَنيهمُ و بناتِهمْ من بين ناتفةٍ و آخرَ سامطِ

يتنازعون كأنّهم قد أوثقوا خاقان أو هزموا كتائب ناعطِ«٢»

نَهشوهُ فانتُزِعتْ لهُ أسنانهُمْ و تهشّمتْ أقفاؤهمْ بالحائطِ

فكتبها الناس عنه و مضوا. فقال لى أبى و قد رجع إلى البيت: و يحكم، ضاقت عليكم المآكل، فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديک دعبل؟ ثمّ أنشدنا الشعر، و قال لى: لا تَدَعْ ديكاً و لا دجاجةً تقدر عليه إلّا اشتريتَه، و بعثتَ به إلى دعبل، و إلّا وقعنا فى لسانه؛ ففعلتُ ذلک «٣».

٢- عن إسحاق النخعى قال: كنت جالساً مع دعبل بالبصرة و على رأسه غلامه ثقيف، فمرَّ به أعرابىٌّ يرفل فى ثياب خَزّ، فقال لغلامه: أُدع لى هذا الأعرابى، فأومأ الغلام إليه، فجاء، فقال له دعبل: ممّن الرجل؟ قال: من بنى كلاب، قال: من أىِّ ولد كلاب أنت؟ قال: من ولد أبى بكر، فقال دعبل: أ تعرف القائل؟:

و نُبِّئْتُ كلباً من كلابٍ يَسبُّنى و محضُ كلابٍ يقطعُ الصلواتِ

فإنْ أنا لم أُعلمْ كِلاباً بأنَّها كلابٌ و أنّى باسلُ النقِماتِ

---

(۱). الماقط: المضيق فى الحرب.

(۲). ناعط: قبيلة من هَمْدان. و أصله جبل نزلوا به فنُسِبوا إليه. (المؤلف)

(۳). الأغانى: ۲۰/ ۱۴۱.

فكان إذاً من قيسِ عَيلانَ والدى و كانت إذاً أمّى من الحبَطاتِ«۱»

قال: و هذا الشعر لدعبل يقوله فى عمرو بن عاصم الكلابى. فقال له الأعرابىُّ: ممّن أنت؟ فكره أن يقول من خزاعة فيهجوهم، فقال: أنا أنتمى إلى القوم الذين يقول فيهم الشاعر:

أناسٌ علىُّ الخيرِ منهمْ و جعفرٌ و حمزةُ و السجّادُ ذو الثفناتِ

إذا فخروا يوماً أتَوا بمحمّدٍ و جبريلَ و الفرقانِ و السُّوَراتِ

فوثب الأعرابىُّ و هو يقول: ما لى إلى محمدٍ و جبريل و الفرقان و السوَرات مرتقى «۲».

۳- حدَّث الحسين بن أبى السُّرى قال: غَضِبَ دعبل على أبى نصر بن جعفر ابن محمد بن الأشعث- و كان دعبل مؤدِّبه قديماً- لشىء بلغه عنه، فقال يهجو أباه:

ما جعفرُ بن محمدِ بن الأشعثِ عندى بخيرٍ أبوّةً من عَثْعَثِ

عبثاً تمارسَ بی تمارسُ حیّةً سوّارةً إن هجتَها لم تَلبَثِ

لو یعلمُ المغرورُ ما ذا حازَ من خِزیٍ لوالدِهِ إذاً لم یَعْبَثِ

قال: فلقیه عَثعث، فقال له: أیّ شیءٍ کان بینی و بینک حتی ضربتَ بی المَثَل فی خِسَّة الآباء؟، فضحک دعبل، و قال: لا شیء و اللّه إلّا اتِّفاق اسمک و اسم ابن الأشعث فی القافیة، أ وَ لا ترضی أن أجعل أباک و هو أسود خیراً من آباء الأشعث بن قیس «۳»؟

۴- عن الحسین بن دعبل قال: قال أبی فی الفضل بن مروان:

نَصَحْتُ فأخْلَصتُ النصیحةَ للفضلِ و قلتُ فسیّرتُ المقالةَ فی الفضلِ

---

(۱). الحبَطات: أولاد الحارث بن مالک بن عمرو بن تمیم.

(۲). الأغانی: ۲۰/ ۱۵۶- ۱۵۷.

(۳). المصدر السابق: ۲۰/ ۱۶۱.

ألا إنَّ فی الفضلِ بنِ سهلٍ لَعِبْرَةً إن اعتَبَر الفضلُ بنُ مروانَ بالفضلِ

و للفضلِ فی الفضلِ بن یحیی مواعظٌ إذا فکّر الفضلُ بنُ مروانَ فی الفضلِ

فأبْقِ حمیداً من حدیثٍ تَفُزْ بِهِ و لا تَدَعِ الإحسانَ و الأخذَ بالفضلِ

فإنّک قد أصبحتَ لِلمُلْکِ قَیِّماً و صرتَ مکانَ الفضل و الفضلِ و الفضلِ

و لم أرَ أبیاتاً من الشعر قبلَها جمیعُ قوافیها علی الفضلِ و الفضلِ

و ليس لها عيبٌ إذا هى أُنشِدَتْ سوى أنّ نصحى الفضلَ كان من الفضلِ

فبعث إليه الفضل بن مروان بدنانير، و قال له: قد قبلتُ نُصحَک، فاکفنی خَيرَک و شرَّک «۱».

نماذج من شعر دعبل فی المذهب

قال فی رثاء الإمام السبط الشهيد عليه السلام:

أ تَسْكُبُ دمعَ العينِ بالعبراتِ و بتَّ تُقاسی شِدّة الزفَراتِ؟

و تبكی لآثارٍ لآلِ محمدٍ فقد ضاقَ منک الصدرُ بالحسراتِ

ألا فابكهمْ حَقّا و بُلَّ عليهمُ عُيوناً لرَيْبِ الدهر مُنسَكباتِ

و لا تنسَ فی يومِ الطفوفِ مُصابَهمْ و داهيةً من أعظمِ النكَباتِ

سقی اللَّهُ أجداثاً علی أرضِ كربلا مرابيعَ أمطارٍ من المُزُناتِ

و صلّی علی روح الحسينِ حبيبهِ قتيلًا لدی النهرين بالفَلَواتِ

قتيلًا بلا جُرمٍ فُجِعنا بفقدِهِ فريداً ينادی: أينَ أينَ حُماتی

أنا الظامئُ العطشانُ فی أرضِ غربةٍ قتيلًا و مظلوماً بغير تِراتِ

و قد رفعوا رأسَ الحسينِ علی القنا و ساقوا نساءً وُلَّهاً خَفِراتِ

فقل لابن سعدٍ عذَّبَ اللَّهُ روحَهُ ستلقی عذابَ النارِ باللعناتِ

---

(۱). الأغانی: ۱۸/ ۳۳، ۳۸، ۳۹، ۴۲ [۲۰/ ۱۵۳]. (المؤلف)

سأقنُتُ طولَ الدهرِ ما هبَّتِ الصبا و أقنُتُ بالآصالِ و الغَدواتِ

على معشرٍ ضَلّوا جميعاً و ضَيّعوا مقالَ رسول اللَّهِ بالشبهاتِ

و يمدح أمير المؤمنين عليه السلام و يذكر تصدُّقه بخاتمه للسائل فى الصلاة و نزول قوله تعالى: (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ) فيه «۱» بقوله:

نَطَقَ القرآنُ بفضلِ آلِ محمدٍ و ولايةٍ لعليِّهِ لم تُجحَدِ

بولايةِ المختارِ مَن خير الذى «۲» بعد النبىِّ الصادق المتودّدِ

إذ جاءَهُ المسكينُ حالَ صلاتِهِ فامتدَّ طوعاً بالذراعِ و باليدِ

فتناولَ المسكينُ منهُ خاتَماً هِبةَ الكريم الأجودِ بن الأجودِ

فاختصّهُ الرحمنُ فى تنزيلِهِ منْ حازَ مثلَ فَخارِهِ فليَعْدُدِ

إنَّ الإلهَ وَلِيُّكمْ و رسولَهُ و المؤمنين فَمَنْ يَشَأ فَلْيجحَدِ

يكنِ الإلهُ خصيمَهُ فيها غداً و اللَّهُ ليس بمُخْلِفٍ فى الموعدِ

و له يمدح أمير المؤمنين – صلوات اللَّه عليه –:

سقياً لبيعةِ أحمدٍ و وصيِّهِ أعنى الإمامَ وليَّنا المحسودا

أعنى الذى نصَرَ النبىَّ محمداً قبلَ البريّةِ ناشئاً و وليدا

أعنى الذى كَشَفَ الكروبَ و لم يكنْ فى الحربِ عند لقائهِ رِعديدا

أعنى المُوَحِّدَ قبلَ كلِّ مُوَحِّدٍ لا عابداً وَثناً و لا جلمودا

و له يرثى الإمام السبط شهيد الطفّ- سلام اللّه عليه-:

إن كنتَ محزوناً فمالکَ ترقُدُ هلّا بَکَيْتَ لمن بَکاهُ محمدُ

---

(١). راجع ما مرّ صفحة ۴۷ من هذا الجزء. (المؤلف)

(٢). کذا فی مناقب آل أبی طالب: ٣/ ١١، و فی الديوان: من خير الورى.

هلّا بَکَيْتَ علی الحسينِ و أهلِهِ إنَّ البکاءَ لِمثلِهِمْ قد يُحمَدُ

لِتَضَعْضُعِ الإسلامِ يوم مُصابهِ فالجودُ يبکی فقدَهُ و السؤددُ

فلقدْ بَکَتْهُ فی السماءِ ملائک زُهْرٌ کرامٌ راکعون و سُجَّدُ

أ نَسِيتَ إذ صارتْ إليه کتائبٌ فيها ابن سعدٍ و الطغاةُ الجُحَّدُ

فَسَقَوْهُ من جُرَعِ الحُتوفِ بمشهدٍ کَثُرَ العِداةُ به و قَلَّ المُسعِدُ

لم يَحفظوا حقَّ النبیِّ محمدٍ إذْ جَرّعوهُ حرارةً ما تبردُ

قتلوا الحسينَ فأثکلوهُ بسبطِهِ فالثُّکْلُ من بعد الحسين مُبَرِّدُ

کيف القرارُ و فی السبايا زينبٌ تدعو بفَرْطِ حرارةٍ: يا أحمدُ

هذا حسينٌ بالسيوفِ مُبضَّعٌ مُتلطّخٌ بدمائه مُسْتَشْهَدُ

عارٍ بلا ثوبٍ صريعٌ فی الثری بين الحوافرِ و السنابک يُقْصَدُ

و الطيِّبونَ بَنوکَ قتلی حولَهُ فوقَ التُّرابِ ذبائحٌ لا تُلْحَدُ

يا جدُّ قد مُنِعوا الفراتَ و قُتِّلوا عَطَشاً فليسَ لهمْ هنالکَ موردُ

يا جدُّ من ثُکْلی و طولِ مُصيبتی و لِما أُعانيهِ أقومُ و أقعدُ

و له من قصيدة طويلة فی رثاء الشهيد السبط عليه السلام قوله:

جاءوا من الشامِ المَشُومةِ أهلُها للشومِ يَقدِمُ جُنْدَهمْ إبليسُ

لُعِنوا و قد لُعِنوا بقتلِ إمامِهمْ تَرکوهُ و هو مبضَّعٌ مخموسُ

و سَبَوا فوا حَزَنی بناتِ محمدٍ عبری حواسرَ ما لهنَّ لبوسُ

تبّا لکمْ يا ويلکمْ أ رضِيتمُ بالنّارِ ذَلَّ هنالکَ المحبُوسُ

بِعتم بدنيا غيرِکمْ جَهْلًا بکمْ عِزَّ الحياةِ و إنَّهُ لنفيسُ

أخْزی بها من بيعةٍ أمويّةٍ لُعِنت و حظُّ البائعين خسيسُ

بؤساً لمن بايعتمُ و کأنّنی بإمامکمْ وَسْطَ الجحيمِ حَبيسُ

يا آل أحمدَ ما لقيتمْ بعدَهُ من عُصْبةٍ هم فی القياسِ مجوسُ

کم عَبرةٍ فاضتْ لکم و تقطّعتْ يومَ الطفوف علی الحسين نفوسُ

صبراً مَوالينا فسوف نُديلُکمْ يوماً علی آل اللعين عَبوسُ«۱»

ما زلتُ متّبعاً لکمْ و لأمرِکُمْ و عليه نفسی ما حَيِيتُ أسوسُ

و ذکر له ياقوت الحموی فی معجم الأدباء (۱۱/ ۱۱۰) فی رثاء الإمام السبط عليه السلام قوله:

رأسُ ابن بنت محمدٍ و وصيِّهِ — يا للرجالِ على قناةٍ يُرفعُ

و المسلمونَ بمنظرٍ و بمَسْمَعٍ — لا جازعٌ من ذا و لا مُتَخَشِّعُ

أيقظتَ أجفاناً و كنتَ لها كرىً — و أنمتَ عيناً لم تكن بكَ تهجَعُ

كُحِلَتْ بمنظرِکَ العيون عمايةً — و أصمَّ نعيُکَ كلَّ أُذنٍ تسمعُ

ما روضةٌ إلّا تمنّت أنّها — لک مضجعٌ و لخطِّ قبرک موضعُ

و له فی مدح الإمام الطاهر علیٍّ بن أبی طالب – صلوات اللّه علیه –:

أبو ترابٍ حيدرَه — ذاک الإمامُ القَسْورَه

مُبيدُ كلِّ الكفَرَه — ليس له مناضلُ

***

مبارزٌ ما يهبُ — و ضيغمٌ ما يُغلَبُ

و صادقٌ لا يكذِبُ — و فارسٌ محاولُ

***

سيفُ النبيِّ الصادقِ — مُبيدُ كلِّ فاسقِ

بمُرْهفٍ ذی بارقِ — أخلصَهُ الصياقلُ

❊❊❊ و له یرثی الإمام السبط – صلوات اللّه علیه –:

---

(۱). کذا.

منازلُ بین أکنافِ الغَرَی إلی وادی المیاه إلی الطویِ

لقد شغلَ الدموعَ عن الغوانی مُصابُ الأکرمین بنی علیِ

أتی أسفی علی هفواتِ دهری تضاءل فیه أولاد الزکیِ

أ لمْ تَقِفِ البکاءَ علی حسینٍ و ذکرک مصرعَ الحَبْر التقیِ

أ لم یُحزِنْکَ أنَّ بنی زیادٍ أصابوا بالترات بنی النبیِ

و أنَّ بنی الحَصَانِ یمرُّ فیهمْ علانیةً سیوفُ بنی البغیِ

ولادته و وفاته:

وُلد سنة (۱۴۸) و استشهد ظلماً و عدواناً و هو شیخ کبیر سنة (۲۴۶) فعاش سبعاً و تسعین سنة و شهوراً من السنة الثامنة. یُقال: إنّه هجا مالک بن طوق بأبیات، و بلغت مالکاً، فطلبه فهرب، فأتی البصرة و علیها إسحاق بن العبّاس العبّاسی، و کان بلغه هجاء دعبل نزاراً، فلمّا دخل البصرة بعث من قبض علیه، و دعا بالنطع و السیف لیضرب عنقه، فحلف بالطلاق علی جَحْدها، و بکلِّ یمین تبرّئ من الدم أنّه لم یقُلها، و أنّ عدوّا له قالها؛ إمّا أبو سعید أو غیره و نسبها إلیه لیُغریَ بدمه، و جعل یتضرّع إلیه و یقبِّل الأرض و یبکی بین یدیه، فرقَّ له فقال: أمّا إذا أعفیتک من القتل فلا بدّ من أن أشهرَک، ثمّ دعا بالعصا فضربه حتی سلح، و أمر به و أُلقی علی قفاه، و فُتِح فمه فردَّ سَلحه فیه و المقارع تأخذ رجلیه، و هو یحلف أن لا یکفَّ عنه حتی یستوفیه و یبلغَه أو یقتله. فما رُفِعت عنه حتی بلع سلَحه کلّه، ثمّ خلّاه فهرب إلی الأهواز، و بعث مالک ابن طوق رجلًا حصیفاً «۱» مِقداماً و أمره أن یغتاله کیف شاء، و أعطاه علی ذلک عشرة آلاف درهم، فلم یزل یطلبه حتی وجده فی قریة من نواحی السوس، فاغتاله فی وقت من الأوقات بعد صلاة العُتمة، فضرب ظهر قدمه بعُکّاز «۲» لها زِجٌّ مسمومٌ،

---

(۱). الحصیف: الجیّد الرأی مُحکم العقل. (المؤلف)

(۲). العُكّاز- بالعين المضمومة و الكاف المشدّدة-: عصا ذات زِجّ فى أسفلها يُتوكَّأُ عليها. (المؤلف)

ص: ۵۴۳

فمات من غد، و دفن بتلك القرية.

و قيل: بل حُمل إلى السوس و دُفن بها «۱». و فى تاريخ ابن خلّكان «۲»: قُتل بالطيب، و هى بلدةٌ بين واسط العراق و كور الأهواز. و قال الحموى «۳»: و بزَويلَة «۴» قبرُ دعبل بن علىّ الخزاعى، قال بكر بن حمّاد:

الموت غادَرَ دِعبلًا بَزَوِيلَةٍ فى أرض برقة أحمد بن خصيبِ

لا يخفى على الباحث أنّ تردّد ابن عساكر فى تاريخه «۵» (۵/ ۲۴۲) بعد ذكر وفاة المترجَم سنة (۲۴۶) و قوله: قيل: إنّه هجا المعتصم فقتله. و قيل: إنّه هجا مالكاً فأرسل إليه من سمَّه بالسوس تردّدٌ بلا تأمّل، و نقلٌ بلا تدبّر؛ إذ المعتصم توفّى (۲۲۷) قبل شهادة المترجَم بتسع عشرة سنة. كما أنّ ما ذكره الحموى فى معجم البلدان (۴/ ۴۱۸) من أنّ دعبلًا لمّا هجا المعتصم أهدر دمه، فهرب إلى طوس و استجار بقبر الرشيد، فلم يُجِرْهُ المعتصم و قتله صبراً فى سنة (۲۲۰)، خلاف ما اتّفق عليه المؤرِّخون و علماء الرجال من شهادته سنة (۲۴۶).

كان البحترى صديقاً للمترجَم و أبى تمام المتوفّى قبله، فرثاهما بقوله:

قد زادَ فى كَلَفِى و أوْقَدَ لَوْعتى مثوى حبيبٍ يومَ مات و دعبلِ

أخوَىَّ لا تزلِ السماءُ مَخِيلةً «۶» تغشاكما بسماءِ مُزْنٍ مُسْبلِ

جدثٌ على الأهوازِ يبعدُ دونَهُ مسرى النَّعىِّ و رمسُهُ بالموصلِ

(۱). الأغانى: ۱۸/ ۶۰ [۲۰/ ۲۰۰]، معاهد التنصيص: ۱/ ۲۰۸ [۲/ ۲۰۶ رقم ۱۱۵]. (المؤلف)

(۲). وفيات الأعيان: ۲/ ۲۷۰ رقم ۲۲۷.

(۳). معجم البلدان: ۴/ ۴۱۸ [۳/ ۱۶۰]. (المؤلف)

(۴). أوّل حدود بلاد السودان. (المؤلف)

(۵). تاريخ مدينة دمشق: ۶/ ۸۴، و فى مختصر تاريخ دمشق: ۸/ ۱۹۴.

(۶). خيل السحاب: رعد و برق و تهيّأ للمطر. (المؤلف)

قال أبو نصر محمد بن الحسن الكرخى الكاتب: رأيت على قبر دعبل مكتوباً:

أعدَّ للَّهِ يومَ يَلْقاهُ دعبل: أن لا إلهَ إلّا هُو

يقولها مُخْلِصاً عساهُ بها يرحمُهُ فى القيامة اللَّهُ

اللَّهُ مولاه و الرسول و منْ بعدِهما فالوصىُّ مولاهُ

خلف المترجَم ولداه: عبد اللَّه و حسين الشاعر، ذكر ابن النديم «۱» للثانى منهما ديواناً فى نحو مائتى ورقة، و ترجمه ابن المعتز فى طبقات الشعراء «۲» (ص ۱۹۳) و ذكر نماذج من شعره، و قال: الدعبلىّ مليح الشعر جدّا.

آخر دعوانا أن الحمد للَّه ربّ العالمين

هنا ينتهى الجزء الثانى و يتلوه الجزء الثالث و يبدأ ببقيّة شعراء القرن الثالث، أوّلهم أبو إسماعيل العلوىّ

و اللَّه المستعان و عليه التكلان

---

(۱). فهرست ابن النديم: ص ۱۸۳.

(۲). طبقات الشعراء: ص ۴۰۸.